

تأليف

الإمام الحافظ عز الدين عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي
(٥٨٩ - ٦٦١هـ)

دراسة وتحقيق

أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الجزء الخامس

أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع

مكة المكرمة ـ العزيزية ـ مدخل جامعة أم القرى ت ـ ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس ـ ٥٥٧٥٢٤١

فرع العزيزية الشارع العام ت ـ ٥٢٧٣٠٣٧ ص. ب ٢٠٨٣

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي خمس وسبعون آية في العدد البصري، وثمان وسبعون في العدد الكوفي.

قال ابن عباس: هي مكية غير آيات: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ والتي تليها، و﴿هذان خصمان﴾ واللتان بعدها[١].

قال الثعلبي[٢]: مِنْ ﴿هذان خصمان﴾ إلى ﴿صراط الحميد﴾ مدني.

وقال أبو سليمان الدمشقي: أولها مدني إلى قوله: ﴿وبشر المحسنين﴾، وسائرها مكي[٣].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾

أمر الله سبحانه وتعالى الناس بالتقوى، ثم عقَّبه بذكر الساعة [وأهوالها][٤] مبالغة في إثارة دواعيهم إلى التمسك بأسباب التقوى، فقال: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾.

---

(١) انظر: الإتقان (١/ ٤٢-٤٣).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٠٢).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٠٢).

(٤) في الأصل: وأهولها. والتصويب من ب.

اختلف العلماء في وقت هذه الزلزلة؛ فقال الحسن: يوم القيامة[١].

وقد روي عن[٢] عمران بن حصين: ((أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ وقال: تدرون أي يوم ذلك؟ فإنه يوم ينادي الرب عز وجل آدم [عليه السلام][٣]: ابعث بعثاً إلى النار ... فذكر الحديث))[٤]، وهو:

ما أخبرنا به الشيخ أبو المجد محمد بن الحسين القزويني بقراءتي عليه قال: أخبرنا الإمام أبو منصور محمد بن أسعد الطوسي قراءةً عليه، قال: حدثنا الإمام أبو محمد [الحسين][٥] بن مسعود البغوي، أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي[٦]، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر التاجر، حدثنا إبراهيم بن عبدالله الكوفي العبسي، أخبرنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: ((يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم! قم فابعث بعث النار، قال: فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، وما بعث النار يا رب[٧]؟ قال: فيقول: من كل ألف، تسعمائة

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٧).

(٢) ساقط من ب.

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٣ ح٣١٦٩).

(٥) في الأصل: الحسن. وهو خطأ. والتصويب من ب.

(٦) محمد بن محمد بن محمش بن علي بن داود، أبو طاهر الزيادي، ولد سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وتوفي بعد سنة أربعمائة، وكان أبوه من أعيان العُبَّاد الذين يتبرّك بهم وبدعائهم (تهذيب الأسماء ٢/ ٥٢٥).

(٧) في ب: يا رب وما بعث النار.

وتسعة وتسعين، قال: فحينئذ يشيب المولود، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد. قال: فيقولون: وأيّنا ذلك الواحد؟ فقال رسول الله ﷺ: تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج، ومنكم واحد، قال: فقال الناس: الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: والله إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، والله إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، والله إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، قال: فكبر الناس، فقال رسول الله ﷺ: ما أنتم يومئذ في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، والشعرة السوداء في الثور الأبيض»[١]. هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري عن إسحاق بن [نصر][٢]، عن أبي أسامة، عن الأعمش. وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع وعن أبي كريب، عن [أبي][٣] معاوية، كلاهما عن الأعمش.

وقال علقمة والشعبي: هذه الزلزلة تكون قبل القيامة[٤]، وهي من أشراط الساعة[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٢١ ح٣١٧٠)، ومسلم (١/ ٢٠٢ ح٢٢٢).

(٢) في الأصل: منصور، والتصويب من البخاري (٣/ ١٢٢١). وانظر ترجمته في: التقريب (ص:٩٩)، وتهذيب الكمال (٢/ ٣٨٨-٣٨٩).

(٣) زيادة من ب.

(٤) قال الطبري (١٧/ ١١١): وهذا القول الذي ذكرناه عن علقمة والشعبي، قول لولا مجيء الصحاح من الأخبار عن رسول الله ﷺ بخلافه، ورسول الله ﷺ أعلم بمعاني وحي الله وتنزيله، والصواب من القول في ذلك ما صح به الخبر عنه.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٥١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علقمة، ومن طريق آخر عن =

وقد روى أبو العالية عن أبيّ بن كعب قال: ست آيات قبل القيامة، بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت، ففزع الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير [والوحش](١)، فماج بعضهم في بعض، فقالت الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحور فإذا هي نار تأجج، فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض إلى الأرض السابعة، والسماء إلى السماء السابعة، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فماتوا(٢).

قوله تعالى: ﴿يوم ترونها﴾ منصوب بـ ﴿تذهل﴾، والضمير للزلزلة(٣)، يقال: ذَهَلَ عن كذا يَذْهَلُ ذُهُولاً؛ إذا تَرَكَه أو شَغَلَهُ عنه شَاغِل(٤)، ومنه قول عبدالله بن رواحة:

ضَرْباً يُزِيلُ الهامَ عنْ مَقيلِه ... ويُذْهِلُ الخليلَ عنْ خَليله(٥)

وقرأ أبو عمران الجوني: "تُذهِلُ" بضم التاء وكسر الهاء. ﴿كُلَّ﴾ بالنصب(٦).

الشعبي وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(١) في الأصل: والجن. والمثبت من الطبري (٣٠/ ٦٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٢).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٣-٦٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٢-٣٤٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٧) وعزاه لابن أبي الدنيا في الأهوال وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٣٩)، والدر المصون (٥/ ١٢١).

(٤) انظر: اللسان (مادة: ذهل).

(٥) انظر البيت في: القرطبي (١٢/ ٤، ١٣، ١٥١)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٣٥)، والاستيعاب (٣/ ١١٣٩)، والإصابة (٤/ ٨٥)، والماوردي (٤/ ٦).

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣٢٥)، والدر المصون (٥/ ١٢١).

قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فِطَام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، وهو قوله: ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾[١].

[قال صاحب الكشاف[٢]][٣]: فإن قلت: لم قيل: مُرضعة دون مُرضع؟

قلتُ: المرضعة هي التي في حال الإرضاع مُلْقِمَةٌ ثدْيَها الصبي، والمُرْضِعُ التي شأنها أن تُرْضِعَ وإن لم تُباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: مُرْضِعةٌ، ليدل على أنّ ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته من[٤] فيه لما يَلْحَقُها من الدهشة.

قوله تعالى: ﴿عما أرضعت﴾ أي: عن إرضاعها، أو عن الذي أرْضَعَتْه، وهو الطفل.

قال المفسرون: وهذا يدل على أن الزلزلة تكون في الدنيا؛ لأن يوم البعث لا حُبْلَى فيه ولا مُرْضِعَة[٥].

قلتُ: ومعنى الكلام على القول الآخر: يوم ترون أماراتها وتشاهدون علامتها، تَذْهَلُ المراضع وتضع الحوامل، أو يكون ذلك خارجاً مخرج التمثيل، على معنى: لو وُجِدَ في ذلك اليوم مُرْضِعةٌ لذَهَلَتْ، أو حاملٌ لوَضَعَتْ.

قوله تعالى: ﴿وترى الناس سُكارى﴾ أي: تراهم لِمَا عَرَاهم من أهوال القيامة

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١١٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧) وعزاه لابن جرير.

(٢) الكشاف (٣/ ١٤٣).

(٣) زيادة من ب.

(٤) في ب: عن.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٠٤).

وشدائدها، كأنهم سُكارى لشدة اضطرابهم وقلقهم، ﴿وما هم بسكارى﴾ على التحقيق.

وقال ابن جريج: وترى الناس سُكارى من الخوف، وما هم بسُكارى من الشراب[1].

وقرأ عكرمة: "وتُرى الناس" بضم التاء[2]، على معنى: تظنّهم.

قال الفراء[3]: لهذه القراءة وجه جيد.

وقرأ حمزة والكسائي: "سَكْرى وما هم بسَكْرى"[4].

قال أبو علي[5]: يجوز أن تجمع سكران على "سَكْرى".

قال[6]: حكى سيبويه[7]: رجلٌ سَكِرٌ، وقد جمعوا هذا البناء على فَعْلَى، فقالوا: هَرِمٌ وهَرْمَى، وزَمِنٌ وزَمْنَى، وضَمِنٌ وضَمْنَى؛ لأنه من باب الأدواء والأمراض التي يُصاب بها، ففعْلى من هذا الجمع، وإن كان كعطْشى فليس يراد بها المفرد، إنما يراد بها تأنيث الجمع.

ومن قرأ: "سكَارى" فحجته: أنه لفظ يختص به الجمع، وليس بمشترك

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١١٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣٢٥)، والدر المصون (٥/ ١٢٢).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٢١٥).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٢)، والكشف (٢/ ١١٦)، والنشر (٢/ ٣٢٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٣)، والسبعة في القراءات (ص:٤٣٤).

(٥) الحجة (٣/ ١٦٤).

(٦) أي: أبو علي الفارسي، الموضع السابق.

(٧) انظر: الكتاب (٣/ ٦٤٩).

للجمع والواحد، كقولهم: سَكْرى، ونظيره قولهم: أُسَارَى وكُسَالى، فجاء الأول منه مضموماً، وإن كان الأكثر من هذا الجمع مفتوح الأول، نحو: حَذَارى.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ قال ابن عباس وغيره: نزلت في النضر بن الحارث[١]، وكان جَدِلاً يكذب بالقرآن[٢]، ويقول: الملائكة بنات الله[٣]، ويزعم أن الله لا يقدر على إحياء الموتى[٤].

وروى عطاء عن ابن عباس أيضاً: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة[٥].

وفي قوله: ﴿ويتبع كل شيطان مريد﴾ إشارة إلى أن جداله لا يستند إلى برهان عقلي، ولا بيان نقلي، وإنما هو جِدَالٌ شيطاني، فهو لعناده يَتَّبع ما تُسَوِّلُ له شياطينه.

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١١٥) عن ابن جريج، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٤) عن أبي مالك. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٨) وعزاه لابن أبي حاتم عن أبي مالك، ومن طريق آخر عن ابن جريج وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٢) هو قول ابن عباس.

(٣) وهذا هو قول مقاتل.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٨) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٠٥) عن أبي سليمان الدمشقي.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٨).

وقد سبق ذكر المَرِيد في سورة النساء[١].

قوله تعالى: ﴿كُتب عليه﴾ أي: قُضِيَ على الشيطان ﴿أنه من تولاه﴾ أي: جعله ولياً له، ﴿فأنه يضله﴾ عن طريق الجنة ﴿ويهديه إلى عذاب السعير﴾، وهذه الآية وإن نزلت على سبب خاص فإنها عامة في كل مجادل في الله؛ في صفاته، وما يجوز عليه وما لا يجوز، بغير كتاب ناطق ولا سُنَّةٍ واضحة، بل يخبط بآرائه الغائلة [المختلّة][٢] وأهوائه المُرْدِيَة المُضِلَّة.

فإن قيل: الضمير في "أنه" "فأنه" إلى أي شيء يرجع؟

قلتُ: الظاهر اتحاد الضمائر، وأنّ الضمير فيهما يرجع إلى الشيطان. وقد جَوَّزَ بعضهم أن يكون ضمير الشأن، على معنى: كتب على الشيطان أن الأمر والشأن من تولى الشيطان، فالشأن أن الشيطان يُضِلُّه.

فإن قيل: ما وجه الفتح في "أنه" "فأنه"، ووجه قراءة أبي مجلز وأبي العالية بالكسر فيهما؟

قلتُ: من فتَحَهُما جعل الأولى فاعل "كُتِبَ"، والثاني عطف عليه[٣]. ومن كسرهما فعلى حكاية المكتوب، كما تقول: كتبتُ أن الله هو الغني الحميد، أو على تقدير: قيل له، أو على أن "كُتِبَ" فيه معنى القول[٤].

---

(١) عند آية رقم: ١١٧.

(٢) في الأصل: المختلفة. والتصويب من ب.

(٣) قال أبو حيان في البحر (٦/ ٣٢٦): وهذا لا يجوز؛ لأنك إذا جعلت "فأنه" عطفاً على "أنه" بقيت "أنه" بلا استيفاء خبر؛ لأن "من تولاه" مَنْ فيه مبتدأة، فإنه قدرتها موصولة فلا خبر لها حتى يستقل خبر لأنه، وإن جعلتها شرطية فلا جواب لها، إذ جعلت "فأنه" عطفاً على "أنه".

(٤) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٣/ ١٤٥).

فإن قيل: "من" هاهنا شرطية، أو [بمعنى][1] الذي؟

قلتُ: جائز أن تكون بمعنى الذي، وقوله: "تولاه" في صلة "مَنْ". وقوله: ﴿فأنه يضله﴾ مبتدأ، تقديره: الشأن أنه يضله، والمبتدأ مع أنَّ واسمه وخبره خبر "مَنْ"، ودخلت الفاء؛ لأن الموصول يتضمن معنى الشرط والجزاء. وجائز أن تكون شرطية، و"تولاه" في موضع الجزم بـ"مَنْ"، والفاء مع "أنَّ" وما بعده في موضع الجواب والشرط، والجواب خبر "أنّ" الأولى[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث﴾ أي: إن كنتم في شَكٍّ من صحته وكونه، فانظروا ببصائركم في دلائل قدرتي ومبتدأ خلقكم لتستدلوا بالابتداء السابق على الإيجاد اللاحق.

وقوله: ﴿فإنا خلقناكم من تراب﴾ معناه: خلقنا أصلكم آدم من تراب، ﴿ثم

---

(١) في الأصل: معنى. والتصويب من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٣٩)، والدر المصون (٥/ ١٢٣-١٢٤).

من نطفة ثم من علقة﴾ وهي دم عبيط جامد، تنقلبُ عينُ النطفة إليه إذا استقرت في الرَّحم أربعين يوماً.

وفي طهارتها عن الإمام أحمد روايتان: مثارُهُما التردد بين كونها دماً وبَدْؤُ خلق آدمي.

﴿ثم من مضغة﴾ وهي اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ، ﴿مخلّقة وغير مخلّقة﴾.

قال ابن مسعود: المخلّقة: ما خلق سوياً، وغير المخلّقة: ما ألقَتْهُ الأرحام من النُّطَفِ قبل أن يكون خلقاً[١].

وقال الحسن: مُصَوَّرة وغير مُصَوَّرة[٢].

وقال ابن عباس: المُخَلَّقَة: ما أكمل خلقه بنفخ الروح فيه، وهو الذي يولد حياً لِتَمام، وغير المخلَّقة: ما سقط غير حَيٍّ لم يكمل خلقُه بنفخ الروح فيه[٣].

قال صاحب الكشاف[٤]: المخلَّقَة: المُسَوَّاة الملساء من النقصان والعيب، يقال: خَلَّقَ السواك والعود؛ إذا سوّاه [وملَّسَه][٥]، من قولهم: صخرة خَلْقَاء؛ إذا كانت مَلْسَاء[٦].

---

(١) ذكره الطبري (١٧/ ١١٦)، والماوردي (٤/ ٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٠٦).

(٢) ذكره الطبري (١٧/ ١١٦)، والماوردي (٤/ ٧) من قول مجاهد، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٠٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم بلفظ مقارب (٨/ ٢٤٧٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٠٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٠) وعزاه لابن أبي حاتم وصححه.

(٤) الكشاف (٣/ ١٤٥).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) انظر: اللسان (مادة: خلق).

قوله تعالى: ﴿لنبين لكم﴾ أي: لنُظهر لكم ونُوضّح بهذا التدريج والتنقل من حال إلى حال كمال قدرتنا وبليغ حِكْمتنا، وأن من قَدَرَ على خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة، مع ما بين التراب والماء والدم من المُبَايَنَة، ثم جعل العَلَقَة مضغة والمضغة عظاماً، قادرٌ على إنشائكم بعد فنائكم.

قوله تعالى: ﴿ونُقِرُّ في الأرحام ما نشاء﴾ كلام مستأنف، أي: نُثْبِتُ فيها ما نشاء فلا يكون سقطاً، وما لم نشأ إقراره تَمُجُّهُ الأرحام وتُسْقِطُهُ.

والأجل المسمى: أجل الولادة والوضع.

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء عبدالله بن الحسين اللغوي وأبي عمرو عثمان بن مقبل الياسري: "ونقرَّ" بالنصب[1]، عطفاً على "لنُبَيِّنَ". وضعّفها الزجاج[2].

﴿ثم نخرجكم طفلاً﴾ قال الزجاج[3]: "طفلاً" في معنى أطفال، ودلّ عليه ذكر الجماعة.

وقال غيره: المعنى: ثم نخرج كل واحد منكم طفلاً.

﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ فيه إضمار، تقديره: ثم نُعمِّركم لتبلغوا كمال قوتكم، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ أي: من قبل بلوغ الأشُدّ، ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ أخسّه وأدْوَنه، وهو سِنّ الخَرَف والهَرَم.

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ١٢٥)، والبحر (٦/ ٣٢٧).

(٢) انظر: معاني الزجاج (٣/ ٤١٢).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤١٢).

﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾ مُفسّرٌ في النحل[1].

ثم أوضح لهم طريق الاستدلال بذكر المثال ليعتبروا الغائب بالشاهد فقال: ﴿وترى الأرض هامدة﴾ أي: ميتة يابسة كالنار إذا طفئت، ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت﴾ تحركت بالنبات ﴿ورَبَتْ﴾ انتفخت.

قال الزجاج[2]: هو من رَبَا يَرْبُو؛ إذا زاد على أي الجهات زاد.

وقال المبرد: أراد: اهتزّ نباتُها ورَبَا، فحذف المضاف[3].

وقرأتُ لأبي جعفر: "وربأت" بهمزة مفتوحة بعد الباء[4].

قال الفراء[5]: إن كان ذهب إلى الرَّبيئة الذي يحرس القوم [فهذا مذهب][6]، أي: أنه يرتفع، وإلا فهو غلط.

وقال الزجاج[7]: معنى [رَبَأَت][8]: ارتفعت.

﴿وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ قال ابن عباس: من كل صنف حَسَن[9].

---

(١) عند الآية رقم: ٧٠.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٤١٣).

(٣) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٢٦٠)، وزاد المسير (٥/ ٤٠٨).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٣)، والنشر (٢/ ٣٢٥).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٢١٦).

(٦) زيادة من معاني الفراء، الموضع السابق.

(٧) معاني الزجاج (٣/ ٤١٣).

(٨) في الأصل: رأيات. والتصويب من ب.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٥). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٠)، والسيوطي في الدر (٦/ ١١) وعزاه لابن أبي حاتم.

والبهجة: حُسْنُ الشيء [ونضارَتُهُ][1].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ أي: ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض وما في ضمن ذلك من أنواع الحِكَم حاصل بهذا السبب، وهو أن الله تعالى ﴿هو الحق﴾ أي: الثابت [الوُجُود][2] القادر على إيجاد المعدوم وإعدام الموجود، ﴿وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير﴾.

قوله تعالى: ﴿وأن الساعة﴾ أي: وليعلموا أن الساعة ﴿آتية لا ريب فيها﴾ في نفس الأمر، [أو هو][3] نفي في معنى النهي.

وفي قوله: ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾ دلالة على إنشاء الأجساد البالية يوم النشور.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب

---

(١) في الأصل: ونظارته. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: الموجود. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: وهو. والتصويب من ب.

منير﴾ سبق من قبل ذكر سبب نزولها.

قوله تعالى: ﴿ثاني عطفه﴾ نصبٌ على الحال من الضمير في "يجادل"[(١)]، والتقدير: ثانياً عِطْفَهُ -بالتنوين-، لكنه أضاف اسم الفاعل وإن أراد به الحال؛ لأنه في تقدير الانفصال، ومثله: ﴿هدياً بالغ الكعبة﴾ [المائدة:٩٥]، و ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران:١٨٥]، و﴿مستقبل أوديتهم﴾ [الأحقاف:٢٤].

والعِطْف: الجانب، وعِطْفا الرَّجُل جانباه عن يمين وشمال[(٢)]، وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان، أي: يلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء.

قال الزجاج[(٣)]: وجاء في التفسير: لاَوِياً عُنُقَه.

وقال غيره: ثَنْيُ العِطْفِ مجازٌ عن الكِبْر والخُيَلاء، والتقدير: ومن الناس من يجادل في الله مُتكبراً آنفاً من اتّباع الحق.

﴿ليُضِلَّ﴾ وقرئ: "ليَضِلَّ" وقد سبق ذكره[(٤)]، واللام في "ليضل" -بفتح الياء وضمّها-: لام الصيرورة والعاقبة.

﴿له في الدنيا خزي﴾ ذُلٌّ وهوان، فإنه أُسر يوم بدر[(٥)] [وقُتِلَ][(٦)] صَبْراً

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٤٠)، والدر المصون (٥/ ١٢٨).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (عطف).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤١٤).

(٤) في سورة يونس عند الآية رقم: ٨٨.

(٥) العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، ولقد روى ابن جرير الطبري هذا الخبر عن ابن جريج بدون تحديد لشخص معين (١٧/ ١٢٢).

(٦) في الأصل: وقيل. والتصويب من ب.

بالصَّفْراء. وقد تقدم ذكره في الكتاب[(١)].

وقيل: نزلت هذه الآية في أبي جهل[(٢)]، ولقد شاهد اللعين يوم بدر من أنواع الهوان ما أسخن عينه، ولقد وطئ ابن مسعود بأَخْمَصِهِ صفحة عنُقِه يوم بدر وهو في آخر رَمَقٍ، فقال: لقد ارتقيتَ مُرتقى صَعْباً يا رُوَيْعِ الغَنَم[(٣)].

﴿ونذيقه يوم القيامة﴾ مُنْضَمّاً إلى الخزي الذي أصابه في الدنيا، ﴿عذاب الحريق﴾ وهو عذاب النار.

﴿ذلك﴾ الخزي والعذاب ﴿بما قدمت يداك﴾ من الكبر والكفر، ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ سبق تفسيره.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ قال مجاهد وقتادة: على شَكٍّ[(٤)].

---

(١) في سورة الأنفال عند الآية رقم: ٣١.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦١).

(٣) ذكره ابن حبان في الثقات (١/ ١٧٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٢٣)، ومجاهد (ص:٤٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٤) وعزاه =

وأصله من حَرْفِ الشيء وهو طَرَفُه[١]، كأنه لشدة قلقه واضطرابه وعدم استقراره وتمكنه في الدين على حَرْفٍ منه.

﴿فإن أصابه خير﴾ رخاء وعافية ﴿اطمأن به﴾ وسكن وثبت على الدين بذلك الخير، ﴿وإن أصابته فتنة﴾ ابتلاء واختبار بقلَّةِ مالٍ وجدبٍ ومرضٍ، ﴿انقلب على وجهه﴾ ارتدّ إلى وجهه الذي كان عليه من الكفر، ﴿خسر الدنيا﴾ حيث لم يظفر بسؤله، ﴿والآخرة﴾ بكفره بالله وبرسوله.

وقرأتُ ليعقوب من رواية زيد عنه: "خاسر الدنيا" بألف والنصب على الحال، "والآخرة" بالجر[٢].

﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ الظاهر لمن له أدنى مُسْكَةٍ من دراية وهداية.

قال المفسرون: نزلت في أعاريب كانوا يقدمون المدينة على النبي ﷺ، فكان أحدهم إذا صَحَّ جسمه، ونُتِجَتْ فرسه، وكَثُرَتْ ماشيته، وولدت امرأته غلاماً سوياً، اطمأنّ وقال: ما أصبت منذ دخلت في دين هذا إلا خيراً، وإن كان الأمر بخلافه قال: ما أصبتُ إلا شراً، وانْقَلَبَ[٣].

قوله تعالى: ﴿يدعو﴾ أي: يعبد ﴿من دون الله﴾ هذا المرتد المنقلب على

= لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(١) انظر: اللسان، مادة: (حرف).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٣-٤١٤)، والنشر (٢/ ٣٢٥-٣٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٦٨)، والطبري (١٧/ ١٢٢-١٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٣-١٤) وعزاه للبخاري وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الحسن وعزاه لعبد بن حميد.

وجهه[١] ﴿ما لا يضره﴾ إن لم يعبده، ﴿وما لا ينفعه﴾ إن عبده، وهي الأصنام، ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ عن سنن الرشاد.

﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ قال السدي: المعنى: يدعو لمن ضره في الآخرة بعبادته أقرب من نفعه[٢].

قال المفسرون: هو الصنم لا [نفع][٣] عنده أصلاً، وإنما جاء هذا على لغة العرب، وهم يقولون في الشيء الذي لا يكون: هذا بعيد[٤]. ومنه قولهم فيما حكاه الله تعالى عنهم: ﴿ءإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد﴾ [ق:٣]، فلهذا قال: ﴿أقرب من نفعه﴾، وهذا اختيار الزجاج[٥].

وقال صاحب الكشاف[٦]: إن قلت: الضرر والنفع منفيان عن الأصنام مثبتان لها في الآيتين، وهذا تناقض؟

قلتُ: إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم، وذلك أن الله تعالى سفَّه الكافر بأنه يَعْبُدُ جماداً لا يملك ضراً ولا نفعاً، وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستشفع به. ثم قال: يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصُرَاخٍ، حين يرى استضرارَهُ بالأصنام ودخوله النار بعبادتها، ولا يرى أثر الشفاعة التي ادّعاها: ﴿لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾ أو كرَّرَ يَدْعُو، كأنه قال:

---

(١) في ب: أخّر قوله: ﴿من دون الله﴾ إلى هنا.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٥) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) في الأصل: ينفع. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١٢).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٤١٥).

(٦) الكشاف (٣/ ١٤٨).

يَدْعُو يَدْعُو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه، ثم قال: لمن ضره بكونه معبوداً أقرب من نفعه بكونه شفيعاً: لبئس المولى.

[فإن][(١)] قيل: لا شبهة أنه لا يجوز: ضربت لزيداً، ولا دعوت لزيداً، فإنها لام الابتداء، ولا تسوغ هاهنا، فما وجه قوله: "يدعو لمن ضره"؟

قلتُ: هذه الآية كَثُرَ فيها نزاع الكوفيين والبصريين، وأنا أشيرُ لك إلى مقاصدهم بطريق الاختصار فأقول: زعم الفراء[(٢)] أن التقدير: مَنْ لَضَرُّهُ أقرب من نفعه، اللام داخلة على قوله: "ضَرُّهُ"؛ لأن ضَرُّهُ مبتدأ، قال: ولكن اللام قُدِّمَتْ كما يقدم أشياء في كلامهم، وأوردوا على الفراء إشكالاً لازماً، فقالوا: يلزم على هذا أن تكون اللام في صلة "مَنْ"، وقد عُلِمَ أن الصلة أو شيئاً منها لا يتقدم على الموصول؛ لأن الصلة مع الموصول كالكلمة الواحدة، ولا يجوز أن يتقدم بعض الكلمة على بعض [كالدال][(٣)] مثلاً على الزاي من زيد[(٤)].

وقال البصريون: الوجه في الآية: أن يكون في "يدعو" ضمير عائد "إلى ذلك"، تقديره: ذلك هو الضلال البعيد يدعو، والجملة في موضع النصب على الحال، أي: ذلك هو الضلال البعيد [مَدْعُوّاً][(٥)]، ويكون قوله: "لمن ضره" مبتدأ، والخبر قوله: "لبئس المولى ولبئس العشير"، فـ"ضره" مبتدأ و"أقرب" خبره، والجملة صلة "مَنْ"،

---

(١) في الأصل: فا. وهو تصحيف. والتصويب من ب.

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢١٧).

(٣) في الأصل: كالذال. والتصويب من ب.

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ١٣٠).

(٥) في الأصل: يدعو. والتصويب من ب.

وتمام الصلة عند قوله: "نفعه"[١].

وفيه وجه آخر عندهم: وهو أن يكون قوله: "ذلك" بمعنى: الذي، والجملة التي هي قوله: "الضلال البعيد" صلة "ذلك" الذي بمعنى الذي، وذلك منصوب الموضع بـ"يدعو"، تقديره: يدعو الذي هو الضلال البعيد، ويكون قوله: "لمن ضره" مبتدأ[٢]. وهذا الوجه ذكره الزجاج[٣]، وأظنه لم يُسْبَق إليه.

وقال الزجاج[٤]: فيه وجه ثالث: يكون "يدعو" في معنى يقول، ويكون "مَنْ" في موضع رفع، وخبره محذوف[٥]، ويكون المعنى: يقول لمن ضره أقرب من نفعه: هو مولاي، ومثل "يدعو" في معنى يقول قول عنترة:

يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم[٦]

وقال قوم: اللام صلة.

وفي قراءة ابن مسعود: "يَدْعُو مَنْ ضَرُّهُ"[٧].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٤٠)، والدر المصون (٥/ ١٣٠).

(٢) مثل السابق.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤١٦).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٤١٦).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ١٤٠)، والدر المصون (٥/ ١٣٠).

(٦) من معلقته. انظر: شرح الزوزني (ص:٥٤). وانظر البيت في: اللسان، مادة: (شطن، دعا)، والقرطبي (١٢/ ١٩)، وروح المعاني (١٧/ ١٢٥).

ويدعون: ينادون باسم عنترة، والأَشْطَان: الحبال، ولبان الأدهم: صدره. يريد أن الأبطال يهتفون باسمه والرماح الطويلة تدق في صدر جواده.

(٧) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٦/ ٣٣٢)، والدر المصون (٥/ ١٣٠).

والمولى: الناصرُ أو الوليّ، والعشير: الصاحبُ والخليل.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة﴾ المشهور في التفسير: أن الضمير في "يَنْصُرُهُ" لمحمد ﷺ[1].

قال ابن قتيبة[2]: هذه كناية عن غير مذكور، وكان قوم من المسلمين لشدة حَنَقِهِم على المشركين يستبطئون ما وعد الله تعالى رسوله ﷺ من النصر، وقوم من المشركين يريدون اتباعه ويخافون أن لا يتم أمره، فنزلت هذه الآية للفريقين.

قال مقاتل[3]: نزلت في نفر من أسد وغطفان قالوا: إنا نخاف أن [لا][4] يُنصر محمد ﷺ، فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود، [فلا يجيرونا ولا يأوونا][5].

فعلى هذا؛ المراد بالنصر: الغلبة والقهر للأعداء.

(١) ذكره الطبري (١٧/ ١٢٥)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١٣).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص:٣٥٨).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٧٩).

(٤) في الأصل و ب: لن. والتصويب من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٥) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

وقال مجاهد: الضمير في "ينصره" يرجع على "مَنْ"[١].

والنصر بمعنى: الرزق، ومنه قول الأعشى:

أبوكَ الذي أَجْدَى عَلَيَّ بنصره فأَنْصَبَ عَنِّي بعْدَه كُلَّ قائل[٢]

أي: من كان يظن أن لن يرزقه.

قال أبو عبيدة[٣]: وقف علينا سائل من بني بكر فقال: من يَنْصُرُني نصره الله؟

أي: من يعطيني أعطاه الله.

ويقال: نصر المطر أرض كذا، أي: جادها وأحياها.

قال الراعي:

إذا دَخَلَ الشهرُ الحرامُ فَوَدِّعِي بلاد تميمٍ وانصُري أرضَ عامر[٤]

قوله تعالى: ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾ أي: فليشْدُد حبلاً في سقف بيته، ﴿ثم ليقطع﴾ قال الزجاج[٥]: أي: ثم ليمُدَّ الحبل حتى ينقطع فيموت [مُخْتَنِقاً][٦].

وحمل الزمخشري القَطْعَ على الخَنْق فقال[٧]: سُمِّي [الاختناق][٨] قطعاً؛ لأن المخْتنق يقطعُ نَفَسَه بحبس مجاريه.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١٢).

(٢) انظر البيت في: اللسان، مادة: (نصت)، والماوردي (٤/ ١٢).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٤٦).

(٤) البيت للراعي يخاطب خيلاً، وهو في اللسان مادة: (نصر).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٤١٧).

(٦) في الأصل: منخنقاً. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٧) الكشاف (٣/ ١٤٨).

(٨) في الأصل: الانخناق. والتصويب من ب، ومن الكشاف، الموضع السابق.

ومعنى الآية: لِيُصَوِّرُ الظان المستبطئ النصر هذا الأمر في نفسه، بدليل قوله: "فلينظر"، ولا نظر بعد الاختناق.

وقال ابن زيد: المعنى: فليمدد بسبب إلى السماء المعروفة، ثم ليقطع عن محمد ﷺ الوحي إن قدر[١].

والمعنى: ليجهد جهده.

﴿هل يذهبن كيده﴾ أي: حيلته، ﴿ما يغيظ﴾ "ما" مصدرية، تقديره: هل يُذهبنَّ كيده غيظه.

وأكثر القراء قرأوا: "ثم لْيَقْطَعْ فلينظر" بجزم اللام فيهما.

وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وورش بكسر اللام من "ليقطع"[٢].

وفَتَحَ اللام من "فلينظر": القزاز عن عبد الوارث عن أبي عمرو.

قال أبو علي[٣]: أصل هذه اللام -[يعني][٤] في "ليقطع"- الكسر، بدليل أنك إذا ابتدأت بها قلت: لِيقم [زيد، كسرتها لا غير][٥]، فإذا ألحقتَ الكلمة التي فيها اللام الواو أو الفاء أو ثُمَّ جاز إسكان اللام؛ لأن الفاء والواو يصيران من نفس الكلمة؛ لأن كل واحد منهما لا ينفرد بنفسه، فصار بمنزلة كَتِفٍ وفَخِذٍ، فإذا كان

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٢٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٣)، والكشف (٢/ ١١٦)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٤)، والسبعة (ص:٤٣٤).

(٣) الحجة (٣/ ١٦٦).

(٤) في الأصل: بمعنى. والتصويب من ب.

(٥) زيادة من الحجة (٣/ ١٦٦).

موضع الواو والفاء "ثُمَّ" لم يُسَكِّنْه أبو عمرو؛ لأن "ثُمَّ" ينفصل بنفسه ويُسْكَتُ عليه دون ما بعده، ومن أَسْكَنَ اللام عنده [شَبَّهَ][1] الميم من "ثمّ" بالفاء والواو.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وكذلك﴾ أي: ومثل ذلك الإنزال المتقدم ﴿أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿آيات بينات وأن الله﴾ أي: وأنزلنا إليك أن الله ﴿يهدي من يريد﴾.

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا﴾ مبتدأ، خبره: ﴿إن الله يفصل بينهم﴾، دخلت "إن" في المبتدأ، والخبر توكيداً[2]، ونحوه قول جرير:

إنَّ الخليفةَ إنَّ اللهَ سَرْبَلَهُ ... سِرْبَالَ مُلْكٍ به تُرْجَى الخواتيم[3]

﴿والذين هادوا﴾ يعني: اليهود ﴿والصابئين﴾ سبق ذكرهم واختلاف القرّاء فيه، ﴿والمجوس والذين أشركوا﴾ عبدة الأوثان.

قال قتادة: الأديان خمسة، أربعة للشيطان، وواحد للرحمن[4].

---

(١) في الأصل: أشبه. والتصويب من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٤١)، والدر المصون (٥/ ١٣٢).

(٣) البيت لجرير من قصيدة يمدح بها بني مروان، انظر: ديوانه (ص:٤٣١) ط بيروت، وفيه: (يكفي الخليفة أن الله سربله)، واللسان مادة: (ختم)، ومعاني الفراء (٢/ ٢١٨)، والبحر المحيط (٦/ ٣٣٣)، والدر المصون (٥/ ١٣٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٢٩) بلفظ: والأديان ستة؛ خمسة للشيطان وواحد للرحمن. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٦) بلفظ الطبري، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير =

فإن قيل: ما وجه قول قتادة: الأديان خمسة مع تصريح الآية بستة أديان؟

قلتُ: الصابئون نوع من النصارى، على ما ذكرناه في موضعه.

والمعنى: ﴿إن الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾ بإدخال المؤمنين الجنة، والكافرين النار ﴿إن الله﴾ تعالى ﴿على كل شيء﴾ من أعمالهم وأقوالهم ﴿شهيد﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ أي: ألم تعلم، ﴿أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض﴾ قد سبق في سورة النحل[1] تفسير هذه الآية، وذكرنا أقوال المفسرين في معنى سجود ما لا يعقل، وبيّنّا ما هو المختار عندنا.

قال أبو العالية: ما في السماء نجمٌ ولا شمسٌ ولا قمرٌ إلا يقع لله ساجداً حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له[2].

= وابن أبي حاتم.

(١) آية رقم: ٤٩.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

فصل

قرأ الزهري: ﴿والدَّوَابُ﴾ بالتخفيف[١].

قال أبو الفتح[٢]: لا أعلم أحداً خَفَّفَها سواه. ولَعَمْري أنّ تخفيفها قليل وضعيف قياساً وسماعاً، لكن له بعد ذلك ضربٌ من العُذْر، وذلك أنهم إذا كرهوا تضعيف الحرف فقد [يُخَفِّفُون][٣] أحدهما، من قولهم: ظَلْتُ، ومَسْتُ، وأَحَسْتُ، يريدون: ظَلَلْتُ، ومَسِسْتُ، وأَحْسَسْتُ. قال أبو [زُبيد][٤]:

خَلا أنَّ العِتَاقَ من المطَايَا ... أَحَسْنَ به فَهُنَّ إليه شُوس[٥]

وقال عمران بن حطّان:

قد كنتُ عندكَ حولاً ما تُرَوِّعني ... فيه روائعُ من إنسٍ ولا جان[٦]

قوله تعالى: ﴿وكثير من الناس﴾ قال المفسرون: يعني: المؤمنين الذين يسجدون لله سجود طاعة[٧].

---

(١) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣٣٣).

(٢) المحتسب (٢/ ٧٦).

(٣) في الأصل: يخفون. والتصويب من ب. وفي المحتسب: يحذفون.

(٤) في الأصل: زيد. والتصويب من ب، والمحتسب (٢/ ٧٦).

(٥) البيت لأبي زبيد الطائي، وهو في: القرطبي (١١/ ٢٤٢)، والطبري (١٦/ ٢٠٧)، وروح المعاني (٤/ ٢٠٥)، والدر المصون (٢/ ٣١٢).

(٦) انظر البيت في: اللسان، مادة: (جنن، ظلل)، والحجة للفارسي (٢/ ٣٩٧)، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية (٨/ ١٥٣).

(٧) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٠) عن مجاهد. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

قال صاحب الكشاف[1]: فإن قلتَ: فما يصنع بقوله: ﴿وكثير من الناس﴾ بما فيه من الاعتراضين:

أحدهما أن السجود على المعنى الذي فسرتُه بـه، -[يعنـي][2] مـن التسخير والخضوع لخالقها- لا يسجده بعض الناس دون بعض.

الثاني: أن السجود قد أُسند على سبيل العموم إلى من في الأرض من الإنس والجن أولاً، فإسناده إلى كثير منهم آخراً[3] مناقضة؟

قلتُ: لا أنظم كثيراً في المفردات [المتناسقة][4] الداخلة تحت حكـم الفعـل، وإنما أرفَعُهُ بفعل مُضْمَر يدُلُّ عليه قوله: "يسجد"، أي: ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة، ولم أفسر [يسجد][5] الذي هو ظاهرٌ بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء؛ لأن اللفظ الواحد لا يَصِحُّ استعماله في حالة واحدة عـلى معنيـين مختلفين، أو أرفَعُهُ على الابتداء، والخبر محذوف وهو مُثَابٌ؛ لأن خبر مُقابِلِه يـدل عليه، وهو قوله: ﴿حق عليه العذاب﴾، ويجوز أن تجعل "من الناس" خبراً له، أي: من الناس الذين هم الناس على الحقيقة، وهم الصالحون والمتقون. ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقُوقين بالعذاب، فيُعْطَفَ "كثيرٌ" على "كثيرٍ"، ثم يخبر عـنهم بــ"حـق عليهم العذاب"، كأنه قيل: وكثيرٌ وكثيرٌ من الناس حق عليهم العذاب.

---

(١) الكشاف (٣/ ١٤٩-١٥٠).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في ب: أجزاء.

(٤) في الأصل و ب: المناسقة. والتصويب من الكشاف (٣/ ١٥٠).

(٥) في الأصل: بسجود. والتصويب من ب، ومن الكشاف، الموضع السابق.

وقرئ: "حُقَّ" بالضم. وقرئ: "حَقّاً" أي: حُقَّ عليهم العذاب حَقّاً.

﴿ومن يهن الله﴾ أي: من يُشْقِهِ الله ﴿فما له من مكرم﴾ أي: من مُسْعِد، ﴿إن الله يفعل﴾ في خلقه ﴿ما يشاء﴾ من الإهانة والإكرام.

۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث قيس بن عباد قال: «سمعت أبا ذر رضي الله عنه يُقْسِمُ قَسَماً: إن ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ نزلت في الذين برزوا يوم بدر، حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة»[١].

وقال ابن عباس وقتادة: نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحنُ أولى بالله وأقدُم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم. وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله تعالى من كتاب، وأنتم تعرفون نبينا ثم كفرتُم حَسَداً[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٥٩ ح٣٧٥١)، ومسلم (٤/ ٢٣٢٣ ح٣٠٣٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٢) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال الحسن ومجاهد: نزلت في جميع المؤمنين والكفار[١].

وقال عكرمة: نزلت في اختصام الجنة والنار، قالت النار: خلقني الله لعقوبته، وقالت الجنة: خلقني الله تعالى لرحمته[٢].

والخصم يقع على الواحد والجمع، وهو هاهنا صفة وصف بها الفريق أو الجمع، ولهذا قال: "اختصموا"[٣].

وفي حرف ابن مسعود: "اختصما"[٤]. ووجهه ظاهر.

وقوله: "في ربهم" أي: في دين ربهم.

ثم بَيَّنَ حال الفريقين فقال: ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾ أي:

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠) وعزاه لابن جرير. وهذا القول هو الذي رجحه الطبري. قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢١٣): وهذا القول يشمل الأقوال كلها، وينتظم فيه قصة بدر وغيرها، فإن المؤمنين يريدون نصرة دين الله عز وجل، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل. وهذا اختيار ابن جرير، وهو حسن.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٢-١٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠) وعزاه لابن جرير.

(٣) فائدة: قال ابن جرير الطبري (١٧/ ١٣٣): فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما روي عن أبي ذر في قوله: إن ذلك نزل في الذين بارزوا يوم بدر؟

قيل: ذلك إن شاء الله كما روي عنه، ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب، وهذه من تلك، وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله، والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له. فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لأهل الإيمان خصم، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه لأهل الشرك خصم.

فتأويل الكلام: هذان خصمان اختصموا في دين ربهم، واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربته إياه على دينه.

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٤١٧).

سُوِّيَتْ لهم على مقادير جُثَثِهِم.

قال ابن عباس: قُمُصٌ من نار[١].

قال سعيد بن جبير: المراد بالنار هاهنا: النُّحاس[٢].

﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ وهو الماء الحار.

﴿يُصْهَرُ به﴾ وقرأ الحسن: "يصهَّر" بتشديد الهاء للمبالغة[٣].

والمعنى: يُذابُ به، يقال: صهرتُ الشحْم بالنار.

﴿ما في بطونهم﴾ من شحم ولحم ومعىً حتى يخرج من أدبارهم.

وفي قوله: ﴿والجلود﴾ دليل على أن تأثيره في الباطن كتأثيره في الظاهر، وذلك أبلغ من قوله: ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾ [محمد:١٥].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الحميم ليُصَبُّ على رؤوسهم فينفُذُ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فَيَسْلُتُ ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصَّهْر، ثم يُعاد كما كان»[٤]. قال الترمذي: هذا حديث [حسن][٥] غريب.

قوله تعالى: ﴿ولهم مقامع من حديد﴾، وهي السِّياط، سُميت بذلك؛ لأنها تَقْمَعُ المضروب.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٨١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٥ ح٢٥٨٢).

(٥) زيادة من ب.

قال الضحاك: هي المطَارق[1].

أخبرنا حنبل بن عبدالله بن الفرج في كتابه، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبدالواحد، أخبرنا أبو علي [الحسن][2] بن علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا أبو عبدالرحمن عبدالله بن الإمام أحمد قال: حدثني أبي، حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أن مِقْمَعاً من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أَقَلُّوه من الأرض»[3].

وقال الحسن: إن النار ترميهم بلهبها، حتى إذا كانوا في أعلاها ضُربوا بمقامع من حديد فَهَوُوا فيها سبعين خريفاً، فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربَهم زفيرُ لهبها فلا يستقرُّون ساعة[4].

قال مقاتل[5]: إذا جَاشَتْ جهنم ألقتهم في أعلاها، فيريدون الخروج منها، فتتلقاهم خَزَنَةُ جهنم بالمقامع فيضربونهم، فيَهْوي أحدهم من تلك الضربة إلى قعرها، فذلك [قوله][6]: ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها﴾.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤ ح٣٤١٦٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٢) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) في الأصل: الحسين. والتصويب من ب. وانظر ترجمته في: ميزان الاعتدال (٢/ ٢٦٢)، ولسان الميزان (٢/ ٢٣٦).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩ ح١١٢٥١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٤).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٠).

(٦) زيادة من ب.

﴿من غمّ﴾ وهو الكرب الذي أخذ بأنفاسهم، ﴿أعيدوا فيها وذوقوا﴾ أي: وقيل لهم ذوقوا ﴿عذاب الحريق﴾.

قال الزجاج[1]: هذا لأحد الخصمين.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

وقال في الخصم الذين هم المؤمنون: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا... الآية﴾ وهي مفسرة في الكهف[2] إلى قوله: ﴿ولؤلؤٍ﴾.

قرأ نافع وعاصم: "ولؤلؤاً" بالنصب. وقرأ الباقون بالجر[3].

فمن نصب حمله على موضع الجار والمجرور، كما أجازوا: مررتُ بزيد وعمراً. ويجوز أن يكون النصب على معنى: ويؤتون لؤلؤاً، أو: ويحلّون لؤلؤاً؛ لأن اللؤلؤ حلية، بدليل قوله: ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ [النحل:١٤]. ومن جرّ عطفه على الذهب، على معنى: يُحلَّون فيها من أساور من ذهب ومن ولؤلؤٍ، أي: منهما، كأن أساور الذهب رُصِّعَتْ باللؤلؤ أو فُصِّلَتْ به.

﴿ولباسهم فيها حرير﴾ قال أبو سعيد الخدري: من لبس الحرير في الدنيا لم

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤١٩).

(٢) عند تفسير الآية رقم: ٣١.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٤)، والكشف (٢/ ١١٧)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٤)، والسبعة (ص:٤٣٥).

يَلْبسه في الآخرة، وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة كلهم غيره[١]. قال الله تعالى: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾.

وقال عبدالله بن الزبير: ((لا تلبسوا الحرير، فإني سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ[٢]: من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن لم يلبسه في الآخرة لم يدخل الجنة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾))[٣].

قوله تعالى: ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ قال ابن عباس وابن زيد: هُدوا إلى [لا][٤] إله إلا الله، والحمد لله، والله أكبر[٥].

وقال السدي: الطَّيِّبُ من القول: القرآن[٦].

﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ قال ابن عباس: هو دين الإسلام[٧].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٤٧٠ ح٩٦٠٧)، والحاكم (٤/ ٢١٢ ح٧٤٠٤)، وابن حبان (١٢/ ٢٥٣ ح٥٤٣٧) كلهم رفعه.

(٢) في الأصل زيادة: يقول.

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٩٤ ح٥٤٩٦)، ومسلم (٣/ ١٦٤١ ح٢٠٦٩)، وأحمد (١/ ٣٧ ح٢٥١) أشار إلى أن قوله: ((ومن لم يلبسه في الآخرة ... إلخ)) من كلام ابن الزبير. ولفظ مسلم وأحمد: لا تلبسوا نساءكم الحرير...

(٤) زيادة من ب.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٦) عن ابن زيد. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٤) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن زيد.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١٨)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٤) عن إسماعيل بن أبي خالد وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١٨).

فالمعنى: إلى صراط الدين الحميد، أو إلى صراط الله الحميد، أو هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه، كقوله: ﴿ولدار الآخرة خير﴾ [يوسف:١٠٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ أي: يَمْنَعُون الناس عن الدخول في دين الإسلام.

قال الزجاج[1]: "يصدون" لفظ مستقبل عُطِفَ به على لفظ الماضي؛ لأن معنى "الذين كفروا": الذين هم كافرون، فكأنه قال: إن الكافرين والصّادّين.

وقال الزمخشري[2]: يقال: فلان يُحسن إلى الفقراء ويُنْعش المضطهدين، لا يراد حالٌ ولا استقبالٌ، وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه، والنَّعْشِ في جميع أزمنته، ومنه قوله: ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ أي: الصدود منهم مستمر دائم.

وقال غيره: يجوز أن تكون الواو في "ويصدون" واو الحال، على معنى: إن الذين كفروا صادّين عن سبيل الله، وخبر "إن" محذوف، تقديره: إنّ الذين هذه صفتهم هالكون أو مُعذَّبون[3].

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٠).

(٢) الكشاف (٣/ ١٥١).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٤٢)، والدر المصون (٥/ ١٣٩).

قوله تعالى: ﴿والمسجد الحرام﴾[١] قال ابن عباس: كانوا يرون الحرم كله مسجداً[٢].

وقيل: المراد به: نفس المسجد[٣]، كما قال تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس﴾ [آل عمران:٩٦] على معنى: خلقناه لهم حرماً آمناً، أو جعلناه لهم قبلة ومطافاً ومَنْسَكاً لحَجِّهِم.

﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ "العاكف" مبتدأ، و"البادي" عطف عليه، و"سواء" خبر مقدم، والجملة حال إن قلنا "للناس" هو الوقف، وإلا فهي مفعول ثان[٤].

وقرأ حفص: "سواءً" بالنصب[٥].

قال أبو علي[٦]: أبدل "العاكف" و"البادي" من "الناس" من حيث كانا كالشامل لهم، فصار المعنى: الذي جعلناه للعاكف والبادي سواء.

وقال الزمخشري[٧]: وجه النصب: أنه ثاني مفعولي "جعلناه"، أي: جعلناه مستوياً العاكف فيه والبادي.

والعاكف: المقيم، والبادي: النازع إليه من غربة، من قولهم: بدا القوم؛ إذا

---

(١) قال ابن كثير (٣/ ٢١٤): وفي هذه الآية دليل على أنها مدنية.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١٩)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٤) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) هو قول الماوردي (٤/ ١٥)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١٩) عن الماوردي.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٤٢)، والدر المصون (٥/ ١٤٠).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٥)، والكشف (٢/ ١١٨)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، والإتحاف (ص:٣١٤)، والسبعة (ص:٤٣٥).

(٦) الحجة (٣/ ١٦٨).

(٧) الكشاف (٣/ ١٥٢).

خرجوا إلى الصحراء[١].

ومعنى استوائهما فيه: تساويهما في سُكْنى مكة والنزول بها، فليس أحد أحق بالمنزل من أحد، إلا أنه ليس للّاحقِ إخراج السابق. هذا قول ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير[٢]. وهو مذهب الإمامين [أبي][٣] حنيفة وأحمد، وفيه مستدلٌّ لهما حيث ذهبا إلى الامتناع من بيع رباع مكة وإجارتها[٤].

وقال الحسن ومجاهد: معناه: تساويهما في تفضيله وتعظيم حرمته وإقامة المناسك به[٥]، وهو قول الذاهبين إلى جواز بيع رباع مكة.

قوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ الباء في "بإلحاد" زائدة، كقوله: ﴿تنبت بالدهن﴾ [المؤمنون:٢٠]، وقول الأعشى:

ضَمِنَتْ برزقِ عِيَالِنا أرماحُنا ....[٦]

وقال الآخر:

نحن بنو جَعْدَةَ أربابُ الفَلَجْ نضربُ بالسيفِ ونرجُوا بالفَرَجْ[٧]

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (بدا).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ١٦)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٥).

(٣) في الأصل: أبو. وهو لحن. والتصويب من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٠).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٠).

(٦) صدر بيت للأعشى، وعجزه: بين المراجل والصريح الأجردا، انظر: ديوانه (ص:١٥٤)، وشرح الأشموني (٢/ ٩٥)، ومجاز القرآن (٢/ ٤٩)، والبحر (٦/ ٣٣٧)، والدر المصون (٥/ ١٤١)، والطبري (١٧/ ١٣٩).

(٧) البيت للنابغة الجعدي، انظر: الطبري (٢٩/ ٢٠)، وزاد المسير (٥/ ٤٢١، ٨/ ٣٢٩)، والخزانة =

أي: ضَمِنَتْ رزق، ونرجو الفرج.

وأنشدوا أيضاً:

بوادٍ يمانٍ يُنْبتُ الشَّثَّ صدرُه وأسفلُهُ بالمَرْخِ والشَّبَهَان[١]

أي: ويُنْبتُ أسفله المرخ والشَّبَهَان.

والشَّثُّ: شجر طيب الريح، مُرُّ الطعم. والمرخ: شجر سريع الـوَرْي، ومنه قولهم: في كل شَجَرٍ نار، واستَمْجَدَ المَرْخَ والعَفَارْ[٢].

والشَّبَهان: النَّمام من الرياحين.

وقال الزجاج[٣]: الذي ذهب إليه أصحابنا: أن الباء ليست بمُلْغاةٍ، المعنى عندهم: ومَنْ إرادتُهُ فيه بأن يُلحِدَ بظُلْم، وهو مثل قوله:

أريدُ لأنْسَى ذكرَها فكأنما تمَثَّلُ لي ليلى بكلِّ مكان[٤]

المعنى: أريد، وإرادتي لهذا.

وقال الزمخشري[٥]: "بإلحاد بظلم" حالان مترادفان، ومفعول "يُرِدْ" متروك

= (٤/ ٥٩)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص:٢٩٢)، والماوردي (٤/ ١٦).

(١) البيت لرجل من عبد القيس، وقيل: للأحول اليشكري، وهو في: اللسان (مادة: شثث، شبه)، والطبري (١٧/ ١٣٨)، وزاد المسير (٥/ ٤٢٠)، والدر المصون (٤/ ٥٠٠)، ومجاز القرآن (٢/ ٤٨)، والبحر (٦/ ١٧٤).

(٢) يضرب هذا المثل في تفضيل بعض الشيء على بعض (انظر: المستقصى في أمثال العرب ٢/ ١٨٣، وجمهرة الأمثال ٢/ ٩٢، ومجمع الأمثال ٢/ ٧٤).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤٢١).

(٤) البيت لكثيّر، وهو في: اللسان (مادة: رود)، والقرطبي (٥/ ١٤٨)، وروح المعاني (٢٢/ ١٣).

(٥) الكشاف (٣/ ١٥٢).

ليتناول كل متناول، كأنه قال: ومن يرد فيه مراداً [ما][(١)]، عادلاً عن القصد ظالماً ﴿نذقه من عذاب أليم﴾.

وأصل الإلحاد في اللغة: العدول عن القصد[(٢)]، وقد سبق ذكرُه.

قال ابن عباس في معناه هاهنا: هو الشرك وعبادة غير الله[(٣)].

وقال في رواية أخرى: هو الظلم[(٤)].

وقال عطاء: هو استحلال محظورات الإحرام[(٥)].

وقال ابن جريج: استحلال الحرم[(٦)].

والقول الشامل لهذه الأقوال: أن الإلحاد فيه ارتكاب كل شيء نُهِيَ عنه، وإلى عموم هذا نظر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: «لا تحتكروا الطعام بمكة، فإن احتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم»[(٧)]. وفي هذا دليل ظاهر على اختصاص الحرم بمزيد مزية على سائر المواضع، حتى إن كثيراً من العلماء ذهبوا إلى وجوب تنزيهه عن الهمَّة والإرادة في المعاصي.

---

(١) زيادة من الكشاف (٣/ ١٥٢).

(٢) انظر: اللسان (مادة: لحد).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤١) عن ابن زيد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢١).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٢).

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤٠) من طريق ابن جريج عن ابن عباس. وذكره الماوردي (٣/ ١٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٢) كلاهما من قول ابن عباس.

(٧) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٣/ ٥١ ح١٧٧٦) بإسناد حسن.

قال ابن مسعود: لو أن رجلاً هَمَّ بخطيئة لم تُكتب عليه ما لم يَعملْها، ولو أن رجلاً هَمَّ بقتل مؤمن عند البيت وهو بعَدَنِ أَبْيَنَ[١] أذاقه الله في الدنيا من عذاب أليم[٢].

وقال الضحاك: إن الرجل ليَهُمُّ بالخطيئة بمكة وهو بأرض أخرى فتكتب عليه ولم يعملها[٣].

وقال مجاهد: تُضاعف السيئات بمكة كما تُضاعف الحسنات[٤].

وسُئل الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: هل تُكتب السيئة أكثر من واحدة؟ فقال: لا، إلا بمكة لتعظيم البلد[٥].

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

---

(١) عدن أبين: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن (معجم البلدان ٤/ ٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٨ ح٤٠٧١، ١/ ٤٥١ ح٤٣١٦)، والحاكم (٢/ ٤٢٠ ح٣٤٦٠)، والبزار (٥/ ٣٩٠-٣٩١ ح٢٠٢٤). وفي هامش ب: حديث ابن مسعود أخرجه الإمام أحمد والبزار من حديث شعبة عن السدي أنه سمع مُرّة أنه سمع عبدالله قال شعبة، ورفعه وأنا لا أرفعه لك. كذا وقع في المسندين.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٩) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٩) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) انظر: فتح الباري (١١/ ٣٢٩)، وزاد المسير (٥/ ٤٢٢).

قوله تعالى: ﴿وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ أي: واذكر حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت، أي: مباءة، أي: مرجعاً يُرْجَعُ إليه للعمارة والعبادة.

وقال الزجاج[١]: أي: جعلنا مكان البيت مبوءاً لإبراهيم، والمُبَوَّأُ: المَنْزِلُ[٢].

فالمعنى: أن الله تعالى أعلم إبراهيم عليه السلام مكان البيت، فبنى البيت على أُسِّهِ القديم.

قال السدي: لما أمره الله تعالى ببناء البيت لم يَدْرِ أين يبني، فبعث الله تعالى ريحاً خَجُوجاً[٣] فكشفتْ له ما حول الكعبة من[٤] الأساس الأول الذي كان البيت عليه قبل أن يُرفع أيام الطوفان[٥].

وقد سبق ذكرُ بناء البيت وما قيل فيه في سورة البقرة[٦].

قوله تعالى: ﴿أن لا تشرك بي شيئاً﴾ "أن" هي المفسِّرَة.

قال صاحب الكشاف[٧]: إن قلت: كيف يكون النهي عن الشرك والأمر بتطهير البيت تفسيراً للتبوئة؟

قلتُ: كانت التبوئة مقصودة من أجل العبادة، فكأنه قيل: تَعَبَّدْنا إبراهيم، قلنا

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٢).

(٢) انظر: اللسان (مادة: بوأ).

(٣) الخجوج من الريح: الشديد المر (لسان العرب، مادة: خجج).

(٤) في ب: عن.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

(٦) عند الآية رقم: ١٢٩.

(٧) الكشاف (٣/ ١٥٣).

له: لا تشرك بنا شيئاً.

﴿وطهّر بيتي للطائفين﴾ حوله ﴿والقائمين﴾ في الصلاة متوجهين إليه. وقيل: المقيمين بمكة، ﴿والرّكّع السجود﴾، والآية مُفَسَّرة في البقرة[١].

قوله تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج﴾ أي: نَادِ فيهم. والمشهور في التفسير: أن المأمور بالأذان: إبراهيم[٢].

وقال الحسن: محمد ﷺ[٣].

قال المفسرون: لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت أمره الله تعالى أن يؤذن في الناس بالحج، فقال إبراهيم: وما يبلغ صوتي؟ فقال الله تعالى جل وعلا: عليك الأذان وعليّ البلاغ، فقام إبراهيم عليه السلام على المقام، -وقيل: على أبي قبيس-، فنادى: يا[٤] أيها الناس! إن ربكم قد بنى بيتاً فحُجُّوهُ، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء ممن سبق في علم الله أن يحج، فأجابوه: لبيكَ اللهم لبيك[٥].

قوله تعالى: ﴿يأتوك رجالاً﴾ مشاة، وهو جمع رَاجل، مثل: صَاحِب

---

(١) عند الآية رقم: ١٢٥.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٤).

(٤) ساقط من ب.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٢٩)، والحاكم (٢/ ٤٢١)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ١٧٦)، والطبري (١٧/ ١٤٤)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٨٦) كلهم عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٢) وعزاه لابن أبي شيبة في المصنف وابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن ابن عباس.

وصِحَاب.

وقرأ ابن عباس ومجاهد والحسن وجعفر بن محمد: "رُجَّالاً" بضم الراء وتشديد الجيم، ومثلهم قرأ عكرمة إلا أنه خفَّفَ الجيم. وقُرِئ أيضاً "رُجالى" مثل: حُبارى[(١)].

قال أبو الفتح[(٢)]: "رُجَّالاً" جمع راجل، [ككاتب][(٣)] وكُتَّاب، وعالم وعُلاَّم. وأما "رُجَالاً" فجمع غريب. وأما "رُجَالى" فمثل حُبَارَى وسُكَارَى.

ويروى: أن إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما حَجَّا ماشِيَيْن[(٤)].

وحج الحسن بن علي رضي الله عنهما خمساً وعشرين حجة ماشياً من المدينة إلى مكة، والنجائب تُقَادُ معه[(٥)].

وحج الإمام أحمد رضي الله عنه ماشياً مرتين أو ثلاثاً[(٦)].

وحج علي بن شعيب على قدميه من نيسابور نيفاً وستين حجة.

قوله تعالى: ﴿وعلى كل ضامر﴾ حال معطوفة على الحال التي قبلها[(٧)]، التقدير: رجالاً وركباناً على ما ضَمُرَ وأصابه الهزال من طول السُّرَى.

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٦/ ٣٣٨)، والدر المصون (٥/ ١٤٣).

(٢) المحتسب (٢/ ٧٩).

(٣) في الأصل: ككتاب. والتصويب من ب، والمحتسب، الموضع السابق.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٤٣٧)، والطبري (١٧/ ١٤٦) كلاهما عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير عن مجاهد.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٤٣٧) عن جعفر عن أبيه. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٤).

(٦) زاد المسير (٥/ ٤٢٤)، ومناقب الإمام أحمد (ص: ٢٩٠).

(٧) انظر: التبيان (٢/ ١٤٣)، والدر المصون (٥/ ١٤٤).

﴿يأتين﴾ صفة لكل ضامر[١]؛ لأنه في معنى الجمع.

قال الفراء[٢]: "يأتين" فعل للنُّوق.

وقرأ ابن مسعود: "يأتون" صفة للرجال والركبان[٣].

﴿من كل فج عميق﴾ أي: طريق بعيد. وبئرٌ عميقة: أي[٤]: بعيدة القعر.

وقرأ ابن مسعود: "معيق" يقال: بئر مَعِيقةٌ وعَمِيقةٌ[٥] بمعنى واحد. والأماعِقُ: أطرافُ المفازة[٦].

﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ أي: ليحصلوا منافع[٧].

قال ابن عباس وأكثر المفسرين: يعني: التجارة والأسواق[٨].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٤٣)، والدر المصون (٥/ ١٤٣).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٢٤).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٢٤)، والبحر (٦/ ٣٣٨).

(٤) ساقط من ب.

(٥) في ب: عميقة ومعيقة.

(٦) انظر: اللسان (مادة: معق).

(٧) في ب: ﴿ليشهدوا﴾ أي: ليحضروا منافع لهم.

(٨) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال مجاهد: منافع الدنيا والآخرة[١]. وهو أصح.

﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ قال الحسن ومجاهد وقتادة وأكثر المفسرين: هي أيام العشر[٢].

وقيل لها معلومات؛ للحرص على علمها بالحساب مُراعاة لوقت الحج.

وقيل: هي أيام الحج؛ يوم عرفة، ويوم الأضحى، وثلاثة أيام بعده. والقولان عن ابن عباس[٣].

وقيل: هي أيام النحر[٤].

قال الزجاج مُرجِّحاً لهذا القول[٥]: الذِّكْر هاهنا يدل على التسمية على ما يُنْحَر؛ لقوله: ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾.

وقال القاضي أبو يعلى: يحتمل أن يكون الذِّكْر المذكور هاهنا هو الذِّكْر على الهدايا الواجبة؛ كالدم الواجب لأجل التمتع والقِران، ويحتمل أن يكون الذِّكْر

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤٧)، ومجاهد (ص:٤٢٢) ولفظه: ((يعني: الأجر في الآخرة والتجارة في الدنيا)). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤٨) عن قتادة. وذكره الماوردي (٤/ ١٩) عن الحسن ومجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٧-٣٨) وعزاه لأبي بكر المروزي في كتاب العيدين وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤٨) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٨) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن الضحاك وعزاه لابن جرير.

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٣).

المفعول عند رمي الجمرات[١] وتكبير التشريق؛ لأن الآية عامة في ذلك[٢].

قوله تعالى: ﴿فكلوا منها﴾ أباح الله تعالى الأكل من بهيمة الأنعام التي تنحر قُرْبَةً وتطوعاً، فأما الدماء الواجبة فلا يأكُلُ منها صاحبها شيئاً، إلا أنّ إمامنا أحمد وأبا حنيفة رحمهما الله تعالى جَوَّزا الأكل من دم المتعة[٣] والقِران، وجوّز أيضاً إمامنا في رواية عنه الأكل من جميع الدماء الواجبة إلا النذر وجزاء الصيد، وهو قول مالك، إلا أنه استثنى أيضاً فدية الأذى.

﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ البائس: الذي أصابه بُؤْسٌ، أي: شدة، والفقير تقدم ذكره.

قوله تعالى: ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ قرأ ابن عامر وأبو عمرو وورش: "ثم لِيَقْضُوا" بكسر اللام. وقرأ الباقون بسكونه[٤]، وقد أشرنا إلى علة ذلك في ﴿ثم ليقطع﴾[٥].

والتَّفَث: الوَسَخُ والقذارة[٦]، وقضاؤه: إزالته وإذهابه؛ كقصّ الشارب، والأظفار، وحلق العانة، ونتف الإبط.

---

(١) في ب: الجمار.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٥).

(٣) في ب: التمتع.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٣)، والكشف (٢/ ١١٦)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، والإتحاف (ص:٣١٤)، والسبعة (ص:٤٣٤-٤٣٥).

(٥) عند الآية رقم: ١٥.

(٦) انظر: اللسان (مادة: تفث).

قال الزجاج[١]: أهل اللغة لا يعرفون التفث إلا من التفسير، وكأنه الخروج من الإِحْرام إلى الإِحْلال.

قوله تعالى: ﴿وليوفوا نذورهم﴾ روى ابن ذكوان والمفسِّرُ عن ابن زيد عن الدّاجوني عن هشام: "ولِيوفوا ولِيطوفوا" بكسر اللام، وسكّنه الباقون[٢]، وعلته ما ذكرناه آنفاً في قوله: ﴿ثم ليقطع﴾.

قال ابن عباس: ﴿وليوفوا نذورهم﴾ يعني: نحر ما نَذَرُوا من البدن[٣].

وقال غيره: نذروا من أعمال البِرِّ في أيام الحج[٤].

﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ قال المفسرون: هذا هو الطواف الواجب الذي هو ركن من أركان الحج، ويسمى طواف الإفاضة[٥].

فإن قيل: لم سُمِّيَ البيت العتيق؟

قلتُ: عنه أجوبة، أصحها: ما أخرجه الترمذي من حديث ابن الزبير قال:

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٣-٤٢٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٣)، والكشف (٢/ ١١٦)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، والإتحاف (ص:٣١٤)، والسبعة (ص:٤٣٤-٤٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٠) عن مجاهد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٧).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٢) عن الحسن. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٨)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٠) وعزاه لعبد بن حميد عن مجاهد، ومن طريق آخر عن الضحاك، وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد.

قال رسول الله ﷺ: « إنما سمي البيت [العتيق][(١)]؛ لأنه لم يظهر عليه جبار »[(٢)].

قال قتادة: كم من جَبَّار سار إليه ليهدمه فمنعه الله تعالى[(٣)].

وقال سعيد بن جبير: أقبل تُبَّع يريد هدم البيت، حتى إذا كان بقُدَيْد[(٤)] أصابه الفَالِج[(٥)]، فدعا الأحبار فقالوا: إن لهذا البيت رباً ما قصده قاصد بسوء إلا حجبه عنه بمكروه، فإن كنتَ تريد النجاة مما عرض لك فلا تتعرّضه بسوء، قال: فأهدى للبيت أنطاعاً وكسوة فألبسها، وكان أول من ألبسه، ونحر عنده ألف ناقة، وعفا عن أهله وبَرَّهُم ووصَلَهُم[(٦)].

فإن قيل: فما [نصنع][(٧)] بفعل الحَجَّاج؟

قلتُ: لم يكن قصده انتهاك حرمة البيت، إنما[(٨)] كان قصده ابنَ الزبير حين تَحَصَّن بالبيت، فكان هدمه ضِمْناً وتَبعاً، لا أصلاً ومقصوداً.

الجواب الثاني: أنه سُمِّيَ عتيقاً؛ أنه لم يُملك قط. رواه سفيان بن عيينة عن

(١) في الأصل: العتق. والتصويب من ب، وجامع الترمذي (٥/ ٣٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٤ ح٣١٧٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٠٢).

(٤) قديد: موضع قرب مكة (معجم البلدان ٤/ ٣١٣)، وهو وادٍ فحل من أودية الحجاز، وينقسم إلى قسمين: علوي وسفلي. فالعلوي يسمى ستارة، والسفلي يسمى قديداً، ويسكن النصف السفلي زبيد بن حرب، ويبعد عن مكة (١٣٠) كيلاً من ناحية الشمال على طريق المدينة المنورة (معجم معالم الحجاز ٧/ ٩٦-٩٧). وما زال معروفاً بهذا الاسم إلى الآن.

(٥) الفالج: شلل يصيب أحد شقي الجسم طولاً (المعجم الوسيط ٢/ ٦٩٩).

(٦) ذكره الآلوسي في تفسيره (١٧/ ١٤٧).

(٧) في الأصل: تصنع. والمثبت من ب.

(٨) في ب: وإنما.

مجاهد[١].

الثالث: أنه أعتق من الغرق زمن الطوفان. قاله ابن السائب[٢].

الرابع: لقدمه، وكونه أول بيت وضع للناس. قاله الحسن[٣].

الخامس: لكرمه على الله، ومنه: عِتاقُ الخيل والطير[٤].

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ خبر مبتدأ، تقديره: الأمر أو الشأن ذلك الذي ذُكِرَ من أعمال الحج[٥].

﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ الحُرُمات: جمع حُرْمَة، وهي ما لا يَحِلُّ هتكُه[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٥١) بلفظ: ((إنما سمي البيت العتيق؛ لأنه ليس لأحد فيه شيء))، ومجاهد (ص:٤٢٣) بلفظ: ((أعتقه الله عز وجل من الجبابرة أن يدعيه أحد منهم))، والماوردي (٤/ ٢١).

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٢١) من قول ابن زيد، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٨) من قول ابن السائب.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٠٢).

(٥) انظر: الدر المصون (٥/ ١٤٥).

(٦) انظر: اللسان (مادة: حرم).

قال الزجاج[١]: الحُرْمَة: ما وجب القيامُ به وحَرُمَ التفريط فيه.

وقال غيره: جميعُ ما كلَّفَه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها، فيحتمل أن يكون عاماً في جميع تكاليفه، ويحتمل أن يكون خاصاً فيما يتعلق بالحج.

وقال ابن زيد: الحُرُمات هاهنا: البيت الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمسجد الحرام، والإحرام[٢].

﴿فهو﴾ يعني: التعظيم ﴿خير له عند ربه﴾ في الآخرة، ﴿وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾ أي: إلا ما يُقرأ عليكم تحريمه، وهو ما ذَكَرَهُ في سورة المائدة[٣] في قوله: ﴿حرمت عليكم الميتة... الآية﴾.

وقيل: المعنى: وأُحِلَّت لكم الأنعام في حال إحرامكم، إلا ما يتلى عليكم في الصيد فإنه حرام.

﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ الرِّجْس مُفسرٌ في المائدة[٤].

وقوله: "من الأوثان" بيان للرجس[٥]، كقولك: عندي عشرون من الدراهم.

وقال الزجاج[٦]: "مِنْ" هاهنا لتخليص جنس من أجناس. المعنى: فاجتنبوا الرجس الذي هو وَثَن.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤) وعزاه لابن جرير.

(٣) آية رقم: ٣.

(٤) عند الآية رقم: ٩٠.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ١٤٣)، والدر المصون (٥/ ١٤٦).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٥).

﴿واجتنبوا قول الزور﴾ قال ابن مسعود: هو الكذب وشهادة الزور[١].

وقال الزجاج[٢]: هو قولهم: ﴿هذا حلال وهذا حرام﴾ [النحل:١١٦].

وقال صاحب الكشاف[٣]: جمع [الشرك][٤] وقول الزور في قران واحد، وذلك أن الشرك من باب الزور؛ لأن المشرك زاعم أن الوثن تَحِقُّ له العبادة، فكأنه قال: فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور، واجتنبوا قول الزور كله، لا تقربوا شيئاً منه لتماديه في القبح والسَّمَاجَة.

وقوله: ﴿حنفاء لله﴾ سبق تفسيره. وهو نصب على الحال[٥].

ولما كان المشركون يتسمّون حنفاء لمكان اعتصامهم بالحج والختان وتحريم الأمهات والبنات وغير ذلك من شريعة إبراهيم قال: ﴿غير مشركين به﴾.

ثم إن الله تعالى ضرب للمشرك مثلاً فقال: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير﴾ وقرأ نافع: "فتخَطَّفُه" بفتح الخاء وتشديد الطاء[٦]، أصله: تَتَخَطَّفُه، تَتَفَعَّلُ من الخطف، فحذفت تاء التفعل.

والمعنى: تأخذه بسرعة.

﴿أو تهوي به الريح﴾ أي: تُسْقِطُه ﴿في مكان سحيق﴾ أي: بعيد.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٥).

(٣) الكشاف (٣/ ١٥٥).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ١٤٣)، والدر المصون (٥/ ١٤٦).

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٦)، والكشف (٢/ ١١٩)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، والإتحاف (ص:٣١٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٣٦).

قال بعضهم: شبّه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة، فهو هالك لا محالة؛ إما باستلاب الطير، وإما بسقوطه في المكان السحيق[١].

وقيل: شبّه الإيمان في علوّه بالسماء، والمشرك بالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التي تردده[٢] في [أودية][٣] الضلالة بالريح التي تهوي بها عصفت به في بعض المهاوي المتلفة.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ القول على ذلك هاهنا كالقول على التي قبلها، ومثله أيضاً ﴿ذلك ومن عاقب﴾، والشعائر مذكورة في سورة البقرة[٤].

والمراد بها هاهنا: الهدايا المُشْعَرَة بشَقِّ صفحة سنامها؛ ليُعلم أنها هدي.

ومعنى تعظيمها: استحسانها واستسمانها وتخيُّرها وترك المِكَاس فيها.

وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما عن أبيه: «أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة درهم، فسأل رسول الله ﷺ أن يبيعها ويشتري بثمنها بدناً، فنهاه عن ذلك، وقال: بل اهديها[٥]»[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٠) عن الزجاج.

(٢) في ب: والشيطان الذي يردده.

(٣) في الأصل: أردية. والتصويب من ب.

(٤) عند الآية رقم: ١٥٨.

(٥) في ب: أَهْدِهَا.

(٦) أخرجه البيهقي في الكبرى (٩/ ٢٨٨).

و «أهدى رسول الله ﷺ مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه بُرَةٌ من ذهب»[١].

وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي[٢] فيتصدق بلحمها[٣] وبجِلالها[٤].

﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ قال الزمخشري[٥]: المعنى: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه الإضافات، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها؛ لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى "من" [ليرتبط][٦] به.

وإنما ذُكِرَت القلوب؛ لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء.

﴿لكم فيها منافع﴾ أي: لكم في الشعائر منافع بركوبها، وشُرْبِ لبنها الفاضل عن ولدها، ﴿إلى أجل مسمى﴾ وهو وقت نحرها. هذا قول عطاء[٧]، ومذهب الأئمة الثلاثة؛ أحمد، ومالك، والشافعي، ومنع من ذلك أبو حنيفة وكثير من

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٩ ح٢٤٢٨). والبُرَةُ: الحَلْقَة في أنف البعير (اللسان، مادة: بري).

(٢) القباطي: القبطية: ثياب من كتان بيض رقاق تنسج في مصر. وهي منسوبة إلى القِبط (المعجم الوسيط ٢/ ٧١١).

(٣) في ب: بلحومها.

(٤) أخرج البيهقي نحوه (٥/ ٢٣٣ ح٩٩٦٧).

(٥) الكشاف (٣/ ١٥٨).

(٦) في الأصل: يرتبط. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٧) أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٦-٤٧) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك وعطاء.

المفسرين.

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: "لكم فيها منافع" يعني: قبل أن يسميها صاحبها هدياً [أو يشعرها][١] ويوجبها، فإذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شيء[٢].

والأول أصح؛ لما أُخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «أن النبي ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال له: اركبها، فقال: يا رسول الله إنها بدنة[٣]، فقال رسول الله ﷺ: اركبها ويلك، في الثانية أو الثالثة»[٤].

وأباح ذلك قوم عند الضرورة؛ لما أخرج مسلم في صحيحه من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال: « اركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها »[٥].

ولأن الله تعالى قال: ﴿لكم فيها منافع﴾ أي: في الشعائر، وقبل إيجابها لا تسمى شعائر، وهذا الذي ذكرناه من تفسير الشعائر وفرّعنا عليه هو المشهور عند المفسرين والفقهاء.

وقد روي عن ابن عباس أيضاً: أن الشعائر: المناسك ومشاهد مكة[٦]. فيكون المعنى: لكم فيها منافع بالتجارة، أو منافع الآخرة؛ وهو الأجر والثواب، أو مجموع ذلك، إلى أجل مسمى، وهو انقضاء الموسم.

---

(١) في الأصل: ويشعها. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٧-١٥٨)، ومجاهد (ص:٤٢٤) بمعناه.

(٣) في هامش الأصل زيادة: هدي.

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٦٠٦ ح١٦٠٤)، ومسلم (٢/ ٩٦٠ ح١٣٢٢).

(٥) أخرجه مسلم (٢/ ٩٦١ ح١٣٢٤).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٠).

قوله تعالى: ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ يتفرع القول فيه على القولين في الشعائر.

فعلى الأول؛ المعنى: ثم محل نحرها إلى البيت، أي: عند البيت العتيق، وهو الحرم كله.

وعلى الثاني: المعنى: ثم محل الناس من شعائر الحج ومناسكه إلى البيت العتيق، وهو الطواف به بعد قضاء المناسك.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥)﴾

قوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسَكاً﴾ قرأ حمزة والكسائي: "منسِكاً" بكسر السين في الموضعين، وفتحها الباقون[١].

فمن فتح أراد المصدر، ومن كسر أراد موضع النسك، كالمجْلِس والمطْلِع.

وقال أبو علي[٢]: فتح السين أولى؛ لأنه لا يخلو إما أن يكون مصدراً أو مكاناً، وكلاهما مفتوح العين، إذا كان الفعل [على فَعَلَ][٣]: يَفْعُلُ، نحو: قَتَلَ يقْتُلُ مَقْتَلاً،

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٧١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٦-٤٧٧)، والكشف (٢/ ١١٩)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، والإتحاف (ص:٣١٥)، والسبعة (ص:٤٣٦).

(٢) الحجة (٣/ ١٧١).

(٣) زيادة من ب.

وهذا مقْتَلُ القوم، وكذلك نَسَكَ ينْسُكُ مَنْسَكاً، وهذا منْسَكُ القوم.

ووجه الكسر: أنه قد يجيء اسم المكان من هذا النحو على المَفْعِل، نحو المَطْلِع، وهو من طَلَعَ يَطْلُعُ، والمسجد، وهو من سَجَدَ يسْجُدُ، فيمكن أن يكون هذا مما شذّ أيضاً عن قياس الجمهور، فجاء اسم المكان على غير القياس، ولا يقدم على هذا إلا بالسمع، ولعل الكسائي سمع ذلك.

ومعنى الآية: لكل جماعة مؤمنة من الأمم السالفة جعلنا ذبائح يتقربون بها إلينا، أو أمكنة يتقربون بالذبائح فيها إلينا.

﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم﴾ أي: [على][1] نحر ما رزقهم ﴿من بهيمة الأنعام﴾. وقد أفادت هذه [الآية][2] أمرين:

أحدهما: إعلامنا أن النسائك ليست من خصائص هذه الأمة.

والثاني: شرعية التسمية عليها أيضاً عند ذوي الهدي من الأمم الخالية.

﴿فإلهكم إله واحد﴾ فلا ينبغي أن تذكروا اسم غيره، على ما رزقكم وخلقه لكم، ﴿فله أسلموا﴾ انقادوا ﴿وبشر المخبتين﴾ ذكرنا اشتقاقه فيما مضى وما قيل فيه.

وقال الخليل بن أحمد: هم الذين لا يَظلمون، [وإذا][3] ظُلموا لا ينتصرون[4].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: الآ. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: إذا. والتصويب من ب.

(٤) انظر قول الخليل هذا في: الماوردي (٤/ ٢٥).

﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم﴾ سبق تفسير ذلك كله.

﴿والمقيمي الصلاة﴾ جمهور القراءة على جرّ "الصلاةِ" بالإضافة من غير احتفال بالألف واللام؛ لأنها بمعنى: الذين، بدليل قوله: ﴿وبشر المخبتين * الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾، فـ"الذين" نصب صفة "للمخبتين"[1]، ثم قال: "والصابرين"، تقديره: والذين صبروا. ثم قال: "والمقيمي الصلاة" أي: والذين أقاموا الصلاة.

ولما كانت بمعنى: الذي، وكان الاسم في صلته بمعنى الفعل، نَصَبَ الحسن البصري وأبو عمرو فيما قرأتُه على شيخنا أبي البقاء النحوي له من رواية عبد الوارث عنه، فقرأ: "والمقيمي الصلاةَ" بنصب التاء[2]، وعلى هذا أنشدوا:

الحافِظُوا عورةَ العشيرةِ لا ... يأتيهمُ مِنْ وَرائهمْ نَطَفُ[3]

والنَّطَفُ: التَّلَطُّخُ بالعَيْب.

وقرأ ابن مسعود: "والمقيمين الصلاة" بالنصب على الأصل[4].

وقال ابن جني[5]: أراد: والمقيمين، فحذف النون تخفيفاً، لا لِتُعَاقِبَها الإضافة،

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٤٤)، والدر المصون (٥/ ١٤٨).

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ١٤٨)، والبحر (٦/ ٣٤٢).

(٣) البيت لقيس بن الخطيم، أو عمرو بن امرئ القيس الخزرجي. انظر: الكتاب (١/ ١٨٦)، والخزانة (٢/ ١٨٨)، والدرر اللوامع (١/ ٢٣)، والمحتسب (٢/ ٨٠)، والطبري (١/ ٢٦٣)، واللسان (مادة: وكف) وفيه: "وكف" بدل: "نطف".

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٥).

(٥) المحتسب (٢/ ٨٠-٨١).

وشبّه ذلك باللَّذَيْن والذِين في قوله:

فَإِنَّ الذِي حَانَتْ بفَلْجٍ[1] دِمَاؤُهُمْ ... هُمُ القَوْمُ كُلُّ القَوْمِ يا أُمَّ خَالِدِ[2]

حذف النون من "الذين"؛ تخفيفاً لطول الاسم، فأما الإضافة فساقطة، وعليه قول الأخطل:

أَبَنِي كُلَيْبٍ إِنَّ عَمِّيَ اللَّــــذا ... قَتَلا المُلُوكَ وفكّكا الأغلالا[3]

فحذف النون من "اللّذان" لما ذكرنا.

لكن الغريب من ذلك؛ ما حكاه أبو زيد عن أبي السَّمَّال أو غيره: أنه قرأ: "غَيْرُ مُعْجِزِي اللهَ" [التوبة:٢] بالنصب[4]، فهذا يكاد يكون لحناً؛ لأنه ليست معه لام التعريف [المشابهة][5] للذي [ونحوه][6]، غير أنه شبّه "معجزي" بالمعجزي، وسوغ له ذلك علمه أن "معجزي" هذه لا تنصرف[7] بإضافتها إلى اسم الله، كما لا

---

(١) فَلْج: وادٍ بين البصرة وحمى ضرية (معجم البلدان ٤/ ٢٧٢).

(٢) البيت للأشهب بن رميلة. انظر: الكتاب لسيبويه (١/ ١٨٧)، والمحتسب (١/ ١٨٥، ٢/ ٨٠)، والخزانة (٢/ ٥٠٧)، وشواهد المغني للسيوطي (ص:١٧٥)، وابن الشجري (٢/ ٣٠٧)، واللسان (مادة: فلج).

(٣) البيت للأخطل يهجو جريراً. وأحد عمّيه: عصم أو حنش قاتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو آكل المرار يوم الكلاب، والآخر: عمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند. وانظر البيت في: ديوانه (ص:٤٤)، والكتاب لسيبويه (١/ ١٨٦)، والمحتسب (١/ ١٨٥، ٢/ ٨٠)، والخزانة (٢/ ٤٩٩)، وابن الشجري (٢/ ٣٠٦)، واللسان (مادة: فلج).

(٤) انظر: الدر المصون (٣/ ٤٤١).

(٥) في الأصل و ب: المشابه. والتصويب من المحتسب (٢/ ٨٠).

(٦) زيادة من المحتسب، الموضع السابق.

(٧) في ب: تتعرف. وكذا وردت في الموضع التالي.

تنصرف بها ما فيه الألف واللام، وهو "المُقِيمي الصلاة"، فَشُبّه به، ونحوه بيت الكتاب[(١)]:

الحَافِظُو عَوْرَةَ العَشِيرَةِ ... .

وأنشده ثم قال: نصب "عورةَ" على ما ذكرتُ لك.

وقال آخر[(٢)]:

قَتَلْنَا نَافعاً[(٣)] بقَتِيلِ عَمْرٍو ... وَخَيْرُ الطَّالِبِي التِّرَةَ الغَشُومُ

ومثل: "غَيْرَ مُعجزي اللهِ" بالنصب، قول سويد[(٤)]:

وَمَسَامِيحُ بِمَا ضُنَّ بِهِ ... [حَابِسُوا][(٥)] الأَنْفُسَ [عَنْ][(٦)] سُوءِ الطَّمَعْ

وقرأ بعض الأعراب: ﴿إنكم لذائقوا العذابَ الأليم﴾ [الصافات:٣٨] بالنصب[(٧)].

أخبرنا أبو علي قال: أخبرنا أبو بكر عن أبي العباس قال: سمعت عُمارة يقرأ: ﴿ولا الليلُ سابق النهارَ﴾[(٨)] [يس:٤٠] ، فقلت له: ما أردتَ؟ فقال: أردتُ سابقٌ النهارَ. فقلت له: فهلاّ قلتَه؟ فقال: لو قلتُهُ لكان أوْزَنَ.

---

(١) الكتاب لسيبويه (١/ ١٨٦، ٢٠٢).

(٢) انظر البيت في: اللسان، مادة: (غشم)، والمحتسب (٢/ ٨٠).

(٣) في المحتسب: ناجياً.

(٤) انظر البيت في: المفضليات (ص:١٩٤)، والمحتسب (٢/ ٨٠).

(٥) في الأصل: حابس. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

(٦) في الأصل و ب: من. والتصويب من مصادر البيت.

(٧) انظر: البحر (٧/ ٣٤٣)، والدر المصون (٥/ ٥٠٠).

(٨) انظر: البحر (٧/ ٣٢٣)، والدر المصون (٥/ ٤٨٦).

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ البُدْن: جمع بَدَنَة، سُميت بذلك؛ لأنها تَبْدُنُ، أي: تَسْمَنُ، أو لعِظَم بدنها[(١)].

وقرأ الحسن: "والبدُن" بضم الدال[(٢)]، وهما لغتان، مثل: ثَمَرة وثُمُر.

قال جمهور المفسرين: البُدُن: الإبل والبقر[(٣)].

والصحيح ما قاله صاحبنا القاضي أبو يعلى بن الفراء رحمة الله عليه: أن البدنة: اسم يختص الإبل في اللغة، والبقرة تقوم مقامها في الحكم[(٤)]؛ لأن النبي ﷺ جعل البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة[(٥)].

والمعنى: جعلناها لكم من أعلام الدين وسُنَنِه المشروعة، فشرعنا لكم سَوْقَها إلى البيت وتقليدَها وإشعارَها ونحرَها والإطعام منها، وأضافها إلى اسمه تعظيماً

---

(١) انظر: اللسان (مادة: بدن).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٦٣) عن عطاء، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٣) عن ابن عمر. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنه قال: البدنة ذات البدن من الإبل والبقر.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٢).

(٥) أخرج مسلم في صحيحه (٢/ ٩٥٥ ح١٣١٨) عن جابر بن عبد الله قال: ((نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة)).

لها.

﴿لكم فيها خير﴾ قال ابن عباس: دنيا وآخرة[(١)].

قال إبراهيم النخعي: إن احتاج إلى ظهرها ركب، أو إلى لبنها شرب[(٢)].

﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾ هو قوله عند نحرها: الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، اللهم منك وإليك.

قرأ الأكثرون: "صَوَافَّ"، وقرأ ابن مسعود وابن عباس وابن عمر ومحمد بن علي والأعمش وقتادة: "[صَوافِنَ][(٣)]"[(٤)]. وقرأ أُبيّ بن كعب وأبو موسى والحسن: "صَوافِيَ"[(٥)].

فمن قرأ "صَوَافَّ" أراد: قائمات مُصْطَفَّةَ الأيدي والأرْجُل.

ومن قرأ "صوافن" فهو من صُفُون الفرس، وهو أن يقوم على ثلاث وينصبُ الرابعة على طرف سُنْبُكِهِ، وهكذا السنة في نحر الإبل.

قال مجاهد: إذا عُقِلَتْ إحدى يديها وقامت على ثلاث تُنْحَرُ كذلك، ويُسَوَّى

---

(١) ذكره الطبري (١٧/ ١٦٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٢) كلهم بلا نسبة.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) في الأصل: صوفن. والتصويب من ب.

(٤) انظر: الطبري (١٧/ ١٦٣)، والدر المصون (٥/ ١٥٠).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٥).

بين [أَوْظِفَتِها][(١)] لئلا يتقدم بعضها على بعض[(٢)].

ومن قرأ "صَوَافِيَ" أراد: خوالص لله تعالى.

والنصب في القراءات الثلاث على الحال[(٣)].

﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ سقطت إلى الأرض ميتة، ﴿فكلوا منها﴾ أمر إباحة أو استحباب، وذلك فيما يشرع له الأكل منه، ﴿وأطعموا القانع والمعتر﴾[(٤)].

قال ابن عباس وقتادة: القانع: المُتَعَفِّف، والمُعْتَرّ: السائل[(٥)].

وقال ابن عباس في رواية أخرى: القانع: السائل، والمعترُّ: المتعرِّضُ[(٦)].

---

(١) في الأصل: أوصفتها. والتصويب من ب. والأوظفة: جمع وظيف، وهو لكل ذي أربع: ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق (اللسان، مادة: وظف).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٦٤). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٢).

(٣) انظر: التبيان(٢/ ١٤٤)، والدر المصون (٥/ ١٤٩).

(٤) قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٢٤): وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء، فثلث لصاحبها يأكله، وثلث يهديه لأصحابه، وثلث يتصدق به على الفقراء؛ لأنه تعالى قال: ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٦٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٤) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ١٦٨) من طريق الحسن. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٣)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٥) وعزاه لابن المنذر.

وهذا القول هو اختيار الطبري (١٧/ ١٧٠) قال: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بالقانع السائل؛ لأنه لو كان المعني بالقانع في هذا الموضع المكتفي بما عنده والمستغني به لقيل: وأطعموا القانع والسائل، ولم يقل: وأطعموا القانع والمعترّ، وفي إتباع ذلك قوله: "والمعتر" الدليل الواضح على أن القانع معني به السائل، من قولهم: قنع فلان إلى فلان، بمعنى: سأله وخضع إليه، فهو يقنع قنوعاً، ومنه قول لبيد: وأعطاني المولى على حين فقره إذا قال أبصر خلتي يعرفوهم.

=

قال ابن قتيبة[1]: يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعاً؛ إذا سأل، وقَنِعَ يَقْنَعُ قَنَاعةً؛ إذا رضي[2]. ويقال في المعتر: اعتَرَّني واعْتَرَاني وعَرَاني[3].

وقال الزجاج[4]: مذهب أهل اللغة: أن القانع: السائل، يقال: قَنَعَ يقْنَعُ قُنُوعاً؛ إذا سأل. قال الشمّاخ:

لمالُ المرء يُصلحُهُ فيُغْنِي ... مَفَاقِرَهُ أعفُّ من القُنُوعِ[5]

أي: من السؤال، ويقال: قَنِعَ قناعةً؛ إذا رضِيَ، فهو قَنِعٌ.

﴿كذلك سخرناها لكم﴾ أي: مثل ما وصفنا لكم من نحرها صَوَافَّ، سخَّرْناها لكم، ذللناها لكم لتتمكنوا من نحرها على الوجه المشروع، ولولا تسخير الله تعالى لم يُقدر عليها، ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش الصغار الممتنعة، ﴿لعلكم تشكرون﴾ إحساني إليكم وإنعامي عليكم.

= وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفي، فإنه من قنِعت به -بكسر النون- أقنع قناعة وقنعاً وقنعاناً. وأما المعترّ فإنه الذي يأتيك معتراً بك لتعطيه وتطعمه.

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٢٩٣).

(٢) انظر: اللسان (مادة: قنع).

(٣) انظر: اللسان (مادة: عرر).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٨).

(٥) البيت للشماخ، انظر: ديوانه (ص:٢٢١)، والبحر (٦/ ٣٢٣)، والدر المصون (٥/ ١٥١)، والجمهرة (٣/ ١٣٢)، واللسان (مادة: فقر، قنع)، والطبري (١٧/ ١٦٨)، والقرطبي (١٢/ ٦٤)، والماوردي (٤/ ٢٤)، وزاد المسير (٥/ ٤٣٤)، ومجاز القرآن (٢/ ٥١).

والمَفَاقِر: وجوه الفقر، وقيل: جمع فَقْر على غير قياس، مثل: مَشَابِه ومَلامِح. والقُنُوع: السؤال.

لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿لن ينال الله﴾ أي: لن يصل إليه ﴿لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ أي: يرتفع إليه ويصل إليه التقوى منكم والأعمال الصالحة التي أريد بها وجه[1] الله تعالى.

قال ابن السائب: كان أهل الجاهلية إذا نحروا الإبل نضحوا دماءها حول البيت قُرْبَةً إلى الله، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

وقرأتُ ليعقوب: "لن تنال الله"، "ولكن تناله التقوى منكم" بالتاء فيهما[3].

قال الزجاج[4]: من قرأ بالياء فلِجَمْع اللحوم، ومن قرأ بالتاء فلجماعة اللحوم. ومن قرأ: "تناله" بالتاء أنَّث للفظ التقوى. ومن قرأ بالياء ذكَّر؛ لأن معنى التقوى والتُّقى واحد.

قوله تعالى: ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ أي: على ما بيّن لكم من معالم الدين ومناسك الحج، ﴿وبشر المحسنين﴾.

---

(١) في ب: أريد بها وجهه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٥) عن ابن جريج. وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٢٨) ونسبه لابن عباس، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٢) من قول ابن السائب الكلبي. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٥-٥٦) وعزاه لابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن ابن جريج وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٥)، والنشر (٢/ ٣٢٦).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٩).

قال ابن عباس: يريد: الموحدين(١).

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿إن الله يَدْفَعُ عن الذين آمنوا﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "يَدْفَعُ". وقرأ الباقون: "يُدَافِعُ" من المفاعلة(٢)، والمعنى واحد.

والمراد: إعلام العباد بنصره سبحانه وتعالى للمؤمنين، كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا﴾ [غافر:٥١]، ثم بيّن العلة في ذلك فقال: ﴿إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾ وهم الذين خانوا الله والرسول وجعلوا لله شركاء.

[illegible] ﴿أذن﴾ قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم: "أُذن" [illegible] ها الباقون.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٥).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٧١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٧-٤٧٨)، والكشف (٢/ ١١٩-١٢٠)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، والإتحاف (ص:٣١٥)، والسبعة (ص:٤٣٧).

وقرأ نافع وابن عامر وحفص: ﴿يقاتَلون﴾ بفتح التاء، وكسرها الباقون[١]، والمعنى ظاهر.

قال المفسرون: كان المشركون بمكة يُؤْذُون أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا شَكَوْا إلى رسول الله ﷺ قال لهم: اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال، حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وهي أول آية نزلت في إباحة القتال[٢].

ثم أشار إلى علة إباحته بقوله: ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿ظلموا﴾ حيث أخرجوهم من ديارهم [وأموالهم][٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ ترغيب للمؤمنين في الالتجاء إليه والاعتماد عليه، وتعريض لهم بنصره إياهم.

ثم وصفهم فقال: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ تقديره: أُذِنَ للمقاتلين المخرَجِين من ديارهم بغير حق. وما بين الصفة والموصوف جملة اعتراضية، كما في قوله تعالى: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ [الواقعة:٧٦]، ففصل بين الصفة والموصوف بقوله: "لو تعلمون".

﴿إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ قال سيبويه[٤]: هذا من الاستثناء المنقطع. المعنى: لكن بأن قالوا ربنا الله، أي: أخرجوهم بسبب توحيدهم.

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٢-١٧٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٨-٤٧٩)، والكشف (٢/ ١٢٠-١٢١)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، والإتحاف (ص:٣١٥)، والسبعة (ص:٤٣٧).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٣)، وأسباب النزول (ص:٣١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٦).

(٣) في الأصل: وأموهم. والتصويب من ب.

(٤) انظر: الكتاب (٢/ ٣٢٥).

وقال الزجاج والزمخشري[١]: "أن يقولوا" في محل الجرّ على الإبدال من "حق"، أي: بغير موجب سوى التوحيد.

﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ مُفسّر في البقرة[٢].

﴿لهُدِّمَتْ صوامع﴾ قرأ ابن كثير ونافع: "لهُدِمَتْ" بالتخفيف، وشدّده الباقون[٣].

قال ابن عباس ومجاهد: يعني: صوامع الرهبان[٤].

﴿وبيع﴾ جمع بِيعَة، وهي مُتعبّدات النصارى.

﴿وصلوات﴾ على حذف المضاف، أي: مواضع صلوات.

قال اللغويون: هي بالعبرانية صلوثا، فعُرِّبَت[٥].

قال قتادة: هي كنائس اليهود[٦].

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤٣٠)، والكشاف (٣/ ١٦١).

(٢) آية رقم: ٢٥١.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٩)، والكشف (٢/ ١٢١)، والنشر (٢/ ٣٢٧)، والإتحاف (ص:٣١٦)، والسبعة (ص:٤٣٨).

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٧٥) عن مجاهد، ومجاهد (ص:٤٢٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٩-٦٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن مجاهد. ومن طريق آخر عن أبي العالية، وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٣٧).

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ١٧٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال أبو العالية: مساجد الصابئين[١].

وقيل: هي الصلوات حقيقة، على معنى: ولولا دفع الله عن المسلمين بالمجاهدين لانقطعت الصلوات[٢].

﴿ومساجد﴾ قال ابن عباس: يريد: مساجد المسلمين[٣].

قال الزجاج[٤]: معنى الآية: لولا دفع بعض الناس ببعض لهدمت في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع والبِيَع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد.

وقوله تعالى: ﴿يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ يجوز أن يكون مختصاً بالمساجد، ويجوز أن يكون شاملاً للأماكن المذكورة.

﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أي: ينصر دينه وشرعه، ﴿إن الله لقوي﴾ شديد لا يُغالب ﴿عزيز﴾ منيع في سلطانه.

قوله: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ قال الزجاج[٥]: "الذين" في موضع نصب على تفسير مَنْ. المعنى: ولينصرن الله من ينصره.

ثم بيَّن عز وجل صفة ناصريه فقال: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٧) عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٧٧) عن قتادة، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٧) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٤٣١).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٤٣١).

فصفة حزب الله الذين يُوحِّدونه: [إقامة][1] الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهما واجبان كوجوب الصلاة والزكاة، أعني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. هذا كله كلام الزجاج.

قال قتادة في هذه الآية: هم أصحاب محمد ﷺ[2].

وقال كثير من المفسرين: هذا إخبار من الله تعالى وثناء على الخلفاء الراشدين من المهاجرين، ومدح لهم بما سيظهر منهم من السيرة العادلة، وإثبات لصحة أمرهم وخلافتهم؛ لأن الله تعالى لم يُعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم[3].

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: هذا والله ثناء قبل بلاء[4].

﴿ولله عاقبة الأمور﴾ ولما كانت الرهبة من القادر والرغبة إليه من أوكد الأسباب الصَّادَّةِ لغالب الناس عن الإقدام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أخبر الله سبحانه وتعالى عباده أنه أحقُّ من خِيفَ منه، وأولى من توجهت الرغبة إليه؛ لأن جميع الأمور إليه تؤول، وكل مُلْك سوى مُلْكه يزول، فقال: ﴿ولله عاقبة الأمور﴾.

---

(١) في الأصل: بإقامة. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٨) عن أبي العالية. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٤) عن قتادة، والسيوطي في الدر (٦/ ٦٠) وعزاه لابن أبي حاتم عن أبي العالية.

(٣) انظر: الكشاف (٣/ ١٦٢)، والنسفي (٣/ ١٠٦).

(٤) ذكره المناوي في فيض القدير (٢/ ٢٠٢)، والزمخشري في الكشاف (٣/ ١٦٢).

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود * وقوم إبراهيم وقوم لوط * وأصحاب مدين وكذِّبَ موسى﴾ وقد ذكرنا قصصهم فيما مضى.

والمقصود من هذه السياقة تعزية النبي ﷺ.

قال صاحب الكشاف[1]: إن قلت: لم قيل: "وكذب موسى" ولم يقل: وقوم موسى؟

قلتُ: لأن موسى ما كذّبه قومه بنوا إسرائيل، وإنما كذّبه القبط. وفيه شيء آخر؛ كأنه قيل بعدما ذُكر تكذيب كل قوم رسولهم: وكُذِّب موسى أيضاً مع وضوح آياته وعِظَم معجزاته، فما ظَنُّكَ بغيره.

﴿فأمليت للكافرين﴾ أخَّرتُ عقوبتهم وأمْهلتهم، ﴿ثم أخذتهم﴾ أي: بالعذاب ﴿فكيف كان نكير﴾ استفهام في معنى التقرير، والنكير بمعنى الإنكار

---

(١) الكشاف (٣/ ١٦٢).

والتعيير.

والمعنى: كيف أنكرتُ عليهم ما فعلوا من التكذيب، أبدلتهم بالنعمة العذاب، وبالعمارة الخراب.

قوله تعالى: ﴿فكأيٍّ من قرية أهلكتُها﴾ قرأ أبو عمرو: "أهلكْتُها" بالتاء على لفظ الواحد. وقرأ الباقون: "أهلكناها" بالنون على لفظ الجمع[١].

﴿وهي ظالمة﴾ في محال الحال[٢]. وَصَفَها بالظلم، والمراد: أهلها.

﴿فهي خاوية على عروشها﴾ ساقطة على سقوفها. وقد ذكرنا تفسيره فيما مضى، وهذا هو الظاهر من التفسير.

ويجوز أن يكون "على عروشها" خبراً بعد خبر[٣]، كأنه قيل: هي خاوية، وهي على عروشها، أي: هي قائمة مُطِلَّةٌ على عروشها، على معنى: أن السقوف تهدمت وبقيت الحيطان قائمة مطلة على السقوف المتهدمة.

قوله تعالى: ﴿وبئر معطلة وقصر مشيد﴾ معطوفان على "قرية"[٤]، تقديره: فكم من قرية وبئر معطلة، أي: متروكة معطلة من الاستقاء والعمل، وقصر مُجَصَّص.

واختلف القُرّاء في تحقيق الهمزة وتخفيفه في "بئر"، فخفَّفه الأكثرون[٥].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٩-٤٨٠)، والكشف (٢/ ١٢١)، والنشر (٢/ ٣٢٧)، والإتحاف (ص:٣١٦)، والسبعة (ص:٤٣٨).

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ١٥٥).

(٣) هو قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ١٦٣).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٤٥)، والدر المصون (٥/ ١٥٦).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٤)، والإتحاف (ص:٣١٦)، والسبعة (ص:٤٣٨).

قال أبو علي[١]: كلاهما حسن، والتحقيق هو الأصل، والتخفيف دخيل عليه استثقالاً للهمزة، وتخفيف هذا النحو: أن تُقْلَبَ الهمزة فيه ياء بحسب الحركة التي قبلها، وكذلك "الذئب"[٢] وما أشبهه مما فيه همزة ساكنة قبلها كسر[٣].

وقال الزجاج[٤]: أصل الشِّيد: الجصُّ والنُّورَة، وكل ما بُنِيَ بهما أو بأحدهما فهو مَشِيد.

وقيل: مَشِيدٌ: مُحَصَّنٌ مُرتَفعٌ، من قولهم: شَادَ بناءه؛ إذا رفعه[٥].

وقد ذكرنا هذا المعنى في سورة النساء[٦]، وفيه إضمار تقديره: وكم قصر مشيد أخليناه من[٧] ساكنه، فتُرِك لدلالة معطلة عليه.

وقد قيل: إن هذه بئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به، ونجاهم الله تعالى من العذاب، وهي بحضرموت. وإنما سُميت بذلك؛ لأن صالحاً حين حضرها مات، وثَمَّ بلدة عند البئر اسمها: حاضوراء، بناها قوم صالح، وأمّروا عليهم رجلاً منهم، وأقاموا بها دهراً وتناسلوا حتى نَمَوْا، ثم إنهم عَبَدُوا الأصنام وكفروا، فأرسل الله تعالى إليهم نبياً يقال له: حنظلة بن صفوان، فكفروا

---

(١) الحجة (٣/ ١٧٤).

(٢) في سورة يوسف، آية رقم (١٣).

(٣) في ب: كسرة.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٤٣٢).

(٥) انظر: اللسان (مادة: شيد).

(٦) عند الآية رقم: ٧٨.

(٧) في ب: عن.

به وقتلوه في السوق، فأهلكهم الله تعالى، وعُطِّلت بئرهم وخربت قصورهم[(١)].

قوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ قال صاحب الكشاف[(٢)]: يحتمل أنهم لم يسافروا، فحُثُّوا على السفر؛ ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم، ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا، أو أن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا، فجُعلوا كأن لم يُسافروا ولم يَرَوْا.

والمعنى: يعقلون ما يجب أن [يُعقل][(٣)] من التوحيد، ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي.

وقال غيره: ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ إذا نظروا آثار من هلك، ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ أخبار الأمم المكذبة.

﴿فإنها لا تعمى الأبصار﴾ قال الفراء[(٤)]: الهاء في "فإنها" عِماد[(٥)]. وقيل: ضمير الشأن.

والقصة والضمير يجيء مذكراً [ومؤنثاً][(٦)].

وقوله: ﴿التي في الصدور﴾ توكيد؛ لأن القلوب لا تكون إلا في الصدور، ومثله: ﴿يقولون بأفواههم﴾ [آل عمران:١٦٧].

---

(١) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٣/ ١٦٣). وفي ب: وخرب قصرهم.

(٢) الكشاف (٣/ ١٦٤).

(٣) في الأصل: يفعل. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) معاني الفراء (٢/ ٢٢٨).

(٥) العماد: هو ضمير الفصل عند البصريين.

(٦) في الأصل: مؤنثاً. والتصويب من ب.

وقال صاحب الكشاف[١]: إن قلت: أي فائدة في ذكر الصدور؟

قلتُ: الذي قد تعورف واعتقد: أن العمى على الحقيقة مكانه البصر، وهو [أن تصاب][٢] الحدقة بما يطمس نورها. واستعماله في القلب استعارة ومَثَلٌ، فلما أريد [إثبات][٣] ما هو خلاف الحقيقة المعْتَقَد من نسبة العَمَى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الأبصار، احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل [تعريف، ليتقرر][٤] أن مكان العَمَى هو القلب لا الأبصار، كما تقول: ليس المَضَاءُ للسيف، ولكنه للسانك الذي بين فَكَّيْكَ، فقولك: "الذي بين فكَّيْك" تقرير لما ادّعيته للسانه [وتثبيت، لأن محل المضاء هو هو لا غير][٥]، وكأنك قلت: ما نفيته عن السيف وأثبته للسانك قلته لا سهواً مني، ولكني تعمدته تعمداً.

أخبرنا الشيخ عبدالعزيز بن معالي بن غنيمة بن منينا قال: أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبدالباقي الأنصاري، أخبرنا الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا عبدالملك بن محمد بن بشران [الواعظ][٦]، أخبرنا دعلج بن أحمد، حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن هارون المعوذي، حدثنا عمرو بن الحُبَاب[٧]، حدثنا

---

(١) الكشاف (٣/ ١٦٤).

(٢) في الأصل و ب: ارتكاب. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: وتعريف لتقرر. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) زيادة من الكشاف (٣/ ١٦٤).

(٦) في الأصل: الوعظ. والتصويب من ب.

(٧) عمرو بن الحباب البصري، أبو عثمان العلاف، ويقال: الصباغ، كان بالمربد، مقبول (تهذيب التهذيب ٨/ ١٥، والتقريب ص ٤١٩).

يعلى بن الأشدق[١]، حدثنا عبدالله بن جراد[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الأعمى من يعمى بصره، ولكن الأعمى من تعمى بصيرته»[٣].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ نزلت في النضر بن الحارث وغيره[٤]، من المستعجلين بالعذاب العاجل [أو الآجل][٥]، تكذيباً واستهزاءً.

﴿ولن يخلف الله وعده﴾ في إنزال العذاب بهم.

قال ابن عباس: هو ما أصابهم يوم بدر[٦].

﴿وإن يوماً عند ربك﴾ يعني: من أيام الآخرة ﴿كألف سنة مما تعدون﴾.

---

(١) يعلى بن الأشدق، أبو الهيثم الجزري الحراني، كان حياً في دولة الرشيد، روى عن عمه عبد الله بن جراد، سكن الرقة مدة، وأصله من نواحي الطائف (لسان الميزان ٦/ ٣١٢).

(٢) عبد الله بن جراد بن المنتفق بن عامر بن عقيل العامري، روى عنه يعلى بن الأشدق، مات سنة أربع وستين ومائة (الثقات ٣/ ٢٤٤، والإصابة ٤/ ٣٩).

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ١٢٧ ح١٣٧٢). وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/ ٢١١)، والديلمي في الفردوس (٣/ ٤٠٣).

(٤) هو قول مقاتل. انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٦)، وزاد المسير (٥/ ٤٣٩).

(٥) في الأصل: والآجل. والتصويب من ب.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٥).

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: "يعدون" بالياء، حملاً على قوله: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ ليكون اللام من وجه واحد. والباقون قرأوا بالتاء؛ نظراً إلى كونه أعمّ[١].

والمعنى: مما تَعُدُّونَ من أيام الدنيا.

المعنى: فكيف تستعجلون بعذاب أيام هذا شأنها وطولها.

وقال الزجاج[٢]: المعنى: أن يوماً عند الله وألف سنة سواء في قدرته على عذابهم، فلا فرق بين وقوع ما استعجلوا به وبين تأخيره في القدرة، إلا أن الله تعالى تفضَّل عليهم بالإمهال.

قوله تعالى: ﴿وكأيٍّ من قرية أمليت لها وهي ظالمة﴾ قال الزمخشري[٣]: إن قلت: لم كانت الأولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو؟

قلت: الأولى وقعت بدلاً من[٤] قوله: ﴿فكيف كان نكير﴾، وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين [المعطوفتين][٥] بالواو، أعني قوله: ﴿ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك﴾.

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٠)، والكشف (٢/ ١٢٢)، والنشر (٢/ ٣٢٧)، والإتحاف (ص:٣١٦)، والسبعة (ص:٤٣٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٤٣٣).

(٣) الكشاف (٣/ ١٦٥).

(٤) في ب: عن.

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

وما بعده ظاهر أو مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿والذين سعوا في آياتنا مُعجِّزين﴾.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "مُعجِّزين" بتشديد الجيم من غير ألف، هنا، وفي الموضعين الآخرين بسبأ[١]. وقرأها الباقون: "مُعَاجِزين" بالألف مع تخفيف الجيم[٢].

فمن قرأ: "مُعَجِّزين" فمعناه: ينسبون من تَبعَ النبي ﷺ إلى العجْز، كقولهم: جَهَّلْتُه، أي: نسبته إلى الجَهْل، وفَسَّقْتُه: نسبته إلى الفسق.

وقال مجاهد: "مُعَجِّزين": مثبّطين، أي: يثبّطون الناس عن النبي ﷺ[٣].

ومن قرأ: "مُعَاجزين" فمعناه: ظانّين ومُقدِّرين أنهم يُعَجِّزوننا؛ لأنهم ظنوا أن لا بعث ولا نشور، فيكون ثواب أو عقاب. وهذا المعنى كقوله: ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا﴾ [العنكبوت:٤].

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

(١) الآية رقم: ٥ و ٣٨.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٤-١٧٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٠-٤٨١)، والكشف (٢/ ١٢٢)، والنشر (٢/ ٣٢٧)، والإتحاف (ص:٣١٦)، والسبعة (ص:٤٣٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٨٦)، ومجاهد (ص:٤٢٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٤) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، كلهم بلفظ: "معجزين" مبطئين، يبطئون الناس عن اتباع النبي ﷺ.

حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ قال الواحدي[(١)]: الرسول: الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عياناً ومحاورته إياه شفاهاً، والنبي: الذي تكون نُبُوَّتُه إلهاماً أو مناماً.

وقال الزمخشري[(٢)]: الرسول من الأنبياء، من جمع [إلى][(٣)] المعجزة الكتاب المنْزَل عليه. والنبي غير الرسول: من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أُمِرَ أن يدعو إلى شريعة من قبله.

قوله تعالى: ﴿إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ قال محمد بن كعب القرظي وغيره: تمنى رسول الله ﷺ أن لا يأتيه من الله شيء ينفر عنه قومه، لعله يتخذ ذلك سُلَّماً إلى استمالتهم واستنزالهم عن غيّهم، فاستمر به ما تمناه، حتى نزلت عليه سورة النجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه، فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله: ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ [النجم:٢٠] ألقى الشيطان في أمنيته التي تمناها على سبيل

---

(١) الوسيط (٣/ ٢٧٦).

(٢) الكشاف (٣/ ١٦٥-١٦٦).

(٣) في الأصل: مع. والتصويب من ب، والكشاف (٣/ ١٦٥).

السهو والغلط فقال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى [(١)] [(٢)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٨٦-١٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس.

(٢) إن هذه القصة والمعروفة بقصة الغرانيق قد ذكرها أكثر المفسرين دون تعليق فقد ذكرها الطبري وابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٣٠-٢٣١) ثم قال: وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا كلها مرسلات ومنقطعات، والله أعلم. والذي يتتبع طرق هذه القصة يجد أن جميع طرقها مرسلة أو منقطعة أو معلة أو فيها جهالة، فالطرق مهما كثرت وكانت ضعيفة لا تزيد الرواية إلا ضعفاً. فإن قاعدة تقوية الحديث بكثرة الطرق لا تقبل على إطلاقها وهذا ما حققه الحافظ أبو عمرو ابن الصلاح في مقدمته وغيره من علماء الحديث المحققين. لقد وقف على هذه القصة غير واحد من العلماء المحققين وبينوا زيف وبطلان هذه المرويات التي أوردها بعض المفسرين. فقد ذكر الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني في تفسيره: (٣/ ٤٦٢) عند قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ [الحج:٥٢] فقال: ولم يصح شيء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه قال تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين﴾ [الحاقة:٤٤-٤٦] وقوله: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ [النجم:٣] وقوله: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ [الإسراء:٧٤]. قال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل. وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم. وقال ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة. وصنف في ذلك كتاباً. وللقاضي عياض في كتاب الشفاء (٢/ ٧٥٠) كلام حول نقض هذه القصة فيقول: فاعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين: المأخذ الأول: يكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، والمتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم. المأخذ الثاني: فهو مبني على تسليم الحديث لو صح، وقد أعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة =

قال ابن عباس: قال ذلك الشيطان على لسان رسول الله ﷺ، ولم يكن لرسول الله ﷺ إحساس بذلك[(١)].

وقال قتادة: كان رسول الله ﷺ عند المقام، فنعس، فألقى الشيطان تلك الكلمات على لسانه وهو نائم، ففرح المشركون بذلك، وقالوا: قد ذكر آلهتنا بأحسن الذِّكْر، فأتاه جبريل فأخبره بما جرى على لسانه، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وأصحابه، فأنزل الله تعالى هذه الآية تطييباً لقلبه وإعلاماً له أن الأنبياء قد جرى لهم مثل هذا[(٢)].

وقال ابن عباس وجمهور المفسرين: تمنّى [بمعنى][(٣)] تلا[(٤)]، وأنشدوا:

تمنّى كتابَ الله أوّل ليلِهِ ... تمنّيَ داوُدَ الزبورَ على رِسْلِ[(٥)]

منها الغث والسمين. ثم سرد أحاديث بين زيفها ورد العلماء عليها. ويقول الإمام القرطبي في تفسيره (١٢/ ٨٤) عند قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾ بعد أن سرد بعض الروايات: ومما يدل على ضعفه أيضاً وتوهينه من الكتاب قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك... الآيتين﴾ [الإسراء:٧٣-٧٤]؛ فإنهما تردان الخبر الذي رووه، لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري، وأنه لولا أن ثبته لكان يركن إليهم. فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالى عصمه في أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً فكيف كثيراً؟

إن هذه الأقاويل يجب تنزيه رسول الله ﷺ منها، وقد ثبت بطلان هذه القصة سنداً ومتناً.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٢). وذكره الماوردي (٤/ ٣٥)، والسيوطي في الدر (٦/ ٦٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) زيادة من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٤١).

(٥) انظر البيت في: البحر (٦/ ٣٥٣)، واللسان (مادة: مني)، والقرطبي (٢/ ٦)، وزاد المسير =

﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾ أي: يبطله ويذهبه[(١)].

﴿ثم يحكم الله آياته﴾ قال مقاتل[(٢)]: يحكمها من الباطل، ﴿والله عليم حكيم﴾.

قوله تعالى: ﴿ليجعل﴾ اللام متعلقة بقوله: ﴿ما يلقي الشيطان﴾[(٣)] في أمنية رسوله ﴿فتنة﴾ ابتلاء وامتحاناً ﴿للذين في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق، ﴿والقاسية قلوبهم﴾.

قال ابن عباس: يريد: المشركين، وهم الذين لا تلين قلوبهم لتوحيد الله[(٤)].

ثم حكم عليهم بالظلم فقال: ﴿وإن الظالمين لفي شقاق بعيد﴾ يريد: وإن =

(١/ ١٠٥، ٥/ ٤٤٢)، وروح المعاني (١٧/ ١٧٣)، والدر المصون (١/ ٢٦٩).

(١) قال البغوي في تفسيره (٣/ ٢٩٣-٢٩٤): فإن قيل كيف يجوز الغلط في التلاوة على النبي ﷺ وكان معصوماً من الغلط في أصل الدين؟ وقال جل ذكره في القرآن: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ [فصلت:٤٢] يعني إبليس؟

قيل: قد اختلف الناس في الجواب عنه، فقال بعضهم: إن الرسول ﷺ لم يقرأ، ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته، فظن المشركون أن الرسول قرأه.

وقال قتادة: أغفى النبي ﷺ إغفاءة فجرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان ولم يكن له خبر.

والأكثرون قالوا: جرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان على سبيل السهو والنسيان ولم يلبث أن نبهه الله عليه.

وقيل: إن شيطاناً يقال له أبيض عمل هذا العمل، وكان ذلك فتنة ومحنة من الله تعالى يمتحن عباده بما يشاء.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٧).

(٣) قال أبو حيان في البحر (٦/ ٣٥٣): واللام في "ليجعل" متعلقة بـ"يحكم" وقيل: بـ"ينسخ". وقيل: بـ"ألقى"، والظاهر أنها للتعليل. وقيل: هي لام العاقبة. و"ما" في "ما يلقي" الظاهر أنها بمعنى الذي، ويجوز أن تكون مصدرية.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٧).

هؤلاء المنافقين والمشركين، فوضع الظاهر موضع المُضْمَر.

وقوله: ﴿لفي شقاق بعيد﴾ مفسّر في البقرة[1].

قوله تعالى: ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ أي: وليتيقن الذين أعطوا القرآن والتوحيد وكانوا على بصيرة من أمرهم ﴿أنه الحق﴾ أي: أن نسخ ذلك وإبطاله الحق ﴿من ربك﴾.

وقيل: وليعلم الذين أوتوا العلم أن تمكن الشيطان من الإلقاء هو الحق من ربك والحكمة.

﴿فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾ أي: تَذِلُّ وتخضع.

ثم بيّن سبحانه وتعالى أن الإيمان والإخبات إنما هو بلطفه وهدايته إياهم فقال: ﴿وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾.

وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه﴾ أي: في شك مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ، يقولون: ما باله ذكرها بخير ثم ارتدّ عنها. وهذا قول سعيد بن جبير والأكثرين[2].

---

(١) عند آية رقم: ١٧٦.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٤٤).

وقال ابن جريج: الكناية ترجع إلى القرآن[١].

وقيل: إلى الرسول ﷺ.

ويجوز عندي: أن يعود الضمير إلى "صراط مستقيم" لقربه وصحة المعنى في ردّه إليه، واشتماله على القولين المذكورين في القرآن والرسول ﷺ.

﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ يعني: القيامة[٢]، ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ وهو ما أصابهم يوم بدر[٣]. هذا قول ابن عباس وجمهور المفسرين[٤].

وقال الواحدي[٥]: حتى تأتيهم ساعة موتهم، أي: حتى يموتوا أو يقتلوا، وهو قوله: ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٩٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٩-٧٠) وعزاه لابن المنذر.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٣٢): وهذا القول هو الصحيح، وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به، لكن هذا هو المراد، ولهذا قال: ﴿الملك يومئذ لله يحكم بينهم﴾؛ كقوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة:٤]، وقوله: ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾ [الفرقان:٢٦].

(٣) وهو اختيار ابن جرير الطبري (١٧/ ١٩٣) قال: وهذا القول أولى بتأويل الآية؛ لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو تأتيهم الساعة، وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضاً هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين باختلاف الألفاظ، وذلك ما لا معنى له.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٩٣)، والضياء المقدسي في المختارة (١٠/ ٨٩) عن ابن عباس، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧٠) وعزاه لابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن سعيد بن جبير، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، ومن طريق آخر عن عكرمة، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) الوسيط (٣/ ٢٧٧).

فإن قيل: لِمَ وصف يوم بدر بأنه عقيم؟

قلتُ: لأنه لم يُنْتِج [للكفار][1] خيراً، ولأنه لا مثل له؛ لقتال الملائكة فيه.

وقيل: أصل العقم في الولادة، يقال: امرأة عقيم: [لا تَلِد][2]، ورجل عقيم: لا يُولد له[3]. وأنشدوا:

عَقِمَ[4] النساءُ فلا يَلِدْنَ شبيهَه إن النساءَ بمثلِهِ عُقْمُ[5]

فوصفَ يوم الحرب بالعقيم؛ لأن النساء يقتُلْن أولادهن كأنهن عُقْمٌ لم يلدن.

قوله تعالى: ﴿الملك يومئذ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لله﴾ يعني: لله وحده لا شريك له ولا منازع.

﴿يحكم بينهم﴾ أي: بين المؤمنين والكافرين.

ثم بيّن الحكم والفصل بينهم فقال: ﴿فالذين آمنوا﴾ إلى قوله: ﴿عذاب مهين﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ

(١) في الأصل: للكافر. والتصويب من ب.

(٢) زيادة من زاد المسير (٥/ ٤٤٤).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٤٤-٤٤٥).

(٤) في الأصل: عقيم. والتصويب من ب، ومن مصادر البيت.

(٥) البيت لأبي دهبل يمدح عبدالله بن الأزرق المخزومي. وقيل: هو للحزين الليثي. انظر البيت في: اللسان (مادة: عقم)، والقرطبي (١٦/ ٤٨)، وزاد المسير (٥/ ٤٤٤).

لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

ثم ذكر فضل المهاجرين فقال: ﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾. قال المفسرون: يعني: من مكة إلى المدينة[1].

ويندرج في عموم اللفظ كل من هاجر ابتغاء مرضاة الله من مكة وغيرها.

﴿ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً﴾ وهو رزق الجنة.

وفي قوله: ﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ تنبيه على عظمة ذلك الرزق وحُسْنه.

﴿ليُدخلنهم مُدْخَلاً يرضونه﴾ قد ذكرنا في سورة النساء[2] اختلاف القرّاء في "مُدْخَلاً"، وتعليل القراءتين.

﴿وإن الله لعليم﴾ بنياتهم ﴿حليم﴾ حيث تجاوز عن سيئاتهم.

قوله تعالى: ﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ أي: جازى الظالم بمثل ما ظلمه به.

قال الزجاج[3]: الأول لم يكن عقوبة، وإنما العقوبة الجزاء، ولكنه سُمي عقوبة؛ لأن الفِعلَ الذي هو عقوبة كان جزاء، فسمي الأول الذي جوزي عليه عقوبة؛ لاستواء الفعلين في جنس المكروه، كما قال: ﴿وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها﴾ [الشورى: ٤٠].

وقال علي بن الحسين النحوي: "مَنْ" بمعنى الذي، و"عاقب" صلته، وقوله:

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٤٥) كلاهما بلا نسبة.

(٢) عند الآية رقم: ٣١.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤٣٥).

﴿لينصرنه الله﴾ خبر المبتدأ[١]، ولا يكون قوله: "مَنْ عَاقَبَ" شرطاً؛ لأنه لا لام فيه، كما في قوله: ﴿لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ [الأعراف:١٨].

﴿ثم بُغِيَ عليه﴾ قال الحسن: قاتل المشركين كما قاتلوه ثم بُغي عليه بإخراجه من منزله[٢].

فعلى هذا يكون التقدير: ثم كان قد بغي عليه.

﴿لينصرنه الله﴾ يعني: المظلوم بنصره على الباغي عليه.

وفي قوله: ﴿إن الله لعفو غفور﴾ تنبيه للمجني عليه وتلويح له، ليتصف بما اتصف الله تعالى به من العفو والمغفرة.

وقال مقاتل[٣]: سبب نزول هذه الآية: أن مشركي مكة لقوا المسلمين لليلة بقيت من المحرّم، فقاتلوهم، فناشدهم المسلمون الله أن لا[٤] يقاتلوهم في الشهر الحرام، فأبوا إلا القتال، فثبت المسلمون ونصرهم الله تعالى، ونزلت هذه الآية.

فالمعنى: إن الله لعفو عن المسلمين، غفور لهم قتالهم في الشهر الحرام.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ١٦٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٤٦).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٨). وانظر: الطبري (١٧/ ١٩٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧١) وعزاه لابن أبي حاتم عن مقاتل.

(٤) ساقط من ب.

مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ أي: ذلك النصر بسبب أنه سبحانه وتعالى قادر على الانتقام من الباغي. ومن قدرته: أنه ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ وقد فسرنا ذلك في آل عمران[1].

﴿وأن الله﴾ تعالى ﴿سميع﴾ لأقوالهم، عليم[2] بنياتهم ومقادير جزائهم.

﴿ذلك﴾ الذي فعل من نصر المؤمنين وإيلاج أحد الجديدين في الآخر ﴿بأن الله﴾ أي: بسبب أن الله ﴿هو الحق﴾ الثابت الإلهية، ﴿وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾؛ لأنه لا ينفع ولا يضر ولا يقدر على شيء، ﴿وأن الله هو العلي﴾ العالي على كل شيء بقدرته ﴿الكبير﴾ الذي يَصْغُرُ كل شيء بالنسبة إلى عظمته.

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ يعني: المطر ﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾ يعني: بالنبات.

قال الخليل[3]: معنى الكلام: التنبيه، كأنه قال: أتسمع أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا[4].

وقال ثعلب: لو كان استفهاماً والفاء شرطاً لَنَصَبْتَه[5].

---

(١) عند الآية رقم: ٢٧.

(٢) نص الآية القرآنية: ﴿سميع بصير﴾.

(٣) انظر قول الخليل في: الدر المصون (٥/ ١٦٣)، والبحر (٦/ ٣٥٥)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٤٠).

(٤) جملة: "كذا وكذا" هي كناية على الأحدوثة. حكاها سيبويه (٢/ ١٧٠).

(٥) انظر قول ثعلب في: زاد المسير (٥/ ٤٤٧).

وقال الزمخشري[١]: إن قلت: ما له رفع ولم ينصب جواباً للاستفهام؟

قلتُ: لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض؛ لأن معناه إثبات الاخضرار، فيقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار. مثاله: أن تقول لصاحبك: ألم تر أني أنعمتُ عليك فتشكر. إن نصبْتَه فأنت نافٍ لشكره شاكٍ تفريطه، وإن رفعْتَه فأنت مُثْبِتٌ للشكر.

﴿إن الله﴾ تعالى ﴿لطيف﴾ باستخراج أرزاق عباده من بلاده، موصول[٢] إليهم فضله من حيث لا يشعرون، ﴿خبير﴾ بمصالحهم ومنافعهم.

﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ عبيداً وملكاً، ﴿وإن الله لهو الغني﴾ عنهم، ﴿الحميد﴾: سبق تفسيره.

وحاصل القول فيه: أنه فَعِيلٌ بمعنى مفعول أو فاعل، بمعنى: الحامد لأوليائه وأهل طاعته.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض﴾ أي: ذَلَّلَ لكم ما فيها من البهائم، ﴿والفلك تجري﴾ أي: وسخر لكم السفن تجري ﴿في البحر﴾ لمعايشكم

---

(١) الكشاف (٣/ ١٧٠).

(٢) في ب: موصل.

ومصالحكم، ﴿بأمره ويمسك السماء أن تقع﴾ أي: كراهية أن تقع ﴿على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ فيما سخر لهم وحبس عنهم.

والرؤوف مفسر فيما مضى.

﴿وهو الذي أحياكم﴾ بعد أن كنتم نطفاً ثم مضغاً ثم عَلَقاً لا حياة فيكم، ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ للبعث والحساب، ﴿إن الإنسان لكفور﴾ لجحود لنعم الله حيث لم يُوحِّدْه.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)﴾

قوله تعالى: ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً﴾ سبق تفسيره في هذه السورة[١].

﴿هم ناسكوه﴾ عاملون به.

﴿فلا ينازعنك في الأمر﴾ قال المفسرون: يعني: في الذبائح، وذلك أن كفار قريش وخزاعة خاصموا رسول الله ﷺ في أمر الذبيحة، فقالوا: كيف تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله؟ يعنون: الميتة[٢].

وقيل: هو نهي لرسول الله ﷺ، أي: لا تلتفت إلى قولهم ولا تمكّنهم من أن ينازعوك، أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله ﷺ بالمنازعة في الدين، وهم جُهّال لا علم عندهم.

---

(١) عند تفسير الآية رقم: ٣٤.

(٢) انظر: الطبري (١٧/ ١٩٩)، والوسيط (٣/ ٢٧٩).

وقال الزجاج[١]: هو نهي له عن منازعتهم، كما تقول: لا يُضَاربنَّكَ فلان، أي: لا تضاربه. وهذا جائز في القول الذي لا يكون إلا بين اثنين. ولا يجوز هذا في قولك: لا يَضربنَّكَ فلان وأنت تريد: لا تضْربَنَّه.

قوله تعالى: ﴿وادع إلى ربك﴾ أي: إلى دينه والإيمان به، ﴿إنك لعلى هدى مستقيم﴾.

قال الزمخشري[٢]: المراد: زيادة التثبيت لرسول الله ﷺ بما يهيج حميته ويُلْهِبُ غضبه لله تعالى ولدينه، ومنه قوله: ﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك﴾ [القصص:٨٧]، ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ [الأنعام:١٤]، ﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ [القصص:٨٦]. وهيهات أن ترتع همة رسول الله ﷺ حول ذلك الحمى، ولكنه وارد على ما قلت لك من إرادة التهييج والإلهاب.

قوله تعالى: ﴿وإن جادلوك﴾ أي: خاصموك في أمر الذبيحة والدين وأبوا إلا الإصرار على المكابرة والمعاندة ﴿فقل الله أعلم بما تعملون﴾ من التكذيب.

المعنى: وهو لكم مُجاز.

﴿الله يحكم بينكم﴾ أيها المسلمون والمشركون ﴿يوم القيامة﴾ حكم فصل وجزاء ﴿فيما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا من أحكام الدين.

فصل

أكثر المفسرين يقولون: هذا منسوخ بآية السيف، وبعضهم يقول: هذا في حق المنافقين وكانت تظهر منهم فَلَتَاتٌ، فإذا عوتبوا أنكروا وحلفوا وجادلوا. فعلى

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤٣٧).

(٢) الكشاف (٣/ ١٧١).

هذا: لا نسخ[1].

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾ استفهام في معنى التقرير. أي: قد علمت ذلك.

وقوله: ﴿إن ذلك في كتاب﴾ تحقيق لعلم الله تعالى، والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ.

﴿إن ذلك﴾ يعني: العلم بما في السماء والأرض ﴿على الله يسير﴾ لا يتعذر عليه.

قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ حجة ظاهرة من دليل نقلي أو برهان عقلي، ﴿وما ليس لهم به علم﴾ يريد: الأصنام، فإنهم لا يعلمون أنها آلهة بوجه من الوجوه، ﴿وما للظالمين﴾ الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم الفظيع والجهل الشنيع ﴿من نصير﴾ ينصرهم ويُصوِّبُ مذهبهم، أو منيع يمنعهم

---

(١) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٢٨)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٠٠).

من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ يعني: القرآن، ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ أي: أثر الإنكار من الكراهة والتعبيس والتقطيب، ﴿يكادون يسطون﴾ يَثِبُون ويبطشون ﴿بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ محمد وأصحابه كراهة لما جاؤوا به، ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ أي: بأشد عليكم وأكره إليكم من هذا القرآن، ثم بيّنه فقال: ﴿النارُ﴾ أي: هو النار.

وقُرِئ شاذاً: "النارَ" بالنصب على الاختصاص، وبالجر على البدل من "بِشَرٍّ"[1].

﴿وعدها الله الذين كفروا﴾ كلام مستأنف. ويجوز أن يكون "النار" مبتدأ وما بعده الخبر[2]، ﴿وبئس المصير﴾ تفسيره.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له﴾ قال صاحب الكشاف[3]: إن قلت: الذي جاء به ليس بمَثَل، فكيف سمّاه مَثَلاً؟

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ١٦٧)، والتبيان (٢/ ١٤٦)، والبحر المحيط (٦/ ٣٥٩).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) الكشاف (٣/ ١٧٢).

قلتُ: قد سُمّيت الصفة أو القصة الرائعة المتلقّاة بالاستحسان والاستغراب: مَثَلاً؛ تشبيهاً لها ببعض الأمثال المُسَيَّرة، لكونها مستحسنة مستغربة عندهم.

﴿إن الذين تدعون﴾ وقرأ يعقوب: "يدعون" بالياء[1]. ووجه القراءتين ظاهر.

والمعنى: أن الأوثان الذين تدعونهم آلهة ﴿من دون الله لن يخلقوا ذباباً﴾ الذي هو أقلّ مخلوقات الله وأحقرها.

قوله تعالى: ﴿ولو اجتمعوا له﴾ في محل الحال[2]، كأنه قيل: مُحَالٌ أن يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم لخلقه وتعاونهم عليه.

ثم بالغ في وصفهم بالعجز فقال: ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً﴾ أي: وإن يسلبهم الذباب الذي هو أحقر المخلوقات وأضعفها من الآلهة التي عبدوها شيئاً من الأشياء ﴿لا يستنقذوه منه﴾ أي: لا يستخلصوه منه، فكيف اتخذوها آلهة. وهي النهاية في العجز المُنافي للإلهية.

قال ابن عباس: كانوا يَطْلُون أصنامهم بالزعفران فيجفّ، فيأتي الذباب فيختلسه فلا [يقدرون أن يَستردُّوه][3] من الذباب ويستنقذوه منه[4].

وقال السدي: كانوا يجعلون لآلهتهم طعاماً فيقع الذباب عليه فيأكل منه[5].

﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ أي: ضعف الصنم والذباب، فهو على معنى

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٧)، والنشر (٢/ ٣٢٧).

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ١٦٩).

(٣) في الأصل: يقدون أن يستردونه. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٢).

(٥) مثل السابق.

التسوية بينهم في الضعف.

وعند التحقيق تجد الصنم أضعف من الذباب؛ لأنه جماد، والذباب حيوان.

وقال السدي: "الطالب": عابد الصنم، "والمطلوب": الصنم[١].

﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته، ولا عظموه حق عظمته، حيث جعلوا ما هو أعجز من الذباب وأحقر شركاءه في الإلهية.

﴿إن الله لقوي عزيز﴾ فكيف يعدلون به الضعيف الذليل.

ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً﴾ يعني: كجبريل وميكائيل، ﴿ومن الناس﴾ كموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين، ﴿إن الله سميع﴾ لما يجهر به العبد ويخفيه ﴿بصير﴾ [بمن][٢] يختصه [للرسالة][٣] ويصطفيه.

﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله[٤]: الإشارة إلى الذين تقدم ذكرهم من الملائكة والناس، ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ مفسر في البقرة[٥].

والمراد: الإعلام بأنه سبحانه وتعالى عالم بالأشياء، وأن إليه المرجع في الانتهاء،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٢).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في الأصل: بالرسالة. والتصويب من ب.

(٤) زاد المسير (٥/ ٤٥٣).

(٥) عند الآية رقم: ٢١٠.

والتنبيه على أن من كان بهذه المثابة لا يجوز أن يُعترض له في تدبيره وقضائه واختياره واصطفائه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ قال المفسرون: صلُّوا؛ لأن الصلاة تشتمل على الركوع والسجود[1].

﴿واعبدوا ربكم﴾ وحِّدُوه.

وقيل: اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجهه سبحانه وتعالى.

﴿وافعلوا الخير﴾ أبواب البرِّ كلها؛ من صلة الأرحام ومكارم الأخلاق.

أمرهم سبحانه وتعالى بالصلاة على سبيل التعيين؛ لعظم خطرها، ثم عقَّب ذلك بالأمر بغيرها من أفعال الخير على سبيل العموم.

﴿لعلكم تفلحون﴾ أي: افعلوا هذا وأنتم راجون الفلاح.

وقد قررنا هذا فيما مضى، وذكرنا أقوال العلماء في معنى "لعلَّ".

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٤).

فصل

لا نعلم خلافاً بين أهل العلم في السجدة الأولى من هذه السورة، واختلفوا في الثانية؛ فذهب عمر وابنه وعمار وأبو الدرداء وابن عباس في آخرين: إلى أنها سجدة وقالوا: فُضِّلَت على سائر السور بسجدتين[١]، وإليه ذهب إمامنا والشافعي[٢].

واحتج القائلون بهذا بما روي عن عقبة بن عامر قال: «قلت: يا رسول الله! في الحج سجدتان؟ قال: نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما»[٣].

وذهب الحسن وسعيد بن المسيب وإبرهيم النخعي وأبو حنيفة ومالك إلى أنها ليست بسجدة. وعلل بعضهم باقتران الركوع بها، فدل على أنها سجدة صلاة، لا سجدة تلاوة.

قوله تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ وحمل أكثر المفسرين الجهاد هاهنا على جميع أفعال الطاعة، وقالوا: حق الجهاد: إخلاص العمل من شوائب الرياء.

وقال الضحاك: هو جهاد الكفار[٤]، وهو مُندرجٌ في القول الأول.

وقال ابن المبارك: هو جهاد النفس والهوى[٥]. ولعمري إنه أكبر الجهاد وأشَقُّه.

---

(١) أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣٧٢ ح٤٢٨٧) عن ابن عمر عن عمر: «أنه سجد في الحج سجدتين ثم قال: إن هذه السورة فضلت على سائر السور بسجدتين».

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٥٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٨ ح١٤٠٢)، والترمذي (٢/ ٤٧٠ ح٥٧٨).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٥).

(٥) مثل السابق.

﴿هو اجتباكم﴾ اختاركم لدينه، ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي: من ضيق، بل وسّع عليكم وسهّل لكم السُّبُل التي ضيّقها على بني إسرائيل، على ما ذكرناه في سورة الأعراف. وهذا معنى قول ابن عباس[1].

وقال مقاتل[2]: يعني: الرُّخَص عند الضرورة؛ كالقَصْر، والتيمم، وأكل الميتة، والإفطار في المرض والسفر.

وقيل: ما جعل عليكم في الدين من حرج بل فتح لكم باب التوبة.

﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ قال الأخفش والفراء والمبرد والزجاج[3]: المعنى: عليكم ملة أبيكم إبراهيم.

وقيل: النصب على الاختصاص، تقديره: أعني بالدين ملة أبيكم[4].

قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله[5]: إن قيل: هذا الخطاب للمسلمين وليس إبراهيم أباً لكلهم؟

فالجواب: أنه [إن][6] كان خطاباً عاماً للمسلمين، فهو كالأب لهم؛ لأن حرمته وحقه عليهم كحق الوالد. وإن كان خطاباً للعرب خاصة؛ فإبراهيم أبو العرب قاطبة. هذا قول المفسرين.

قال: والذي يقع لي: أن الخطاب لرسول الله ﷺ؛ لأن إبراهيم أبوه، وأمّة

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٦).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٣٩١)، والوسيط (٣/ ٢٨٢).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٢٣١)، ومعاني الزجاج (٣/ ٤٤٠).

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ١٦٩).

(٥) زاد المسير (٥/ ٤٥٦).

(٦) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

رسول الله ﷺ داخلة فيما خوطب به رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ قال ابن عباس: المعنى: الله سمّاكم المسلمين من قبل نزول القرآن في الكتب السالفة المتقدمة، ﴿وفي هذا﴾ الكتاب[1].

وقال ابن زيد: المعنى: إبراهيم سمّاكم المسلمين من قبل، حين قال: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾، وفي هذا وهو قوله: ﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾[2] [البقرة:١٢٨].

والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿ليكون الرسول﴾ أي: اجتباكم وسمّاكم بهذا الاسم الأكرم ليكون الرسول محمد ﷺ ﴿شهيداً عليكم﴾ يوم القيامة بالتبليغ، ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ بأن رسلهم بلّغتهم.

ولما ذكّرهم بالنعم أمرهم بالشكر فقال: ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله﴾ قال ابن عباس: سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يُسْخِطُ ويَكْرَه[3].

---

(١) أخرجه الطبري مختصراً (١٧/ ٢٠٧)، وكذا ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٢) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٧)، والسيوطي مختصراً في الدر (٦/ ٨٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٨١) وعزاه لابن أبي حاتم.

قال ابن جرير الطبري بعدما ذكر رواية ابن زيد: ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك؛ لأن معلوم أن إبراهيم لم يسم أمة محمد مسلمين في القرآن؛ لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٧).

وقال الحسن: "واعتصموا بالله": تمسكوا بدينه[١].

﴿هو مولاكم﴾ ناصركم ومعينكم، ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ مفسر فيما مضى[٢].

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٧).

(٢) في سورة الأنفال عند الآية رقم: ٤٠.

سورة [المؤمنون](1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي مائة وتسع عشرة آية بإجماعهم.

أخرج الإمام أحمد في مسنده والحاكم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يُسمع عند وجهه كدويّ النحل، فمكثنا ساعة واستقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم زدنا ولا تنقُصنا، وأكرمنا ولا تُهنّا، [وأعطنا](2) ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضَ عنا. ثم قال: لقد أُنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ إلى عشر آيات »(3).

وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ [قال](4): « إن الله حاط حائط الجنة لَبِنَة من ذهب ولَبِنَة من فضة، وغرس غرسها بيده، فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون. فقال لها: طُوبى لك منزل الملوك »(5).

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

---

(١) في الأصل و ب: المؤمنين.

(٢) زيادة من مسند أحمد ومستدرك الحاكم.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٤ ح٢٢٣)، والحاكم (٢/ ٤٢٥ ح٣٤٧٩).

(٤) زيادة من ب.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ٩٩ ح٣٧٠١).

حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾

قوله: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ قال الفراء[١]: "قد" هاهنا يجوز أن تكون تأكيداً لفلاح المؤمنين، ويجوز أن تكون تقريباً للماضي من الحال؛ لأن "قد" تُقرّب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه، ألا تراهم يقولون: "قد قامت الصلاة" قبل حال قيامها، فيكون المعنى في الآية: أن الفلاح قد حصل [لهم][٢] وأنهم عليه في الحال[٣].

وقال الزمخشري[٤]: "أفلح" دخل في الفلاح، كأَبْشَرَ: دخل في البشارة، ويقال: أفلحه: أصاره إلى الفلاح، وعليه قراءة طلحة بن مصرّف: "أُفْلِحَ"، على البناء للمفعول[٥].

وقال ابن عباس: معناه: قد سَعِدَ المصدِّقون وبَقُوا في الجنة[٦].

---

(١) لم أقف عليه في معاني الفراء. وانظر قول الفراء في: الوسيط (٣/ ٢٨٤)، وزاد المسير (٥/ ٤٥٩).

(٢) زيادة من ب.

(٣) قال الزركشي في البرهان (٤/ ٣٠٥): واعلم أنه ليس من الوجه الابتداء بها إلا أن تكون جواباً لمتوقع، كقوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾؛ لأن القوم توقعوا علم حالهم عند الله.

(٤) الكشاف (٣/ ١٧٧).

(٥) انظر: الدر المصون (٥/ ١٧١)، والبحر (٦/ ٣٦٥).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٤).

قوله تعالى: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ قال أبو هريرة: « كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى رفع بصره إلى السماء، فنزلت: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾، فنكَّس رأسه »[١].

قال ابن عباس: خشع من خوف الله، فلا يعرف مَنْ على يمينه ولا مَنْ على يساره[٢].

وقال بعض أرباب الإشارات: يحتاج المصلي إلى أربع خلال حتى يكون خاشعاً: إعظام المقام، وإخلاص المقال، واليقين التام، وجمع الهمّ[٣].

وقال عصام بن يوسف لحاتم الأصم: هل تُحسن تُصلي؟ قال: نعم، قال: ممن تعلمت؟ قال: من شقيق بن إبراهيم. قال: كيف تصلي؟ قال: إذا تقارب وقت الصلاة أسبغت [الوضوء][٤]، ثم أستوي في الموضع الذي أُصلِّي فيه حتى يستقر كل عضو مني، وأرى الكعبة بين حاجِبيَّ، والمقام حيال صدري، والله فوقي، وكأنّ قدميَّ على الصراط، والجنة عن يميني والنار عن شمالي، ومَلَكُ الموت من خلفي، وأظن أنها آخر صلاتي، ثم أُكَبِّرُ بإخبات، وأقرأ بالتفكُّر، وأركع بالتواضع، وأسجد بالتضرع، ثم أتشهد على الرجاء، وأُسلِّم بالإخلاص، وقد أدَّيتها بأكل

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه (٢/ ٢٨٢ ح٣٣٥٧)، والحاكم (٢/ ٤٢٦ ح٣٤٨٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد بن سيرين، فقد قيل عنه مرسلاً، ولم يخرجاه. وعقب الذهبي بأن الصحيح أنه مرسل.

وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٨٤) وعزاه لابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في سننه.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٤).

(٣) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١١٦) عن أبي الدرداء.

(٤) في الأصل: الضوء. والتصويب من ب.

الحلال، وأنا بين الخوف والرجاء، لا أدري قُبلت أم رُدّت. فقال: يا حاتم هكذا صلاتك؟ قال: هكذا صلاتي منذ ثلاثين سنة. فبكى عصام وعانقه طويلاً حتى ابتلّ رداؤه[١].

قوله تعالى: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ قال الزجاج[٢]: "اللغو" كل باطل ولهو وهَزْل ومعصية، وما لا يجمل في القول والفعل. وهذا يشمل قول ابن عباس: هو الشرك[٣]، وقول الحسن: المعاصي[٤]، وقول السدي: الكذب[٥].

وقال مقاتل[٦]: اللغو: ما كانوا يسمعونه من الكفار من الشتم والأذى.

قوله تعالى: ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ أي: مُؤدُّون، فعبّر عن التأدية بالفعل؛ لأنه فِعْل.

قال صاحب الكشاف[٧]: الزكاة: اسم مشترك بين عين ومعنى. فالعين: القدر الذي يخرجه المُزَكِّي من النصاب إلى الفقير. والمعنى: فعل المزكي الذي هو التزكية، وهو الذي أراده الله تعالى، فجعل المزكِّين فاعلين له، ولا يسوغ فيه غيره؛ لأنه ما من مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدّثه: فاعل، تقول للضارب: فَاعِلُ

---

(١) انظر: حلية الأولياء (٨/ ٧٤).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٨٧) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر.

(٥) ذكره الماوردي (٤/ ٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٠).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٣٩٢).

(٧) الكشاف (٣/ ١٧٩-١٨٠).

الضَّرب، وللقاتل: فاعل القتل، وللمزكِّي: فاعل التزكية. والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث: مَنْ فاعل هذا؟ فيقال لك: فاعله الله تعالى أو بعض الخلق. ولم تمتنع الزكاة الدالة على العين أن يتعلق بها فاعلون، لخروجها من صحة تناولها الفاعل، ولكن لأن الخلق ليسوا بفاعليها. وقد أنشدوا لأمية بن أبي الصلت:

المطْعِمُون الطعام في السَّنة الأزْ مَةِ والفاعِلُون للزكوات[١]

ويجوز أن [يراد][٢] بالزكاة العين، ويُقَدَّر مضاف محذوف وهو الأداء، وحَمْلُ البيت على هذا أصح؛ لأنها فيه مجموعة.

قوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ قال ابن السائب: يَعُفُّون عما لا يحلّ لهم[٣].

﴿إلا على أزواجهم﴾ قال الفراء[٤]: "على" بمعنى "مِنْ".

وقال الزمخشري[٥]: "على أزواجهم" في موضع الحال، أي: إلاّ وَالِينَ على أزواجهم، أو [قوّامين][٦] عليهنّ، من قولك: كان فلان على فلانة فمات عنها

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت، وهو في: البحر (٦/ ٣٦٦)، والدر المصون (٥/ ١٧٣)، والكشاف (٣/ ١٧٩)، والقرطبي (١٢/ ١٠٥)، وروح المعاني (١٨/ ٥).

والأزمة: يريد اشتد القحط وقلّ الخير، يقول: إنهم يطعمون الطعام للناس عند الحاجة ويؤدون زكاة أموالهم. والشاهد في قوله: "والفاعلون للزكوات" حيث أسند الأداء إليهم.

(٢) في الأصل: يرد. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٤).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٢٣١).

(٥) الكشاف (٣/ ١٨٠).

(٦) في الأصل: قومين. والتصويب من ب.

فخلف عليها فلان.

والمعنى: أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال، إلا في حال تَـزَوُّجهم أو تَسَرِّيهم، أو تعلق "على" بمحذوف يدل عليه ﴿غير ملومين﴾، كأنه قيل: يُلامـون إلا على أزواجهم، أي: يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم مـن الأزواج والإماء المملوكات، ﴿فإنهم غير ملومين﴾. وهذا معنى قول الزجاج[1].

فإن قلت: فهلا قيل: مَنْ ملكت؟

قلتُ: لأنه أريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الإناث.

قوله تعالى: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ أي: طلب سوى الأزواج والإماء المملوكات، ﴿فأولئك هم العادون﴾ في طلبهم وتجاوُزهم إلى ما لا يحلّ لهم.

قوله تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ قرأ ابن كثير: "لأمانتهم" على التوحيد، على أنه مصدر أو اسم جنس، وهي عامة في جميع ما اؤتُمن عليه العبد فيما بينه وبين الله تعالى أو بين الناس، وكذلك العهد.

وقيل: سُمِّيَ الشيء المؤتمنُ عليه والعهد عليه: أمانةً وعهداً، ومنه قوله: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ [النساء:٥٨]، وإنما تؤدى العيون لا المعاني.

وأصل الرَّعْي: القيام بحفظ الشيء وإصلاحه، ومنه: الرَّاعي.

قوله تعالى: ﴿والذين هم على صلواتهم﴾ وقرأ حمزة والكسائي: "صلاتهم" على التوحيد[2]، وهو اسم جنس. والمراد بالمحافظة عليها: أداؤُها في أوقاتها على

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٦).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٣)، والكشف (٢/ ١٢٥)، والنشر =

الوجه المشروع.

قوله تعالى: ﴿أولئك﴾ يعني: الجامعين لهذه الأوصاف ﴿هم الوارثون﴾.

ثم بيّن ما يرثونه فقال: ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ وقد سبق معنى الإرث[١] ومعنى الفردوس[٢] فيما مضى.

﴿هم فيها خالدون﴾ أنّث الفردوس على تأويل الجنة.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة﴾ قال سلمان الفارسي: المراد بالإنسان: آدم عليه السلام[٣].

وإنما قيل له سلالة؛ لأنه استُلَّ من جميع الأرض. وإلى هذا المعنى ذهب قتادة[٤].

= (٢/ ٣٢٨)، والإتحاف (ص:٣١٧)، والسبعة (ص:٤٤٤).

(١) في سورة مريم، آية رقم: ٦.

(٢) في سورة الكهف، آية رقم: ١٠٧.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٢).

(٤) مثل السابق.

وقيل: المراد بالإنسان: ولد آدم، وهو اسم جنس يقع على الجميع[١].

فعلى هذا؛ "السلالة": النطفة، سُميّت بذلك؛ لأنها استُلَّتْ من الطين، وهو آدم عليه السلام[٢].

والقولان عن ابن عباس.

وقال عكرمة: "السلالة": الماء يُسَلُّ من الظهر سَلاًّ[٣].

﴿ثم جعلناه نطفة﴾ يعني: جعلنا جوهر الإنسان نطفة بعد أن كان طيناً، ﴿في قرار مكين﴾ وهو الرَّحم. والمَكِين: الحَرِيز.

وما بعده مُفسّر في الحج[٤] إلى قوله: ﴿فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً﴾ وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم: "عظماً"[٥] على التوحيد في الموضعين، على إرادة الجمع بلفظ الواحد لزوال اللبس، فإن الإنسان ذو عظام كثيرة، كما قال:

.... في حلْقِكُم عظمٌ وقد شَجِينا[٦]

يريد: في حُلُوقِكُم.

---

(١) ذكره الطبري (١٨/ ٧)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٥).

(٢) ذكره الطبري، والواحدي في الموضعين السابقين، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٥)، والسيوطي في الدر (٦/ ٩٠-٩١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) آية رقم: ٥.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٧-١٧٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٤)، والكشف (٢/ ١٢٦)، والنشر (٢/ ٣٢٨)، والإتحاف (ص:٣١٨)، والسبعة (ص:٤٤٤).

(٦) عجز بيت للمسيب بن زيد مناة، وصدره: (لا تُنْكِروا القَتْلَ وقد سُبِينا). انظر البيت في: اللسان، (مادة: شجا)، والدر المصون (٥/ ١٧٧)، والقرطبي (١/ ١٩٠).

قوله تعالى: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ هو استواء الشباب.

وقال الحسن: كونه ذكراً أو أنثى[١].

وقيل: ما [أودع][٢] فيه من العقل والفهم[٣].

﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ أي: المقدِّرين والمصوِّرين.

وفي الحديث: «أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وعنده عمر، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ قال عمر: فتبارك الله أحسن الخالقين. فقال رسول الله ﷺ: لقد ختمت بما تكلمت به يا ابن الخطاب»[٤].

فإن قيل: هل من [خالق][٥] غير الله حتى [قال][٦]: ﴿أحسن الخالقين﴾؟

قلتُ: قد سبق فيما مضى أن الخلق في اللغة: التقدير، ومنه:

ولأنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ القوم يخلُقُ ثم لا يَفْرِي[٧]

فالمعنى: أحسن المقدرين والصانعين للأشياء.

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٣).

(٢) في الأصل: أدع. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٣).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٣).

(٥) زيادة من ب.

(٦) زيادة من ب.

(٧) البيت لزهير يمدح رجلاً، انظر: ديوانه (ص:٩٤)، واللسان (مادة: خلق، فرا)، والبحر (٦/ ٣٦٩)، والدر المصون (١/ ١٤٦، ٥/ ١٧٧)، والطبري (١٨/ ١١)، والقرطبي (١/ ٢٢٦، ١٢/ ١١٠)، وزاد المسير (٥/ ٤٦٤، ٨/ ٢٢٨)، وروح المعاني (١٨/ ١٦، ٢٣٤).

قوله تعالى: ﴿ثم إنكم بعد ذلك﴾ أي: بعد تمام الخلق ﴿لميتون﴾ عند انقضاء آجالكم.

وقرأ أبو رزين العقيلي وعكرمة: "لمايتون"(١).

قال الفراء(٢): العرب تقول لمن لم يمت: إنك مائتٌ عن قليل وميّتٌ، ولا يقولون للميت الذي قد مات: هذا مائت، إنما يقال في الاستقبال فقط.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ يعني: السموات السبع.

قال ابن قتيبة(٣): سميت طرائق؛ لأن بعضها فوق بعض. يقال: طارقت الشيء؛ إذا جعلت بعضه فوق بعض(٤).

وقيل: سُميت بذلك؛ لأنها طرق الملائكة.

﴿وما كنا عن الخلق﴾ أي: عن مصالح الخلق وما يحتاجون إليه من الأرزاق وغيرها ﴿غافلين﴾.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٦٤)، والدر المصون (٥/ ١٧٨).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٣٢).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٢٩٦).

(٤) انظر: اللسان (مادة: طرق).

لِّلْأَكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾ فسّرناه عند قوله في الحِجْر: ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾[١].

وقوله: ﴿فأسكناه في الأرض﴾ مثل قوله: ﴿فسلكه ينابيع في الأرض﴾ [الزمر:٢١]، وقد جاء في حديث ليس إسناده بالقائم، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار: سَيْحُون وهو نهر الهند، وجَيْحُون نهر بلخ، ودجلة والفُرات وهما نهرا العراق، والنِّيل وهو نهر مصر، أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة [من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل][٢]، فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع في أصناف معايشهم، فذلك قوله: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾ فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبريل فرفع من الأرض القرآن، والعلم كله، والحجر الأسود من ركن البيت، ومقام إبراهيم، وتابوت موسى [بما فيه][٣]، وهذه الأنهار الخمسة، يرفع ذلك كله إلى السماء، فذلك قوله: ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾، فإذا رُفعت هذه الأشياء من الأرض فَقَدَ أهلها خير الدين والدنيا»[٤].

---

(١) الآية رقم: ٢١.

(٢) زيادة من مصادر التخريج.

(٣) مثل السابق.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٦-٢٨٧)، والسيوطي في الدر (٦/ ٩٥) وعزاه لابن مردويه =

قوله تعالى: ﴿فأنشأنا لكم به﴾ أي: بالماء ﴿جنات﴾ بساتين ﴿من نخيل وأعناب﴾.

ثم بيَّنَ أن ثمرهما جامع بين أمرين:

أحدهما: أنه فاكهة يُتَفَكَّهُ بها.

والثاني: أنه طعام يؤكل، فذلك قوله تعالى: ﴿لكم فيها فواكه كثيرة﴾، يعني: تتفكَّهون بها رَطْبَة، ﴿ومنها تأكلون﴾ يعني: يابسة.

قوله تعالى: ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾ يريد: الزيتون.

خَصَّ الله سبحانه وتعالى هذه الأنواع الثلاثة، وهي النخيل والأعناب والزيتون بالذِّكْر في معرض الامتنان على عباده وتذكيرهم بنعمه؛ لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع.

واختلف القُرَّاء في "سيناء"؛ فقرأ ابن عامر وأهل الكوفة بفتح السين، والباقون بكسرها[١].

وقرأ الأعمش: "سِيْنَى" بالقصر[٢].

قال أبو علي[٣]: لا تنصرف هذه الكلمة؛ لأنها جعلت اسماً لبقعة أو أرض، ولو كانت اسماً للمكان أو للمنزل أو نحو ذلك من الأسماء المذكّرة لصُرِفَت؛

= والخطيب بسند ضعيف.

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٤)، والكشف (٢/ ١٢٦)، والنشر (٢/ ٣٢٨)، والإتحاف (ص:٣١٨)، والسبعة (ص:٤٤٤-٤٤٥).

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ١٧٨).

(٣) الحجة (٣/ ١٧٩).

لأنك كنت قد سمّيت مذكراً بمذكر.

قال الضحاك: "الطور": الجبل بالسريانية، و"سَيْنَاء": الحَسَن بالنبطية[(١)].

وقال عطاء: يريد: الجبل الحَسَن[(٢)].

وقال ابن السائب: يريد: الجبل المُشْجِر[(٣)].

وقوله راجع إلى معنى الذي قبله؛ لأنه بالشجر صار حَسَناً.

قال ابن زيد: هو الجبل الذي نودي منه موسى، وهو بين مصر وأيْلَة[(٤)].

قوله تعالى: ﴿تُنبت بالدهن﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "تُنبِتُ" بضم التاء وكسر الباء، وقرأ الباقون بفتح التاء[(٥)].

قال الفراء[(٦)]: هما لغتان، يقال: نبتت وأنبتت، وأنشد الزجاج[(٧)] قول زهير:

رأيتُ ذوي الحاجاتِ حَوْلَ بُيوتهم ... قَطِيناً لهم حتى إذا أنبتَ البَقْل[(٨)]

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره (١٨/ ١٣) عن عبيد قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿من طور سيناء﴾ "الطور": الجبل بالنبطية، و"سيناء": حسنة بالنبطية.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ٩٦) وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر، ولفظه: جبل ذو شجر.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٤-٤٨٥)، والكشف (٢/ ١٢٧)، والنشر (٢/ ٣٢٨)، والإتحاف (ص:٣١٨)، والسبعة (ص:٤٤٥).

(٦) معاني الفراء (٢/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٧) معاني الزجاج (٤/ ١٠).

(٨) البيت لزهير من قصيدة في مدح هرم بن سنان وقومه. وقبله:

إذا السَّنَةُ الشَّهْباءُ بالناسِ أَجْحَفَتْ ... ونَالَ كِرامُ المال في السنةِ الأَكْل

=

وقيل: المفعول على قراءة أبي عمرو وابن كثير محذوف، أي: تنبت الزيتون وفيه الدهن.

وقال أبو عبيدة[١]: معنى الآية: تنبت الدهن، والباء زائدة؛ كقوله: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد﴾ [الحج:٢٥].

وقال الزجاج[٢]: المعنى: تنبت وفيها الدهن، كما تقول: جاءني بالسيف، أي: جاءني ومعه السيف.

فعلى قوله؛ الباء في محل الحال[٣].

﴿وصبغٍ﴾ وقرأ ابن مسعود والأعمش: "وصِبْغاً" بالنصب[٤].

وقرأ ابن السميفع: "وصِبَاغٍ" بألف مع الجر[٥].

ووجه الجر والنصب ظاهر.

والمراد: الزيت؛ لأنه يُلوِّنُ الخبز إذا غُمِسَ فيه للإدام.

= انظر: ديوانه (ص:١١١)، والمحتسب (٢/ ٨٩)، ومعاني الفراء (٢/ ٢٣٣)، والدر المصون (٤/ ٣١٦، ٥/ ١٨٠)، والبحر (٦/ ٣٧١)، واللسان (مادة: نبت، قطن)، والطبري (١٨/ ١٤)، والقرطبي (١٠/ ٨٣، ١٢/ ١١٦)، وزاد المسير (٥/ ٤٦٧)، وروح المعاني (١٤/ ١٠٦، ١٨/ ٢٢)، وجمهرة اللغة (ص:٢٥٧، ٢٦٢)، وخزانة الأدب (١/ ٥٠).

وقوله: قطيناً، القطين: الحَشَمُ وسُكّان الدار.

(١) مجاز القرآن (٢/ ٥٦).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٠).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٤٨)، والدر المصون (٥/ ١٨٠).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٨).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٦٨)، والدر المصون (٥/ ١٨٠).

قوله تعالى: ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ يعني: من الحمل والركوب والأصواف والأشعار والجلود وغير ذلك.

﴿ومنها تأكلون﴾ أي: ومن لحومها وأولادها.

﴿وعليها﴾ يريد: الإبل خاصة، ﴿وعلى الفلك تحملون﴾ هذه في البر وهذه في البحر.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾

ثم إن الله تعالى عزى رسوله ﷺ وأخبره أن تكذيب الأمم أنبياءهم ليس ببِدْع، فذلك قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون * فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ وقد سبق تفسير ذلك كله[1].

﴿يريد أن يتفضل عليكم﴾ أي: يطلب الفضل عليكم، ونظيره قولهم: ﴿وتكون لكما الكبرياء في الأرض﴾ [يونس:٧٨].

﴿ولو شاء الله﴾ أن لا يعبد سواه ﴿لأنزل ملائكة﴾ تبلغ عنه ولم يرسل بشراً آدمياً، ﴿ما سمعنا بهذا﴾ الذي تحضّنا عليه[2] وتدعونا إليه من التوحيد ﴿في آبائنا

---

(١) في سورة الأعراف، عند الآية رقم: ٥٩.

(٢) في الأصل زيادة: في. وهو وهم.

الأولين﴾ يريدون: الأمم السالفة.

﴿إن هو إلا رجل به جِنَّة﴾ أي: جنون. وقيل: جِنٌّ يخبلونه.

﴿فتربصوا به حتى حين﴾ أي: انتظروا به الموت.

وقيل: المعنى: احتملوه واصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلي أمره، فإن أفاق من جنونه وإلا قتلتموه.

قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

﴿قال رب انصرني بما كذبون﴾ أي: انصرني بسبب تكذيبهم إياي، أو انصرني بدل ما كذبونِ، كما تقول: هذا بذاك، أي: بدل ذلك[(١)].

المعنى: أَبْدِلْني من غم تكذيبهم سلوة النصر عليهم.

وقيل: المعنى: انصرني بإنجاز ما وعدتهم من العذاب، وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم: ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ [الأعراف:٥٩].

---

(١) في ب: ذاك.

﴿فأوحينا إليه﴾ مفسرٌ في هود[١] إلى قولـه: ﴿فاسـلك فيهـا﴾ أي: أَدْخِـلْ في سفينتك، يقال: سَلَكَ فيه؛ إذا دخله، وسلك غيره وأسْلَكَه[٢].

وما بعده ظاهر أو مفسر إلى قوله: ﴿وقل رب أنزلني مُنْزَلاً مباركاً﴾.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: "مَنزِلاً" بفتح الميم وكسر الزاي[٣]. فالأول مـصدر بمعنى الإنزال، تقول: أنزلته إنزالاً ومنزلاً. والثاني اسم لمكان النزول.

﴿إن في ذلك﴾ الذي جرى لنوح مع قومه وحديث السفينة ﴿لآيات﴾ لعِـبَراً ودلالات على عظمة الله تعالى وقدرته وشدة انتقامه من أعدائه ومكـذبي رسـله، ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ أي: وما كنا إلا مبتلين، أو هي المخففة من الثقيلة، على معنـى: وإنَّ الشأن كنا مبتلين. أي: مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد.

وقيل: المعنى: "وإن كنا لمبتلين" لمختبرين بهذه الآيات عبادنا، لننظر من يعتبر ويذَّكَّر، كقوله تعالى: ﴿ولقد تركناها آية فهل من مدكر﴾ [القمر:١٥].

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم

---

(١) عند الآية رقم: ٣٧.

(٢) انظر: اللسان (مادة: سلك).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٨١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٦)، والكشف (٢/ ١٢٨)، والنـشر (٢/ ٣٢٨)، والإتحاف (ص:٣١٨)، والسبعة (ص:٤٤٥).

بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ قال أكثر المفسرين: هم قوم عاد[١].

﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم﴾ وهو هود عليه السلام.

وقال أبو سليمان الدمشقي: هم ثمود، والرسول: صالح[٢].

والأول أصح؛ لقوله تعالى في موضع آخر حكاية لقول هود: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ [الأعراف:٦٩]، وبدليل مجيء قصة هود عقيب قصة نوح في الأعراف وهود والشعراء.

قوله تعالى: ﴿أن اعبدوا الله﴾ مفسرة لقوله: ﴿فأرسلنا فيهم﴾، أي: قلنا لهم على لسان الرسول: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ سبق تفسيره.

﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة﴾ أي جحدوا البعث، ﴿وأترفناهم في الحياة الدنيا﴾ أي: نَعَّمْنَاهم ووسَّعْنا عليهم ﴿ما هذا إلا بشر

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧١).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧١). وهو اختيار الطبري (١٨/ ١٩).

مثلكم﴾، ثم حققوا معنى البشرية والمثلية بقولهم: ﴿يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ أي: مما تشربون منه، فحذف لدلالة ما قبله عليه.

﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون﴾ لمغبونون في عقولكم وآراكم.

﴿أيعدكم﴾ استفهام في معنى الإنكار والاستبعاد ﴿أنكم إذا مِتُّم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون﴾ قال الزجاج[١]: موضع "أنكم" منصوب، على معنى: أيعدكم أنكم مخرجون إذا متّم، فلما طال الكلام أُعيد ذكر "أنَّ"، كقوله: ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم﴾ [التوبة:٦٣] المعنى: فله نار جهنم.

وقال بعض المحققين: التقدير فيه: أيعدكم أن [إخراجكم][٢] إذا متم، محذوف[٣] المضاف، ولا بد من تقديره؛ لأن "إذا" ظرف زمان، وظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجثة، ألا ترى أنهم قالوا: لو قلت: زيد يوم الجمعة، لم يصح، وباعتبار هذا قال سيبويه[٤] أن قوله: "أنكم مخرجون" بدل من "أنّ" الأولى.

وقال الزمخشري[٥]: ثنى "أنكم" [للتوكيد][٦]، وحَسُنَ ذلك لفصل ما بين الأول والثاني بالظرف، و"مخرجون" خبر عن الأول، أو جعل "أنكم مخرجون" مبتدأ، و "إذا متم" خبراً، على معنى: إخراجكم إذا متم، ثم أخبر بالجملة عن

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١١).

(٢) في الأصل: إخراكم. والتصويب من ب.

(٣) في ب: فحذف.

(٤) انظر: الكتاب (٤/ ١٣٣).

(٥) الكشاف (٣/ ١٨٨).

(٦) في الأصل: للتوحيد. والتصويب من ب.

أنكم[١].

وقرأتُ لعاصم من رواية الشموني عن الأعشى عن أبي بكر عنه: "إنكم مخرجون" بكسر الهمزة بتقدير القول، أو لتَضَمُّن "أيعدكم" معنى القول.

قوله تعالى: ﴿هيهات هيهات﴾ قُرِئ بالحركات الثلاث مُنوناً وغير مُنون.

وقرأ معاذ القارئ: "هيهاتْ هيهاتْ" بإسكان التاء فيهما[٢].

فهذه سبع لغات قرئ بهن، وفيها ثلاث لغات لم يقرأ بهن [وهي][٣]: "أيْهَاتَ"، قال الشاعر:

فأيْهَاتَ أيْهَاتَ العقيقُ وأهلُهُ وأيْهَاتَ خِلٌّ بالعَقيقِ نُوَاصِلُه[٤]

و"أيْهَانَ" بالنون، و"أيهاً"، وقد جمع الأحوص بين لغتين في بيت فقال:

تَذَكَّرَ أياماً مَضَيْنَ من الصِّبَا وهيهاتَ هَيْهَاتاً إليكَ رُجُوعُهَا[٥]

والقُرّاء السبعة مطبقون على "هيهاتَ هيهاتَ" بفتح التاء فيهما من غير تنوين، ووقف عليهما بالهاء ابن كثير والكسائي، والباقون بالتاء[٦].

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ١٨٢). قال أبو حيان في البحر بعد أن ذكر قول الزمخشري: وهذا تخريج سهل لا تكلف فيه (انظر: البحر المحيط ٦/ ٣٧٤).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٧٢)، والدر المصون (٥/ ١٨٤).

(٣) زيادة من ب.

(٤) البيت لجرير، انظر: ديوانه (ص:٤٧٩)، والخصائص (٣/ ٤٢)، والدر المصون (٥/ ١٨٣)، واللسان (مادة: هيه) وفيه: "نحاوله" بدل "نواصله"، والقرطبي (١٢/ ١٢٢)، والطبري (١٨/ ٢٠)، وزاد المسير (٥/ ٤٧٢)، ومعاني الزجاج (٤/ ١٣)، ومعاني الفراء (٢/ ٢٣٥).

(٥) البيت للأحوص، وهو في: القرطبي (١٢/ ١٢٢)، وزاد المسير (٥/ ٤٧٢).

(٦) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٨-٣١٩)، والنشر (٢/ ٣٢٨).

وتأويل هيهات: البُعْد.

قال الزمخشري[١]: فإن قلت: "ما توعدون" هو المستبعد، ومن حقه أن يرتفع بـ"هيهات"، كما ارتفع في قوله:

فهيهاتَ هيهاتَ العقيقُ وأهلُهُ ....

فما هذه اللام؟

قلت: قال الزجاج في تفسيره[٢]: البعد لما توعدون، أو بعدٌ لما توعدون فيمن نوّن فنزَّلَه منزلة المصدر[٣].

وفيه وجه آخر: وهو أن تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد، كما جاءت اللام في ﴿هيت لك﴾ [يوسف:٢٣] لبيان المُهيَّتِ به.

وقال غير الزجاج والزمخشري: هيهات اسم لبَعُدَ، وبَعُدَ فعل ماض يحتاج إلى الفاعل، وفاعله مضمر تقديره: هيهات إخراجكم لوعدكم. وأنكر قول الزجاج فقال: لو كان هيهات في معنى البُعْد لم يجب بناؤه؛ لأن البعد معرَب، وإنما بُنِي

---

(١) الكشاف (٣/ ١٨٩).

(٢) انظر: الإغفال (ص:١١٢٣).

(٣) قال أبو حيان في البحر (٦/ ٣٧٤): وقول الزمخشري: فمن نوّنه نزّله منزلة المصدر ليس بواضح؛ لأنهم قد نوّنوا أسماء الأفعال، ولا نقول: إنها إذا نوّنت تنزلت منزلة المصدر. اهـ.

وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ١٨٣): قلت: الزمخشري لم يقل كذا، إنما قال: "فمن نوّنه نزّله منزلة المصدر" لأجل قوله: أو بُعْدٌ. فالتنوين علة لتقديره إياه نكرة لا لكونه منزّلاً منزلة المصدر، فإن أسماء الأفعال ما نوّن منها نكرة، وما لم ينوّن معرفة، نحو: صَهْ وصَهٍ، فقدّر الأول بالسكون، والثاني بسكوت ما. اهـ.

هيهات؛ لأنه [بمعنى][(١)] بعد، مثل: شتان ووشكان وسرعان.

قوله تعالى: ﴿إن هي﴾ ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه، وأصله: إن الحياة ﴿إلا حياتنا الدنيا﴾ والمعنى: لا حياة إلا هذه الحياة، ﴿نموت ونحيا﴾ أي: يموت بعض ويولد بعض، وينقرض قرن ويأتي قرن آخر.

وقيل: المعنى: نحيا ونموت؛ لأن الواو للجمع. ذكرهما الزجاج[(٢)].

والأول وجه الكلام.

﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً﴾ أي: ما هو إلا رجلٌ مفترٍ كاذبٌ على الله فيما يدّعيه من استنبائه له وفي دعوى البعث، ﴿وما نحن له بمؤمنين﴾ بمصدّقين فيما يقول.

﴿قال رب انصرني بما كذبون﴾ سبق تفسيره[(٣)].

﴿قال عما قليل﴾ قال الزجاج[(٤)]: معناه: عن قليل، و"ما" زائدة بمعنى التوكيد.

قال الزمخشري[(٥)]: "قليل" صفة للزمان، كقديم وحديث، في قولك: ما رأيته قديماً ولا حديثاً. وفي معناه: عن قريب، و"ما" توكيد لمعنى قلة المدة وقِصَرِها.

﴿ليصبحن نادمين﴾ على الكفر والتكذيب.

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ صيحة جبريل عليه السلام، صاح عليهم صيحة

---

(١) زيادة من ب.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣٤ ٤).

(٣) في الآية رقم ٢٦ من هذه السورة.

(٤) معاني الزجاج (٤/ ١٣).

(٥) الكشاف (٣/ ١٨٩).

فتصدعت قلوبهم ورجفت بهم الأرض فماتوا.

ومعنى قوله: ﴿بالحق﴾ بالاستحقاق أو بالعدل من الله، من قولك: فلان يقضي بالحق.

﴿فجعلناهم غثاء﴾ وهو ما يحمله السيل من الورق والعيدان. شبههم سبحانه وتعالى في دمارهم وتمزقهم وتفرق أوصالهم بالغُثَاء.

﴿فبعداً﴾ أي: بَعُدوا بُعْداً.

وقوله: ﴿للقوم الظالمين﴾ بيان لمن دُعِيَ عليه بالبُعْد.

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين﴾ يريد: قوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تَتْرَى﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "تترىً" بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين[1].

قال ابن قتيبة[2]: المعنى: تُتَابع بفتْرَةٍ بين كل رسولين، وهو من التواتر. والأصل: وَتْرَى، فقلبت الواو تاء.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٧-٤٨٨)، والكشف (٢/ ١٢٨)، والنشر (٢/ ٣٢٨)، والإتحاف (ص:٣١٩)، والسبعة (ص:٤٤٦).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٢٩٧).

قال الأصمعي: وَاتَرْتُ الخبر: أتْبَعْتُ بعضَه بعضاً، وبين الخبرين هُنَيَّة[١].

قال اللغويون: [ومما][٢] يضعه العامة غير موضعه قولهم: تَواتَرَتْ كُتبي إليك، يعنون: اتصلتْ من غير انقطاع، فيضعون التواتر في موضع الاتصال، وذلك غلط، إنما التواتر مجيء الشيء ثم انقطاعه ثم مجيئه. ومنه قول أبي هريرة: "لا بأس بقضاء رمضان تَتْرَى"، أي: مُتقطّعاً[٣].

وحجّة من لم يصرف أنه جعل ألفها للتأنيث، كالعَدْوى والدَّعْوى والذِّكْرى، ومن صَرَفَ قال[٤] الزجاج[٥]: معناه: وَتْراً، فأبدل التاء من الواو.

وقال أبو علي[٦]: جعله فَعْلَى من المواترة.

وقال المبرد: من قرأ "تترى" فهو مثل سَكْرى، ومن قرأ تتراً فهو مثل: شكوت شكواً[٧].

قوله تعالى: ﴿كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً﴾ قال مقاتل[٨]: يعني في العقوبة والإهلاك.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤/ ٣١١).

(٢) في الأصل: ومن. والتصويب من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧٤).

(٤) في ب: فقال.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٤).

(٦) الحجة (٣/ ١٨٢).

(٧) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٢٩٠).

(٨) تفسير مقاتل (٢/ ٣٩٧).

﴿وجعلناهم أحاديث﴾ قال أبو عبيدة[١]: يُتَمثّل بهم في الشر، ولا يقال في الخير: جعلته حديثاً.

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا﴾ وهي الدلائل الواضحة، ﴿وسلطان مبين﴾.

قال صاحب الكشاف[٢]: يجوز أن يراد بقوله: "وسلطان مبين" العصا؛ لأنها أم آيات موسى، وقد تعلقت بها معجزات شتى: من انقلابها حية، وتلقُّفِها ما أفكته السَّحَرة، وانفلاق البحر، وانفجار العيون من الحَجَر بضربهما بها، وكونها حارساً، وشمعة، وشجرة خضراء مُثمرة، ودَلْواً ورشاء، جُعلت كأنها ليست بعضها -يعني: بعض الآيات- لما استبدلت[٣] به من الفضل، فلذلك عُطفت عليها؛ كقوله: ﴿وجبريل وميكال﴾ [البقرة:٩٨].

ويجوز أن تراد الآيات أنفسها، أي: هي آيات وحُجَّةٌ بينة.

﴿إلى فرعون وملإه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين﴾ متطاولين على الناس،

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٥٩).

(٢) الكشاف (٣/ ١٩١).

(٣) في ب: استبدّت.

قاهرين لهم بالبغي والظلم.

﴿فقالوا﴾ تعظيماً وتكبراً عليهما ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ خاضعون مطيعون.

﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾ بالغرق. وقد سبق ذكره في البقرة.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ يعني: التوراة، أعطيها دفعة واحدة بعد غرق فرعون.

قال الزمخشري[١]: المعنى: ولقد آتينا قوم موسى الكتاب، كما قال: ﴿على خوف من فرعون وملإهم﴾ [يونس:٨٣] يريد: آل فرعون، وكما يقولون: هاشم، وثقيف، وتميم.

ولا يجوز أن يرجع الضمير في ﴿لعلهم يهتدون﴾ إلى فرعون وملإه؛ لأن التوراة إنما أوتيها بنوا إسرائيل بعد إغراق فرعون وملإه.

قلتُ: ولا حاجة به إلى هذا التعسف؛ لأن الضمير في: "لعلهم يهتدون" يرجع إلى قوله: "وقومهما"، على أنه غير مُنْكَر في القرآن والكلام الفصيح الكناية عن غير مذكور؛ كقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر:١]، و ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ [ص:٣٢]، وقوله تعالى: ﴿إذا بلغت التراقي﴾ [القيامة:٢٦].

وقد سبق الكلام على قوله تعالى: ﴿على خوف من فرعون وملإهم﴾ [في][٢] يونس[٣].

---

(١) الكشاف (٣/ ١٩١).

(٢) في الأصل: وفي. والتصويب من ب.

(٣) عند الآية رقم: ٨٣.

وهاشم وثقيف وتميم أسماء للقبائل؛ كعاد وثمود، ولذلك امتنعت من الصَّرْف.

وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠

قوله تعالى: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ وقرأ ابن مسعود: "آيتين"[١]. وقد سبق القول عليه في آخر الأنبياء[٢].

﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ قرأ ابن عامر وعاصم: "رَبْوَةٍ" بفتح الراء، وضمَّها الباقون[٣]. وهكذا اختلافهم في قوله: ﴿كمثل جنة بربوة﴾ في البقرة [٢٦٥]، وقد ذكرنا اشتقاقها وما فيها من اللغات ثمَّة.

﴿ذات قرار ومعين﴾ أي: ذات موضع قرار.

قال قتادة: ذات ثمار وماء[٤].

والمعنى: أنها مستوية منبسطة يستقر عليها ساكنوها، "ومعين": وهو الماء الجاري على وجه الأرض الظاهر لعين الناظر، ومنه قول جرير:

إن الذين غَدَوْا بليل غَادَرُوا   وَشَلاً بعينِكَ ما يَزَالُ مَعِينا[٥]

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٧٥).

(٢) آية رقم: ٩١.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٨)، والنشر (٢/ ٢٣٢)، والإتحاف (ص:٣١٩)، والسبعة (ص:٤٤٦).

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وعبد الرزاق وابن جرير وابن عساكر.

(٥) البيت لجرير من قصيدة يهجو بها الأخطل. انظر: ديوانه (ص:٤٧٦)، واللسان (مادة: وشل)، =

قال ابن قتيبة[١]: سُمي معيناً؛ لأنه جارٍ من العين.

وقال بعضهم: يجوز أن يكون فعيلاً من [المَعْن][٢]، مشتقاً من الماعون. قال الزجاج[٣]: وهذا بعيد؛ لأن المَعْن في اللغة: الشيء القليل[٤]، والماعون هو الزكاة، وهو فاعول من المعْن. وإنما سميت الزكاة بالشيء القليل؛ لأنه يؤخذ من المال رُبْعَ عُشْرِه، فهو قليل من كثير. قال الراعي:

قوم على الإسلام لمَّا يَمْنَعُوا مَاعُونَهم ويُبَدِلُّوا التنزيلا[٥]

واختلفوا في موضع هذه الربوة؛ فقال عبد الله بن سلام وسعيد بن المسيب ومقاتل[٦]: دمشق[٧].

وقال قتادة وكعب: بيت المقدس[٨].

= والبحر المحيط (٦/ ٣٦٤)، والدر المصون (٥/ ١٩٠)، والماوردي (٤/ ٥٦). وفيهم: غدوا بلُبِّكَ.

(١) انظر: تفسير غريب القرآن (ص:٢٩٧).

(٢) في الأصل: المعين. والتصويب من ب.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ١٥).

(٤) انظر: اللسان (مادة: معن).

(٥) البيت للراعي النميري من لاميته المطولة التي قدمها لعبدالملك، انظر البيت في: اللسان (مادة: هلل) وفيه: "ويضيعوا التهليلا" بدل: "ويبدلوا التنزيلا"، ومادة: (معن).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٣٩٨).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٤٠٩)، والطبري (١٨/ ٢٦) كلاهما عن سعيد بن المسيب. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٠١) وعزاه لابن عساكر عن عبدالله بن سلام. ومن طريق آخر عن سعيد بن المسيب، وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني.

(٨) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٠٠) وعزاه لعبد بن حميد =

وعن ابن عباس والحسن كالقولين[١].

وقال أبو هريرة والسدي: أرض فلسطين[٢].

وقال وهب بن منبه وابن السائب: مصر[٣]. والله تعالى أعلم.

قال ابن عباس ووهب: كان الملك أراد قتل عيسى عليه السلام ففرّت به أمه[٤].

قال ابن عباس: ثم رجعت به إلى أهلها بعد اثنتي عشرة سنة[٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسل﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور المفسرين:

=

وعبدالرزاق وابن جرير وابن عساكر عن قتادة.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٦) عن أبي هريرة. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٠١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي نعيم وابن عساكر عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٦) عن سعيد بن المسيب. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن عساكر عن وهب بن منبه.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧٦).

(٥) مثل السابق.

المراد بالرسل هاهنا: محمد ﷺ[١]، وهو على مذهب العرب في مخاطبة الجميع.

قال صاحب الكشاف[٢]: هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما، وكيف والرسل إنما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة. وإنما المعنى: الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به؛ ليعتقد السامع أن أمراً نودي له جميع الرسل ووُصُّوا به، حقيق أن يؤخذ به.

والمراد بالطيبات: ما حلَّ وطاب[٣].

وقيل: المراد بها: ما يُستطابُ ويُستلذُّ من المآكل. ويؤيد هذا القول مناسبته لقوله: ﴿إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾.

قوله تعالى: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ قرأ أهل الكوفة: "وإن" بكسر الهمزة على الاستئناف، وفتحها الباقون، غير أن ابن عامر خفَّف النون على إرادة التشديد[٤]، كقوله: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله﴾ [يونس:١٠].

قال أبو علي[٥]: هو في قول الخليل وسيبويه[٦] محمول على الجار، والتقدير: ولأن هذه أمتكم أمة واحدة، ﴿وأنا ربكم فاتقون﴾ أي: اتّقون لهذا، ومثل ذلك

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧٧).

(٢) الكشاف (٣/ ١٩٢).

(٣) في هامش ب: في مسند الإمام أحمد في حديث لأبي هريرة ذكر فيه الاحتطاب، وقال في آخره: ((ولأن يأخذ تراباً فيجعله في فيه خير له من أن يجعل في فيه حراماً)).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٨)، والكشف (٢/ ١٢٩)، والنشر (٢/ ٣٢٨)، والإتحاف (ص:٣١٩)، والسبعة (ص:٤٤٦).

(٥) الحجة (٣/ ١٨٣).

(٦) انظر: الكتاب (٣/ ١٢٦-١٢٧).

عندهم قوله: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً﴾ [الجن:١٨] المعنى: ولأن المساجد لله.

وعلى هذا التقدير تحمل قراءة ابن عامر، ألا ترى أن "أن" إذا خففت اقتضت ما يتعلّق به اقتضاؤها، وهي غير مخفّفة[١]، والتخفيف حسن في هذا؛ لأنه لا فعل بعدها ولا شيء مما يلي "أن"، فإذا كان كذلك كان تخفيفها حسناً، ولو كان بعدها فعلٌ لم يحسُن حتى تُعوَّض السين أو "سوف" أو "قد" أو "لا" إذا كان في نفي.

والآية مفسرة في سورة الأنبياء[٢].

قوله تعالى: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً﴾ وقرأ ابن عباس: "زُبَراً" بفتح الباء[٣].

وقرأ ابن السميفع بإسكان الباء[٤].

قال الزجاج[٥]: من ضَمَّ الباء فتأويله: جعلوا دينهم كُتُباً مختلفة، وهذا جمع زَبُور [وزُبُر][٦]. ومن فتح الباء أراد: قِطَعاً.

قال الزمخشري[٧]: و"زُبْراً" مخففة الباء، كَرُسْل في رسول[٨].

---

(١) في ب: محققة.

(٢) آية رقم: ٩٢.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٧٨).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٦).

(٦) في الأصل: وزبرة. والتصويب من ب، ومن معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٧) الكشاف (٣/ ١٩٣).

(٨) في ب: رسل.

قال الكلبي: يعني: مشركي العرب واليهود والنصارى تفرقوا أحزاباً[١].

﴿كل حزب بما لديهم﴾ أي: بما عندهم من الدين ﴿فرحون﴾ راضون، ظناً منهم أنه الحق.

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فذرهم في غمرتهم﴾ قال قتادة: في ضلالتهم[٢].

قال الكلبي: في جهلهم[٣].

وقال ابن شجرة: في حيرتهم[٤].

وكل ذلك في معنى واحد.

وأصله: الماء الذي يَغْمُرُ القامة، فضُربت مثلاً لما هم مغمُورون فيه من الضلالة والجهالة والحيرة.

﴿حتى حين﴾ قال ابن عباس: يريد: نزول العدل بالسيف أو بالموت[٥].

قال الكلبي: هو خارج مخرج الوعيد، كما يقول المتوعّد: لك يوم.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٣١) عن مجاهد. وذكره الماوردي (٤/ ٥٧)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٢) بلا نسبة، والسيوطي في الدر (٦/ ١٠٣) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٥٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٢) بلا نسبة.

(٤) مثل السابق.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٢).

وقيل: هي منسوخة بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال﴾ وقرأ عكرمة: "يُمِدُّهُم" بالياء[١]، أي: ما نعطيهم من مال ﴿وبنين﴾.

﴿نسارع لهم في الخيرات﴾ بذلك الإمداد ونجعله مجازاة لهم وثواباً، لا ﴿بل﴾ هو استدراج لهم أو ﴿لا يشعرون﴾ أنه شر لهم أو اختبار لهم.

وقرأ عبدالرحمن بن أبي بكرة: "يُسَارِعُ لهم"[٢] إمدادنا في الخيرات، أو يسارع الله لهم في الخيرات.

وروي عنه: "يُسارَع" بالياء أيضاً وفتح الراء، على ما لم يُسَمَّ فاعله[٣]. والأولى قراءة ابن عباس وعكرمة، والرواية الثانية قراءة معاذ القارئ وأبي المتوكل.

إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ خائفون وَجِلُون من عذابه.

﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ قال ابن عباس: يُصَدِّقُون بالقرآن أنه من

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٧٩).

(٢) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ١٩٢)، والبحر (٦/ ٣٧٨)، وزاد المسير (٥/ ٤٧٩).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

عند الله[١].

﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ أي: لا يعبدون معه غيره، ولا يجعلون معه شريكاً.

﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ أي: يعطون ما أعطوا من نفقة أو صدقة، ﴿وقلوبهم وَجِلَة﴾ خائفة أن لا يُتقبل منهم.

قال مجاهد: المؤمن ينفق ماله وقلبه وَجِل[٢].

وقال الحسن: المؤمن جَمَعَ إحساناً وشفقة، والمنافق جمع إساءة وأَمْناً[٣].

وقرأ النبي ﷺ أيضاً: "يَأْتُونَ ما أَتَوْا" بالقصر، من المجيء، وهي قراءة عائشة وابن عباس وقتادة والأعمش[٤].

قال الزجاج[٥]: كلاهما جيد بالغ. فمن قرأ: "ما آتَوْا" فمعناه: يُعْطُون ما أعطوا وهم يخافون أن لا يتقبل منهم وقلوبهم خائفة؛ لأنهم ﴿إلى ربهم راجعون﴾ أي: إنهم يوقنون بالرجوع إلى الله تعالى.

ومن قرأ: "ما أَتَوْا" بالقَصْر، أي: يعملون الخيرات وقلوبهم خائفة يخافون أن يكونوا مع اجتهادهم مُقصِّرين.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٢-٢٩٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٠٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٠٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٠٦) وعزاه لسعيد بن منصور وابن مردويه عن عائشة عن النبي ﷺ. وانظر: الدر المصون (٥/ ١٩٢).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٦-١٧).

وقد أخرج الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: « يا رسول الله! الذين يؤتون ما أتوا هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا ابنة الصديق، ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون أن لا يتقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات »[1].

وفي هذا الحديث ترجيح لقراءة عائشة رضي الله عنها.

ومعنى قوله: ﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ يبادرون إلى الأعمال الصالحة رغبة فيها لخوفهم وصحة علمهم برجوعهم إلى من يجازيهم على أعمالهم.

ويجوز أن يراد بمسارعتهم في الخيرات: ما أنعم به عليهم في عاجل الدنيا من الإعزاز والإكرام وحسن الثناء بين الناس، كما قال تعالى: ﴿وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [العنكبوت:٢٧]، وقال الله تعالى: ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة﴾ [آل عمران:١٤٨].

قوله تعالى: ﴿وهم لها سابقون﴾ قال الفراء والزجاج[2]: المعنى: وهم إليها سابقون.

وقال الزمخشري[3]: المعنى: فاعلون السبق لأجلها، أو سابقون الناس لأجلها، أو إياها سابقون، أي: ينالونها قبل الآخرة حيث عجّلت لهم في الدنيا، ويجوز أن يكون "لها سابقون" خبراً بعد خبر.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٧ ح٣١٧٥).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٣٨)، ومعاني الزجاج (٤/ ١٧).

(٣) الكشاف (٣/ ١٩٥).

ومعنى: "وهم لها" كمعنى قوله: أنتَ لها أحمدُ من بين البَشَر[١].

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ الآية تتضمّن الإيذان بأن هذا الذي وصف به عباده المؤمنين غير خارج عن حدّ الوُسع والطاقة، وأن ما عملوه من الأعمال الصالحة [محفوظ][٢] عنده مُثبت في ﴿كتاب ينطق بالحق﴾ وهو اللوح المحفوظ.

وقيل: صحائف الأعمال.

﴿وهم لا يظلمون﴾ بالنقصان من حسناتهم ولا بالزيادة على سيئاتهم.

ثم عاد إلى الإخبار عن الكفار فقال: ﴿بل قلوبهم في غمرة من هـذا﴾ أي: في غفلة غامرة لها من هذا الذي وُصِفَ به المؤمنون من أعمال البِرِّ.

وقيل: هذا إشارة إلى الكتاب.

وقيل: إلى القرآن.

---

(١) لم أقف على قائله، واستشهد به اتحاد المعنى بين قوله تعالى: ﴿وهم لها﴾ وبين هذا القول. انظر: الدر المصون (٥/ ١٩٤).

(٢) في الأصل: يحفظ. والتصويب من ب.

﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ قال ابن عباس: أعمال سيئة دون الشرك[١].

وقال مجاهد: خطايا دون الحق[٢].

قال ابن جرير[٣]: من دون أعمال المؤمنين وأهل التقوى والخشية.

﴿هم لها عاملون﴾ وقال الزجاج[٤]: أخبر الله تعالى عما سيكون منهم، فأعلم أنهم سيعملون أعمالاً تُباعِدُ من الله تعالى غير الأعمال التي ذكروا بها.

قال الواحدي[٥]: وعلى هذا القول إجماع المفسرين وأصحاب المعاني.

قوله تعالى: ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب﴾ قال الزمخشري[٦]: "حتى" هذه التي يبتدأ بها الكلام، والكلام: الجملة الشرطية، والعذاب: قتلهم يوم بدر، أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مُضَر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»[٧]، فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيفَ والكلابَ والعظام المحترقة والقِدَّ[٨] والأولاد.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٨١)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٠٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٦)، ومجاهد (ص:٤٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٠٧) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٣٥).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ١٨).

(٥) الوسيط (٣/ ٢٩٤).

(٦) الكشاف (٣/ ١٩٥-١٩٦).

(٧) أخرجه البخاري (١/ ٢٧٧ ح٧٧١)، ومسلم (١/ ٤٦٦ ح٦٧٥).

(٨) القِدّ: جلد السخلة الماعزة (الغريب للخطابي ١/ ٦٨٦).

﴿إذا هم يجأرون﴾ أي: يضجّون[1] مستغيثين بالله.

﴿لا تجأروا اليوم﴾ على إضمار القول، أي: يقال لهم: لا تجأروا اليوم ﴿إنكم منا لا تنصرون﴾ أي: إنكم من عذابنا لا تُمنعون.

وقيل: المعنى: إنكم لا تُغاثون ولا تُنصرون من جهتنا.

ثم ذكر السبب المقتضي لذلك فقال: ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ وهذا مَجازٌ عن تأخرهم عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿مستكبرين به﴾ نصب على الحال[2]، والضمير في "به" كناية عن البيت الحرام شرفه الله تعالى في قول عامة المفسرين[3]، وكانوا يفتخرون به ويقولون: نحن أهل الحرم وجوار الله تعالى وسَدَنَةُ بيته، فلا يظهر علينا أحد، فيكون كناية عن غير مذكور.

قال صاحب الكشاف[4]: والذي سَوَّغَ هذا الإضمار: شهرتهم بالاستكبار بالبيت.

ويجوز أن يرجع الضمير إلى "آياتي"، إلا أنه ذكّر لأنها في معنى: كتابي.

ومعنى استكبارهم بالقرآن: تكذيبهم به استكباراً.

قوله تعالى: ﴿سامراً﴾: نصب على الحال[5].

---

(١) في ب: يصيحون.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٥١)، والدر المصون (٥/ ١٩٥).

(٣) انظر: الطبري (١٨/ ٣٨-٣٩)، والوسيط (٣/ ٢٩٤)، والدر المنثور (٦/ ١٠٨).

(٤) الكشاف (٣/ ١٩٦).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ١٥١)، والدر المصون (٥/ ١٩٥).

قال ابن قتيبة[(١)]: أي: يتحدَّثُون ليلاً، والسَّمَرُ: حديث الليل[(٢)].

قال أبو عبيدة[(٣)]: معناه: تَهْجُرون سُمَّاراً، والسَّامِر بمعنى السُّمَّار، بمنزلة طفل في موضع أطفال.

وفي قراءة ابن مسعود: "سُمَّاراً تهجُرون"[(٤)].

وقرأ نافع: "تُهْجِرُون" بضم التاء وكسر الجيم[(٥)]، من أهْجَرَ يُهْجِرُ؛ إذا أفْحَشَ في منطقه وهَذَى[(٦)]. وهي قراءة ابن عباس.

وقرأ جماعة، منهم أبو العالية وعكرمة وعاصم [الجحدري][(٧)]: "تُهجِّرون" بضم التاء أيضاً وكسر الجيم وتشديدها مع فتح الهاء[(٨)]، على المبالغة في معنى الإهْجَار، والقراءة المشهورة إما أن تكون من الهِجْران، وهو قول ابن عباس في رواية العوفي[(٩)].

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٢٩٨).

(٢) انظر: اللسان (مادة: سمر).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٦٠).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٨٣)، والدر المصون (٥/ ١٩٥).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٩)، والكشف (٢/ ١٢٩)، والنشر (٢/ ٣٢٩)، والإتحاف (ص:٣١٩)، والسبعة (ص:٤٤٦).

(٦) انظر: اللسان (مادة: هجر).

(٧) في الأصل: والجحدري. والتصويب من ب.

(٨) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٨٣)، والدر المصون (٥/ ١٩٦).

(٩) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٠). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٨٣).

قال الحسن: تَهْجُرون كتاب الله ونبيه[١].

وقال أبو صالح: تَهْجُرون البيت[٢].

وقال سعيد بن جبير: كانت قريش تَسْمُرُ حول البيت وتفتخر به ولا تطوف به[٣].

وإما أن يكون من الهُجْر، وهو قول القبيح، يقال منه: هَجَرَ يَهْجُرُ هُجْراً وأهْجَرَ يُهْجِرُ إهْجَاراً، وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والكلبي[٤]، وكان عامة سَمَرِهِم ذكر القرآن والنبي ﷺ بالطعن فيهما.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ۝٧٠ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ۝٧١ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٤١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٠٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٨٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٨٣)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٠٩) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٠-٤١). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٨٣)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٠٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد.

ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿أفلم يدبروا القول﴾ يعني: القرآن، فيعرفوا ما فيه من البيان الدال على صدقه في نفسه وصدق المرْسَل به.

[وفي][1] قوله: ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ وجهان:

أحدهما: أنه استفهام في معنى التوبيخ والتقرير.

قال ابن عباس: يريد: أليس قد أرسلنا نوحاً وإبراهيم والنبيين إلى قومهم، فكذلك بعثنا محمداً إلى قومه[2].

فعلى هذا؛ المراد بآبائهم: إسماعيل وأعقابه من عدنان وقحطان.

ويروى عن النبي ﷺ: ((لا تسبُّوا مُضَرَ ولا ربيعة، فإنهما كانا مُسْلِمَين))[3]، و((لا تَسُبُّوا الحارث بن كعب، ولا أسد بن خزيمة، ولا تميم بن مرة، فإنهم كانوا على الإسلام [وما شككتم فيه من شيء فلا تَشُكُّوا في أن تُبَّعاً كان على الإسلام][4]))[5].

الثاني: أن "أمْ" بمعنى: "بلْ"، تقديره: بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين، فلذلك أنكروه وكذبوه، كقوله: ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾ [يس:٦].

---

(١) في الأصل: في. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٤).

(٣) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٥٢٩).

(٤) زيادة من ب، والكشاف (٣/ ١٩٧).

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ١٩٧).

وقيل: معنى الآية: أفلم يدبروا القول فيخافوا عند تَدَبُّر أقاصيصه ومواعظه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين، أم جاءهم من الأمن ما لم يأت آباءهم.

قوله تعالى: ﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ معناه: أم لم يعرفوا رسولهم محمداً ﷺ وصحة نسبه وكرم عنصره ورجاحة عقله وظهور صدقه وأمانته ﴿فهم له منكرون﴾.

والمقصود من هذه الآية: تقريعهم وتوبيخهم بالإعراض عنه بعدما عرفوا ذلك منه.

﴿أم يقولون به جِنّة﴾ أي: جنون، وكانوا رموه بذلك بهتاناً وعناداً حين لم يجدوا للحق الذي جاءهم به مدفعاً، ﴿بل جاءهم بالحق﴾ الذي لا تخفى صحته، ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾.

قال صاحب الكشاف[1]: إن قلت قوله: "وأكثرهم" فيه أن أقلّهم كانوا لا يكرهون الحق؟

قلت: كان فيهم من يترك الإيمان به أَنَفَةً واستنكافاً من توبيخ قومه وأن يقولوا: صَبَأَ وترك دين آبائه، لا كراهة للحق، كما يُحكى عن أبي طالب.

فإن قلت: يزعم بعض الناس أن أبا طالب صَحَّ إسلامه؟

قلتُ: يا سبحان الله! كأن أبا طالب كان [أخمل][2] أعمام رسول الله ﷺ، حتى يشتهر إسلام حمزة والعباس، ويخفى إسلام أبي طالب.

قوله تعالى: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ قال مجاهد وأبو صالح وابن جريج:

---

(١) الكشاف (٣/ ١٩٧-١٩٨).

(٢) في الأصل: أجمل. والتصويب من ب، ومن الكشاف (٣/ ١٩٨).

الحق: هو الله تعالى[1].

والمعنى: لو جعل الله مع نفسه شريكاً كما يُحبّون ويهوون، ﴿لفسدت السموات والأرض﴾، وهذا المعنى ينظر إلى قوله: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء:٢٢].

وقال الفراء والزجاج[2]: يجوز أن يكون المراد بالحق: القرآن، على معنى: لو نزل ما يحبون لفسدت السموات والأرض ومن فيهن.

﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ أي: بالكتاب الذي هو ذكرهم وشرفهم.

وقيل: المعنى: أتيناهم بذكرهم الذي كانوا يتمنونه في قولهم: ﴿لو أن عندنا ذكراً من الأولين * لكنا عباد الله المخلصين﴾ [الصافات:١٦٨-١٦٩].

﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾ قال ابن عباس: يريد: تولّوا عما جاء به من شرف الدنيا والآخرة[3].

قوله تعالى: ﴿أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خير﴾ قرأ حمزة والكسائي: "خراجاً فخراج ربك" بالألف فيهما. وقرأهما ابن عامر بغير ألف. وقرأ الباقون: "خَرْجاً" بغير ألف "فخراج" بالألف[4].

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٢-٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١١٠) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي صالح.

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٣٩)، ومعاني الزجاج (٤/ ١٩).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٨٤) بلا نسبة.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٩-٤٩٠)، والكشف (٢/ ١٣٠)، والنشر (٢/ ٣١٥)، والإتحاف (ص:٣٢٠)، والسبعة (ص:٤٤٧).

قال أبو عبيدة[١]: العبد يؤدي إليك خَرْجه، أي: غلّته، والرعية تؤدي إلى الأمير الخرج، [والخرج][٢] أيضاً من السحاب، ومنه [نُرى][٣] اشتُقّ هذا أجمع، قال أبو ذؤيب:

إذا هَمَّ بالإقلاع هَبَّتْ له الصَّبا وأعقَبَ نُوءٌ بعدها وخُرُوج[٤]

قال[٥]: وزعم أبو عمرو الهذلي أنه سُمي خَرْجاً وخُروجاً؛ للماء الذي يخرج منه.

قال أبو علي الفارسي[٦]: وفيما حكاه أبو عبيدة من قوله: الرعية تؤدي إلى الأمراء الخَرْج؛ دلالة على قراءة من قرأ: ﴿خَرْجاً [فخرْجُ][٧] ربك﴾، فكأن الخَرْج يقع على الضريبة التي على الأرضين وعلى الجزية.

وحكى غير أبي عبيدة: أدّ خَرْج رأسك، والخَرْج: ما يَخْرُجُ إلى من يَخْرج ذلك إليه وإن لم يكن ضريبة. ويدل على ذلك قراءة: ﴿فهل نجعل لك خرجاً﴾ [الكهف:٩٤].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٦١).

(٢) في الأصل: والخروج. والتصويب من ب، ومن مجاز القرآن، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: ترى. والمثبت من ب.

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، انظر: ديوانه (ص:٥٢)، واللسان (مادة: خرج، نشأ)، وشرح أشعار الهذليين (ص:١٢٩)، وتهذيب اللغة (٧/ ٤٨، ١١/ ٤١٩)، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية (٢/ ١٨)، وروايته فيه وفي اللسان: "فعاقب نشء" بدل: "وأعقب نوء".

(٥) أي: أبي عبيدة في المجاز.

(٦) الحجة (٣/ ١٨٤-١٨٥).

(٧) في الأصل و ب: فخراج. والمثبت من الحجة (٣/ ١٨٥).

وقد يقع على هذا [الخراج][(١)] بدلالة قول العجاج[(٢)]:

يومُ خَرَاجٍ يُخْرِجُ السَّمَرَّجَا[(٣)]

فهذا ليس على الضريبة، والاسم الأخص بالضريبة المضروبة على الأرضين الخراج، قال:

طَرْحُوا الدُّورَ بالخَرَاجِ [فأضْحَتْ][(٤)] مثلَ ما امتدَّ من عَمَايَةَ نِيقُ[(٥)]

فمعنى هذا: بأموال الخراج، وإذا كان كذلك فقول ابن كثير ومن تبعه: "خرجاً فخراج ربك" معناه: أنك لا تسألهم شيئاً يُخرجونه إليك، كما قال: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر﴾ [الفرقان:٥٧]، ﴿فخراج ربك﴾ كأنه أضافه إلى الله تعالى؛ لأنه أوجبه وألزمه هذه الأشياء من الحقوق في الأرضين وجزى الرؤوس، فلهذا قال: ﴿فخراج ربك﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: "خراجاً فخراج ربك خير"، قولهما: "فخراج ربك" بيّن على ما قد تقدم، و"خراج" الذي قرأه غيرهما "خَرْجاً" قد جاء فيه الخراج أيضاً، بدلالة قول العجاج. هذا آخر كلام أبي علي.

---

(١) زيادة من ب، والحجة (٣/ ١٨٥).

(٢) الرجز للعجَّاج، وبعده:

في ليلة تغشي الصوار المحرجا سحّاً أهاضيب وبرقاً مُرعِجا

انظر: ديوانه (٢/ ٢٥-٢٦)، واللسان (مادة: شمرج)، وتهذيب اللغة (١/ ٣٦٤)، وديوان الأدب (٢/ ٢٨٧)، والعين (١/ ٢٢٤)، والحجة للفارسي (٣/ ١٨٥).

(٣) السّمرج: استخراج الخراج في ثلاث مرات، فارسي معرب. (انظر: اللسان، مادة: سمرج).

(٤) في الأصل: فأصبحت. والتصويب من ب، والحجة (٣/ ١٨٥). وانظر: مصادر البيت.

(٥) سيأتي معنى البيت قريباً.

قال الزمخشري[١]: الوجه: أن الخَرْج أخص من الخَراج، كقولك: خراج القرية، وخَرْج الكَرْدَة، زيادة اللفظ لزيادة المعنى. ولذلك حسنت قراءة من قرأ: "خرجاً فخراج ربك" معنى: أم تسألهم على هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق، فالكثير من عطاء الخالق خير. قلت: والسَّمرّج: جباية الخراج[٢].

ومعنى قول الآخر: طَرْمَحُوا الدور: علّوا البناء وأطالوه[٣]، ومنه: الطرمّاح.

وعَمايَة: جبل من جبال هذيل. والنِّيق: أرفع موضع في الجبل[٤].

ومعنى الآية: أم تسألهم على تبليغ الرسالة والإنقاذ من الضلالة أجراً ومالاً. وقد سبق القول فيه في آخر الكهف[٥].

﴿وهو خير الرازقين﴾ أفضل من أعطى ورزق، لسلامة رزقه من الانقطاع والآفات المنغصة من المن والأذى، وكون التضرع إلى الله تعالى في طلب الرزق فضيلة، وإلى غيره رذيلة، ولقد أحسن أمية بن أبي الصلت في قوله:

عطاؤكَ زينٌ لامرئ إن حَبَوْتَه ... بسيْبٍ وما كُلُّ العَطَاء يَزين

وليسَ بِشَيْنٍ لامرئ بذلُ وجهه ... إليكَ كما بعْضَ السؤال يَشين[٦]

قوله تعالى: ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ وهو كتاب الله تعالى، ودين

(١) الكشاف (٣/ ١٩٩).

(٢) انظر: اللسان (مادة: سمرج).

(٣) انظر: اللسان (مادة: طرح).

(٤) انظر: اللسان (مادة: نيق).

(٥) عند الآية رقم: ٩٤.

(٦) البيتان لأمية بن أبي الصلت يمدح عبدالله بن جدعان، انظر: المثل السائر لابن الأثير (٢/ ٣٦٠)، وصبح الأعشى (٢/ ٢٠٥)، ومكارم الأخلاق للقرشي (١/ ١٤١).

الإسلام.

﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط﴾ أي: عن هذا الصراط المستقيم ﴿لناكبون﴾ لعادلون عنه.

۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ يريد: الجوع الذي أصاب أهل مكة سبع سنين بدعاء رسول الله ﷺ عليهم.

قال ابن عباس رضي الله عنه: جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه ذلك، فنزلت هذه الآية والتي بعدها[١].

قوله تعالى: ﴿لَلَجُّوا في طغيانهم يعمهون﴾ أي: لتمادوا في تمرّدهم في كفرهم يتحيرون، ولذهب عنهم ترقُّقُهم بين يديك وتملُّقُهم إليك.

قال صاحب الكشاف[٢]: ثم استشهد على ذلك بأنا أخذناهم أولاً بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسْرِهم، [فما][٣] وُجِدَتْ منهم بعد

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٤١٣)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٧٠)، والحاكم (٢/ ٤٢٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والطبري (١٨/ ٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١١١) وعزاه للنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) الكشاف (٣/ ٢٠٠).

(٣) في الأصل: فلما. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

ذلك استكانة ولا تَضَرُّع، حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من الأسر والقتل وهو أَطَمُّ العذاب، فأُبلِسُوا وخضعت رقابهم، وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد يستعطفك.

وقال غيره: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ هو الجوع والضر الذي أصابهم، ﴿فما استكانوا لربهم﴾ أي: ما تواضعوا لربهم وما انقادوا، ﴿وما يتضرعون﴾ يرغبون إليه في الدعاء.

واختلفوا في "استكانوا"؛ فقيل: هو استفعل من السُّكُون، والمعنى: ما طلبوا الكَوْن على صفة الخضوع.

وقيل: هو من السُّكُون، إلا أن الفتحة أُشْبِعَتْ، فنشأت منها ألف فصار: اسْتَكَانَ، وهو على هذا: افتعلوا. قال الشاعر في إشباع الفتحة:

فأنتَ من الغوائلِ حين تُرْمَى ... ومنْ كَرَم الرِّجال بمنْتَزَاح[1]

أي: بمُنْتَزَح.

قوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾ متعلق بما قبله، على معنى: ولقد أخذناهم بكل عذاب ومحنّاهم بكل محنة، فما [وُجد][2] منهم خضوع ولا رجوع، حتى إذا فتحنا عليه باباً ذا عذاب شديد، وهو عذاب جهنم، ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾ آيِسُون من كل خير.

---

(١) البيت لابن هرمة يرثي ابنه، وهو في: اللسان (مادة: نزح، نجد)، وفيه: "ذم" بدل "كرم"، وروح المعاني (٩/ ١٩٤، ١٢/ ٢٢٨، ١٨/ ٥٦)، وفيه مثل اللسان "ذم" بدل "كرم".

(٢) في الأصل: وجدنا. والمثبت من ب.

وقد سبق ذكره في الأنعام[١].

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: "مُبْلَسُون" بفتح اللام[٢].

وقال ابن عباس: العذاب الشديد: ما أصابهم من القتل والأسر يوم بدر[٣].

وقال مقاتل[٤]: هو الجوع الذي أصابهم.

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ أي: خلق لكم هذه الآلات لتُعْمِلُوها في آياته وعجائب مخلوقاته، ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أي: تشكرون شكراً قليلاً، و"ما" مزيدة للتوكيد.

وقيل: غير ذلك، وقد أشرنا إليه فيما مضى.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض﴾ أي: خلقكم وبثّكم فيها

---

(١) عند الآية رقم: ٤٥.

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٨٦)، والدر المصون (٥/ ١٩٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٥٤)، والطبري (١٨/ ٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١١٢) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن مردويه.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠١). وهذا القول هو اختيار الطبري.

للتناسل، ﴿وإليه تحشرون﴾ يوم القيامة فيجمعكم بعد فُرْقَتِكُم لفصل القضاء، ويرجعكم بعد تمزقكم لأجل الجزاء.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ أي: هو المختص به خلْقاً وتَصَرُّفاً على مقتضى الحكمة والصواب ومصلحة العباد، ﴿أفلا تعقلون﴾ هذه الآيات الباهرة والعجائب الظاهرة لا تنفعل إلا عن قدرة قادر وحكمة حكيم.

﴿بل قالوا﴾ يعني: مشركي قريش ﴿مثل ما قال الأولون﴾، ثم بين ذلك فقال: ﴿قالوا أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون﴾ وقد ذكرنا في سورة الرعد[١] اختلاف القرّاء في لفظ الاستفهامين، وأشرنا إلى علل القراءات، فاطلبه ثمّة.

قوله تعالى: ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا﴾ يعنون: البعث ﴿من قبل﴾ أي: من قبل محمد، ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ مفسر في الأنعام[٢].

ومقصودهم: أن ما وُعدوا به من البعث أمرٌ لا حقيقة له.

قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

---

(١) عند الآية رقم: ٥.

(٢) عند الآية رقم: ٢٥.

قوله تعالى: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها﴾ أي: قل يا محمد للمكذبين بالوحدانية والبعث: لمن الأرض ومن فيها من الخلق على تصاريف أجناسهم وأنواعهم خلقاً ومُلْكاً ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أن لها خالقاً ومالكاً ﴿سيقولون لله﴾ لا يجدون بُداً من الإقرار بذلك. ﴿قل أفلا تذكرون﴾ فتعلمون أن من فَطَرَ الأرض ومن فيها من الخلق قادر على إعادته، وحقيق أن لا يُشرك به.

﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ أي: الكريم على الله، أو العظيم في الخلق، فإن السموات والأرض بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، ﴿سيقولون الله﴾.

قرأ أبو عمرو: "الله" بألف في هذه والتي بعدها على ما يقتضيه اللفظ من جواب السؤال، وكذلك هو في مصحف أهل البصرة، وقرأهما الباقون: "سيقولون لله"[(١)].

وكذلك هو في سائر المصاحف نظراً إلى المعنى؛ لأن معنى من رب السموات: لمن السموات، فقال: لله، كما يقال: من مالك هذه الدار؟ فيقال: لزيد؛ لأن معناه: لمن هذه الدار، وكذلك: ﴿من بيده ملكوت﴾ معناه: لمن الأشياء كلها؟ فقيل: لله، وأنشدوا:

إذا قيلَ من رَبُّ المزالِفِ والقُرَى ... وربُّ الجياد الجرْد قيل لخالد[(٢)]

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٠)، والكشف (٢/ ١٣٠)، والنشر (٢/ ٣٢٩)، والإتحاف (ص:٣٢٠)، والسبعة (ص:٤٤٧).

(٢) انظر البيت في: القرطبي (١٢/ ١٤٦)، والنسفي (٣/ ١٢٩)، وروح المعاني (١٨/ ٥٨).
والمزالف: هي البلاد التي بين الريف والبرّ (اللسان، مادة: زلف).

ولا خلاف بين القراء السبعة في الموضع الأول أنه بغير ألف لاتفاق المصاحف على ذلك ومطابقة اللفظ له.

وقد قرأ[١] جماعة منهم سعيد بن جبير: "سيقولون الله" بألف أيضاً[٢]، وكذلك في الموضعين الآخرين نظراً إلى المعنى في الموضع الأول، وإلى اللفظ في [الآخرين][٣].

قال أبو علي الأهوازي: وهو في مصاحف أهل البصرة بألف فيهن، وأنشدوا في هذا المعنى قول الشاعر:

فقال السائلونَ لمنْ حَفَرْتُم　　　فقالَ المُخْبِرُون لهمْ وزير[٤]

فنظروا في الجواب إلى المعنى؛ لأن المعنى: من الميت؟ فقالوا: وزير، أي: هو وزير.

﴿قل أفلا تتقون﴾ أي: قل لهم يا محمد إذا اعترفوا: أفلا تخشون الله وتخافون وتحذرون عقوبته.

﴿قل من بيده ملكوت كل شيء﴾ ملكه وخزائنه، والتاء مزيدة للمبالغة؛ كالجَبَرُوت والرَّهَبُوت. وقد سبق ذلك.

﴿وهو يجير﴾ أي: يمنع ويغيث من يشاء ممن يشاء، ﴿ولا يجار عليه﴾ أي: لا

---

(١) في ب: قرأه.

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٨٧).

(٣) في الأصل: الأخيرين. والمثبت من ب.

(٤) انظر البيت في: الطبري (١/ ٦١، ١٨، ٤٨)، والقرطبي (٨/ ١٣٦)، وروح المعاني (١٨/ ٥٨).

يمنع منه أحد، تقول: أجرتُ فلاناً؛ إذا حميتَه، وأجرتُ على فلان؛ إذا حميتَ عنه[١].

قوله: ﴿قل فأنى تسحرون﴾ قال ابن قتيبة[٢]: تُخْدَعون وتُصْرَفون عن هذا.

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

قوله: ﴿بل أتيناهم بالحق﴾ وهو التوحيد، ﴿وإنهم لكاذبون﴾ في دعواهم لله ولداً ومعه شريكاً، ثم نفاهما عنه فقال: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله﴾. ثم أقام على ذلك برهاناً قاطعاً وقال: ﴿إذاً لذهب كل إله بما خلق﴾ أي: لاستبدَّ وانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه.

﴿ولَعَلا بعضهم على بعض﴾ بالقهر والغلبة والاستيلاء، كما تشاهدون حال ملوك الدنيا.

قال الزمخشري[٣]: فإن قلت: "إذاً" لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب، فكيف وقع قوله: "لذهب" جزاء وجواباً ولم يتقدمه شرط ولا [سؤال][٤] سائل؟

قلت: الشرط محذوف، تقديره: ولو كان معه آلهة، وإنما حذف لدلالة قوله:

---

(١) انظر: اللسان (مادة: جور).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٢٩٩).

(٣) الكشاف (٣/ ٢٠٣).

(٤) في الأصل: سؤا. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

"وما كان معه من إله" عليه.

ثم نزّه نفسه عما وصفوه به من الأنداد والأولاد فقال: ﴿سبحان الله عما يصفون﴾.

قوله تعالى: ﴿عَالِمِ الغيب والشهادة﴾ قرأ نافع وأهل الكوفة إلا حفصاً: "عَالِمُ" بالرفع، أي: هو عالم. وقرأ الباقون بالجر[1]، جعلوه صفة لله في قوله: ﴿سبحان الله عما يصفون﴾.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قل رب إما تريني ما يوعدون * رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ الفاء في قوله: "فلا تجعلني" جواب الشرط. وقوله: "رب" اعتراض بين الشرط [والجزاء][2] بالنداء[3].

قال صاحب الكشاف[4]: "ما" والنون مؤكدتان، أي: إن كان لا بد من أن

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩١)، والكشف (٢/ ١٣١)، والنشر (٢/ ٣٢٩)، والإتحاف (ص:٣٢٠)، والسبعة (ص:٤٤٧).

(٢) في الأصل: وجزاء. والتصويب من ب.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٥٢)، والدر المصون (٥/ ١٩٩-٢٠٠).

(٤) الكشاف (٣/ ٢٠٣).

تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة "فلا تجعلني" قريناً لهم ولا تعذبني[(١)] بعذابهم.

قال الحسن: أخبره الله تعالى أن له في أمته [نقمة][(٢)] ولم يخبره أفي حياته أم بعد موته، فأمره أن يدعو بهذا الدعاء[(٣)].

فإن قلت: كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين، حتى يطلب أن لا يجعله معهم؟

قلتُ: يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله، وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله؛ إظهاراً للعبودية وتواضعاً لربه وإخباتاً له، واستغفاره ﷺ إذا قام من مجلسه سبعين أو مائة مرة لذلك[(٤)]. وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر رضي الله عنه: «وُلّيتكم ولست بخيركم»[(٥)]: كان يعلم أنه خيرهم، ولكن[(٦)] المؤمن يهضم نفسه[(٧)].

---

(١) في ب: تعدني.

(٢) في الأصل: نعمة. والتصويب من ب، ومن الكشاف (٣/ ٢٠٣).

(٣) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٣٠) بلا نسبة، والآلوسي في روح المعاني (١٨/ ٦١).

(٤) أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» (٥/ ٢٣٢٤ ح٥٩٤٨).

وأخرج مسلم في صحيحه عن الأغر المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «... وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» (٤/ ٢٠٧٥ ح٢٧٠٢).

(٥) أخرجه معمر في جامعه (١١/ ٣٣٦).

(٦) في ب: لكن.

(٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣٥٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٠٤).

ثم أخبر أنه قادر على ذلك بقوله: ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾.

ثم أمره بالصبر إلى انقضاء الأجل المضروب لعذابهم فقال: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ قال ابن عباس: ادفع بلا إله إلا الله الشرك[١].

وقال الحسن: ادفع إساءة المسيء بالصفح[٢].

وبعض المفسرين يقول: هذه منسوخة بآية السيف[٣]، كأنه أمره بالإعراض عن المشركين والصفح والتجاوز عن أذاهم حتى ينقضي الأجل المضروب لهم.

والصحيح: أنها محكمة؛ لأنها حضت على المداراة، والمداراة مشروعة ما لم تُفْضِ إلى ارتكاب محظور في الدين، أو إزراء بمروءة.

﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ من الكفر والتكذيب، وأقدر على مجازاتهم، ومع ذلك لم يعاجلهم بالعقوبة. فجدير بك سلوك سبيل المحاسنة.

قوله تعالى: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ الهمز في اللغة: الدفع[٤]. وهمزات الشياطين: دفعهم المكلفين بالإغواء إلى المعاصي وإغراؤهم بها بالتحسين والتزيين.

قال الزجاج[٥]: واحد الهمزات: هَمْزَة، وهو مسُّ الشيطان، ويجوز أن تكون نَزَغَات الشيطان.

---

(١) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٣٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٣٨٧) بلا نسبة.

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٦٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٨٩).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٨٩). وانظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٢٩)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٤٦)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٠٣).

(٤) انظر: اللسان (مادة: همز).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٢١).

ونَزْغُ الشيطان: وسوسته حتى يشتغل عن أمر الله.

﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ أي: يشهدون في شيء من أموري. كأنه أمر أن يسأل ربه العصمة من الشيطان أن يناله بسوء.

وقال ابن عباس: أن يحضرون عند تلاوة القرآن[١].

وقال عكرمة: عند النزع[٢]. كأنه أمر بالاستعاذة منهم خوفاً من النـزغ عنـد النزع.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠﴾

قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت﴾ قال الزمخشري[٣]: "حتى" تتعلق بـ:"يصفون"، أي: لا يزالون على سوء الذِّكر إلى هذا الوقت.

والآية فاصلة بينهما على وجه الإعراض[٤] والتأكيد للإغضاء عنهم، مستعيناً بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم، أو على قولـه: ﴿وإنهم لكاذبون﴾ [الأنعام:٢٨].

﴿قـال رب ارجعـون﴾ أي: رُدُّوني إلى الـدنيا. والخطـاب لله بلفـظ الجمـع للتعظيم، كما قال:

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٦٦) من قول الكلبي، وأبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٣٨٧) مـن قول ابن عباس.

(٢) ذكره الآلوسي في روح المعاني (١٨/ ٦٢)، والزمخشري في الكشاف (٣/ ٢٠٤).

(٣) الكشاف (٣/ ٢٠٥).

(٤) في الكشاف: الاعتراض.

فإنْ شِئْتُ حرَّمتُ النساءَ سِواكُم .... [١]

وقيل: استغاث أولاً بالله، ثم رجع إلى مسألة الملائكة، وهذا مروي عن [ابن][٢] جريج[٣].

وقال المازني: جمع الضمير ليدل على التكرار، فكأنه قال: رب ارجعن رب ارجعن رب ارجعن.

والمعنى: أن الكافر إذا أيقن بالموت واطَّلع على حقيقة الأمر، أدركته الحسرة والندامة على ما فرّط في جنب الله، وسأل ربه أن يرجعه ليستدرك ما فاته من الإيمان والأعمال الصالحة، فذلك قوله: ﴿لعلي أعمل صالحاً﴾.

قال ابن عباس: لعلي أشهد أن لا إله إلا الله[٤].

قال قتادة: أما والله ما تمنى أن يُرْجَعَ إلى أهل ولا عشيرة، ولكنه تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أُمْنِيَةَ الكافر فاعملوا فيها[٥].

---

(١) صدر بيت للعرجي، وعجزه: (وإن شئت لم أطْعَم نُقاخاً ولا بَرْداً). انظر: ديوانه (ص:١٠٩)، واللسان (مادة: نقخ، برد)، وزاد المسير (٢/ ٤٢٠، ٩/ ٨)، وروح المعاني (٢/ ١٧٠، ١٨/ ٦٣، ٣٠/ ١٦)، والدر المصون (١/ ٦٠٤، ٥/ ٢٠٠)، والبحر المحيط (٢/ ٢٧٣، ٦/ ٣٨٨)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٠٥).

(٢) زيادة من ب.

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٤٩)، وأبو حيان في البحر (٦/ ٣٨٨).

(٤) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، باب ما جاء في فضل الكلمة الباقية (ح ٢٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١١٥) وعزاه للبيهقي في الأسماء والصفات.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٨).

وقوله: ﴿فيما تركت﴾ قال ابن عباس: فيما مضى من عمري[1].

وقال مقاتل[2]: فيما تركت من العمل الصالح.

وقيل: فيما تركت من المال[3].

﴿كلا﴾ أي: لا يرجع إلى الدنيا.

وقيل: هو رَدْعٌ عن طلب الرجعة.

﴿إنها﴾ يعني: مسألته الرجعة ﴿كلمة هو قائلها﴾ أي: كلمة هو يقولها ولا فائدة له فيها.

وقيل: المراد بالكلمة: الطائفة من الكلام المنتظم بعضه مع بعض، وهي قوله: ﴿لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت﴾، هو قائلها لا محالة لا يسكت عنها؛ لاستيلاء الحسرة عليه، وتسليط الندم.

﴿ومن ورائهم برزخ﴾ أي: ومن أمامهم وبين أيديهم برزخ.

قال الزجاج[4]: البرزخ في اللغة: الحاجز، وهو هاهنا ما بين موت الميت وبعثه.

قال الزمخشري[5]: أي: أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة ﴿إلى يوم يبعثون﴾، وليس المعنى: أنهم يُرجعون يوم البعث، إنما هو إقناط كُلِّي لما عُلم أنه لا رجعة يوم

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٩٠).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٤).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٥٠).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢٢).

(٥) الكشاف (٣/ ٢٠٥).

البعث إلا إلى الآخرة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور﴾ سبق ذكر الصُّور في الأنعام[١].

واختلفت الرواية عن ابن عباس في هذه النفخة، هل هي الأولى التي هي نفخة الموت[٢]، أو نفخة البعث[٣].

فإن قلنا: هي النفخة الأولى؛ فلا إشكال حينئذ في قوله: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾؛ لأن الموت حال بينهم وبين التساؤل.

وإن قلنا: هي النفخة الثانية؛ كان المعنى: فلا أنساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها، على ما عليه عادة العرب، لا يتساءلون كما يتساءل العرب في الدنيا: من أي قبيل أنت، وابنُ من أنت، وولوعهم بذلك أظهر من أن يُشْهر.

ومن أعجب ما طرق سمعي لهم في ذلك، ما روي: أن رجلاً من بني سعد دخل على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: ممن الرجل؟ فقال من الذين

---

(١) عند الآية رقم: ٧٣.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١١٦-١١٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وفيه من وجوه فانظره.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٩٠).

يقول لهم الشاعر:

إذا غَضِبَتْ عليكَ بنو تميم حسبتَ الناسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

فقال(١): من أيّهم أنت؟ قال: من الذين يقول لهم القائل:

يزيدُ بنو سعدٍ على عَدَدِ الحَصَا وأثقَلُ من وزْنِ الجبالِ حُلُومُها

فقال(٢): فمن أيّها أنت؟ قال: من الذين يقول لهم الشاعر:

ثيابُ بني عوفٍ طَهَارَى نقيّة وأوجُهُهُم عند المَشَاهِدِ غُرَّان

قال: من(٣) أيّهم أنت؟ قال: من الذين يقول فيهم الشاعر:

فلا وأبيكَ ما ظَلَمتْ قُرَيعٌ بأنْ يَبْنُوا المكارمَ حيثُ شَاؤُوا

قال: فمن أيّهم أنت؟ قال: من الذين يقول لهم الشاعر:

قومٌ هُمُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهُم ومن يُسوِّي بأنفِ الناقةِ الذَّنَبَا

فقال له عبد الملك: اجلس لا جلستَ، فوالله لقد خِفْتُ أن تفخر عَلَيَّ.

فعلى هذا المعنى: لا يتساءلون يوم القيامة؛ لأنهم في شغل عن ذلك. قال الله تعالى: ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ [عبس:٣٧].

وقيل: المعنى: فلا أنساب بينهم يومئذ يتعاطفون بها لتفرقهم في المثوبة والعقوبة، فإنه لا اعتداد في ذلك اليوم إلا بالأعمال الصالحة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «كل سبب ونسب يوم القيامة منقطع إلا سببي ونسبي»(٤).

---

(١) في ب: قال.

(٢) مثل السابق.

(٣) في ب: فمن.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٤٥ ح٢٦٣٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٧٣): رجاله =

فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ [الصافات:٢٧]؟

قلتُ: يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، ففيه أزمنة مختلفة وأوقات متغايرة يتساءلون في وقت، ويشغلهم ما خامرهم من الأهوال والشدائد عن السؤال في وقت.

قرأت على قاضي القضاة أبي صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبدالقادر الجيلي الحنبلي، أخبرتكم شهدة بنت أحمد بن الفرج الإبَري فأقرّ به قالت: أخبرنا أبو الفضل محمد بن عبد السلام الأنصاري، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي البرقاني قال: قرأتُ على أبي العباس بن حمدان، حدَّثكم محمد بن إبراهيم بن [سعيد][1] البوشنجي[2]، حدثنا أبو يعقوب يوسف بن عدي[3]،

= ثقات، والحاكم (٣/ ١٥٣ ح٤٦٨٤) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والمقدسي في الأحاديث المختارة (١/ ١٩٧ ح١٠١) وقال: إسناده حسن، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٦٤ ح١٣١٧٢).

(١) في الأصل: سعد. والصواب ما أثبتناه، انظر ترجمته في التعليق التالي.

(٢) محمد بن إبراهيم بن سعيد بن عبد الرحمن بن موسى العبدي، أبو عبد الله البوشنجي الفقيه المالكي، ولد سنة أربع ومائتين، ارتحل شرقاً وغرباً ولقي الكبار، وجمع وصنّف وسار ذكره وبَعُد صيته، مات في آخر يوم من سنة تسعين ومائتين بنيسابور (سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٨١-٥٨٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٧-٦٥٩).

(٣) يوسف بن عدي بن زريق بن إسماعيل، ويقال: بن الصلت بن بسطام التيمي مولاهم، أبو يعقوب الكوفي، ثقة، سكن مصر، وذهب إليها في التجارة ومات بها في ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٦٧، والتقريب ص:٦١١).

حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي[1]، عن زيد بن أبي أنيسَة[2]، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: « جاء رجل فقال: يابا عباس، إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ، وقد وقع ذلك في صدري، فقال ابن عباس: أتكذيب؟ فقال الرجل: ما هو بتكذيب ولكن اختلاف. قال: فهَلُمَّ ما وقع في نفسك؟ فقال له الرجل: أسْمَعُ الله يقول: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ وفي آية أخرى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾، وقال في آية أخرى: ﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾ [النساء:٤٢]، وقال في آية أخرى: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام:٢٣]، فقد كتموه في هذه الآية. وفي قوله: ﴿أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها﴾ [النازعات:٢٧-٣٠]، فذكر في هذه الآية خلق السماء قبل الأرض، وقال في الآية الأخرى: ﴿أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت:٩-١١]، فذكر في هذه الآية[3] خلق الأرض قبل السماء، وقوله: ﴿كان الله غفوراً رحيماً﴾ [النساء:٩٦]، ﴿وكان الله

(١) عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد الأسدي مولاهم، أبو وهب الجزري الرقي، ثقة صدوق، مات سنة ثمانين، وهو ابن ست وسبعين سنة (تهذيب التهذيب ٧/ ٣٨، والتقريب ص:٣٧٣).

(٢) زيد بن أبي أنيسة واسمه زيد الجزري، أبو أسامة الرهاوي، كان يسكن الرها ومات بها، وكان ثقةً كثير الحديث، فقيهاً راويةً للعلم، مات سنة تسع عشرة ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٣٤٣، والتقريب ص:٢٢٢).

(٣) ساقط من ب.

عزيزاً حكيماً﴾ [النساء:١٥٨]، ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾ [النساء:١٣٤]، كأنه كان ثم تقَضَّى؟ فقال ابن عباس: هات ما في نفسك من هذا؟ فقال السائل: إذا أنبأتني بهذا فحسبي. قال ابن عباس: قوله: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ فهذا في النفخة الأولى ينفخ في الصور، فصَعِقَ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون، فإذا كانت النفخة الأخرى قاموا فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون.

وأما قول الله تعالى: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ وقوله: ﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾ فإن الله تبارك وتعالى يغفر يوم القيامة لأهل الإخلاص ذنوبهم لا يتعاظم عليه ذنب أن يغفره، ولا يغفر شِرْكاً، فلما رأى المشركون ذلك قالوا: إن ربنا يغفر الذنوب ولا يغفر شِرْكاً، تعالَوْا نقول: إنا كنا أهل ذنوب ولم نكن مشركين، فقال الله: أما إذا كتموا الشرك فاخْتموا على أفواههم، فيُخْتَمُ على أفواههم فتنطِقُ أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون. فعند ذلك عرف المشركون أن الله لا يكتم حديثاً[١]، فذلك قوله: ﴿يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها﴾ فإنه خلق الأرض في يومين قبل خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم نزل إلى الأرض فدحاها، ودحْيها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقّ فيها الأنهار، وجعل فيها

---

(١) في ب: ذنباً.

السبل، وخلق الجبال والرمال والأكوام وما فيها في يومين آخرين، فذلك قوله: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾، وقوله: ﴿أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾ فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وجعلت السماوات في يومين.

وأما قوله: ﴿كان الله غفوراً رحيماً﴾، ﴿وكان الله عزيزاً حكيماً﴾، ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾ فإن الله جعل نفسه ذلك وسمَّى نفسه ذلك، ولم ينحله أحداً غيره، "وكان الله" أي: لم يزل كذلك.

ثم قال ابن عباس: احفظ عني ما حدّثتك، واعلم أن ما اختلف عليك من القرآن أشباه ما حدّثتك به، فإن الله تعالى لم ينزل شيئاً إلا قد أصاب به الذي أراد، ولكن الناس لا يعلمون، فلا يختلفن عليك القرآن، فإن كلاً من عند الله »[١]. هذا حديث ذكره البخاري في كتابه بأن قال: وقال المنهال بن عمرو فذكره.

وقد سبق ذكر الميزان في أول الأعراف[٢].

قوله تعالى: ﴿في جهنم خالدون﴾ بدل من قوله: ﴿خسروا أنفسهم﴾، أو خبر بعد خبر لـ"أولئك"، أو خبر مبتدأ محذوف[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨١٥-١٨١٦ ح٤٥٣٧)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٤٥-٢٤٦ ح١٠٥٩٤).

(٢) آية رقم: ٨.

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٢٠٦). وانظر: الدر المصون (٥/ ٢٠٢).

وقال أبو حيان في البحر (٦/ ٣٨٨): جعل "في جَهَنَّمَ" بدلاً مِنْ "خَسِرُواْ" وهذا بدل غريب، وحقيقته: أن يكون البدل الفعل الذي يتعلّق به "في جَهَنَّمَ"، أي: استقروا في جهنم، وهو بدل شيء

قوله تعالى: ﴿تلفح وجوههم النار﴾ أي: تَسْفَعُ وتُحْرِقُ، يقال: لَفَحَتْهُ النار؛ إذا أحرقتْه[(١)].

قال الزجاج[(٢)]: اللَّفْحُ والنَّفْحُ واحد، إلا أن اللَّفْحُ أعظم تأثيراً.

﴿وهم فيها كالحون﴾ قال الزجاج[(٣)]: الكالِحُ: الذي قد تَشَمَّرَتْ شفتاه عن أسنانه، نحو ما يُرى برُؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمَّرَت الشِّفَاه.

قال مالك بن دينار: كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مَرَّ في السوق برأس أُخرج من التنور، فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن.

قرأتُ على أبي المجد محمد بن الحسين القزويني، أخبركم محمد بن أسعد العطاري فأقرّ به، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا ابن أبي توبة، أخبرنا محمد بن أحمد الحارثي، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا عبدالله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن سعيد بن يزيد، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: تشويه النار، فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه،

=

من شيء؛ لأن من خسر نفسه استقر في جهنم. اهـ.

وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٢٠٢): جعل الشيخ -يعني أبو حيان- الجار والمجرور، البدل دون "خالدون"، والزمخشري جعل جميع ذلك بدلاً، بدليل قوله بعد ذلك: "أو خبراً بعد خبر لأولئك، أو خبر مبتدأ محذوف". وهذان إنما يلتقيان بـ"خالدون" وأما "في جهنم" فمتعلق به، فيحتاج كلام الزمخشري إلى جواب، وأيضاً فيصير "خالدون" مفلتاً. اهـ.

(١) انظر: اللسان (مادة: لفح).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٣).

(٣) معاني الزجاج، الموضع السابق.

وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سُرَّتَه »[١].

قال [الترمذي][٢]: هذا حديث حسن غريب.

قلتُ: وقد أخرجه الحاكم في صحيحه[٣].

وبهذا الإسناد قال: حدثنا ابن المبارك، عن حاجب بن [عمر][٤]، عن الحكم بن الأعرج قال: قال أبو هريرة: « يعظم الكافر في النار مسيرة سبع ليال، [فيصير][٥] ضرسه مثل أُحُد، وشفاههم عند [سُرَرِهم][٦]، سُودٌ زُرقٌ حُبْن مقبوحون »[٧].

قال البغوي: الحبن جمع الأحبن، وهو العظيم البطن، ويقال للذي به السقي: أحبن، وأم حبين: دويبة على خلقة الحرباء عريضة البطن[٨].

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٨ ح٢٥٨٧)، وأحمد (٣/ ٨٨ ح١١٨٥٤)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٣١٨).

(٢) في الأصل و ب: البغوي. وهو خطأ. وانظر الترمذي، الموضع السابق.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٢٨ ح٣٤٩٠).

(٤) في الأصل و ب: عمرو. والتصويب من مصادر التخريج. وانظر ترجمته في: التقريب (ص:١٤٤)، وتهذيب الكمال (٥/ ٢٠٢).

(٥) زيادة من البغوي (٣/ ٣١٨).

(٦) في الأصل: رؤوسهم. والتصويب من ب، ومن البغوي، الموضع السابق.

(٧) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص:٨٤ ح٢٩٣)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٣١٨).

(٨) انظر: اللسان (مادة: حبن).

فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾

قوله تعالى: ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ قرأ حمزة: "شَقَاوتُنا" بألف مع فتح الشين، وكذلك قرأ الحسن وقتادة إلا أنهما كسرا الشين[1]. وقرأ الباقون: "شِقْوَتُنا" بكسر الشين من غير ألف[2]. وكذلك قرأ عمرو بن العاص وأبو رزين وأبو رجاء إلا أنهم فتحوا الشين[3].

والمعنى في الجميع واحد، وهو سوء العاقبة.

ومعنى: "غلبت علينا": مَلَكَتْنا "شقوتنا" التي كتبت علينا في الدنيا.

﴿وكنا قوماً ضالين﴾ عن طريق الهدى.

﴿ربنا أخرجنا منها﴾ أي: من النار.

قال ابن عباس: طلبوا الرجوع إلى الدنيا[4].

﴿فإن عدنا﴾ إلى الكفر والمعاصي ﴿فإنا ظالمون﴾.

قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٩٢)، والدر المصون (٥/ ٢٠٣).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩١)، والكشف (٢/ ١٣١)، والنشر (٢/ ٣٢٩)، والإتحاف (ص:٣٢٠)، والسبعة (ص:٤٤٨).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٩٢).

(٤) ذكره القرطبي (١٢/ ١٥٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٩٢).

صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾

﴿قال اخسأوا فيها﴾ قال الزجاج[١]: "اخسأوا" تباعَدُوا تَبَاعُدَ سَخَط، يقال: خَسَأْتُ الكلب أَخْسَؤُهُ؛ إذا زجرْته ليتباعد[٢].

[وبالإسناد][٣] السابق آنفاً قال: حدثنا ابن المبارك، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة يذكره، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: « إن أهل النار يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يَرُدُّ عليهم: إنكم ماكثون، قال: هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك، ثم يدعون ربهم فيقولون: غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال: فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يرد عليهم: اخسؤوا فيها ولا تكلمون. قال: فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم، فشبه أصواتهم بأصوات الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق »[٤].

قوله: "ما نبس القوم بعدها"، أي: ما تكلموا بكلمة. ويجوز: نَبَّسَ بالتشديد.

قال الحسن البصري رحمه الله: هو آخر كلام يتكلم به أهل النار، ثم لا يتكلمون بعدها إلا الشهيق والزفير، ويصير لهم عواء كعواء الكلب، لا يَفْهَمُون

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٤).

(٢) انظر: اللسان (مادة: خسأ).

(٣) في الأصل: بالإسناد. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٨ ح٣٤١٢٢)، وهناد في الزهد (١/ ١٥٨ ح٢١٤)، والطبري (٢٥/ ٩٩)، والحاكم (٢/ ٤٢٩ ح٣٤٩٢) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ولا يُفْهِمُون[١].

وقال القرظي: إذا قيل لهم: اخسؤوا فيها ولا تكلمون، انقطع رجاؤهم ودعاؤهم، وأقبل بعضهم يصيح في وجه بعض، وأُطبقت عليهم[٢].

ثم بيّن السبب الموجب لذلك فقال: ﴿إنه كان فريق من عبادي﴾ وفي حرف ابن مسعود وأبيّ: "أنه" بفتح الهمزة[٣]، على معنى: لأنه كان فريق من عبادي.

قال ابن عباس: يريد: المهاجرين[٤].

﴿يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخرياً﴾ قرأ نافع وحمزة والكسائي: "سُخرياً" بضم السين هنا وفي صاد[٥]. وكسرها الباقون في الموضعين[٦]، وهو اختيار الفراء والزجاج[٧].

واتفقوا على ضم السين في الزخرف[٨]، يقال منه: سَخِرَ به وسَخِرَ منه يَسْخَرُ سُخْرِيَةً وسُخْرِياً وسِخْرِياً؛ إذا هَزِئَ به، ومن السُّخْرَة التي هي بمعنى العبودية:

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٣١٨) عن الحسن، وأبو حيان في البحر (٦/ ٣٨٩) بلا نسبة.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٩).

(٣) انظر قراءة ابن مسعود وأبيّ في: زاد المسير (٥/ ٤٩٣)، والدر المصون (٥/ ٢٠٣).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٩٣).

(٥) عند الآية رقم: ٦٣.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩١-٤٩٢)، والكشف (٢/ ١٣١)، والنشر (٢/ ٣٢٩)، والإتحاف (ص:٣٢١)، والسبعة (ص:٤٤٨).

(٧) انظر: معاني الفراء (٢/ ٢٤٣)، ومعاني الزجاج (٤/ ٢٤).

(٨) آية رقم: ٣٢.

سُخرْياً، بالضم لا غير، [ولذلك][(١)] اتفقوا على ضم السين في الزخرف؛ لأنه من السُّخْرَة[(٢)].

قال الخليل وسيبويه في هذا الموضع وفي صاد: هما لغتان بمعنى واحد، ومثله: بحرٌ لِجّي ولُجي، وكوكب دِري ودُري[(٣)].

وقال أبو عبيدة[(٤)]: الكسرة بمعنى: الهزء، والضم بمعنى: السُّخرة والاستعباد. وهذا المعنى مروي عن الحسن وقتادة[(٥)].

وقال أبو علي[(٦)]: قراءة من كَسَرَ أرجح؛ لأنه من الهزء، والأكثر في الهزء؛ كسر السين.

قال مقاتل[(٧)]: كان رؤوس الكفار من قريش؛ كأبي جهل، وعتبة، والوليد، قد اتخذوا فُقراء أصحاب رسول الله ﷺ؛ كعمار، وبلال، وخبّاب، وصهيب، سخرياً يستهزئون بهم ويضحكون منهم.

﴿حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون﴾ أي: حتى نسيتم ذكري؛ لاشتغالكم [بالسخرية][(٨)] منهم وبالضحك.

---

(١) في الأصل: وكذلك. والتصويب من ب.

(٢) انظر: اللسان (مادة: سخر).

(٣) انظر قول الخليل وسيبويه في: زاد المسير (٥/ ٤٩٣).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٦٢).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٩٣).

(٦) الحجة (٣/ ١٨٧).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٥).

(٨) في الأصل: بالسخرة. والتصويب من ب.

ونسب الإنساء إلى عباده المؤمنين وإن لم يفعلوه؛ لكنهم السبب في ذلك، كقوله تعالى: ﴿إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾ [إبراهيم:٣٦].

﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ على أذاكم واستهزائكم ﴿أنهم هم الفائزون﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: "إنهم" بكسر الهمزة على الاستئناف[1]. ومن فَتَحَ الهمزة جعله المفعول الثاني لـ"جزيتهم"، أو هو على تقدير حذف اللام، أي: لأنهم هم الفائزون.

قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾

﴿قال كم لبثتم﴾ أي: قال الله تعالى، أو قال من أمره الله بسؤال الكافرين يوم البعث، وقيل: بعد حصولهم في النار.

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: "قل" على الأمر[2]، على معنى: قل أيها الكافر المسؤول عن قدر لبثه، أو قل أيها المَلَكُ للكفار: كم لبثتم.

﴿في الأرض﴾ يعني: في الدنيا، وقيل: في القبور، ﴿عدد سنين﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٢)، والكشف (٢/ ١٣١-١٣٢)، والنشر (٢/ ٣٢٩-٣٣٠)، والإتحاف (ص:٣٢١)، والسبعة (ص:٤٤٨-٤٤٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٣)، والكشف (٢/ ١٣٢)، والنشر (٢/ ٣٣٠)، والإتحاف (ص:٣٢١)، والسبعة (ص:٤٤٩).

قال الزجاج[١]: "كم" في موضع نصب بقوله: "كم لبثتم"، و"عدد سنين" منصوب بـ"كَمْ".

﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ استقصروا مدة لبثهم في القبور، وإن كانوا معذَّبين؛ لأن عذابهم فيها بالنسبة إلى عذاب الآخرة كلا عذاب.

أو نقول على القول الأول: استقصروا مدة الحياة؛ لأنها أيام راحتهم، وأيام السرور قِصَار. أو لأن ما تقضّى من الزمان كأن لم يكن.

﴿فاسأل العادّين﴾ قال مجاهد: هم الملائكة الذي يحفظون أعمال بني آدم ويُحْصُونها عليهم[٢].

وقال قتادة: هم الحُسَّاب[٣].

وقرأ الحسن البصري والزهري: "العَادِين" بالتخفيف[٤]، على معنى: سَلِ الظَّلَمَةَ الفَجَرَة فإنهم يقولون كما نقول.

وقُرِئ: "العاديِّين"[٥] القدماء المعمِّرين، فإنهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم؟.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٣)، ومجاهد (ص:٤٣٥) مختصراً، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥١٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٢٢) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥١١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٢١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٩٥)، والدر المصون (٥/ ٢٠٥).

(٥) انظر هذه القراءة في: الكشاف (٣/ ٢٠٨)، والبحر المحيط (٦/ ٣٩١) نقلاً عن الزمخشري.

﴿قال إن لبثتم﴾ أي: قال الله.

وقرأ حمزة: "قل" على الأمر[١]، أي: قل أيها المَلَكُ السائل، أو الكافر المسؤول إن لبثتم في الدنيا أو في القبور ﴿إلا قليلاً﴾ زمناً قليلاً، وسُمِّي قليلاً؛ لتناهيه، فإن كل متناه قليل وإن طال.

﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ أي: لو علمتم مقدار لبثكم. وفي هذا دليل على جهلهم مقدار لبثهم.

قال ابن عباس: أنساهم الله تعالى قدر لبثهم، فَيُرَوْنَ أنهم لم يلبثوا إلا يوماً أو بعض يوم؛ لعظيم ما هم بصدده من العذاب نسوا ذلك[٢].

قوله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ العَبَثُ: اللِعبُ وفعل الشيء لا لغرض صحيح. ونصبه على الحال، على معنى: عابثين، وهو اختيار سيبويه، أو هو مفعول لأجله، أي: للعبث[٣].

قال ابن [عباس][٤]: كما خُلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب [عليها][٥].[٦].

﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ الأظهر أنه معطوف على "أنما خلقناكم"، ويجوز أن

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٣)، والكشف (٢/ ١٣٢)، والنشر (٢/ ٣٣٠)، والإتحاف (ص:٣٢١)، والسبعة (ص:٤٤٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٠).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٥٢)، والدر المصون (٥/ ٢٠٥).

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: علينا. والتصويب من ب.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٠).

يكون معطوفاً على "عبثاً"، على معنى: [للعبث][1] ولترككم غير مرجوعين[2].

قوله تعالى: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ أي: تعظّم وارتفع عما يصفه الجاهلون عن الشريك والولد. "الملك الحق" أي: الملك الثابت الذي لا يزول مُلْكُه، أو الحق الذي يحق له الملك.

﴿لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ أي: السرير الحسن، والكريم في صفة الجماد بمعنى: الحسن.

وقيل: وصَفَ العرش بالكرم؛ لأن الرحمة تنزل منه والخير والبركة.

وقيل: لنسبته إلى أكرم الأكرمين، كما يقال: بيت كريم؛ إذا كان ساكنوه كراماً.

وقرأ ابن محيصن: "الكريمُ" بالرفع[3]، صفة للرب عز وجل، ونحوه: ﴿ذو العرش المجيد﴾ [البروج:١٥].

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

ثم توعد المشركين وهددهم فقال: ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر ... الآية﴾.

وقوله: ﴿لا برهان له به﴾ صفة لازمة، إذ ليس في الآلهة ما يقوم عليه برهان. ويجوز أن يكون اعتراضاً بين الشرط والجزاء[4].

---

(١) في الأصل: اللعب. والتصويب من ب، والكشاف (٣/ ٢٠٨).

(٢) هو قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٢٠٨).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٠).

(٤) ذكر هذين الوجهين الزمخشري في الكشاف (٣/ ٢٠٩). قال أبو حيان في البحر (٦/ ٣٩١): وكلاهما تخريج صحيح.

﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ المعنى: هو الذي يتولى حسابه وجزاؤه. ويا له من تهديد ما أعظمه، وتخويف ما أفخمه.

﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ افتتح سبحانه السورة ببشارة المؤمنين بالفلاح وختمها ببشارة الكافرين بعدم الفلاح، فشتّان ما بين البشارتين.

ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يطلب منه المغفرة والرحمة لنفسه وللمؤمنين فقال: ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾.

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي أربع وستون آية، وهي مدنية بإجماعهم.

أخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه، أخبرنا عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد [النيسابوري][1]، أخبرنا الأستاذ أبو [منصور][2] البغدادي، أخبرنا محمد بن الحسن بن أحمد السراج، حدثنا محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي، حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي، حدثنا شعيب [بن][3] إسحاق الدمشقي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((لا تُنزلوهن الغُرَفَ، ولا تُعلموهن الكتابة، وعلموهن الغَزْلَ وسورة النور -يعني: النساء-))[4]. هذا حديث صحيح[5]، أخرجه الحاكم في

---

(١) في الأصل: النيسابري. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: منصر. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: عن. والتصويب من ب. وكذا وردت في الموضع التالي. وانظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٤/ ٣٠٤)، والتقريب (ص:٢٦٦).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣٠ ح٣٤٩٤).

(٥) في هامش مصورة ب: قوله: "صحيح"؛ ليس بصحيح. فإن الحاكم خرجه من حديث عبدالوهاب بن الضحاك، وهو كذاب، كما قال أبو حاتم وغيره ونُسب إلى الوضع، وقد تابعه محمد بن إبراهيم الدمشقي السائح، وهو أيضاً مثله كذاب، منسوب إلى الوضع. وإنما حمل المصنف على تصحيحه قول الحاكم: صحيح الإسناد، والأمر ليس كما قال كما قد عرفت.

قال الذهبي في مختصره للمستدرك: هو موضوع، والله أعلم.

صحيحه، عن أبي علي الحافظ، عن الباغندي، عن عبدالوهاب بن الضحاك[١]، عن شعيب بن إسحاق.

وأخرجه الأستاذ أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره[٢]، عن ابن فنجويه الدينوري[٣]، عن ابن شَنَبَة[٤]، عن محمد بن أحمد الكرابيسي، عن سلمان[٥] بن توبة، عن محمد بن إبراهيم الشامي[٦]. وكأنني رويته عن رجل عن الثعلبي.

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾

قال الله تعالى: ﴿سورةٌ أنزلناها وفرضناها﴾ وقرأ جماعة، منهم: أبو رزين، ومحبوب، عن أبي عمرو: "سورةً" بالنصب[٧].

---

(١) كُتب فوق هذا الاسم بخط مغاير في مصورة ب: البلاء منه أو من الشامي.

(٢) أخرجه الثعلبي (٧/ ٦٢).

(٣) الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن فنجويه الدينوري، كان ثقةً صدوقاً، كثير الرواية للمناكير، حسن الخط، كثير التصانيف، ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، ومات بنيسابور في ربيع الآخر سنة أربع عشرة وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٨٤، وتكملة الإكمال ٤/ ٤٩٧).

(٤) هو عبيد الله بن محمد بن شنبة.

(٥) ويقال: سليمان. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٤/ ١٥٥)، والتقريب (ص:٢٥٠).

(٦) كُتب فوق هذا الاسم بخط مغاير في مصورة ب: المصيبة منه أو من عبدالوهاب.

(٧) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٢).

فمن رَفَعَ فعلى معنى: هذه سورة. و"أنزلناها" صفة لـ"سورة"[١].

وقال الأخفش: "سورة" ابتداء وخبره في "أنزلناها"[٢].

وردَّ هذا القول الزجاج[٣] وغيره؛ لأن النكرة لا يُبتدأ بها إلا إذا وُصفت، وإن جعل "أنزلناها وفرَّضْنَاها" بقي المبتدأ بلا خبر. وجوّز بعضهم أن تكون "سورة" مبتدأ، والخبر مُضْمَر، تقديره: فيما يتلى عليكم سورة أنزلناها، ولا يجوز أن يُقدَّر هذا الخبر متأخراً؛ لأن خبر النكرة يتقدم عليها، نحو قولك: في الدار رجلٌ وله مالٌ، ولا يَحْسُن: رجلٌ في الدار ومالٌ له؛ لقلة الفائدة فيه.

ومن نصبَ فعلى معنى: أنزلنا سورة، أو: اقرأ سورة أنزلناها[٤].

﴿وفرَّضْنَاها﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "وفرَّضناها" بالتشديد، على معنى: كثَّرنا فرائضها، أو فصَّلنا وبيَّنا ما فيها من الفرائض[٥]. وقرأ الباقون بالتخفيف، على معنى: فَرَضْنَا ما فيها وألزَمْنا العمل بها.

قال أبو علي[٦]: التخفيف يصلح للقليل والكثير. ومن حجَّة التخفيف قوله تعالى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ [القصص:٨٥]، والمعنى: أحكام القرآن وفرائض القرآن، كما أن التي في سورة النور كذلك.

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٠٧).

(٢) انظر قول الأخفش في: القرطبي (١٢/ ١٥٨).

(٣) انظر: معاني الزجاج (٤/ ٢٧).

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٠٧).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٩١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٤)، والكشف (٢/ ١٣٣)، والنشر (٢/ ٣٣٠)، والإتحاف (ص:٣٢٢)، والسبعة (ص:٤٥٢).

(٦) الحجة (٣/ ١٩١).

وأصل الفَرْض في اللغة: التأثير والحزّ، ومنه: فُرْضَةُ النَّهر والقَوْس، ثم اتُّسع فيه حتى استعمل في معنى الواجب المقطوع به[١].

﴿وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون﴾ سبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ قرأ الأكثرون: "الزانيةُ" بالرفع على الابتداء. وقرأ جماعة منهم أبو رزين وعيسى بن عمر: "الزانيةَ" بالنصب[٢]، واختاره الخليل وسيبويه[٣]، على معنى: "اجلدوا الزانية".

وقال الزجاج[٤]: الرفع أقوى في العربية؛ لأن المعنى: من زنى فاجلدوه، فتأويله الابتداء.

فإن قيل: لم قَدَّم الزانية على الزاني، والمُذَكَّر أبداً يُقَدَّم، وباعتبار ذلك قُدِّمَ السارق على السارقة[٥]؟

قلتُ: العرب أبداً تُراعي الأهم فتبدأ به، وذكْرُ الزانية أهم من الزاني؛ لأن عارها بالزنا أكثر، وحرصها عليه أشد، وقبحه في حقها أغلظ، [وقدرتها][٦] عليه أتم، وباعتبار ذلك قُدِّمَ السارق؛ لأن العار والقبح في حقه أشد، وحرصه على السرقة أكثر، وقدرته عليها أتم.

قوله تعالى: ﴿فاجلدوا﴾ معنى الجَلْد: ضرب الجِلْد، يقال: جَلَدَهُ؛ إذا ضَرَبَ

---

(١) انظر: اللسان (مادة: فرض).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٦/ ٥)، والدر المصون (٥/ ٢٠٨).

(٣) انظر: الكتاب (١/ ١٤٤).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢٧-٢٨).

(٥) في سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ [٣٨].

(٦) في الأصل: قدرتها. والتصويب من ب.

جِلْدَهُ، مثل: رأسه، إذا ضرب رأسه وبطنه[١].

فصل

قال بعض [علمائنا][٢]: هذه الآية تقتضي وجوب الجَلْد[٣] على البِكْر والثَّيِّب، وقد روي عن النبي ﷺ في حق البكر زيادةً على الجلد بتغريب عام، وفي حق الثيب زيادة على الجلد [بالرجم][٤] بالحجارة[٥]؛ فروى عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم [بالحجارة][٦]»[٧].

قلتُ: وهذا الحديث صحيح، وقد ذكرته مُعَنْعَناً وتكلمت عليه في سورة النساء[٨].

وممن قال بوجوب النفي في حق البكر: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن عمر، وعطاء، وطاووس، وسفيان، ومالك، وابن أبي ليلى، والشافعي، وأحمد، وإسحاق[٩].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: جلد).

(٢) في الأصل: العلمائنا. والتصويب من ب.

(٣) في ب: الحد.

(٤) في الأصل: الرجم. والتصويب من ب.

(٥) انظر: المغني (٩/ ٤٥).

(٦) في الأصل: الحجارة. والتصويب من ب.

(٧) أخرجه مسلم (٣/ ١٣١٦ ح١٦٩٠)، والنسائي (٦/ ٣٢٠ ح١١٠٩٣).

(٨) عند الآية رقم: ١٦.

(٩) زاد المسير (٦/ ٦).

[وممن][1] قال بالجمع بين الجلد والرجم في حق الثيب: علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، والحسن بن صالح، وإمامنا أحمد -في إحدى الروايتين عنه-، وإسحاق[2].

وذهب قوم إلى أن الجلد المذكور في هذه الآية للبكر إذا زنا، فأما الثيب فلا يجب عليه إلا الرجم، وهو قول النخعي، والزهري، والأوزاعي، والثوري، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وإحدى الروايتين عن إمامنا أحمد[3].

وقال أبو حنيفة: لا يُشرع النفي في حق البكر إذا زنا[4].

والصحيح: الأول؛ لما أُخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وزيد بن خالد الجهني: «أن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الآخر -وهو أفقه منه-: نعم فاقض بيننا بكتاب الله، فقال رسول الله ﷺ: قل، قال: إن ابني كان عسيفاً[5] على هذا، فزنى بامرأته، وإني أُخبرتُ أن على ابني الرّجم، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألتُ رجالاً من أهل العلم فأخبروني [أن على ابني][6] مائة جلدة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لأقضينّ بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم ردٌّ عليك، وعلى ابنك جلد مائة

(١) في الأصل: ومن. والتصويب من ب.

(٢) زاد المسير (٦/ ٦).

(٣) زاد المسير (٦/ ٦-٧).

(٤) انظر: حاشية ابن عابدين (١/ ٢٥٩).

(٥) في هامش ب: أي: أجيراً.

(٦) زيادة من ب.

وتغريب عام، واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها. قال: فغدا عليها فاعترفت، فأمر بها رسول الله ﷺ فرُجمت))[١].

قوله تعالى: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ قرأ الأكثرون: "رأْفَةٌ" بإسكان الهمزة. وقرأ جماعة؛ منهم سعيد بن جبير: "رآفة" بفتح الهمزة ومدّها[٢]، مثل النَّشْأة والنَّشَاءَة.

وقرأ ابن كثير: "رَأَفَة" بفتح الهمزة وقَصْرها[٣]، مثل: رَعَفَة.

قال أبو علي[٤]: يقال: رأفْتُ بالرجل أرْؤُفُ به، وأرْأَفُ رَأْفَةً، قال[٥]: ولعل "رأفة" التي قرأها ابن كثير لغة.

والمعنى: لا يأخذكم بهما رحمة وتحنُّن، فتُعطِّلوا الحدود، أو تُخَفِّفُوها.

فصل

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: يجرّد الزاني ويعطى كل عضو منه حقه من الضرب، ويُتَّقى الوجه والرأس والمذاكير، وهذا مذهب أبي حنيفة أيضاً[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩٧١ ح٢٥٧٥)، ومسلم (٣/ ١٣٢٤ ح١٦٩٧).
وأنيس المذكور في الحديث هو: ابن الضحاك الأسلمي (انظر ترجمته في: الاستيعاب ١/ ١١٤، والإصابة ١/ ١٣٦).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٦/ ٧)، والدر المصون (٥/ ٢٠٨).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٩١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٥)، والكشف (٢/ ١٣٣)، والنشر (٢/ ٣٣٠)، والإتحاف (ص:٣٢٢)، والسبعة (ص:٤٥٢).

(٤) الحجة (٣/ ١٩١).

(٥) أي: أبو علي الفارسي.

(٦) انظر: المغني لابن قدامة (٩/ ١٤١)، والمبسوط للسرخسي (٩/ ٧٢).

وقال مالك: لا يضرب إلا على الظَّهْر[١].

وقال الشافعي: يُتَّقى الوجه والفرج[٢].

فصل

قال علماؤنا: ضرب الزنا أشد من القذف، والقذف أشد من الشُّرب، وضرب الشارب أشد من التعزير. وهذا قول الحسن البصري[٣].

وقال أبو حنيفة: التعزير أشد الضرب، وضرب الزنا أشد من ضرب الشارب، وضرب الشارب أشد من ضرب القذف[٤].

وقال مالك: الضرب في الحدود كلها على السواء غير مبرِّح بين الضربين[٥].

قوله تعالى: ﴿في دين الله﴾ قال ابن عباس: في حُكْم الله[٦].

﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ من باب التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه.

﴿وليشهد عذابهما طائفة﴾ أي: جماعة ﴿من المؤمنين﴾.

قال ابن عباس: أربعة إلى أربعين رجلاً من [المصَدِّقين][٧] بالله[٨].

---

(١) انظر: المدونة الكبرى (١٦/ ٢٣٦).

(٢) انظر: روضة الطالبين (١٠/ ١٧٢).

(٣) انظر: التمهيد لابن عبدالبر (٥/ ٣٢٨).

(٤) انظر: المبسوط للسرخسي (٩/ ٧١).

(٥) انظر: المدونة الكبرى (١٦/ ٢٤٨)، والتمهيد (٥/ ٣٢٧-٣٢٨).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٨).

(٧) في الأصل: الصدقين. والتصويب من ب.

(٨) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٣٤)، وأبو حيان في البحر (٦/ ٣٩٥).

وقال الحسن: عشرة[١].

وقال سعيد بن جبير: اثنان فصاعداً[٢].

وقال قتادة والزهري: ثلاثة فصاعداً[٣].

قال الحسن: أُمِرَ أن يُعْلِنَ بذلك[٤].

وفي الحديث: عن أبي هريرة ويروى مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وقد حصل لي من أربعين طريقاً عن النبي ﷺ أنه قال: «حَدٌّ يقام في الأرض خير من أن تُمطروا أربعين صباحاً أو أربعين ليلة»[٥].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٨)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٢٦) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٩) عن عكرمة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٨) عن سعيد بن جبير، والسيوطي في الدر (٦/ ١٢٦) وعزاه لابن جرير عن عكرمة.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٢٦) وعزاه لابن جرير عن الزهري.
والذي اختاره ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٧٠): أنه ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين الواحد فصاعداً، قال: وذلك أن الله عمّ بقوله: ﴿وليشهد عذابهما طائفة﴾، والطائفة: قد تقع عند العرب على الواحد فصاعداً.
فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص من العدد، كان معلوماً أن حضور ما وقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحدّ مما أمره الله به بقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ غير أني وإن كان الأمر على ما وصفت، أستحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس عدد من تقبل شهادته على الزنا؛ لأن ذلك إذا كان كذلك، فلا خلاف بين الجمع أنه قد أدّى المقيم الحدّ ما عليه في ذلك، وهم فيما دون ذلك مختلفون.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٣).

(٥) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٢ ح٨٧٢٣).

فصل يتضمن نبذة زاجرة عن الزنا

روي عن حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال: «يا معشر الناس! اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال؛ ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة. فأما اللاتي في الدنيا: فيُذْهِبُ البهاء، [ويورث][(١)] الفقر، وينقص العُمُر. وأما اللاتي في الآخرة: فيوجب السخطة، وسوء الحساب، والخلود في النار»[(٢)].

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن أعمال أمتي تُعرض عليَّ في كل جمعة مرتين، فاشتد غضب [الله][(٣)] على الزناة»[(٤)].

وقال وهب: مكتوب في التوراة: الزاني لا يموت حتى يفتقر، والقَوَّاد لا يموت حتى يعمى.

ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ أخرج أبو داود في سننه بإسناده: «أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى بمكة، وكان بمكة بَغِيٌّ يقال لها: عَنَاق، وكانت صديقته، قال: فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أنكح عناق؟ فنزلت: ﴿الزانية لا ينكحها إلا

---

(١) في الأصل: ويوثر. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الأصبهاني في حلية الأولياء (٤/ ١١١). وذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٦٧).

(٣) لفظ الجلالة زيادة من ب، ومصادر التخريج.

(٤) أخرجه الأصبهاني في حلية الأولياء (٦/ ١٧٩). وذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٦٧).

زان أو مشرك﴾ فدعاني فقرأها وقال لي: لا تنكحها))[١].

وقال أكثر المفسرين: كان بالمدينة نساء بغايا، وكنّ يَكْرِين أنفسهن، وهن يومئذ أخصب أهل المدينة، فلما قدم المهاجرون المدينة رغب في كسبهن ناس من فقرائهم، وقالوا: لو أنا تزوجناهن لَعِشْنا معهن إلى أن يغنينا الله من فضله، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

وحرّم فيها نكاح الزانية؛ صيانة للمؤمنين من هذه الرذيلة، وحفظاً لأنسابهم، ومحاماة على أحسابهم، وأخبر أن من فعل ذلك وتزوج بواحدة منهن فهو زانٍ، وهذا الخبر في معنى النهي.

ومذهب إمامنا أحمد: أنه إذا زنا بامرأة لم يجز له أن يتزوجها حتى يتوبا[٣].

وذهب سعيد بن المسيب في آخرين: إلى أن هذه الآية منسوخة بعموم قوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾[٤] [النور:٣٢].

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: ليس هذا النكاح ولكن الجماع، ولا يزني بها

---

(١) أخرجه أبو داود في (٢/ ٢٢٠ ح٢٠٥١).

(٢) أخرج نحوه الطبري (١٨/ ٧٠). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٢٧-١٢٩).

(٣) انظر: زاد المسير (٦/ ٩).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٥٤٠ ح١٦٩٢٢)، والبيهقي في سننه (٣/ ١٥٤ ح١٣٦٤٦)، والطبري (١٨/ ٧٤-٧٥). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٤)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٣٠) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبي داود وأبي عبيد معاً في التاريخ وابن جريج وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

إلا زان أو مشرك[١].

يريد: أن هذه الآية حَكَتِ الحال، فإن الزاني لا يزني إلا بزانية من أهل القبلة أو مشرك.

قال عكرمة: كانت بيوتهن تسمى المواخير في الجاهلية، ولا يدخل عليهن إلا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان[٢].

﴿وحُرِّمَ ذلك﴾ قال مقاتل[٣]: نكاح الزواني.

وقال الفراء[٤]: يعني: الزنا ﴿على المؤمنين﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ الرَّمي: القَذْف بالزنا، والإحصان المشترط في المقذوفة والمقذوف الذي يتوقف [وجوب][٥] الحدّ به على القاذف ما

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٢١١ ح٢٧٨٦) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في سننه (٧/ ١٥٤ ح١٣٦٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٢٦-١٢٧) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي داود في ناسخه والبيهقي في سننه والضياء في المختارة.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٧٢) عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٨).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٢٤٥).

(٥) في الأصل: ووجوب. والتصويب من ب.

جمع خمسة أوصاف: الحرية، والإسلام، والعقل، والعفّة عن الزنا، وأن يكون المقذوف ممن يُجَامِعُ أو يُجَامَعُ مثله.

وقال مالك في الصَّبِيَّة؛ كقولنا.

واشترط أبو حنيفة والشافعي: البلوغ، وهو رواية عن إمامنا(١).

وقد ذكر الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه في زاد المسير في تفسير هذه الآية(٢): أن شرائط الإحصان عندنا أربعة: البلوغ، والحرية، والعقل، والوطء في نكاح صحيح.

فأما الإسلام فليس بشرط في الإحصان. وهذا [سهوٌ](٣) بلا شك، فإن هذه الأوصاف شرائط الإحصان الذي يتوقف وجوب الرجم على الزاني [أو الزانية](٤) عليه.

قوله تعالى: ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ أي: بأربعة رجال عُدُول أحرار يشهدون بالزنا، ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ أي: اجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة عقوبة له على جنايته، وزجراً له عن ارتكاب مثلها، وإظهاراً لبراءة المقذوف مما رماه به.

ثم نهى الله عز وجل عن قبول شهادتهم، مُعَلِّلاً ذلك بما أكَّده من عظيم فِسْقِهِم فقال: ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾.

---

(١) انظر: الإنصاف (١٠/ ٢٠٥).

(٢) زاد المسير (٦/ ١٠).

(٣) في الأصل: هو. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: والزانية. والتصويب من ب.

فصل

هذه الآية دالة على أن القاذف إذا لم تقم البينة بما قال؛ يجب عليه الجلد، وتُرَدُّ شهادته على الأبد، ويثبُتُ فِسْقُه.

واختلفوا: هل يثبت فسقه بمجرد القذف، أم يتوقف على وجود الحد؟

فذهب علماؤنا والشافعي إلى ثبوته إذا لم تَقُم[١] البينة وإن لم يُحَدّ[٢].

وقال أبو حنيفة ومالك: لا يثبت فسْقُه ولا تُرَدُّ شهادته حتى يقام عليه الحد[٣].

فصل

ألفاظ القذف تنقسم إلى صريح وكناية؛ فالصريح قوله: يا زاني، يا عاهر، ونحو ذلك مما لا يحتمل غير القذف. فمتى وجد ذلك فهو قاذف. ولا يقبل قوله بما يحيله، [وإن قال][٤]: يا لوطي، أو يا مَعْفُوج[٥]، فهو صريح[٦].

وقال الخرقي: إذا قال: أردت أنك من قوم لوط فلا حَدَّ عليه[٧].

قال شيخنا أبو محمد ابن قدامة رضي الله عنه[٨]: وهذا بعيد.

---

(١) في ب: يُقِم.

(٢) انظر: زاد المسير (٦/ ١٠).

(٣) انظر: زاد المسير (٦/ ١١).

(٤) في الأصل: وقال. والتصويب من ب.

(٥) العَفْجُ: أن يفعل الرّجُلُ بالغلام فعل قوم لوط (اللسان، مادة: عفج).

(٦) انظر: الإنصاف (١٠/ ٢١٠).

(٧) انظر: المصدر السابق.

(٨) المغني (٩/ ٦٨).

وإن قال: أردت أنك تعمل عمل قوم لوط غير إتيان الرجال، احتمل وجهين[١].

وإن قال: لست بولد فلان، فقد قذف أمه، وله المطالبة إن كانت أمه ميتة، حُرَّةً كانت أو أمَة، مسلمة أو كافرة إذا كان هو حُرّاً مسلماً[٢].

وقال أبو بكر عبد العزيز: لا يحدّ بقذف ميتة[٣].

وإن قال: زَنَتْ يداك أو رجلاك، فهو صريح عند أبي بكر[٤].

وقال ابن حامد: ليس بصريح[٥]. وهو الصحيح.

وأما الكناية قوله للمرأة: قد فَضَحْتِ زوجَكِ ونكَّسْتِ رأسه، وجَعَلْتِ له قُرُوناً، وأَفْسَدْتِ فِرَاشَهُ، أو يا قَحْبَة، أو قوله لمن يخاصمه: يا حلال ابن الحلال، ما يعرفك الناس بالزنا. فهذا جميعه إن فسره بما يحتمله غير القذف قُبل قوله في أحد الوجهين، وفي الآخر صريح[٦].

فصل

والقذف حق [للآدمي][٧]، فيصح إبراؤُه منه، ويسقط بعفوه، ويتوقف على مطالبته.

---

(١) انظر: الإنصاف (١٠/ ٢١٠).

(٢) انظر: الإنصاف (١٠/ ٢١٢، ٢١٩).

(٣) انظر: الإنصاف (١٠/ ٢١٩).

(٤) انظر: الإنصاف (١٠/ ٢١٣).

(٥) انظر: المصدر السابق.

(٦) انظر: الإنصاف (١٠/ ٢١٥).

(٧) في الأصل: الآدمي. والمثبت من ب.

فإن قذف جماعة بكلمة واحدة فَحَدٌّ واحد إذا طالبوا، [أو طالب][١] واحد منهم[٢].

وقيل: إن طالبوا متفرقين حُدَّ لكل واحد[٣].

وإن أفرد كل واحد بكلمة حُدَّ لكل واحد منهم.

وقال أبو حنيفة: عليه حدٌّ واحد للجميع[٤].

قوله تعالى: ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ قال ابن عباس: أظهروا التوبة[٥].

وقال غيره: لم يعودوا إلى قذف المحصنات[٦].

واختلف العلماء في هذا الاستثناء؛ فذهب بعضهم إلى أنه يعود إلى الفسق فقط، وأما الشهادة فلا تقبل أبداً، وهو قول الحسن وشريح والنخعي وقتادة وأبي حنيفة وأصحابه.

قال شريح: كل صاحب حدٍّ إذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح، فشهادته جائزة إلا القاذف فإنه قضاءٌ من الله أن لا تقبل شهادته أبداً، وإنما توبته فيما بينه وبين ربه[٧].

---

(١) في الأصل: وطالب. والتصويب من ب.

(٢) انظر: الإنصاف (١٠/ ٢٢٣).

(٣) مثل السابق.

(٤) انظر: حاشية ابن عابدين (٤/ ٥١)، والمبسوط للسرخسي (٩/ ٧١).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٢).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٢).

(٧) أخرجه الطبري (١٨/ ٧٨-٧٩).

وذهب بعضهم إلى أن الاستثناء يعود إلى مجموع الأمرين، فيرفَعُ الفسقَ وإسقاط الشهادة، وهو قول عكرمة والزهري والشعبي وطاووس ومجاهد والقاسم بن محمد والشافعي والإمام أحمد، وحملوا الأبد[١] المذكور في الآية على مدة كونه قاذفاً، وهي تنتهي بالتوبة[٢].

وعن ابن عباس كالقولين.

قال أبو عبيد: الذي لا يقبلها يذهب إلى أن الكلام انقطع عند قوله: "أبداً"، ثم استأنف فقال: "أولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا"، فأوقع التوبة على الفسق خاصة دون الشهادة.

وأما الآخرون فذهبوا إلى أن الكلام معطوف بعضه على بعض، ثم أوقعوا الاستثناء في التوبة على كل الكلام.

قال[٣]: والذي نختار: هذا القول؛ لأن المتكلم بالفاحشة لا يكون أعظم جرماً من راكبها، ولا خلاف في العاهر أنه مقبول الشهادة إذا تاب، فالرامي بها أيسر جُرْماً إذا نزع، وليس القاذف بأشد جُرْماً من الكافر، والكافر إذا أسلم وأصلح قُبلت شهادته[٤].

---

(١) في الأصل زيادة قوله: على.

(٢) قال الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٥): فإن قيل: فما الفائدة في قوله: ﴿أبداً﴾؟

قيل: أبد كل إنسان مقدار مدته فيما يتصل بقضيته. تقول: الكافر لا تقبل منه شيئاً أبداً، معناه: ما دام كافراً، كذلك القاذف لا تقبل شهادته أبداً ما دام قاذفاً، فإذا زال عنه الكفر زال أبداً، وإذا زال عنه الفسق زال أبداً، لا فرق بينهما في ذلك.

(٣) أي: أبو عبيد.

(٤) انظر قول أبي عبيد في: الوسيط (٣/ ٣٠٥) ونسبه لأبي عبيدة، وزاد المسير (٦/ ١٢) بلا نسبة.

[قلتُ][١]: ومما يؤيد ذلك: ما أخبرنا به شيخنا الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي قدَّسَ الله روحه قراءة عليه بدمشق، والشيخ أبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق الخازن، شيخ رباط الصوفية بدار الذهب ببغداد بقراءتي عليه، قالا: أخبرنا أبو زرعة [طاهر بن][٢] محمد بن طاهر المقدسي، أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور بن علان الكرجي، أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا محمد بن إدريس الشافعي، أخبرنا سفيان بن عيينة، قال: سمعت الزهري قال: « زعم أهل العراق أن شهادة القاذف لا تجوز، فأشهد لأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكرة: تُب تُقبل شهادتك، أو إن تُبْتَ قُبلت شهادتك »[٣].

فإن قيل: ما محل قوله: "إلا الذين تابوا" من الإعراب؟

قلتُ: إن كان الاستثناء من الفسق فقط فهو منصوب؛ لأنه استثناء عن موجب، وإن كان من مجموع الأمرين فهو مجرور على البدل من "هم" في قوله: ﴿ولا تقبلوا لهم﴾[٤].

فإن قيل: ما الفرق بين المسلم إذا قَذَفَ ثم تاب وأناب لا تقبل شهادته عند

---

(١) في الأصل: وقلت. والمثبت من ب.

(٢) زيادة على الأصل. وقد تقدم.

(٣) أخرجه الشافعي في مسنده (١/ ١٥١).

(٤) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٢١٨). وانظر: التبيان (٢/ ١٥٣-١٥٤)، والدر المصون (٥/ ٢٠٩).

كثير من العلماء، وبين الكافر إذا أسلم وقد قَذَفَ تقبل شهادته إجماعاً؟

قلتُ: الحدّ في القذف وعدم قبول الشهادة إنما كان دفعاً للعار عن المقـذوف بهذه الفاحشة العظيمة، وسعياً في إعدامها بهذين الزاجرين، ولذلك لم يجب الحـدّ على من قذف جماعة أو أهل بلد[1] يَتَصَوَّرُ الزنا من جميعهم.

فإذا ثبت ذلك قلنا: المسلمون لا يلحقهم العار بقذف الكافر؛ لأنهم شُـهروا بعداوتهم والطعن عليهم بالباطل بخلاف المسلم إذا [قذف][2] مسلماً [مثله][3].

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ السبب في [نزولها][4]: ما أخبرنا بـه الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبدالله بن عبد الصمد السلمي بدمشق، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة البغدادي برأس عين قالا: أخبرنا أبو الوقت، [أخبرنـا

(١) في الأصل زيادة: لا. وهو خطأ. وانظر: ب.

(٢) في الأصل: قذ. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل و ب: قبله. والتصويب من الكشاف (٣/ ٢١٨).

(٤) في الأصل: نزلولها. والتصويب من ب.

الداودي](١)، أخبرنا السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن هشام بن حسان، حدثنا عكرمة، عن ابن عباس: «أن هلال بن أمية قذف [امرأته](٢) عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: البينة أو [حدٌّ](٣) في ظهرك، فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً [ينطلق](٤) يلتمس البينة، فجعل رسول الله ﷺ يقول: البينة وإلا حدٌّ في ظهرك، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، والله إني لصادق، فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحدّ، فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ -فقرأ حتى بلغ: ﴿إن كان من الصادقين﴾ فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد، والنبي ﷺ يقول: إن الله يعلم أن أحدكما [كاذب](٥) فهل منكما تائب، ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة. قال ابن عباس: فتلَكَّأَتْ ونَكَصَتْ حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، وقال النبي ﷺ: أبصروها، فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الإليَتَين، خَدَلَّجَ الساقين، فهو لشَريك بن سحماء، فجاءت به كذلك. فقال النبي ﷺ: [لولا](٦) ما مضى من كتاب

(١) زيادة على الأصل. وقد سبق هذا السند كثيراً بهذه الزيادة.
(٢) في الأصل: امرأة. والتصويب من ب، والصحيح (٤/ ١٧٧٢).
(٣) في الأصل و ب: حداً. والمثبت من الصحيح، الموضع السابق.
(٤) زيادة من الصحيح، الموضع السابق.
(٥) في الأصل: لكاذب. والتصويب من ب، ومن الصحيح، الموضع السابق.
(٦) في الأصل: لو. والتصويب من ب، ومن الصحيح، الموضع السابق.

الله لكان لي ولها شأن»[١]. [هذا][٢] حديث صحيح.

قوله ﷺ: "خدلَّج الساقين" أي: عظيمهما.

فصل يتضمن بيان حكم الآية

إذا قذف الرجل زوجته بالزنا لزمه الحد، وله التخلص منه بإقامة البينة أو باللعان. فإن أقام البينة لزمها الحد، وإن لاَعَنَها فقد حقق عليها الزنا، ولها التخلص منه باللعان. فإن نَكَلَ عن اللعان فعليه حد القذف، وإن نَكَلَتْ لم تُحَدّ، وحُبست حتى تُلاعِنَ أو تُقِرَّ بالزنا، في إحدى الروايتين. وفي الأخرى: يخلى سبيلها.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يُحَدُّ واحد منهما ويُحبس حتى يُلاعن[٣].

وقال الشافعي ومالك: يجب الحد على النَّاكل منهما[٤].

فصل

واختلف العلماء في الزوجين [اللذَيْن][٥] يجري بينهما اللعان. والمشهور عن إمامنا رضي الله عنه: أن كل زوج صَحَّ قذفُه صَحَّ لعانُه، فيشمل الكافر والمسلم[٦]، والحر والعبد، وهذا مذهب مالك والشافعي أيضاً[٧].

وذهب الزهري والأوزاعي وحماد بن سلمة وأبو حنيفة وأصحابه: إلى أنه لا

---

(١) أخرجه البخاري في (٤/ ١٧٧٢ ح٤٤٧٠).

(٢) في الأصل: وهذا. والمثبت من ب.

(٣) انظر: حاشية ابن عابدين (٣/ ٤٨٥)، والمبسوط للسرخسي (٧/ ٣٩).

(٤) انظر: الأم (٥/ ٢٩٥)، ومواهب الجليل (٤/ ١٣٢).

(٥) في الأصل: الذي. والتصويب من ب.

(٦) في ب: المسلم والكافر.

(٧) انظر: زاد المسير (٦/ ١٥).

يصح اللعان إلا ممن هو من أهل الشهادة.

فعلى هذا لو كان أحد الزوجين ذمياً أو رقيقاً أو محدوداً في قذف فلا لعان.

واتفقوا على جواز لعان الفاسق والأعمى.

فصل

وصفة اللعان: أن يبدأ الزوج فيقول: أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميتُها به من الزنا، أربع مرات، ثم يقول في الخامسة: وأن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رميتُها به من الزنا. ثم تقول هي: أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا، أربع مرات، ثم تقول في الخامسة: وأن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا(١).

فإن نقص أحدهما من الألفاظ الخمسة شيئاً، أو بدأت باللعان قبله، أو تلاعنا بغير حضرة الحاكم أو نائبه؛ لم يعتد به، وإن أبدل لفظة "أشْهَدُ" [بأقسم](٢) أو أحلف، أو لفظة اللعنة بالإبعاد أو الغضب بالسخط فعلى وجهين(٣).

فصل

والسُّنَّةُ أن يتلاعنا قياماً بمحضر جماعة في الأماكن المعظّمة(٤)، فإذا بلغ كل واحد منهما إلى الخامسة وَعَظَهُ الحاكم، وقال له: اتق الله فإنها الموجبة، وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

---

(١) انظر: الإنصاف (٩/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٢) في الأصل: أشهد بالله أو أحلف. والمثبت من ب.

(٣) انظر: الإنصاف (٩/ ٢٣٧).

(٤) انظر: الإنصاف (٩/ ٢٣٩-٢٤٠).

فصل

فإذا تَمَّ اللعان بينهما ثبت[١] أربعة أحكام:

أحدها: سقوط الحدّ عنه -كما ذكرناه-، ولو قذفها برجل بعينه: سقط الحدّ عنه لهما[٢]؛ لحديث هلال بن أمية.

الثاني: وقوع الفُرْقة بينهما عندنا وعند مالك وزفر[٣].

وقال الشافعي: تقع الفُرْقة بينهما بمجرد لعان الزوج[٤].

وقال أبو حنيفة: لا تقع الفُرْقة إلا بتفريق القاضي بينهما، وهي رواية عن إمامنا أيضاً[٥].

الثالث: التحريم المؤبَّد، عند إمامنا وأكثر العلماء[٦].

وروي عنه رواية أخرى: أنه إن أكذب نفسه فتحلُّ على الرواية المذكورة، وإذا قلنا: تحل له الزوجة بإكذاب نفسه، فإن لم يكن وُجِدَ منه طلاق فهي باقية على نكاحه[٧].

الرابع: انتفاء الولد عنه بمجرد اللعان[٨].

---

(١) في ب: ثبتت.

(٢) انظر: الإنصاف (٩/ ٢٥١).

(٣) انظر: الإنصاف (٩/ ٢٥١)، والمبسوط للسرخسي (٧/ ٤٣)، والتمهيد لابن عبد البر (١٥/ ٢٩).

(٤) انظر: الأم (٥/ ٢١).

(٥) انظر: المبسوط للسرخسي (٧/ ٤٣)، والإنصاف (٩/ ٢٥١).

(٦) انظر: الإنصاف (٩/ ٢٥٢).

(٧) مثل السابق.

(٨) انظر: الإنصاف (٩/ ٢٥٣).

وقال الخرقي: لا ينتفي حتى يذكره في اللعان، فإذا قال: أشهد بالله لقد زنت، يقول: وما هذا الولد ولدي، وتقول هي: أشهد بالله لقد كذب، وهذا الولد ولده[١].

قوله تعالى: ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ أي: شهداء يشهدون بصحة ما رَمُوهُنَّ به، ﴿إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين﴾.

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "أربعُ" برفع العين، ونصبها الباقون[٢].

قال الزجاج[٣]: من قرأ بالرفع فعلى خبر الابتداء، المعنى: فشهادة أحدهم التي تدرأ حدَّ القذف أربع، ومن نصب فالمعنى: فعليهم أن يشهد أحدهم أربع شهادات.

وقال الزمخشري[٤]: انتصب؛ لأنه في حكم المصدر، والعامل فيه المصدر الذي هو "فشهادة أحدهم"، وهو مبتدأ محذوف، تقديره: فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات.

وقال مكي[٥]: يجوز أن ينتصب على المصدر، كما تقول: شهدت مائة شهادة، وضربته مائة سوط.

﴿والخامسة أن لعنة الله عليه﴾ وقرأ نافع ويعقوب: "أنْ" بالتخفيف وسكونها،

---

(١) انظر: الإنصاف (٩/ ٢٥٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٥)، والكشف (٢/ ١٣٤)، والنشر (٢/ ٣٣٠)، والإتحاف (ص:٣٢٢)، والسبعة (ص:٤٥٢-٤٥٣).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٢).

(٤) الكشاف (٣/ ٢٢١).

(٥) الكشف (٢/ ١٣٤).

"لَعْنَةُ" بالرفع[١].

قال سيبويه[٢]: لا تخفَّف "أنَّ" في الكلام وبعدها الأسماء إلا وأنت تريد الثقيلة.

قوله تعالى: ﴿ويدرأ عنها العذاب﴾ أي: يدفع عنها الحدّ.

قوله: ﴿والخامسةُ﴾ وقرأ حفص: "والخامسةَ" بالنصب[٣]، فمن رَفَعَ فعلى معنى: والشهادةُ الخامسة، فحذف الموصوف. ومن نَصَبَ حمله على المعنى، تقديره: وتشهدُ الخامسة.

ويجوز أن يكون عطفاً على قوله: "أن تشهد أربع شهادات بالله"[٤].

﴿والخامسةَ أنَّ غضب الله عليها﴾ وقرأ نافع "أَنْ" بالتخفيف والسكون، "غَضِبَ" بكسر الضاد وفتح الباء، على أنه فعل ماض، "اللهُ" بالرفع بإسناد الفعل إليه[٥].

وقرأ يعقوب: "أنْ" بالتخفيف، "غَضَبُ" بالرفع، وعلته ما ذكرناه في التي قبلها من قول سيبويه.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٩٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٥)، والكشف (٢/ ١٣٤)، والنشر (٢/ ٣٣٠)، والإتحاف (ص:٣٢٢)، والسبعة (ص:٤٥٣).

(٢) انظر: الكتاب (٣/ ١٦٣-١٦٤).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٥)، والكشف (٢/ ١٣٥)، والنشر (٢/ ٣٣١)، والإتحاف (ص:٣٢٣)، والسبعة (ص:٤٥٣).

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ٢١١).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٩٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٦)، والكشف (٢/ ١٣٤)، والنشر (٢/ ٣٣٠-٣٣١)، والإتحاف (ص:٣٢٢)، والسبعة (ص:٤٥٣).

فإن قيل: لم خُصَّت الملاعِنة بالغضب؟

قلتُ: لتفاقم جريمة الزنا بالنسبة إلى جريمة القذف، ولذلك كان عذابها أشدّ.

قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ جوابه محذوف، تقديره: لَبَيَّن الكاذب منكما وفضَحَه، أو لعذَّبَه.

وفي قوله: ﴿وأن الله تواب﴾ تعريض بتوبة الكاذب منهما، [وإخبار][1] أنه لا يتعاظمه غفران ما جَنَاهُ الجاني منهما، ﴿حكيم﴾ فيما فرض من الأحكام والحدود.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم﴾ أجمع علماء الإسلام على أن هذه الآية وما في حَيِّزها نزلت في قصة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وهي ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم السلمي، وأبو الحسن الصوفي قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب الزهري.

[وأخبرنا][2] حنبل بن عبدالله إذناً واللفظ له قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحصين، أخبرنا أبو علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر القطيعي، حدثنا عبد الله

---

(١) في الأصل: وإخباراً. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: أخبرنا. والتصويب من ب.

بن الإمام أحمد قال: حدثني أبي قال: حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر، عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عتبة بن مسعود من حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرَّأها الله عز وجل، وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصاً، وقد وعيتُ عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني، وبعض حديثهم يُصَدِّقُ بعضاً، ذكروا: «أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين أزواجه، فأيتهنّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ وذلك بعدما أُنزل الحجاب وأنا أُحْمَلُ في هوْدَجي وأُنْزَلُ فيه مسيرنا، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل ودنونا من المدينة أَذِنَ ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنونا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرَّحْل، فلمست صدري فإذا عقد من جَزْع أظْفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هَوْدَجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه. قالت: وكان النساء إذ ذاك خِفافاً لم يَهْبَلْنَ ولم يَغْشَهُنَّ اللحم، إنما يأكلن العُلْقَةَ من الطعام، فلم يستنكر القوم ثِقَلَ الهودَج حين رحلوه ورفعوه، وكنتُ جاريةً حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي بعدما استمرّ الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب، فتيمَّمتُ منزلي

الذي كنت فيه وظننتُ أن القوم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمتُ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني[١] قد عَرَّسَ من وراء الجيش فادَّلَجَ، وأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وقد كان يراني قبل أن يُضربَ عليَّ الحجاب، فاستيقظتُ باسترجاعه حين عرفني، فخمَّرتُ وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعتُ منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطِئَ على يدها فركبتُها، فانطلق يقودُ بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا مُوغرين في [نَحْرِ][٢] الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كِبْرَه منهم عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا شهراً، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يَريبني[٣] في وجعي أني لا أعرفُ من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلّم ثم يقول: كيف تيكُم؟ فذاك يَريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجتُ بعدما نَقَهْتُ وخرجتْ معي أم مسطَح قِبَلَ المناصِعِ وهو مُتبرَّزُنا، ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتَّخِذَ الكُنُفَ قريباً من بيوتنا، وأمْرُنا أمْرُ العرب الأول في التنزُّه، وكنا نتأذَّى بالكُنُف أن

---

(١) صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعي بن محارب بن مرة بن فالج ابن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمي، أبو عمرو الذكواني، يقال: إنه أسلم قبل المريسيع، وشهد مع رسول الله ﷺ الخندق والمشاهد كلها بعدها، قيل: إنه مات بالجزيرة في ناحية شمشاط ودفن هناك، ويقال: إنه غزا الروم في خلافة معاوية فاندقت ساقه، ولم يزل يطاعن حتى مات، وذلك سنة ثمان وخمسين، وكان خيراً فاضلاً شجاعاً بطلاً (الاستيعاب ٢/ ٧٢٥).

(٢) في الأصل: حر. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

(٣) في هامش ب: يريبني: بفتح الياء وضمها، لغتان، وهي بمعنى: يشككني.

نتّخذها عند بيوتنا، فانطلقنا أنا وأم مِسْطَح وهي بنت أبي رُهم بن عبد المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أُثاثة بن عبّاد بن المطلب، فأقبلت أنا وبنت[1] أبي رُهم قِبَل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مِرْطِها فقالت: تَعِسَ مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، تَسُبِّين رجلاً قد شهد بدراً؟ فقالت: أي هَنْتَاهُ أوَ لَمْ تسمعي ما قال؟ قلتُ: وماذا قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، [فازددتُ][2] مرضاً إلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي فدخل عَلَيَّ رسول الله ﷺ فسلّم ثم قال: كيف تيكُم؟ قلت: أتأذن لي أن آتي أبويّ؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقَّنَ الخبر من قِبَلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ فجئتُ أبويّ فقلت لأمي: يا أمَّتاه، ما يتحدّث الناس؟ فقالت: أي بُنية هوِّني عليك، فوالله لَقَلَّ ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبُّها ولها ضرائر إلا أكثرنَ عليها، قالت: قلت: سبحان الله أوَ قد تحدَّث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يَرْقَأُ لي دمع ولا [أكتحلُ][3] بنوم، ثم أصبحت أبكي، ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استَلْبَثَ[4] الوحي يستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يَعْلَمُ من براءة أهله[5]، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود [فقال: يا رسول الله، هم

---

(١) في الأصل زيادة قوله: ابن. وانظر ب ومصادر التخريج.

(٢) في الأصل: فازدت. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

(٣) في الأصل: اكتحلت. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

(٤) استلبث: استفعل من اللبث، وهو الإبطاء والتأخير (النهاية ٤/ ٢٢٤).

(٥) في الأصل و ب: زيادة قوله: وبالذي يعلم من براءة أهله. وهو تكرار. وانظر: مصادر التخريج.

أهلك، ولا نعلم إلا خيراً][1]. وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يُضيِّقِ الله تعالى عليكَ والنساءُ سواها كثير، [وإن][2] تسأل الجارية [تَصْدُقك][3]. قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة[4] فقال: أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبُكِ من عائشة؟ قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصُهُ عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجنُ فتأكله، فقام رسول الله ﷺ واستعذر من عبد الله بن أبيّ بن سلول فقال [وهو][5] على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاهُ في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام سعد بن عبادة -وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية- فقال لسعد بن معاذ: لعمرك لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير -وهو ابن عم سعد بن معاذ- فقال لسعد بن عبادة: كذبت، لعمر الله لنقتلنّه، فإنك مُنافق تُجادل عن المنافقين، فثار الحيّان الأوس والخزرج، حتى همُّوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يُخَفِّضُهُم حتى

---

(١) زيادة من مصادر التخريج.

(٢) في الأصل: ولأن. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

(٣) في الأصل: لتصدقنك. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

(٤) بريرة، مولاة السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٥) في الأصل: هو. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

سكتوا وسكتَ. قالت: وبكيتُ يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالقٌ كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، استأذنَتْ عليّ امرأة من الأنصار فأذنتُ لها، فجلست تبكي معي، فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلَّم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهَّدَ رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: أما بعد، يا عائشة! فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرِّئُكِ الله عز وجل، وإن كنتِ أَلمتِ بذنبٍ فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ [مقالتَه][1] قلصَ دمعي حتى ما أُحِسُّ منه قطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله، قالت: فقلتُ وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: إني والله قد عرفتُ أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقرّ في أنفسكم وصدَّقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة -والله عز وجل يعلم أني بريئة- لا تُصدِّقُوني بذلك، ولئن اعترفتُ لكم بأمر -والله عز وجل يعلم أني بريئة- تُصدقوني، وإني والله لا أجد لي ولكم مَثَلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾، [قالت][2]: ثم تحوّلت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مُبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنتُ أظن أن ينزل في شأني وحيٌ يُتلى، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله تعالى

---

(١) زيادة من ب، ومصادر التخريج.

(٢) في الأصل: فقالت. والمثبت من ب.

في أمري، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يُبرئني الله عز وجل بها، قالت: والله ما رامَ رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من البيت أحدٌ حتى أنزل الله عز وجل على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فلما سُرِّي عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري يا عائشة، أما الله عز وجل فقد برَّأك، فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل، هو الذي أنزل براءتي، قالت: فأنزل الله عز وجل: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم... عشر آيات﴾ فأنزل الله عز وجل هذه الآيات براءتي. قالت: فقال أبو بكر رضي الله عنه، وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره: والله لا أُنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة﴾ إلى قوله: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله عز وجل لي، فَرَجَعَ إلى مسطح النفقة التي كان يُنفق عليه وقال: لا أنْزِعُها منه أبداً.

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري وما علمت [أو ما][1] رأيتِ أو ما بلغكِ؟ قالت: يا رسول الله أُحْمي سمعي وبصري، والله ما علمتُ إلا خيراً.

قالت عائشة: وهي التي كانت تُساميني من أزواج النبي ﷺ، فعصمها الله تعالى [بالوَرَع][2]، وطفقت حمنة بنت جحش تُحارب لها، فهلكت فيمن هلك.

---

(١) في الأصل: وما. والتصويب من، ومصادر التخريج.

(٢) في الأصل: باورع. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

قال ابن شهاب: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط))[(١)]. هذا حديث متفق على صحته. وأخرجه مسلم عن إسحاق بن راهويه عن عبد الرزاق.

تفسير ما اشتمل عليه هذا الحديث من الغريب:

قولها: "من جَزْع أظْفَار" هكذا وقع في الرواية والصواب: ظَفَار. قال ابن قتيبة: هي مدينة باليمن يكون فيها هذا الجَزْع[(٢)].

قولها: "يَهْبَلْنَ" بفتح الياء والباء، أي: لم يكثر لحمهن، والمهبل: الكثير اللحم الثقيل الحركة من السِّمَن[(٣)].

و"العُلْقَة" البُلْغَة، وأصل ذلك شجر يبقى في الشتاء فتعْلِقُها الإبل وتجتزئ بها حتى تدرك الربيع[(٤)].

"فتيمَّمْتُ" قَصَدْتُ.

ومعنى قولها: "عرَّسَ": نزل وحطَّ رحْلَه من آخر الليل للراحة[(٥)].

وقولها: "فادّلَجَ" مشدد الدال: هو سيرُ آخر الليل، وأدْلَجَ -بالتخفيف-: سير الليل كله[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩٤٢-٩٤٥ ح٢٥١٨)، ومسلم (٤/ ٢١٢٩-٢١٣٦ ح٢٧٧٠)، وأحمد (٦/ ١٩٤-١٩٦).

(٢) انظر: معجم البلدان (٤/ ٦٠).

(٣) انظر: اللسان (مادة: هبل).

(٤) انظر: اللسان (مادة: علق).

(٥) انظر: اللسان (مادة: عرس).

(٦) انظر: اللسان (مادة: دلج).

وقولها: "خَمَّرتُ وجهي": غطَّيْته. والجلباب: ما [تَسْتَتِرُ][(١)] به المرأة كالإزار ونحوه[(٢)].

قولها: "مُوغِرِين": الوَغرَة: شدّة الحر، ويقال: وَغَرَت الهاجرة وغراً، وأوْغَرَ الرَّجُلُ: إذا صار في ذلك الوقت[(٣)]، كما يقال: أظهر وأصبح وأمسى.

و"المِرْط": كساء من صوف أو خزّ يُؤتزر به[(٤)].

"لا يَرْقَأُ لي دمع": أي: لا ينقطع.

"أغْمِصُهُ": أعيبُه.

و"الدَّاجِنُ": الشاة التي تحبس في البيت لدَرِّها، يقال: دَجَنَ بالمكان؛ إذا أقام به[(٥)].

وقوله عليه الصلاة والسلام: "من يعذرُني" أي: من يقيمُ عذري إن عاقبته أو عاتبته، أو شكوتُ منه.

وقولها: "قَلَصَ دمعي" أي: انقطع، يقال: قَلَصَ الشيء وتقلّص؛ إذا تضامَّ ونَقَص[(٦)].

وقولها: "ما رَامَ مجلسه": أي: ما برح مكانه.

و"البُرَحَاء": أشد الكرب.

---

(١) في الأصل: تستر. والمثبت من ب.

(٢) انظر: اللسان (مادة: جلب).

(٣) انظر: اللسان (مادة: وغر).

(٤) انظر: اللسان (مادة: مرط).

(٥) انظر: اللسان (مادة: دجن).

(٦) انظر: اللسان (مادة: قلص).

و"الجُمان": جمع جُمَانة، وهي اللؤلؤة المتَّخَذَة من الفضة[١].

و"ثِقَلُ القول": هيبتُه.

قوله تعالى: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك﴾ أي: بأقبح الكذب وأسوأه، واشتقاقه من أَفَكَ الشيء؛ إذا قُلِبَ عن وجهه[٢]، والإفك: هو الحديث المقلوب عن وجهه.

ومعنى القَلْب في هذا الحديث[٣]: أن عائشة رضي الله عنها كانت تستحق المدح والثناء بما كانت عليه من الحصانة والدين والمكانة من رسول الله ﷺ، وكونها أمّاً للمؤمنين، فلما رَمَوْها بالسوء قلبوا الأمر عن وجهه.

والعُصْبة: الجماعة.

قالت عائشة: هم أربعة: حسان بن ثابت، وعبد الله بن أبيّ، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش[٤].

قال صاحب الكشاف[٥]: العُصْبة: الجماعة من العشرة إلى الأربعين، وهم: عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين، وزيد بن رفاعة، وحسان، ومسطح، وحمنة، ومن ساعدهم.

قوله تعالى: ﴿منكم﴾ أي: من المؤمنين، ﴿لا تحسبوه﴾ خطاب لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعائشة وأمها وأختها، وسائر من تأذى بسبب قذفها.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: جمن).

(٢) انظر: اللسان (مادة: أفك).

(٣) في ب زيادة: هو.

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٣٨ ح ٢٧٧٠).

(٥) الكشاف (٣/ ٢٢١).

والمعنى: لا تحسبوا الإفك ﴿شراً لكم﴾ نظراً إلى ما لحقكم من الأذى في هذه الدار الفانية، ﴿بل هو خير لكم﴾ لإفضائه بكم إلى النعيم الأبدي في الآخرة وشرف المنزلة في الدنيا؛ بإظهار براءة الحَصَان الرَّزَان[١]، الكريمة الأخلاق، الطاهرة الأعراق، أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وثناء الله تعالى عليها بوحْي يُتلى إلى يوم القيامة في مجامع العباد وجوامع العباد.

وفي هذه الآية مُستدلٌّ لمن يعتقد أن المناسب ينخرم بالمعارض، وهي قضية مختلف فيها بين أرباب الجدل.

﴿لكل امرئ منهم﴾ أي: من العصبة الكاذبة ﴿ما اكتسب من الإثم﴾ أي: جزاء ما اجترح من الإثم على قدر خوضه فيه.

﴿والذي تولى كبره منهم﴾[٢] وقرأتُ ليعقوب: "كُبْرَهُ" بضم الكاف[٣].

قال الكسائي[٤]: وهما لغتان.

قال ابن قتيبة[٥]: كُبْرُ الشيء: مُعْظَمُه، وأنشدوا:

تنامُ عن كُبْرِ شأنِها فإذا ... قامتْ رُويداً تكادُ تَنْغَرِف[٦]

---

(١) الحصان: العفيفة (اللسان، مادة: حصن).

والرَّزَان: يقال: امرأة رزان: إذا كانت ذات ثبات ووقار وعفاف (اللسان، مادة: رزن).

(٢) في الأصل زيادة: له عذاب أليم. وهو خطأ.

(٣) النشر (٢/ ٣٣١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٣).

(٤) انظر قول الكسائي في: زاد المسير (٦/ ١٩).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٣٠١).

(٦) البيت لقيس بن الخطيم، انظر: ديوانه (ص:١٧)، واللسان، (مادة: كبر)، والقرطبي (١٢/ ٢٣٦)، والتمهيد لابن عبد البر (٢٢/ ٢٧٦) وفيهما: "تنقصف" بدل "تنغرف"، وزاد المسير (٦/ ١٩)، =

والمعنى: والذي استبدّ بمعظم الإفك وقام بإشاعة الحديث وبثّه، وهو رأس المنافقين والنفاق[(١)]: عبدالله بن أبيّ بن سلول، في قول ابن عباس وعائشة وجمهور المفسرين[(٢)].

قال الضحاك: هو الذي بدأ بذلك[(٣)].

ويروى: أن صفوان بن المعطل مَرَّ بعائشة [عليه][(٤)] وهو في ملأ من قومه فقال: من [هذه][(٥)]؟ فقالوا: عائشة، فقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها[(٦)].

وقال: امرأة نبيكم باتتْ مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها[(٧)].

﴿له عذاب عظيم﴾ قال ابن عباس: يريد: الجلد في الدنيا، جَلَدَهُ رسول الله ﷺ ثمانين جلدة، والصيرورة في الآخرة إلى النار[(٨)].

وروت عَمْرَة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما نزل عُذْري، قام رسول الله

= وروح المعاني (٢٣/ ١٨٠).

(١) في ب: رأس النفاق.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٧٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٥٩) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن مجاهد. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٨٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٥٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: هذا. والتصويب من ب.

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٩٩).

(٧) أخرجه الطبري (١٨/ ٨٩)

(٨) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٣٧ ح١٨١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٥٠) وعزاه للطبراني.

ﷺ على المنبر فذكر ذلك، وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فجُلدوا الحَدَّ»[(١)]. أخرجه الترمذي.

وروى أبو صالح عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ جَلَدَ عبدالله بن أبيّ، ومِسْطَح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحَمْنَة بنت جحش، فأما الثلاثة فتابوا، وأما عبدالله بن أبيّ فمات منافقاً»[(٢)].

وبعض العلماء يُنْكِرُ ذلك ويقول: لم يُجْلَد[(٣)] أحدٌ من أهل الإفك.

وقيل: الذي تولى كِبْره: حسان بن ثابت.

ويروى عن عائشة قالت: ما سمعت أحسن من شعر حسان، وما تمثَّلْتُ به إلا رجوتُ له الجنة، فقيل: يا أم المؤمنين أليس الله تعالى يقول: ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾؟ فقالت: أليس قد ذهب بصره[(٤)]؟.

وروى عنها مسروق أنها قالت: [وأي][(٥)] عذاب أشد من العمى[(٦)]؟.

ويروى عن عائشة: أن الذي تولى كِبْره: عبدالله بن أبيّ، وحَمْنة بنت جحش[(٧)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٣٦ ح٣١٨١).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٢).

(٣) في ب: يحد.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٥٨) وعزاه لابن جرير.

(٥) في الأصل: أي. والمثبت من ب.

(٦) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٢٣ ح٣٩١٥، ٤/ ١٧٧٩ ح٤٤٧٨)، ومسلم (٤/ ١٩٣٤ ح٢٤٨٨).

(٧) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٣٨ ح٢٧٧٠).

وأنكر قومٌ أن يكون حسّان ممن خاض في الإفك أو جُلد فيه، قالت عائشة رضي الله عنها: لم يقل شيئاً ولكنه الذي يقول:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبة وتُصْبِحُ غَرْثَى من لحُوم الغَوافل

فإن كانَ ما قد قيل عني قلتُه فلا رفعتْ سَوْطِي إليَّ أنامِلي

مُهَذَّبَةٌ قد طيَّبَ اللهُ خِيمَها وطَهَّرَها من كل بغي وباطل

وإنّ الذي قد قيلَ ليسَ بلائِطٍ بها الدّهر بلْ قولُ امرئ بي مَاحِل[1]

والصحيح: أنه من جملة من خاض في الإفك، لكنه حسنت توبته بعد.

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لولا إذ سمعتموه﴾ أي: هلا إذ سمعتموه[2] أيتها العصبة الكاذبة قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾[3].

---

(١) انظر الأبيات في: ديوان حسان (١٩٠-١٩١)، والمعجم الكبير للطبراني (٢٣/ ١١٦)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ١٦٣)، والاستيعاب (٤/ ١٨٨٣-١٨٨٤)، وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٧٢-٢٧٤)، والقرطبي (١٢/ ٢٠٠)، والبحر (٦/ ٤٠١).

(٢) في ب: سمعتم.

(٣) في الأصل جاء قوله: "خيراً" بعد قول الحسن. والمثبت من ب.

قال الحسن: بأهل دينهم[١]؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة.

قال المبرد[٢]: ومثله قوله تعالى: ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ [البقرة:٥٤]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ [الحجرات:١١].

﴿وقالوا هذا إفك مبين﴾ كَذِبٌ ظاهر.

وروي: أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه قالت له أمه: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ فقال: هذا إفك مبين، أكنتِ يا أماه فاعلته؟ قالت: معاذ الله، قال: فعائشة والله خير منك، فنزلت هذه الآية[٣].

قال صاحب الكشاف[٤]: فإن قلت: هلا قيل: لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم؟ ولم [عَدَلَ][٥] عن الخطاب إلى الغيبة [وعن الضمير إلى الظاهر][٦]؟

قلتُ: ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وليُصرّح بلفظ الإيمان، دلالةً على أن الاشتراك فيه مُقتَضٍ أن لا يُصدِّقَ مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول غائب ولا طاعن، وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قَالَةً على أخيه أن يبني

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١١).

(٢) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٣١١).

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٩٦)، وابن راهويه في مسنده (٣/ ٩٧٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٦٠) وعزاه للواحدي وابن عساكر والحاكم، والرواية فيهم عن امرأة أبي أيوب، عدا زاد المسير.

(٤) الكشاف (٣/ ٢٢٢-٢٢٣).

(٥) في الأصل: يعدل. والتصويب من ب، والكشاف (٣/ ٢٢٢).

(٦) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

الأمر فيها على الظن لا على الشك، وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن [من الخير][1]: "هذا إفك مبين". وهذا من الأدب الحسن الذي قلّ القائم به والحافظ له، وليْتَكَ تجد من يسمع فيسكت ولا يُشيع ما سمعه بأخواتٍ.

قوله تعالى: ﴿لولا جاؤوا عليه﴾ أي: هلاَّ جاؤوا على قذفهم عائشة ﴿بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله﴾ أي: في حكمه ﴿هم الكاذبون﴾.

قلتُ: وما أوضح الدليل في هذه الآية وأبينه على وجوب تكذيب القاذف إذا لم يُقِم البيّنة ولو كان صادقاً في نفس الأمر؛ لأن الله تعالى قد جعل الفصل بين الرمي الصادق والكاذب إقامة البينة وعدم إقامتها.

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أي: لولا أن الله تفضَّل عليكم ورحمكم ﴿في الدنيا﴾ بالإمهال للتوبة، ﴿و﴾في ﴿الآخرة﴾ بالعفو والمغفرة، ﴿لمسكم﴾ أيتها العُصْبَة ﴿فيما أفضتم فيه﴾ أي: بسبب ما خضتم فيه من

(١) في الأصل: بالخير. والتصويب من ب، ومن الكشاف، الموضع السابق.

قذف الصدّيقة ﴿عذاب عظيم﴾.

ثم ذكر الوقت الذي لولا فضله ورحمته لأصابهم فيه العذاب العظيم فقال: ﴿إذ تلقونه﴾.

ويحتمل عندي: أن يكون الظرف للإفاضة، على معنى: لمسّكم عذاب عظيم في العاجل والآجل فيما أفضتم فيه وقت تلقيكم الإفك [بالقبول][1] غير منكريه ولا مكذبيه.

قال الزجاج[2]: المعنى: يُلقيه بعضكم إلى بعض.

وقرأ ابن مسعود: "تَتَلقونه" بزيادة تاء على الأصل.

وقرأ عمر بن الخطاب: "تُلْقُونَه" بضم التاء وإسكان اللام وضم القاف وتخفيفها، من الإلقاء.

وقرأ معاوية: "تَلْقَوْنَه" بفتح التاء والقاف، من اللِّقاء.

وقرأ أبيّ بن كعب وعائشة ومجاهد: "تَلِقُونَه" بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف مع التخفيف أيضاً، من الوَلَق، وهو الإسراع في الكذب[3].

قال الزجاج[4]: يقال: وَلَق يلِقُ؛ إذا أسرع في الكذب وغيره[5]. وقال الشاعر:

.... جَاءَتْ به عَنْسٌ من الشام تَلِقْ[6]

---

(١) في الأصل: بالقول. والتصويب من ب.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣٨).

(٣) انظر هذه القراءات جميعاً في: زاد المسير (٦/ ٢١)، والدر المصون (٥/ ٢١٣).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٨).

(٥) انظر: اللسان (مادة: ولق).

(٦) الشطر من رجز قاله الشماخ يهجو به جُليداً الكلابي، وقبله: (إن الجُلَيد زَلِقٌ وَزُمَّلِقْ). انظر: اللسان =

أي: تُسرع. والعَنْسُ: الناقة.

﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ قال الزمخشري[1]: إن قلت: ما معنى قوله: ["بأفواهكم"][2] والقول لا يكون إلا بالفم؟

قلتُ: معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب، فيُتَرجم عنه اللسان، وهذا الإفك ليس إلا قولاً يجري على ألستكم ويدور في أفواهكم [من غير ترجمة عن علم به في القلب][3].

﴿وتحسبونه هيناً﴾ سهلاً وصغيرة من الصغائر، ﴿وهو عند الله عظيم﴾ في الإثم وكبيرة من الكبائر.

جزع بعضهم عند الموت، فقيل له في ذلك؟ فقال: إني أخاف ذنباً لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم.

من تلمَّحَ هذه القصة: علم أن الله تعالى وصف أهل الإفك وذمهم بارتكاب ثلاثة آثام:

أحدها: تلقِّي الإفك وإشاعته.

والثاني: القول بغير علم.

والثالث: استصغارهم لعظيم ما جاؤوا به من البَهْتِ والقذف لأم المؤمنين، وما في ضمن ذلك من أذى رسول الله ﷺ وأذى صِدِّيقه أبي بكر رضي الله عنه.

= (مادة: ولق)، والطبري (١٨/ ٩٨)، والماوردي (٤/ ٨٢)، وزاد المسير (٦/ ٢١).

(١) الكشاف (٣/ ٢٢٣-٢٢٤).

(٢) في الأصل: بأفوهكم.

(٣) زيادة من الكشاف (٣/ ٢٢٤).

قوله تعالى: ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا﴾ أي: ما ينبغي لنا ﴿أن نتكلم بهذا سبحانك﴾ تعجب من عظيم هذا الأمر.

قال صاحب الكشاف[١]: الأصل في ذلك: أن يُسَبِّحَ الله تعالى عند رؤية العَجَبِ من صنائعه، ثم كَثُرَ حتى استُعمل في كل مُتعجَّبٍ منه، أو لتنزيه الله من أن تكون حُرْمَةُ[٢] نبيّه فاجرة.

ويروى أيضاً: أن امرأة أبي أيوب قالت له: ألم تسمع ما يتحدث الناس؟ فقال: ما يكون لنا أن نتكلم [بهذا][٣]، سبحانك هذا بهتان عظيم، [فنزلت هذه الآية[٤].

وقال سعيد بن جبير: لما سمع سعد بن معاذ ذلك قال: سبحانك هذا بهتان عظيم][٥]، فقيل للناس: هلا قلتم كما قال سعد بن معاذ[٦].

قوله تعالى: ﴿يعظكم الله﴾ قال مجاهد: نهاكم الله[٧]. ﴿أن تعودوا لمثله﴾ أي: لمثل هذا القذف ﴿أبداً﴾.

وقوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ تهييج لهم وتنبيه على أن من شأن المتَّصِفِ بالإيمان

---

(١) الكشاف (٣/ ٢٢٤-٢٢٥).

(٢) حُرْمَةُ الرَّجُل: أهله (مختار الصحاح، مادة: حرم).

(٣) في الأصل: بها. والتصويب من ب.

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٣٣)، وزاد المسير (٦/ ٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٦٠) وعزاه لابن مردويه.

(٥) زيادة من ب.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٦٠) وعزاه لسنيد في تفسيره.

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٤٥ ح٢٠٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٦١) وعزاه للفريابي والطبراني.

أن يهجر المعصية ويفعل الطاعة.

﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ وهي الدلالات على علمه [وحُكْمه][(١)] وحلمه بما نزّل من الشرائع والآداب الجميلة، ﴿والله عليم﴾ بالأشياء ﴿حكيم﴾ في تصاريف القضاء.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

ثم هدّد القاذفين فقال: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ أي: [يَفْشُوا][(٢)] القذف بالزنا ﴿في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾ يريد: الحدّ وعذاب النار، ﴿والله يعلم﴾ شرّ ما خُضتم فيه وما تضمن من استحقاق العذاب، ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك.

وقيل: يعلم الضمائر، فقد علِمَ من أحبَّ منكم إشاعة الفاحشة ومن لم يُحِبَّها.

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم﴾ عَطْفٌ على الذي

---

(١) في الأصل: وحكمته. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: يفشون. والتصويب من ب.

قبله، وجواب "لولا" محذوف، تقديره: لعاجلكم بالعقوبة.

قوله تعالى: ﴿لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ مُفسرٌ في البقرة(١).

والمعنى هاهنا: لا تتبعوه فيما زَيّنَ لكم من قذف عائشة.

﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ مُفسّر في النحل(٢).

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أيها القذفة ﴿ما زكى منكم من أحد﴾ أي: ما تطهّر.

وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة: "ما زَكَّى" بتشديد الكاف(٣)، على معنى: ما طَهَّرَ منكم من إثم الإفك.

"مِنْ أحدٍ" في موضع الرفع بإسناد الفعل إليه على القراءة الأولى، وفي موضع نصب على القراءة الثانية.

قال ابن عباس: ما قَبِلَ توبة أحد منكم(٤) ﴿أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾ بضمائركم وأفعالكم.

وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ

---

(١) عند الآية رقم: ١٦٨.

(٢) عند الآية رقم: ٩٠.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٣).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٣٢ ح١٦٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٣).

لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولوا﴾ وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء اللغوي وأبي عمرو الياسري لأبي جعفر يزيد بن القعقاع: "ولا يَتَأَلَّ" على وزان: يَتَعَلَّ، وهي قراءة الحسن[١]، ومعناهما واحد. يقال: آلَى يُؤْلِي إيلاءً، وتألَّى يتألَّى تألِّياً، وَأْتَلَى يَأْتَلِي ائتِلاءً: إذا حَلَفَ[٢].

وقد ذكرنا سبب نزول هذه الآية في حديث الإفك.

وقال ابن عباس: أقسمَ ناس من الصحابة، منهم أبو بكر، أن لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الإفك ولا ينفعونهم، فأنزل الله هذه الآية[٣].

والمعنى: لا يحلف أرباب ﴿الفضل منكم والسعة﴾ في الدنيا، ﴿أن يؤتوا﴾.

قال ابن قتيبة[٤]: معناه: أن لا يؤتوا، فحذف "لا".

﴿أولي القربى﴾ وهم مِسْطَح بن أثاثة، وكان ابن خالة أبي بكر، وكان مسكيناً، وكان مهاجراً، فذلك قوله: ﴿والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا

---

(١) النشر (٢/ ٣٣١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٣).

(٢) انظر: اللسان (مادة: ألا).

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ١٠٢-١٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٦٣) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٣٠٢).

وليصفحوا﴾ أمرٌ لهم بالتجاوز عن هذه الجريمة القبيحة؛ شكراً لله على ما أنعم عليهم به من الثناء المؤبد والثواب المخلد.

وفي قوله: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ إيذان بأن الحسنة تقابل في الجزاء بمثلها.

﴿والله غفور﴾ كثير المغفرة، فهو يقابل الغُفْران بأمثاله مضاعفاً إلى ما لا يعلمه إلا هو ﴿رحيم﴾ بالمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يرمون المحصنات﴾ أي: العفائف ﴿الغافلات﴾ عما قُذِفْنَ به من الفاحشة، التّقيات القلوب، الطاهرات الجيوب، كعائشة رضي الله عنها، ﴿المؤمنات﴾ المصدّقات بما يجب التصديق به، ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾.

فصل

اختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية؛ فروى العوام بن حوشب عن شيخ من بني كاهل قال: فَسَّرَ ابن عباس سورة النور، فلما أتى على هذه الآية قال: هذه في شأن عائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة، وهي مبهمة ليس[1] فيها توبة، ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة، ثم قرأ: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء -إلى قوله-: إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لأولئك توبة. قال: فَهَمَّ رجلٌ أن يقوم فيُقَبِّلَ رأسه من حُسْنِ ما فَسَّر[2].

---

(١) في ب: فليس.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٠٤)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ١٥٣ ح٢٣٤). وذكره السيوطي في الدر =

وقال خصيف: قلتُ لسعيد بن جبير: من قذف مُحصَنةً لعنه الله؟ قال: لا، إنما في عائشة خاصة(١).

وقال مقاتل(٢): هذه الآية في عبدالله بن أُبيّ بن سلول المنافق ورميه عائشة.

وقال أبو حمزة الثمالي: بلغنا أنها نزلت [في](٣) مشركي أهل مكة، بلغنا أن المرأة كانت إذا خرجت إلى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من أهل مكة وقالوا: إنما خرجت تَفْجُر، فنزلت هذه الآية(٤).

وقال قتادة وابن زيد: هي عامة في أزواج النبي ﷺ وغيرهن(٥).

فعلى قول أبي حمزة ومقاتل؛ لا إشكال في الآية. وعلى قول ابن عباس وسعيد؛ تكون الآية محمولة على من قذف [عائشة بعد براءتها أو قذف](٦) أزواج النبي ﷺ بعد أن أثنى الله تعالى عليهن وأذهب عنهن الرجس وطهَّرَهُنَّ تطهيراً، وأخبر أنهن طيبات، فيكون القاذف لهن معانداً لله تعالى ولرسوله، فيكون ملعوناً في الدنيا والآخرة.

= (٦/ ١٦٥) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير والطبراني وابن مردويه.

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٠٣)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ١٥١ ح٢٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٦٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤١٤).

(٣) زيادة من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٥).

(٥) أخرجه الطبري (١٨/ ١٠٤) عن ابن زيد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٥). وهذا القول هو اختيار ابن جرير الطبري.

(٦) زيادة من ب.

قوله تعالى: ﴿يوم تشهد﴾ وقرأ حمزة والكسائي: "يشهد" بالياء[١]، ﴿عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾.

قال ابن السائب: ما تكلموا به من الفِرْيَة في قذف عائشة[٢].

﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ الدِّين: الحساب، والحق: صفة، على معنى: يوفيهم الله الحساب الواجب.

وقرأ مجاهد والأعمش: "الحقُّ" بالرفع[٣]، على الفصل بين الصفة والموصوف.

﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ قال ابن عباس: وذلك أن عبد الله بن أبيّ [بن سلول][٤] كان يشكّ في الدين، فإذا كانت القيامة عَلِمَ حيث لا ينفعه علمه[٥].

قال صاحب الكشاف[٦]: ولو فَلَيْتَ القرآن كله وفتّشت عما أوعد به العصاة لم تَرَ أن الله تعالى قد غَلَّظَ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد، والعتاب البليغ، والزجر العنيف، ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مُفْتَنَّة، ولو لم يُنزل إلا هذه الثلاث لكفى بها، حيث جعل القَذَفَة ملعونين في الدارين جميعاً، وتوعّدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأنّ ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفِكُوا وبَهَتُوا،

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٩٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٦)، والكشف (٢/ ١٣٥)، والنشر (٢/ ٣٣١)، والإتحاف (ص:٣٢٤)، والسبعة (ص:٤٥٤).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٤).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٦/ ٢٦)، والدر المصون (٥/ ٢١٥).

(٤) ساقط من ب.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٦).

(٦) الكشاف (٣/ ٢٢٧-٢٢٨).

وأنه يوفيهم جزاءهم الواجب الذي هم أهله، حتى يعلموا عند ذلك "أن الله هو الحق المبين"، فأوجز في ذلك وأشبع، وفصَّل وأجْمَل، وأكَّدَ وكَرَّر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان، وإنما هو دونه، وما ذاك إلا لأمر.

وعن ابن عباس: أنه كان بالبصرة يوم عرفة، وكان يُسأل عن تفسير القرآن، حتى سُئل عن هذه الآيات، فقال: من أذنب ذنباً ثم تاب منه قُبلت توبته، إلا من خاض في أمر عائشة رضي الله عنها، وهذا [منه][1] مبالغة وتعظيم لأمر الإفك[2].

ﭐلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿الخبيثات للخبيثين﴾ قال أكثر المفسرين: الخبيثات من القول للخبيثين من الناس، ﴿والخبيثون﴾ من الناس ﴿للخبيثات﴾ من القول، ﴿والطيبات﴾ من القول ﴿للطيبين﴾ من الناس، ﴿والطيبون﴾ من الناس ﴿للطيبات﴾ من القول[3].

معناه: أن الخبيث من القول لا يليق ولا ينبغي أن يقال إلا للخبيث من الناس؛ لأنهم أهل له، وكذلك الطيب من القول، فكيف رميتم أيها القَذَفَة أم المؤمنين والمُفَضَّلَة على نساء العالمين ونسبتم إليها ما لا يجوز عليها.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٤١).

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ١٠٦-١٠٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٦٠-٢٥٦١)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ١٥٧-١٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٦٧-١٦٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس، ومن عدة طرق.

وقال الزجاج[١]: معناه: لا يتكلم بالخبيثات إلا [الخبيث][٢] من الرجال والنساء، ولا يتكلم بالطيّبات إلا الطيّب من الرجال والنساء.

وقال ابن زيد: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء؛ أمثال عبدالله بن أبيّ والشاكّين في الدين، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، طيبها الله تعالى لرسوله ﷺ[٣].

﴿أولئك﴾ يعني: عائشة وصفوان. وقيل: "أولئك" إشارة إلى الطيبين والطيبات ﴿مبرؤون مما يقولون﴾ أي: مما يقول الخبيثون والخبيثات من الفرية، ﴿لهم مغفرة﴾ لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ في الجنة.

قال بعض أهل المعاني: كل شيء وُصف بالكرم فهو مَرْضِيٌّ في بابه، كما يقال: فرس كريم وسيف كريم، ومنه: كتاب كريم، أي: مَرْضِيٌّ في جنسه من الكتب.

أخرج الإمام أحمد في مسنده بإسناده عن عبد الله بن أبي مليكة، أنه حَدَّثه ذكوان [حاجب][٤] عائشة، قال: « جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة، فجئت وعند رأسها ابن أخيها عبدالله بن عبدالرحمن، فقلت: هذا ابن عباس يستأذن، فأكبّ عليها ابن أخيها عبد الله فقال: هذا ابن عباس [يستأذن][٥]؟

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٧).

(٢) في الأصل: الخبيثين. والتصويب من ب، والزجاج، الموضع السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ١٠٨)، والطبراني (٢٣/ ١٥٦ ح ٢٤٠). وذكره الماوردي (٤/ ٨٤)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٤)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٦٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني.

(٤) في الأصل: صاحب. والتصويب من ب، والمسند (١/ ٢٧٦).

(٥) زيادة من المسند، الموضع السابق.

فقالت -وهي تموت-: دعني من ابن عباس، فقال: يا أَمَّتَاه، إن ابـن عبـاس مـن صالحي بَنِيكِ يُسلِّمُ عليك ويُودِّعك، فقالت: ائذن له إن شـئت، فأدْخَلتـه، فلـما جلس قال: أبشري؟ فقالت: أيضاً، فقال: ما بينكِ وبين أن تَلْقَي محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، كُنتِ أحبَّ نساء رسول الله ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طَيِّباً، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله حتى يصبح في المنزل، وأصبح الناس ليس معهم ماء [فأنزل][1] الله تعالى أن يتيمموا صـعيداً طيباً، وكان ذلك في سببك، وما أنزل الله تعـالى لهـذه الأمـة في الرخـصة، وأنـزل براءتك من فوق سبع سماوات، جاء به الروح الأمين، فأصبح ليس مـسجد مـن مساجد الله يذكر فيها[2] الله عز وجل إلا تُلِيَ فيه آناء الليل وآنـاء النهـار، قالـت: دعني منك يا ابن عباس، فوالذي نفسي بيده لَوَدِدْتُ أني كنت نـسياً منـسياً »[3].

هذا حديث صحيح أخرج البخاري طرفاً منه في صحيحه.

وقالت عائشة رضي الله عنها: لقد أعطيتُ تسعاً ما أعطيتهـا[4] امـرأة؛ نـزل جبريل بصورتي حين أُمر النبي ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكْـراً ومـا تـزوج بكْراً غيري، ولقد قُبِضَ وإن رأسه لفي حجري، ولقد قُبر في بيتي، ولقـد حَفَّـتِ الملائكة بيتي، وإن كان الوحي لينزل عليه وأنا معه في لحافـه، وإني لابنـة خليفتـه وصِدِّيقه، ولقد نزل عُذري من السماء، ولقد خُلقت طيبةً وعندي طيِّـب، ولقـد

---

(١) في الأصل: نزل. والتصويب من ب، والمسند (١/ ٢٧٦).

(٢) في ب: فيه.

(٣) أخرج البخاري طرفاً منه (٤/ ١٧٧٩ ح٤٤٧٦)، وأحمد (١/ ٢٧٦ ح٢٤٩٦).

(٤) في ب: أعطيها.

وُعدت مغفرةً ورزقاً كريماً[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾ سبب نزولها: أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله! إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، فلا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي، فنزلت هذه الآية، فقال أبو بكر رضي الله عنه بعد نزولها: يا رسول الله! أفرأيت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن؟ فنزلت: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم... الآية﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿حتى تستأنسوا﴾ جائز أن يكون من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش؛ لأن الذي يطرق باب غيره كالمستوحش لا يدري أيُؤذن له أم لا،

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٨/ ٩٠ ح٤٦٢٦). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٤-٣١٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤١) وقال: رواه أبو يعلى وفي الصحيح وغيره بعضه. وفي إسناد أبي يعلى من لم أعرفهم.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١١١) بأقصر منه. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٧١) وعزاه للفريابي وابن جرير. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص: ٣٣٤-٣٣٥).

فإذا أُذِنَ له استأنس.

فالمعنى: حتى يؤذن لكم، وهذا قول جمهور المفسرين.

وجائز أن يكون من الاستئناس الذي هو معنى الاستعلام، كما في قوله: ﴿فإن آنستم منهم رشداً﴾ [النساء:٦]، وهو معنى قول الخليل: الاستئناس: الاستبصار، من قوله: ﴿آنست ناراً﴾ [طه:١٠].

وقال بعضهم: يجوز أن يكون من الإنس، وهو أن يتعرّف هل ثَمَّ إنسان يَأذنُ له.

وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس: "حتى تستأذنوا"[(١)].

﴿وتُسلموا على أهلها﴾ وهو أن يقول[(٢)]: السلام عليكم أأدْخُل.

وقال قوم: يبدأ بالاستئذان فيقول: أأدخل سلامٌ عليكم.

وقال قوم: إن وقع بصره على إنسان قَدَّم السلام، وإلا قَدَّم الاستئذان.

وقال بعض العلماء: الاستئذان يكون بالسلام فقط.

والأول أظهر؛ لما روي عن كلدة بن حنبل: «أن صفوان بن أمية بعثه بِلَبن وجِدَايَةٍ وضَغَابيسَ إلى النبي ﷺ، والنبي ﷺ بأعلى الوادي. قال: فدخلت عليه ولم

---

(١) انظر هذه القراءة في: تفسير الطبري (١٨/ ١١٠).

قال أبو حيان في البحر (٦/ ٤١٠): روي عن ابن عباس أنه قال: ﴿تستأنسوا﴾ معناه: تستأذنوا، ومن روى عن ابن عباس أنه قرأ: "حتى تستأذنوا"، فهو طاعن في الإسلام، ملحد في الدين، وابن عباس بريء من هذا القول.

وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٢١٦): فسّره ابن عباس: حتى تستأذنوا، وليست قراءة.

(٢) في ب: تقول.

أُسَلِّم ولم أستأذن، فقال النبي ﷺ: ارْجع فقل: السلام عليكم أأدخُل؟ »[1].

أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

والجِدَاية: الصَّغير من الظِّباء، والضَّغَابيس: صغار القِثَّاء، واحدها: ضغبوس.

قوله تعالى: ﴿ذلكم خير﴾ أي: أفضل من أن تدخلوا بغير إذن ﴿لعلكم تذكرون﴾ أن الاستئذان خير فتأخذوا به.

فصل

السُّنَّة أن يستأذن ثلاثاً؛ لما أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع »[2].

ولا يستقبل الباب الذي يطرقه؛ خشية أن يقع نظره على ما يكرهه صاحب الدار.

وفي سنن أبي داود من حديث عبد الله بن بسر قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر»[3].

فصل

قال عطاء: قلتُ لابن عباس: أستأذن على أمي وأختي ونحن في بيت واحد؟ قال: أيسرك أن ترى منهن عورة؟ قلت: لا، قال: فاستأذن[4].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٤).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٩٤ ح٢١٥٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٤٨ ح٥١٨٦).

(٤) أخرجه نحوه الطبري (١٨/ ١١١-١١٢)، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٦٣)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٩٧) كلهم عن عطاء بن يسار. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨).

وقالت زينب امرأة عبدالله بن مسعود: كان عبدالله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تَنَحْنَحَ وبَزَقَ؛ كراهية أن يَهْجِمَ منا على أمر يكرهه[١].

قلت: وفي هذا دليل أنه يُكتفى في الاستئذان على المحارم في غير أوقات العورة بكل ما يقع الإعلام به؛ من نَحْنَحَةٍ وتسبيحٍ وتحميدٍ وتهليلٍ.

قوله تعالى: ﴿فإن لم تجدوا فيها أحداً﴾ أي: إن وجدتموها خالية ممن يعتبر إذنه شرعاً ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ أي: حتى تجدوا من يأذن لكم، ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا﴾ أي: انصرفوا ولا تقفوا على الباب مُلازمين له، فإن ذلك مما يؤذي ويجلب الكراهة.

ويلتحق بهذه الآداب ما يكرهه ذوو الألباب: من قَرْعِ الباب بشدة، ورفع الصوت، ونحوهما.

﴿هو أزكى لكم﴾ وأفضل من ملازمة الباب والارتقاب للإذن والجواب، لما فيه من البُعْد من الريبة.

﴿والله بما تعملون﴾ من الدخول بإذن وبغير إذن ﴿عليم﴾ وعليه مُجاز.

قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة﴾ قال قتادة: هي الخانات والبيوت المبنية للسابلة[٢].

وقال ابن جريج: هي جميع البيوت التي لا ساكن لها؛ لأن الاستئذان شرع لأجل الساكن[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨١ ح٣٦١٥).

(٢) أخرج الطبري في تفسيره (١٨/ ١١٤) عن قتادة قال: هي الخانات تكون لأهل الأسفار.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٩).

﴿فيها متاع لكم﴾ أي: منفعة من الاستكان وإيواء الرَّحْل والمتاع.

وقال عطاء: هي البيوت الخَرِبَة، والمتاع: قضاء الحاجة فيها[(١)].

﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ أي: ما تُظهرون وما تُضمرون.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ قيل: إنّ "مِنْ" صِلَة، وجوّزه الأخفش، وأبَاهُ سيبويه؛ لأنهم لم يُؤمروا بالغضّ مطلقاً، وإنما أمروا بالغض عما يحرم عليهم من الأجنبيات، ومن ذوات المحارم، وما[(٢)] لا يظهر غالباً.

ويجوز النظر منهن إلى الرقبة والرأس واليدين والقدمين والساقين.

ويروى عن الإمام أحمد رواية أخرى: أنه لا يجوز أن ينظر منهن إلا إلى الوجه والكفَّين[(٣)].

أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة ثم يغضّ بصره، إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها))[(٤)].

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره (١٨/ ١١٤) عند قوله: ﴿فيها متاع لكم﴾ قال عطاء: الخلاء والبول. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٩).

(٢) في ب: ما.

(٣) انظر: الإنصاف (٨/ ٢٠).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٤ ح٢٢٣٣٢).

وأخرج الإمام أيضاً في كتاب الزهد[١] بإسناده عن مالك قال: بلغنا أن سليمان عليه السلام قال لابنه: يا بني! امش وراء الأسد والأسْوَد[٢] ولا تمش وراء امرأة.

﴿ويحفظوا فروجهم﴾ قال أكثر المفسرين: المعنى: يحفظونها من الإفضاء إلى ما لا يحل.

وقال أبو العالية وابن زيد: يحفظونها من[٣] أن تُرى، فيكون أمراً لهم[٤].

وجوّز بعضهم إرادة المجموع، وهو الحفظ عن الإفضاء والإبداء.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى غَضِّ أبصارهم وحِفْظِ فروجهم ﴿أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ في الأبصار والفروج وغيرها.

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا

(١) أخرجه أحمد في: الزهد (ص:٥٢).

(٢) الأسود: نوع من الأفاعي.

(٣) في ب: عن.

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٩٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٥) كلاهما من قول أبي العالية، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٠).

يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

ثم إن الله تعالى أمر النساء بما أمر به الرجال فقال: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ فلا يحلّ للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سُرّته وفوق ركبته.

وروي عن الإمام أحمد رضي الله عنه رواية أخرى: أنه لا يجوز لها النظر إلى الأجنبي حذراً من الافتتان[1].

و ((لأن النبي ﷺ أمر أمّ سلمة وميمونة بالاحتجاب من ابن أم مكتوم، فقالتا: يا رسول الله! أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقال: أفعمياوان أنتما، ألستما تُبصرانه؟))[2].

فإن قيل: لم قَدَّمَ الأمر بغضّ الأبصار على الأمر بحفظ الفروج وهو أهمّ؟

قلتُ: قدَّمه؛ لعموم البلوى فيه، وقلة التحرز منه، وكونه بريد الفجور، والوسيلة العظمى إلى ارتكاب المحظور.

قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ اعلم أن الزينة ما تتزين به

---

(١) انظر: الإنصاف (٨/ ٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٦٣ ح٤١١٢)، والترمذي (٥/ ١٠٢ ح٢٧٧٨) وقال: حديث حسن صحيح.

قال أبو داود: هذا لأزواج النبي ﷺ خاصة، ألا ترى إلى اعتداد فاطمة بنت قيس عند ابن أم مكتوم، وقد قال النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس: ((اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده)).

المرأة، وتنقسم إلى قسمين: زينةٍ خفيةٍ وزينةٍ ظاهرةٍ. فأما الزينة الخفية فلا يجوز إبداؤها للأجانب في حال التزين بها؛ كالسِّوَارين والدُّمْلُج والخَلْخَال[١] والقُرْط والقِلادَة.

وأما الزينة الظاهرة المستثناة في الآية فيجوز إبداؤها للأجانب.

وقد اختلف العلماء فيها؛ فذهب ابن مسعود من الصحابة والإمامان أحمد والشافعي من الفقهاء: إلى أنها الثياب[٢].

وقد سمَّاها الله تعالى زينة في موضع آخر فقال: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [الأعراف:٣١]، فيجوز للأجنبي النظر إلى ثوب المرأة ما لم يكن رقيقاً يَصِفُ البشرة.

وقال ابن عباس: هي الكحل والخاتم[٣].

وزادها مجاهد: الخضاب[٤].

وقال ابن عباس في رواية أخرى: هي الكف والوجه[٥].

---

(١) في ب زيادة قوله: والدملج. وهو تكرار.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١١٧)، وابن أبي شيبة (٣/ ٥٤٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٧٩) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر. وانظر: الفروع لابن مفلح (١/ ٥٣٤).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢/ ٢٢٥ ح٣٠٣١)، والطبري (١٨/ ١١٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٧٩) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ١١٩). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣١).

(٥) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢/ ٢٢٥ ح٣٠٣٠)، والطبري (١٨/ ١١٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٧٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٨٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم =

فإن قيل: إذا فُسِّرت الزينة بالحلي، فما الحكمة في النهي عن إبدائه؟

قلتُ: مبالغة في الأمر بالتستر، وليعلم أن النظر إذا لم يحِلّ إلى الزينة لملابستها تلك المواضع، كان النظر إلى تلك المواضع أكثر إثماً وأكبر جُرماً.

قوله تعالى: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ الخُمُر: جمع خِمَار، وهو: ما تُغطي به المرأة رأسها[١].

أمر الله سبحانه وتعالى النساء أن يَسْدُلْنَ مَقَانِعَهُنَّ[٢] على جُيوبهن لِيَسْتُرْن قِرْطَتَهُنَّ وأعناقَهنَّ وصُدورَهنّ.

﴿ولا يبدين زينتهن﴾ يعني: الخَفِيَّة ﴿إلا لبعولتهن﴾ أي: أزواجهن، ﴿أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن﴾ يريد: إخوتهن، ﴿أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن﴾ يعني: المسلمات.

قال الإمام أحمد: لا يحِلّ للمسلمة أن تكشف رأسها عند نساء أهل الذمة، واليهودية والنصرانية لا تقبّلان المسلمة[٣].

وقيل: المراد بنسائهن وما ملكت أيمانهن: مَنْ صَحِبْنَهُنَّ وخَدَمْنَهُنَّ من الحرائر والإماء، فالنساء كلهن سواء في حِلّ نظر بعضهن إلى بعض.

وعلماؤنا يقولون: المراد بما ملكت أيمانهن: الإماء دون العبيد.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: لا ينظر العبد من مولاته غير الوجه

=

والبيهقي في سننه.

(١) انظر: اللسان (مادة: خمر).

(٢) المِقْنَعَة: ما تَتَقَنَّعُ به المرأة من ثوب تُغطّي رأسها ومحاسنها (اللسان، مادة: قنع).

(٣) انظر: المغني (٨/ ١٥٥).

والكفين[١].

وقال أصحاب الشافعي: يجوز للمرأة أن تُظهر لمملوكها البالغ ما تُظهر لمحارمها[٢].

قال الشافعي: هو مَحْرَمٌ لها[٣]، وأبى ذلك إمامنا أحمد[٤]؛ لأنها بعرضيَّة أن يحل له نكاحها وهو أجنبي منها.

قال سعيد بن المسيب: لا تغُرَّنَّكُم آية النور، فإن المراد بها: الإماء[٥].

قوله تعالى: ﴿أو التابعين﴾ وهم الذين يتبعون القوم ويخدمونهم.

﴿غير أولي الإربة من الرجال﴾ قال قتادة: هو الأحمق الذي لا تشتهيه المرأة ولا يغار عليه الرجل[٦].

وقال مجاهد: هو الأبله الذي يريد الطعام ولا يريد النساء[٧].

وقال عكرمة: هو العنّين[٨].

---

(١) انظر: الإنصاف (٨/ ٢٠).

(٢) انظر: المهذب للشيرازي (٢/ ٣٤-٣٥).

(٣) انظر: المغني (٣/ ٩٨).

(٤) انظر: الإنصاف (٨/ ٢٠).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٥٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٨٤) وعزاه لابن أبي شيبة.

(٦) أخرج نحوه الطبري (١٨/ ١٢٢) عن ابن عباس. وذكره الماوردي (٤/ ٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٣). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٦/ ١٨٤) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الطبري (١٨/ ١٢٢). وذكره الماوردي (٤/ ٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٣).

(٨) ذكره الماوردي (٤/ ٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٣).

وقال [ابن][1] السائب: هو الشيخ الفاني[2].

وقال أيضاً: هو الخادم[3].

وقال ابن المنادي -من علمائنا-: هو الذي لا يكترث بالنساء؛ إما لكبرٍ أو لهرمٍ أو لصغرٍ[4].

وأكثر القرّاء على خفض "غيرٍ" صفةً "للتابعين".

وقرأت لابن عامر وأبي بكر عن عاصم وأبي جعفر: "غيرَ" بالنصب على الاستثناء أو الحال[5].

والإربة: الحاجة.

﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ أي: لم يعرفوها.

فإن قيل: ما الحكمة في ترك ذِكْر العم والخال في هذه الآية مع كونهما من جملة المحارم؟

قلتُ: قد سُئل الشعبي عن ذلك فقال: لئلا يصفها العم عند ابنه، والخال كذلك، يريد: أن سائر من ذكر في هذه الآية من المحارم يشترك الأب وابنه في المحرمية إلا العم والخال، فربما وصفها لابنه حتى كأنه ينظر إليها. فلم يذكرهما مبالغة في تحقيق معنى الستر.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٣-٣٤).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٩٦-١٩٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٦-٤٩٧)، والكشف (٢/ ١٣٦)، والنشر (٢/ ٣٣٢)، والإتحاف (ص:٣٢٤)، والسبعة (ص:٤٥٤-٤٥٥).

قوله تعالى: ﴿ولا يضربن بأرجلهن﴾ يعني: ولا يَرْكُضْنَ بأرجلهنّ الأرض إذا مَشَيْنَ.

وقيل: لا يضربن [بإحدى][1] الرِّجْلين على الأخرى.

﴿ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ نهى سبحانه وتعالى عن إظهار وَسْوسة الخلخال بعد أن نهى عن إبدائه، ليُعلم أن إبداء الأبدان أَوْغَلُ في الإثم وأَدْخَلُ في التحريم.

﴿وتوبوا إلى الله جميعاً﴾ من إرسال أبصاركم وإبداء الزينة لغير ذوي المحارم، وغير ذلك [من][2] الآثام.

وقال ابن عباس: توبوا إلى الله مما كنتم تفعلونه في الجاهلية[3].

﴿أيها المؤمنون﴾ وقرأت لابن عامر: "أَيُّهُ المؤمنون" بضم الهاء، ومثله: ﴿يا أَيُّهُ الساحر﴾ [الزخرف:٤٩] و ﴿أَيُّهُ الثقلان﴾ [الرحمن:٣١]. واتفقوا على إسقاط الألف من "أيها" في الوقف اتباعاً [للإمام، إلا أبا عمرو والكسائي][4] فإنهما وقفا بالألف[5].

فمن فتح الهاء في الوصل فلمراعاة الأصل؛ لأنه لما حذف الألف لالتقاء الساكنين أبقى الفتحة لتدل على الألف المحذوفة. ومن ضَمَّ الهاء حذف الألف في

(١) في الأصل: إحدى. والتصويب من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٧) بلا نسبة.

(٤) في الأصل: للإمام أبي عمرو والكساي. والتصويب من ب.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٩٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٧-٤٩٨)، والكشف (٢/ ١٣٦-١٣٧)، والإتحاف (ص:٣٢٤)، والسبعة (ص:٤٥٥).

الوصل لالتقاء الساكنين، وأتبع حركة الهاء حركة الياء قبلها.

وقال أبو علي[1]: من قرأ: "أيها" بألف فلا نظير فيه؛ لأنها ها التي للتنبيه وُصلت بها "أيُّ". فأما ضَمُّ ابن عامر الهاء في هذه الثلاثة فلا يتّجه؛ لأن آخر الاسم هو الياء [الثانية][2] من "أيُّ"، فينبغي أن يكون المضموم آخر الاسم. ولو جاز أن يُضَمَّ هذا من حيث كان مقترناً بالكلمة لجاز أن تُضَمَّ الميم من "اللهم".

وجوّد أبو علي قراءة من أثبت الألف في الوقف، وعلّته ما أشرنا إليه.

﴿لعلكم تفلحون﴾ تُسعدون في الدنيا والآخرة.

وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ وهم: الذين لا أزواج لهم من الرجال

---

(١) الحجة (٣/ ١٩٨).

(٢) زيادة من الحجة (٣/ ١٩٨).

والنساء، أبكاراً كانوا أو ثيباً، يقال: رجل أَيِّمٌ وامرأة أَيِّم. وقد آمَ الرَّجُل وآمَتِ المرأة وتَأَيَّما أيضاً تَأَيُّماً. قال الشاعر:

فَأُبْنا وقد آمَتْ نساءٌ كثيرةٌ ونسوةُ سعدٍ ليسَ منهنّ أَيِّمُ[1]

وقال آخر:

فإن تَنْكِحِي أَنْكِحْ وإن تَتَأَيَّمِي وإن كنتُ أفتى منكمُ أتأَيَّمُ[2]

والأمر للندب والاستحباب.

والمعنى: زَوِّجُوا من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم.

﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ أي: من عبيدكم، يقال: عَبْدٌ وعَبيدٌ وعِبادٌ[3]، مثل: كَلْبٍ وكِلابٍ وكُلَيب.

وفي قراءة الحسن: "وعَبيدِكُم"[4].

والمعنى: زَوِّجوا الصالحين من عبيدكم وإمائكم مراعاة لصلاحهم وتحصيناً لدينهم.

---

(١) البيت لرجل يهجو سعد بن أبي وقاص يوم القادسية، انظر: مجمع الزوائد (٩/ ١٥٤)، والمعجم الكبير للطبراني (١/ ١٤١)، والتمهيد لابن عبدالبر (١٩/ ٧٧)، وسير أعلام النبلاء (١/ ١١٥)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٣١، ٤٣٣).

(٢) البيت من شواهد الكشاف (٣/ ٢٣٨)، ومجاز القرآن (٢/ ٦٥)، واللسان (مادة: أيم) والشطر الثاني فيه: (يدا الدهر ما تنكحي أتأيم)، والدر المصون (٥/ ٢١٨)، والطبري (١٨/ ١٢٥)، والقرطبي (١٢/ ٢٤٠)، وروح المعاني (١٨/ ١٤٧)، والتمهيد لابن عبد البر (١٩/ ٨٠، ٨٣)، والماوردي (٤/ ٩٧).

(٣) في ب: وعباد وعبيد.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٤).

وفي هذا تنبيه على أثرة ذوي الدين والصلاح في باب النكاح، كما قال عليه الصلاة والسلام: « اظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك »[١].

ومن استقرأ سير السلف وأخبارهم ووقف على صفة [صفوة][٢] منهم من ذوي الزهادة والعبادة، آثروا الآجل على العاجل، وأعرضوا عن زهرة الدنيا وزخرفها، رغبة في ثواب الله تعالى ورهبة من عقابه، وقدَّمُوا أرباب الدين على أصحاب الدنيا؛ كأبي الدرداء وسعيد بن المسيب حين خطب إليهما ملوك بني أمية ابنتيهما.

وقيل: المراد بالصلاح هاهنا: القيام بحقوق النكاح.

ثم رجع إلى الإخبار عن الأحرار فقال: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾.

قال الزجاج[٣]: حثَّ الله تعالى على النكاح وأعلم أنه سببٌ لنفي الفقر.

قال قتادة: ذُكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: ما رأيت مثل رجل لم يلتمس الغنى في الباه[٤]، والله تعالى يقول: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾[٥].

﴿والله واسع﴾ ذو سعة لا يرزأه إغناء خلقه، ﴿عليم﴾ يبسط الرزق لمن يشاء

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٥٨ ح٤٨٠٢)، ومسلم (٢/ ١٠٨٦ ح١٤٦٦).

(٢) زيادة من ب.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٤٠).

(٤) الباه: لغة في الباءة، وهو هنا: النكاح (اللسان، مادة: بوه).

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٦/ ١٧٣ ح١٠٣٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٨٨) وعزاه لعبد الرزاق في المصنف وعبد بن حميد.

ويقبض، على حسب علمه في خلقه.

قوله تعالى: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً﴾ أي: ليجتهدوا في العِفَّة، وليحملوا أنفسهم عليها، وأنجع الأدوية المعينة على العفة: الصوم؛ لما أُخرج في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فليصُم، فإن الصوم له وِجاء»[١].

والباءة: كناية عن النكاح، وأصلها: المكان الذي يأوي إليه الإنسان. ومنه: مَبَاءَةُ الغنم، وهو الموضع الذي تأوي إليه بالليل، فسُمِّي النكاح بها؛ لأن من تزوج امرأة بوَّأها منزلاً وأوى إليها.

ومعنى استطاعتها: القدرة على الوصول إليها بالإنفاق والصِّداق وغيرهما.

والوِجَاء: دَقُّ الأُنْثَيَين[٢]. والمعنى: أنه يقطع عنه غُلْمَةُ النكاح، كما يقطع الوِجاء.

﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ فيعطيهم ما [يتوسلون][٣] به إليه من الصدقة والنفقة.

قوله تعالى: ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ يعني: يطلبون الكتابة، فيسألون مواليهم أن يبيعوهم أنفسهم بمال في الذمة، ﴿مما ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والإماء، ﴿فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٥٠ ح٤٧٧٩)، ومسلم (٢/ ١٠١٨ ح١٤٠٠).

(٢) انظر: اللسان (مادة: وجأ).

(٣) في الأصل: يتوسلوا. والتصويب من ب.

قال ابن عمر وابن عباس: حيلة على الكسب، وقوةً على الاحتراف[١].

قال الشافعي رضي الله عنه: أظهر معنى في الخير: الاكتساب مع الأمانة[٢].

وقال الحسن: دِيناً[٣].

وقال سعيد بن جبير: إن علمتم أنهم يريدون بذلك الخير[٤].

فصل

اختلف العلماء هل قوله تعالى: ﴿فكاتبوهم﴾ أمر إيجاب أو أمر استحباب؟

فذهب الأكثرون: إلى أنه أمر استحباب، وبه قال إمامنا وأبو حنيفة والشافعي[٥].

وقال ابن عباس في رواية عطية عنه وعطاء وعمرو بن دينار: هو أمر إيجاب[٦].

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره (١٨/ ١٢٧) عن ابن عمر: أنه كره أن يكاتب مملوكه إذا لم تكن له حرفة قال: تطعمني أوساخ الناس. وذكره الماوردي (٤/ ٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧).
وأخرج عن ابن عباس قوله: ﴿فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً﴾ يقول: إن علمتم لهم حيلة ولا تلقوا مؤنتهم على المسلمين. وهذا القول هو اختيار الطبري (١٨/ ١٢٧).

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ١٠٠)، ونص عليه الشافعي في كتابه الأم (٨/ ٣١).

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧).

(٥) انظر: المغني (١٠/ ٣٣٣)، والمبسوط للسرخسي (٧/ ٢٠٧)، والطبري (١٨/ ١٢٧)، والماوردي (٤/ ٩٩)، والوسيط (٣/ ٣١٩).

(٦) انظر: الطبري (١٨/ ١٢٦)، وهذا القول هو الذي اختاره، والمغني (١٠/ ٣٣٣)، والماوردي (٤/ ٩٩)، والوسيط (٣/ ٣١٩).

وروي نحوه عن إمامنا[١]؛ لما روي: أن[٢] سيرين سأل أنس بن مالك أن يكاتبه، فتلكأ عليه، فشكاه إلى عمر رضي الله عنه، فعلاه بالدرّة وأمره بالكتابة[٣]، وقال: هي عزمة من عزمات الله تعالى، من سأل الكتابة كُوتب.

فعلى هذا يجبر السيد على إجابته عند الطلب وتحقق الشرط.

قوله تعالى: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ قال ابن عباس: هذا خطاب للأغنياء الذين تجب عليهم الزكاة، أمرهم الله عز وجل أن يعطوا المكاتبين من سهم الرقاب[٤].

وقال غيره: هذا أمر للسادة أن يعطوا مكاتبيهم أو [يحطّوهم][٥] من كتابتهم شيئاً[٦]. وقدّره إمامنا أحمد رضي الله عنه بالرُّبُع[٧]، وهو مروي عن علي رضي الله عنه ومجاهد[٨]. ولم يقدّره الشافعي رضي الله عنه.

واختلف الأئمة الأربعة رضي الله عنهم في الإيتاء؛ هل هو واجب أو

---

(١) انظر: المغني (١٠/ ٣٣٣).

(٢) في الأصل زيادة قوله: "ابن" بخط مغاير، وهو خطأ.

(٣) أخرجه عبدالرزاق (٨/ ٣٧٢)، والطبري (١٨/ ١٢٦). وقد ذكره البخاري معلقاً (٢/ ٩٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٩٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن أنس بن مالك.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧).

(٥) في الأصل: يعطوهم. والتصويب من ب.

(٦) ذكره الماوردي (٤/ ١٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧).

(٧) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٧٧-٤٧٨).

(٨) أخرجه الطبري (١٨/ ١٢٩)، ومجاهد (ص:٤٤١). وذكره الماوردي (٤/ ١٠٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٩).

مستحب؟ فذهب إمامنا والشافعي إلى إيجابه، وذهب الآخران إلى استحبابه[١].

وقد روي: «أن عمر بن الخطاب كاتب غلاماً له يقال له: أبو أمية، فجاء بنجمه حين حَلَّ فقال: اذهب أبا أمية فاستعن به على مكاتبتك، قال: يا أمير المؤمنين لو أخرته حتى يكون في آخر النجوم، فقال: يا أبا أمية إني أخاف أن لا أُدْرِكَ ذلك، ثم قرأ: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾. قال عكرمة: وكان ذلك أول نجم أُدِّيَ في الإسلام»[٢].

ويؤيد ذلك: ما ذكره المفسرون في سبب نزول هذه الآية: أن صبيحاً مولى حويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه، فنزلت هذه الآية، فكاتبه حويطب على مائة دينار، ووهب له منها عشرين ديناراً[٣].

فصل

ولا تصح الكتابة إلا من جائز التصرف، وإن كاتب المميز عبده بإذن وليه صَحَّ.

وقيل: لا يصح.

وإن كاتب السيد عبده المميز صَحّ عندنا[٤].

---

(١) انظر: المغني (١٠/ ٣٤٢)، والإنصاف (٧/ ٤٤٦)، والأم (٨/ ٣١)، والمبسوط للسرخسي (٧/ ٢٠٦)، والتمهيد لابن عبد البر (٢٢/ ١٨٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٨٧)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٣٢٩ ح٢١٤٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٩٢) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي حاتم والبيهقي.

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٣٥)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٨٩) وعزاه لابن السكن في معرفة الصحابة.

(٤) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٤٨).

وعند أبي حنيفة وعند الشافعي: لا يصح. وعن مالك كالمذهبين.

وتنعقد الكتابة بقوله: كاتبتك على كذا، وإن لم يقل: فإذا أديت إليّ فأنت حُرّ.

وقيل: يشترط في حصول الحرّية قوله أو نيّته، وبه قال الشافعي.

ولا تصح إلا على عِوَضٍ معلوم مُنَجَّم نجمين فصاعداً.

وقال أبو حنيفة ومالك: تصح على نجم واحد، وروي نحوه عن إمامنا[١].

وإذا أدى ما كوتب عليه أو أبرئ منه عتق، وما فضل في يده فهو له[٢].

فإن وجد السيد بالعِوَض عيباً فله أرْشُه أو قيمته، ولا يرتفع العتق[٣].

فصل

اختلف العلماء في جواز بيع رقبة المُكَاتَب، فذهب الأكثرون إلى عدم الجواز، وهو قول إمامنا في رواية أبي طالب عنه.

والمشهور عنه: الجواز[٤]، وبه يُفتي أصحابنا؛ لحديث بريرة.

ولأنه عِتْقٌ معلق بصفة أشبه التدبير.

فإذا قلنا: يجوز[٥] البيع فالمشتري قائم مقام المكاتَب، فإن أدى إليه عَتَقَ وولاؤه له، وإن عجز عاد قِنّاً له.

---

(١) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٤٩).

(٢) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٥١).

(٣) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٥٤).

(٤) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٧٠).

(٥) في ب: بجواز.

فصل

والكتابة عقد لازم من الطرفين، فإن حل نَجْمٌ فلم يُؤده فللسيد الفسخ[١].

وعن إمامنا رواية أخرى: أنه لا يُعَجَّزُ إلا بحلول نجمين[٢].

فصل

وإن اختلفا في الكتابة فالقول قول من ينكرها، وإن اختلفا في قدر العِوَض فالقول قول المكاتَب مع يمينه؛ لأنه جاحد.

وعنه: القول قول السيد[٣].

وقال الشافعي: يتحالفان وينفسخ العقد، وهو اختيار صاحبنا أبي بكر، وحكاه عن إمامنا أحمد[٤].

قوله تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ يعني: إمائكم ﴿على البغاء﴾ وهو الزنا.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث جابر قال: «كان عبد الله بن أبيّ يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً، فنزلت هذه الآية»[٥].

قال المفسرون: كان لعبد الله بن أبيّ جاريتان: مُعاذة ومُسَيْكَة، وكان يُكرههما على الزنا، ويأخذ منهما الضريبة، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤاجرون إماءهم. فلما جاء الإسلام قالت معاذة لِمُسَيْكَة: إنّ هذا الأمر الذي نحن فيه إن كان

---

(١) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٧٥، ٤٧٦).

(٢) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٧٦).

(٣) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٨٥-٤٨٦).

(٤) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٨٦).

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢٣٢٠ ح٣٠٢٩).

خيراً فقد استكثرنا منه، وإن كان شراً فقد آن لنا أن نَدَعَهُ، فنزلت هذه الآية[١].

قولـه تعـالى: ﴿إن أردن تحـصناً﴾ أي: تَعَفُّفَاً عـن الزنـا. وإنـما شرط إرادة التحصن؛ لأن الإكراه لا [يتأتّى][٢] إلا مع إرادة التحصن.

﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ وهو كسبهن وثمن أولادهن من الفجور.

﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ قال عامة المفسرين: المعنى: فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم للمُكْرَهَات[٣].

ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير: "فـإن الله مـن بعـد إكـراههن غفور للمكرَهين والمكرَهات إذا تابوا وأنابوا".

فإن قيل: المكْرَهَة غير آثمة، فما معنى مغفرة الله لها؟

قلتُ: الظاهر أن الإكراه في حَقِّهِنّ لم تتحقق شرائطه المخلِّصة من الإثم؛ لأن ما يَعْرِض لهنّ من اللذة في أثناء الوطء، وما ينشأ لهن من الشهوة والغُلْمة يستزلهن عن استمرار العصمة المانعة من الإثم.

قوله تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ قـرأ نـافع وأبـو عمـرو وابـن كثير[٤] وأبو بكر: [بفتح الياء. وقرأ][٥] ابن[٦] عامر وحمزة والكسائي وحفـص:

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٨).

(٢) في الأصل: يأتي. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الطبري (١٨/ ١٣٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٩).

(٤) في هامش ب: في الأصل هذا متروك، والصواب ما ألحقته.

(٥) زيادة من ب.

(٦) في الأصل: وابن. والتصويب من ب.

"مبيِّنات" [بكسر][1] الياء فيهن[2].

بمعنى: موضحات للأحكام والحدود.

﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾ أي: شبهاً من حالهم بحالكم أيها المكذبون، ﴿وموعظة﴾ تذكرة وتخويفاً ﴿للمتقين﴾.

وما أحسن ما لمح بعضهم من أن المعنى: ومثلاً من أمثال من قبلكم، أي: قصة عجيبة من قصصهم [كقصة][3] يوسف ومريم.

يعني: [قصة][4] عائشة رضي الله عنها، وموعظة ما وعظ به في الآيات، والمثل من نحو قوله: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾[النور:٢]، ﴿لولا إذ سمعتموه﴾ [النور:١٢] ولولا إذ سمعتموه﴾ [النور:١٦]، ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً﴾ [النور:١٧].

۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾

---

(١) زيادة من ب. وفي هامشها: في الأصل: بفتح الياء، وهو سهو.

(٢) أي في هذا الموضع، وفي الموضع الآتي وهو قوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ [٤٦].

(٣) في الأصل: كقصية. والتصويب من ب.

(٤) زيادة من ب.

قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ قال ابن عباس: الله هادي أهل السموات والأرض[١].

ويحقق هذا المعنى: أن النور هو الضياء الذي تتبين به الأشياء، والله سبحانه نور باعتبار أن الهدى من عنده.

قال ابن قتيبة[٢]: معناه: بنوره يهتدي مَنْ في السموات والأرض.

وقيل: الله ذو نور وصاحب نور السموات والأرض.

وقرأ أبي بن كعب: "اللهُ نَوَّر"[٣] بالتشديد، وجعله فعلاً ماضياً، "السموات" مفعول، "والأرض" بالنصب عطف على المفعول[٤].

﴿مثل نوره﴾ قال ابن عباس: مثل نور الله في قلب المؤمن[٥]، وهو القرآن والهدى الذي جاء به محمد ﷺ.

﴿كمشكاة﴾ وفي قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب: "مثل نور من آمن به كمشكاة"[٦]، وهي الكُوَّة التي لا تَنْفُذ.

﴿فيها مصباح﴾ أي: سِراج.

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٩٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص:٣٢٨).

(٣) في الأصل زيادة: السموات.

(٤) انظر قراءة أبيّ في: زاد المسير (٦/ ٤٠)، والدر المصون (٥/ ٢١٩).

(٥) أخرجه الطبري (١٨/ ١٣٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٩٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٦) انظر قراءة ابن مسعود وأُبي في: زاد المسير (٦/ ٤٠).

﴿المصباح في زجاجة﴾ وقُرئ بالحركات الثلاث على [الزاي][1].

قال ابن جني[2]: في الزجاجة ثلاث لغات: زُجاجة، وزِجاجة، وزَجاجة، [وفي][3] الجميع: زُجاج، وزِجاج، [وزَجاج][4].

قال الزجاج[5]: النور في الزُّجاج وضوء النار فيه، أَبْيَنُ منه في كل شيء.

ثم وصف الزجاجة فقال: ﴿كأنها كوكب درّي﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي: "دِرِّيء" بكسر الدال والمد والهمز. وقرأ حمزة وأبو بكر كذلك إلا أنهما ضمَّا الدال. وقرأ الباقون بضمّ الدال وتشديد الياء من غير مدّ ولا همز[6].

قال أبو علي[7]: تحتمل[8] هذه القراءة أن تكون نسبة إلى [الدُّرِّ][9]؛ لفرط ضيائه ونوره، كما أن الدُّرَّ كذلك.

قال[10]: ومن قرأ بكسر الدال والهمزة كان فِعِّيلاً من الدَّرْء، مثل: السِّكِّير[11]

---

(١) في الأصل: الراء. وهو خطأ. والتصويب من ب.

(٢) المحتسب (٢/ ١٠٩).

(٣) في الأصل: في. والتصويب من ب، والمحتسب، الموضع السابق.

(٤) زيادة من ب، والمحتسب، الموضع السابق.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٤٣-٤٤).

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٩)، والكشف (٢/ ١٣٧)، والنشر (٢/ ٣٣٢)، والإتحاف (ص:٣٢٤)، والسبعة (ص:٤٥٥-٤٥٦).

(٧) الحجة (٣/ ٢٠٠).

(٨) في الأصل زيادة: أن تكون.

(٩) في الأصل: الدار. والتصويب من ب، والحجة (٣/ ٢٠٠).

(١٠) أي: أبو علي الفارسي في الحجة (٣/ ٢٠٠).

(١١) في الأصل: الكسير. والتصويب من ب، والحجة، الموضع السابق.

والفِسِّيق. والمعنى: أن الخفاء يدفع [عنه][١] لتلألئه في ظهوره، فلم يَخْفَ كما خفي، نحو السُّها، وما لم يُضِيءْ من الكواكب.

قال[٢]: ومن قرأ: "دُرِّيءُ" بضم الدال والهمز، كان فُعِّيلاً من الدَّرْء، وهو الدفع.

قلت: قد أنكر هذه القراءة الفراء والزجاج والمبرد وقالوا[٣]: ليس في كلام العرب فِعِّيل.

قوله تعالى: ﴿تَوَقَّد﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح التاء والواو والدال مع تشديد القاف، جعلاه فعلاً ماضياً على معنى: توقد المصباح.

وقرأ أهل الكوفة إلا حفصاً بضم التاء والدال مع التخفيف، جعلوه فعلاً مستقبلاً لم يُسم فاعله على معنى: تُوقَدُ الزجاجة.

قال الزجاج[٤]: المقصود: مصباح الزجاجة، فحذف المضاف.

وقرأ الباقون: "يُوقَد" بياء مضمومة مع التخفيف وضَمِّ الدال[٥]، على معنى: يُوقَدُ المصباح.

﴿من شجرة﴾ أي: من زيت شجرة ﴿مباركة﴾ وهي شجرة الزيتون.

---

(١) زيادة من ب، والحجة (٣/ ٢٠٠).

(٢) أي: أبو علي الفارسي في الحجة (٣/ ٢٠٠).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٢٥٢)، ومعاني الزجاج (٤/ ٤٤).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٤٤).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٠-٢٠١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٠)، والكشف (٢/ ١٣٨)، والنشر (٢/ ٣٢٥)، والإتحاف (ص:٣٣٢)، والسبعة (ص:٤٥٦).

والذي يدلك على [المضاف][1] المحذوف قوله: ﴿يكاد زيتها يضيء﴾.

ومعنى بركتها: [كثرةُ][2] منافعها؛ لأن الزيت إدامٌ ودهانٌ ودباغٌ وشفاءٌ من كثير من الأمراض، وثَفَلُها[3] وحَطَبُها [وقودٌ][4]، ويُغسل برماده الإبريسم، إلى غير ذلك من المنافع.

ثم وصفها فقال: ﴿زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ أي: هي ضاحية للشمس لا يسترها شجر ولا جبل ولا كهف، فإذا طلعت الشمس أصابتها، وإذا غربت أصابتها، فزيتُها يكون أصفى. وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة وأكثر المفسرين[5]، واختيار الزجاج[6].

قال بعضهم: يريد: أن منبتها الشام، وأجود الزيت زيته.

قال ابن زيد: لأن الشام لا شرقي ولا غربي[7].

وروي عن ابن عباس قال[8]: هي معتدلة ليست من شرق فيلحقها الحر، ولا

---

(١) في الأصل: المصباح. وهو خطأ. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: كثيرة. والتصويب من ب.

(٣) الثفل: ثُفْل كل شيء وثافِلُه: ما استقر تحته من كَدَره (اللسان، مادة: ثفل).

(٤) في الأصل: ويوقد. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٠). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢١)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٠١) وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن عكرمة والضحاك ومحمد بن سيرين، وعزاه لعبد بن حميد.

(٦) انظر: معاني الزجاج (٤/ ٤٥).

(٧) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٢).

(٨) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٣٤٦).

في غرب فيضرّ بها البرد.

وقال الحسن: ليست من شجر الدنيا، ولو كانت في الأرض لكانت شرقية أو غربية، وإنما هو مثل ضربه الله تعالى لنوره[١].

ثم وصف صفاء زَيْتُها فقال: ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ أي: يكاد زيت الزيتونة لصفائه وشدة لمعانه يضيء، ﴿ولو لم تمسسه نار نورٌ على نور﴾ أي: هذا الذي شُبِّه [به][٢] الحق نور متضاعف، بياضه فيه نور النار، والمصباح والزجاجة والمشكاة جامعة لهذا النور المضاعف مانعة من الانتشار الموجب للضعف.

﴿يهدي الله لنوره﴾ أي: لنوره المضيء في قلب المؤمن، ﴿من يشاء﴾ من عباده ممن وفقه لإصابة الحق.

﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ أي: يبين الأشباه لهم تقريباً إلى أفهامهم وتسهيلاً لسبل الإدراك عليهم.

﴿والله بكل شيء عليم﴾ فهو أعلم[٣] حيث يضع نوره.

فصل

اختلف العلماء في هذا المثل والمُمَثَّل ومَنِ المعنِيُّ بالمشكاة والمصباح والزّجاجة؛ فقال ابن عمر: "المشكاة": جوف محمد ﷺ، و"الزجاجة": قلبه، و"المصباح": النور الذي جعل الله تعالى فيه، "لا شرقية ولا غربية": لا يهودي ولا نصراني، "توقد من

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠١-٢٦٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠١) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) زيادة من ب.

(٣) في ب: يعلم.

شجرة مباركة": إبراهيم ﷺ، "نور على نور": جعل الله تعالى في قلب إبراهيم كما جعل في قلب محمد ﷺ[١].

قال كعب الأحبار: يكاد نور محمد ﷺ وأمره يتبين للناس، ولو لم يتكلم أنه نبي، كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار[٢].

وقال محمد بن كعب القرظي: "المشكاة": إبراهيم، و"الزجاجة": إسماعيل، و"المصباح": محمد صلوات[٣] الله عليهم أجمعين، "توقد من شجرة مباركة": وهي إبراهيم عليه السلام، "نور على نور": نبي من نسل نبي[٤].

وقال الضحاك: شبَّه عبد المطلب بالمِشْكَاة، وعبد الله بالزّجاجة، والنبي ﷺ بالمصْباح كان في صلبهما، فوَرَث النبوة من إبراهيم عليه السلام[٥].

وقال أكثر المفسرين: هذا مثلٌ للمؤمن، فـ"المشكاة": قلبه، و"الزجاجة": صدره، و"المصباح": هو الإيمان والقرآن، "توقد من شجرة مباركة": وهي الإخلاص، "لا شرقية ولا غربية": بل هي مسلّمة مما يوجب نقصاً فيها، كذلك المؤمن قد أُجير وحُرس من الفتن القادحة في نور إيمانه، فإن أُعطي شكر، وإن ابتُلي صبر، وإن قال صدق، وإن حكم عدل، يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى ولو لم يأته

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٣١٧ ح١٣٢٢٦)، والأوسط (٢/ ٢٣٥ ح١٨٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٩٨) وعزاه للطبراني وابن عدي وابن مردويه وابن عساكر.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٣٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٩٨- ١٩٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) في ب: صلى.

(٤) انظر: زاد المسير (٦/ ٤٤)، وتفسير البغوي (٣/ ٣٤٧).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤)، والقرطبي (١٢/ ٢٦٣).

العلم، فإذا أتاه العلم ازداد نوراً على نوره الذي جُبل عليه[١].

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿في بيوت﴾ قال الزجاج[٢]: "في" صلة قوله: كمشكاة في بيوت.

ويجوز أن تكون متصلة بقوله: ﴿يسبح له فيها﴾، وفيها على هذا الوجه تكرير، كقولك: زيد في الدار جالس فيها.

قال ابن عباس وأكثر المفسرين: يعني: المساجد[٣].

﴿أذن الله﴾ أي: أمر ﴿أن ترفع﴾.

قال الحسن: تُعَظَّم[٤].

وقال مجاهد وقتادة: تُبنى[٥]، كقوله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤)، والبغوي (٣/ ٣٤٧).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٤٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٤)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠٢-٢٠٣) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٥)، ومجاهد (ص:٤٤٣). وذكره =

البيت﴾ [البقرة:١٢٧].

﴿ويذكر فيها اسمه﴾ قال ابن عباس: يُتْلَى فيها كتابه[١].

والأظهر عمومه.

﴿يسبح له فيها﴾ يُصلَّى له فيها، ﴿بالغدو والآصال * رجال﴾.

اختلفت الرواية عن ابن عباس في صلاة الغدو؛ [فروى][٢] عنه ابن أبي طلحة: أنها صلاة الفجر[٣].

وروى [عنه][٤] ابن أبي مليكة أنه قال: إن صلاة الضحى لفي كتاب الله وما يغوص عليها إلا غواص، ثم قرأ: ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال﴾[٥].

واختلفوا في صلاة الآصال؛ فقال ابن السائب: صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء[٦].

وقال أبو سليمان: صلاة العصر[٧].

= السيوطي في الدر (٦/ ٢٠٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد.

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) في الأصل: فرى. والتصويب من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧).

(٤) زيادة من ب.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ١٧٣ ح٧٧٩٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠٦)، وعزاه لابن أبي شيبة والبيهقي في شعب الايمان.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧).

(٧) مثل السابق.

وقيل: هو التسبيح المعروف[١].

وقرأ ابن عامر وأبو بكر: "يُسَبَّحُ" بفتح الباء، على ما لم يُسمّ فاعله[٢].

ثم فسّر من [يُسبح][٣] فقال: ﴿رجال﴾ كأنه قيل: من يُسبِّحُ؟ فقال: رجالٌ، أي: يسبّح رجال.

فعلى هذا يَحسُن الوقف على "الآصال".

ويجوز أن يرتفع "رجالٌ" بالابتداء، والخبر "في بيوت"[٤].

فعلى هذا لا يجوز الوقف على الآصال.

﴿لا تلهيهم﴾ أي: لا تشغلهم ﴿تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ قيل: التجار الجلاّبون، يقال: تَجَرَ فلان في كذا؛ إذا جَلَبَه.

وقيل: التجارة: صناعة التاجر، وهو الذي يبيع ويشتري للربح.

فإما أن يريد: لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة، ثم خصّ البيع؛ لأنه في الإلهاء أَدْخَلُ من قِبَل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة ألهتْه ما لا يلهيه شراء شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني؛ لأن هذا يقين وذاك مظنون.

وإما أن يسمَّى الشراء تجارة؛ إطلاقاً لاسم الجنس على النوع، كما يقال: رُزق فلان تجارة رابحة؛ إذا اتجه له بيع صالح أو شراء.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠١)، والكشف (٢/ ١٣٩)، والنشر (٢/ ٣٣٢)، والإتحاف (ص:٣٢٥)، والسبعة (ص:٤٥٦).

(٣) في الأصل: فسر سبح. والتصويب من ب.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٥٦)، والدر المصون (٥/ ٢٢١).

قال ابن عباس في قوله: "عن ذكر الله" يريد: الصلوات الخمس[١].

وكان عمر رضي الله عنه في السوق فأقيمت الصلاة، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد، فقال: فيهم نزلت: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾[٢].

وقال أبو سليمان الدمشقي: "عن ذكر الله": باللسان[٣].

﴿وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ سبق تفسيره.

فإن قيل: لم حذفوا التاء من إقام الصلاة، فإن أصلها: إقامة الصلاة؟

قلتُ: لأنها عوضٌ من العين الساقطة للإعْلال، وأصلها: إقوام، فلما أضيفت جعلوا الإضافة مقام حرف العِوَض فأُسقطت، ومثله:

إن الخليطَ أجَدُّوا البَيْنَ وانْجَرَدُوا وأخْلَفُوك عِدَ الأمْرِ الذي وَعَدُوا[٤]

أراد: عِدَةَ الأمر.

﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ جائز أن يراد بتقلُّبها: اضطرابها من الهول والفزع، فتبلغ القلوب الحناجر وتتقلب الأبصار إلى الزَّرَقِ بعد الكحل،

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم. كلهم بلفظ: ((الصلاة المكتوبة)).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٦) عن سالم بن عبدالله، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٧) عن ابن عمر. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠٧-٢٠٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عمر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨).

(٤) البيت للفضل بن العباس بن عتبة اللهبي. وهو في: اللسان (مادة: غلب، وعد، خلط)، والطبري (١٨/ ١٤٧)، والقرطبي (١٢/ ٢٨٠)، وروح المعاني (١٠/ ١١١، ١٨/ ١٧٨).

والعَمَى بعد النظر.

وجائز أن يراد بذلك: تقلُّب أحوالها، فتفْقَهُ القلوب بعد أن كـان[١] مطبوعـاً عليها، وتُبْصِر الأبصار بعد أن كانت محجوبة.

وقيل: تتقلب القلوب بين الطمع في النجاة، والخوف من الهـلاك، وتتقلـب الأبصار [فتنظُر][٢] من أين يُؤتون كتبهم وأيّ ناحية يُؤخذ بهم؟.

قوله تعالى: ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا﴾ اللام متعلقة بـــ "يـسبح" أو بـــ "يخافون"[٣].

والمعنى: ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم.

﴿ويزيدهم من فضله﴾ ما لم يستحقوه بأعمالهم، ﴿والله يرزق من يـشاء بغـير حساب﴾ مفسّر في البقرة[٤].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) في ب: كانت.

(٢) في الأصل: فينظرون. والتصويب من ب.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٥٦)، والدر المصون (٥/ ٢٢١).

(٤) عند الآية رقم: ٢١٢.

ثم ضرب مثلاً لأعمال الكفار فقال: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ "الذين" مبتدأ "كفروا" صلة له، "أعمالهم" مبتدأ ثان، خبره "كسراب"، والجملة خبر الموصول.

والسراب: هو ما يُرى في الفَلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة على بُعدٍ، يتلألأ كأنه ماء[١].

قال ابن قتيبة[٢]: والآلُ: ما رأيتَه في أول النهار وآخره[٣]. والقِيعَة والقاع واحد.

وقال الزجاج[٤]: القِيعَة: جمع قاع، مثل: جَارٍ وجِيرَة، وهو ما انبسط من الأرض ولم يكن فيه نبات، وفيه يكون السراب.

﴿يحسبه الظمآن﴾[٥] وهو العطشان الشديد العَطَش ﴿ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾. كذلك الكافر يُقدّم أعمالاً يعتقد نفعها عند الله، ثم يَخِيبُ في العاقبة أمله، ويرى خلاف ما حسب وقدّر.

﴿ووجد الله عنده فوفّاه حسابه﴾ أي: جزاء حسابه، أو موجب حسابه، ﴿والله سريع الحساب﴾ مُفسّر في البقرة عند قوله: ﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾ [٢٠٢].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: سرب).
(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٣٠٥).
(٣) انظر: اللسان (مادة: أول).
(٤) معاني الزجاج (٤/ ٤٧).
(٥) في الأصل زيادة قوله: ماء. وستأتي بعد.

قوله تعالى: ﴿أو كظلمات﴾ قال أكثر المفسرين: هذا المَثَل لأعمال الكفار أيضاً[١].

قال الزجاج[٢]: أعلم الله عز وجل أن أعمال الكفار إن مُثِّلَتْ بما يوجد فمَثَلُها كمَثَلِ السَّراب، وإن مُثِّلَتْ بما يُرَى فهو كهذه [الظلمات][٣] التي وَصَفَ.

وقيل: هذا مَثَلٌ لقلوب الكفار وتراكم الرَّينِ عليها.

﴿في بحر لجي﴾ عظيم اللُّجَّة.

قال ابن عباس والأكثرون: هو العميق الذي يبعد عُمْقُه[٤].

﴿يغشاه موج﴾ أي: يعلو ذلك البحر اللجي مَوْج، ﴿من فوقه﴾ أي: من فوق الموج ﴿موج﴾. والمعنى: أنه يتبع الموج موج، فهو لعظم هيجه واضطراب موجه كأنه فوقه، من فوق ذلك الموج ﴿سحاب﴾.

ثم ابتدأ فقال: ﴿ظلمات﴾ يعني: ظُلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الموج الذي فوقه وظلمة السحاب.

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء النحوي لابن كثير من رواية قنبل والشافعي عنه: "ظُلُمَاتٍ" بالجر، بدلاً من "ظلمات" الأولى.

وقرأتُ عليه له من رواية البزي وابن فليح: "سحابُ" بالرفع من غير تنوين،

---

(١) انظر: الطبري (١٨/ ١٥٠).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٤٨).

(٣) في الأصل: الظلما. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٢).

"ظلماتٍ" بالجر على الإضافة[١].

أضاف السحاب إلى الظلمات؛ لتكوّنها وظهورها عندها.

﴿إذا أخرج يده﴾ يعني: إذا أخرج الواقع في البحر اللجي الموصوف بهذه الأوصاف يده ﴿لم يكد يراها﴾.

وقيل: الضمير يعود إلى مضاف محذوف، تقديره: أو كذي ظلمات.

قوله تعالى: ﴿لم يكد يراها﴾ تأكيد لشدة الظلمة، ونفي لمقاربة الرؤية.

قال الحسن: لم يَراها ولم يقارب الرؤية[٢].

قال الفراء[٣]: لأن أقل من هذه الظلمات لا يرى فيه الناظر يده.

وقال المبرد[٤]: المعنى: لم يَرها إلا بعد الجهد.

قال الفراء[٥]: وهذا كما تقول العرب: ما كدت أبلغ إليك، وقد بلغت. وهذا وجه العربية.

﴿ومن لم يجعل الله له نوراً﴾ قال ابن عباس: دِيناً وإيماناً[٦]، ﴿فما له من نور﴾.

وزعم مقاتل[٧]: أن هذه الآية نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية، وكان يلتمس

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠١-٥٠٢)، والكشف (٢/ ١٣٩)، والنشر (٢/ ٣٣٢)، والإتحاف (ص:٣٢٥)، والسبعة (ص:٤٥٧).

(٢) ذكر الماوردي (٤/ ١١١) نحوه، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٣).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٢٥٥).

(٤) انظر قول المبرد في: زاد المسير (٦/ ٥٠).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٢٥٥).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٥١).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢١). وفيه: أنها نزلت في شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

=

الدين في الجاهلية، ولبس المسوح، ثم كَفَرَ بالإسلام لما بُعث محمد ﷺ.

فصل

قال بعض المفسرين: أراد بالظلمات: أعمال الكافر، وبالبحر اللُّجّي: قلبه، وبالموج: ما يغشى قلبه من الجهل والشك، وبالسَّحاب: الختم والرَّين على قلبه[١].

وقيل: المراد بالظلمات: ظلمة الشرك وظلمة المعاصي[٢].

قال أبي بن كعب في هذه الآية: الكافر يتقلب في خمسةٍ من الظُّلَم، فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره في الظلمات يوم القيامة في النار[٣].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ أي: ألم تعلم بطريق الوحي إليك أو الإنزال[٤] عليك

قال القرطبي (١٢/ ٢٨٦): وكلاهما مات كافراً، فلا يبعد أن يكونا هما المراد بالآية وغيرهما.

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٥١).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣٤ ح٣٥١٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والطبري (١٨/ ١٥١)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦١٤). وذكره السيوطي في الدر من حديث طويل (٦/ ١٩٧-١٩٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه.

(٤) في ب: والإنزال.

﴿أن الله يسبح له من في السموات والأرض﴾ سبق تفسيره.

﴿والطير صافات﴾ عطف على موضع "مَنْ في السموات والأرض"(١)، تقديره: ويسبح له الطير صافات باسطات أجنحتها في الهواء.

ووجه اختصاصها بالذِّكْر من بين الأشياء؛ كونها بين الأرض والسماء.

﴿كلٌ قد علم صلاته وتسبيحه﴾ قال أكثر المفسرين: الصلاة لبني آدم، والتسبيح لما سواهم(٢).

والضمير في "عَلِمَ" لله، أي: كلٌ قد عَلِمَ الله صلاته وتسبيحه. وهذا اختيار الزجاج(٣).

وقيل: الضمير لـ"كل" على معنى: كلٌ قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه، وعرف ما قد كُلِّفَ من ذلك.

وقيل: المعنى: كلٌ قد عَلِمَ صلاة الله وتسبيحه.

﴿والله عليم بما يفعلون﴾.

قوله تعالى: ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ قال ابن السائب: يعني: خزائن المطر والرزق والنبات لا يملكها غيره(٤).

﴿وإلى الله المصير﴾ بعد الموت.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٥٨)، والدر المصون (٥/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٧٣٨)، والطبري (١٨/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦١٦) كلهم عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢١١) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة عن مجاهد.

(٣) انظر: معاني الزجاج (٤/ ٤٨).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٣).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر﴾: كالتي قبلها.

﴿أن الله يزجي سحاباً﴾ أي: يَسُوقه سَوْقاً رفيقاً، والسحاب يكون واحداً؛ كالعماء، ويكون جمعاً كالرّباب.

فإن قيل: إن كان واحداً فما وجه قوله: "بينه" فإنه لا يجوز أن يقول: زيدٌ المال بينه، حتى يقول: وبين عمرو؟

قلتُ: وجهه أن يقال معناه: ثم يؤلف ويضم بين أجزائه، كما في قول امرئ القيس:

.... بين الدَّخُولِ فحَوْمَلِ [1]

قوله تعالى: ﴿ثم يجعله ركاماً﴾ أي: متراكماً بعضه فوقه بعض، ﴿فترى الودق يخرج﴾ وهو المطر ﴿من خلاله﴾ أي: من فوق [2] السحاب ومخارجه، وهو جمع خَلَل، كَجَبَل وجبال.

---

(١) جزء من بيت لامرئ القيس، وأوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

انظر البيت في: ديوانه (ص:٨)، والمثل السائر (١/ ٢٣٧)، وخزانة الأدب (١/ ١٩)، وصبح الأعشى (٢/ ٣٠٧)، والقرطبي (١٧/ ١٦).

(٢) في ب: فتوق.

وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس: "مِنْ خَلَلِه"[١].

﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ قال الزمخشري[٢]: "مِـن" الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض، والثالثـة لبيـان الجـنس، أو الأولتـان للابتـداء، والثالثة للتبعيض.

ومعناه: أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها، وعلى الأولى مفعول "يُنزل": "مِنْ جبال"، أي: من بعض جبال.

وقال غيره: قوله تعالى: "فيها من برد" إن شئت كان التقدير: فيهـا شيء مـن برد، على قول سيبويه. وعلى قول الأخفش: فيها برد، فيكون "مِنْ" زائدة، ويكون موضع الجار [والمجرور][٣] رفعاً بالظرف.

ويجوز أن يكون "مِنْ بَرَد" تبييناً لـ"جبال"، التقدير: من جبال بَرَدٍ؛ لأن قولك جبال بَرَدٍ، وجبال من بَرَدٍ؛ كقولك: خَاتَمُ حديد، وخاتمٌ من حديد.

والمعنى على هذا: ينزل من السماء جبال برد.

ويجوز أن يكون قوله: "من جبال" بدلاً من "من السماء"، ويكون قوله: "مـن بَرَدٍ" مفعولاً، تقديره: وينزل من جبال في السماء برداً أو شيئاً من بَرَدٍ[٤].

قال ابن عباس: أخبر الله عز وجل أن في السماء جبالاً من بَرَدٍ[٥].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٥).

(٢) الكشاف (٣/ ٢٥١).

(٣) في الأصل: المجرور. والتصويب من ب.

(٤) انظر لما سبق: التبيان (٢/ ١٥٨)، والدر المصون (٥/ ٢٢٦).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٣).

﴿فيصيب به﴾ أي: بالبَرَد ﴿من يشاء﴾ فيضُرُّه في زرعه وثمره، ﴿ويصرفه عمّن يشاء﴾ فلا يضرّه.

﴿يكاد سنا برقه﴾ أي: يقرُبُ ضوءُ بَرْقِ السحاب، ﴿يذهب بالأبصار﴾ أي: يخطفها لشدة لمعانه، ومثله: ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ [البقرة:٢٠].

وقرأت لأبي جعفر: "يُذهِبُ" بضم الياء وكسر الهاء[(١)]، فتكون الياء زائدة، تقديره: يُذهب الأبصار.

فإن قيل: ما وجه قراءة طلحة بن مصرف: "سناء برقه" بالمد[(٢)]، مع أن السناء هو الشرف؟

قلتُ: يجوز أن يكون المراد: المبالغة في صفاء ضوئه، فأطلق عليه لفظة الشَّرَف، كما تقول: هذا ضوء كريم.

وقد ذكرنا فيما مضى أن العرب توقع الكرم على كل مختار في جنسه[(٣)].

﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ قال المفسرون: يأتي بهذا ويذهَب بهذا[(٤)].

ويجوزّ عندي أن يكون المراد بتقلبهما: تغاير أحوال الخلق فيهما ما بين موت وحياة، وقبض وبسط، وعز وذل، وغير ذلك.

ويدل على صحة هذا التأويل قوله ﷺ حاكياً عن ربه عز وجل أنه قال:

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٥)، والنشر (٢/ ٣٣٢).

(٢) انظر قراءة طلحة بن مصرف في: القرطبي (١٢/ ٢٩٠).

(٣) في سورة النور عند الآية رقم: ٢٦.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦١٩). وذكره الطبري (١٨/ ١٥٤-١٥٥)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٥٣)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢١٢) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

«يؤذيني ابن آدم يسُبُّ الدهر وأنا الدهر؛ بيدي الأمر، أقلّب الليل والنهار»[١].

أي: أنا الذي أقلب الليل والنهار بتصاريف أحوالهما الكائنة فيهما.

﴿إن في ذلك﴾ التقليب ﴿لعبرة لأولي الأبصار﴾ لدلالة لأرباب العقول على قدرة الله تعالى ووحدانيته وعظَمَتِه.

وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ قرأ حمزة والكسائي: "خالِقُ" بالألف وكسر اللام ورفع القاف، على اسم الفاعل، "كُلِّ" بالجر على الإضافة، كقوله: ﴿الله خالق كل شيء﴾ [الرعد:١٦]، وقرأ الباقون: "خَلَقَ كلَّ" على صيغة الفعل الماضي[٢]، ونصبوا كلاً؛ لأنه مفعول "خَلَقَ"، وهذا كقوله: ﴿ألم تر أن الله خلق السموات والأرض﴾ [إبراهيم:١٩]، وقوله: ﴿وخلق كل شيء﴾ [الأنعام:١٠١]. والمعنى: كل دابة من الحيوان المشاهَد، فيخرج من ذلك الملائكة والجن، "مِنْ مَاء" يعني: النطفة.

ثم غَلَّبَ من يعقل فقال: ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾؛ كالحيات والحيتان، ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كابن آدم، ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ كالأنعام

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٥ ح٤٥٤٩)، ومسلم (٤/ ١٧٦٢ ح٢٢٤٦).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٣-٥٠٤)، والكشف (٢/ ١٤٠)، والنشر (٢/ ٣٣٢)، والإتحاف (ص:٣٢٦)، والسبعة (ص:٤٥٧).

والبهائم. فانظر إلى هذا الترتيب البديع الدَّال على العلم والحكمة، كيف بدأ أولاً بما هو أدل على القدرة الإلهية، وأعجب في إتقان الحكمة، وهو الماشي بغير آلة مشاهدة، ثم بالماشي على رجلين، ثم بالماشي على أربع.

فإن قيل: لم سمي الزحف على البطن مَشْياً؟

قلت: على وجه الاستعارة، كقولهم: فلان لا يتمشّى له أمر، وقولهم للشيء المستمر: ماشٍ. وهذا معنى قول الزجاج[1].

قال أبو عبيدة[2]: جاز ذلك لكون الزاحف على بطنه خُلط بالماشي على قوائمه، فصار مثل قولهم: أكلتُ خُبْزاً ولَبَناً، ولا يقال: أكلت لبناً.

﴿يخلق الله ما يشاء﴾ من هذه الأنواع وغيرها، ﴿إن الله على كل شيء﴾ يعني: على إنشاء كل شيء من هذه الأشياء وغيرها ﴿قدير﴾.

لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

(١) انظر: معاني الزجاج (٤/ ٥٠).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٦٨).

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا﴾.

قال المفسرون: نزلت في رجلٍ من المنافقين يقال له: بِشْر، وكان بينه وبين يهودي حُكومة، فدعا اليهودي المنافق إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما، فقال المنافق: إن محمداً يحيف علينا، ولكن بيني وبينك كعب بن الأشرف، فأنزل الله تعالى هذه الآيات[1].

﴿ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك﴾ أي: من بعد قولهم: آمنا بالله وبالرسول وأطعنا.

﴿وما أولئك﴾ الذين هذا شأنهم ﴿بالمؤمنين﴾.

﴿وإذا دعوا إلى الله﴾ أي: إلى كتاب الله ﴿ورسوله ليحكم بينهم﴾ الرسول.

وقال بعض أهل المعاني[2]: معنى: "إلى الله ورسوله": إلى رسول الله، كقولك: أعجبني زيد وكَرَمُه، يريد: كرم زيد، ومنه قول الشاعر:

ومَنْهَلٍ منَ الفَلا في أوسَطِهِ غَلَّسْتُهُ قَبْلَ القَطَا وفُرَّطِهِ[3]

أراد: قبل فرط القطا.

---

(١) انظر: تفسير الماوردي (٤/ ١١٥)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٣٣٧)، وزاد المسير (٦/ ٥٤).

(٢) هو قول الزمخشري في الكشاف (٢/ ٢٥٢-٢٥٣).

(٣) البيت من شواهد الكشاف (٢/ ٢٥٣)، والدر المصون (٥/ ٢٢٨)، ومجالس ثعلب (ص:٣١٣)، والبحر (٦/ ٤٢٩).

قوله تعالى: ﴿مذعنين﴾ قال الزجاج[١]: الإذْعَان: الإسراعُ مع الطاعة.

قال الزمخشري[٢]: "إليه" صلة "يأتوا"؛ لأن ["أتى" و"جاء" قد جاءا][٣] مُعَدَّيَيْن بـ"إلى"، أو يتصل بـ"مذعنين"؛ لأنه في معنى: مسرعين في الطاعة.

وما أوضح الدليل في هذه القصة على اعتصام النبي ﷺ بالعدل البَحْتِ، ودورانه مع مُرِّ الحق، حيث استوى عنده فيه من يصافيه ومن ينافيه[٤].

﴿أفي قلوبهم مرض﴾ كفر ونفاق ﴿أم ارتابوا﴾ فيما جئتَ به من البيان الواضح، ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ في القضاء.

وهذا الاستفهام في معنى التوبيخ مبالغة في ذمهم.

ثم أضرب عن خوف الحَيْفِ فقال: ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ أي: لا يخافون حَيْفَه لعلمهم بعدله في قضائه، وإنما هم الموصوفون بالظلم المعروفون به، حيث صدفوا عن أحكامك المُضِيَّة وأقضيتك المرضِيَّة، أو هم الظالمون بالكفر والفسق والكذب وجحد الحقوق.

قوله تعالى: ﴿إنما كان قولَ المؤمنين﴾ قال الفراء[٥]: ليس هذا بخبر ماض، وإنما المعنى: إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين ﴿إذا دعوا إلى الله ورسوله﴾.

وقرأ الحسن: "قولُ" بالرفع. والقراءة المشهورة أولى؛ لأنه إذا ولي كان

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٥٠).

(٢) الكشاف (٣/ ٢٥٣).

(٣) في الأصل: أتى وجاءا. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في ب: يصافيه وينافيه. قال القرطبي في تفسيره (١٢/ ٢٩٤): في هذه الآية دليل على وجوب إجاعة الداعي إلى الحاكم.

(٥) معاني الفراء (٢/ ٢٥٨).

اسمان[1]، فأولاهما بالاسمية أَوْغَلُهُما في التعريف، و"أن يقولوا" أَوْغَلُ من "قـول المؤمنين"؛ لأنه لا يتطرق التنكير إليه. هذا معنى قول الزمخشري[2].

﴿لِيَحْكُمَ بينهم﴾ وقرأتُ لأبي جعفر: "لِيُحْكَمَ" بضم الياء وفتح الكاف، على ما لم يُسَمَّ فاعله[3].

﴿أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ أي: سمعنا قولك وأطعنا أمرك، سواء كان الحق لهم أو عليهم.

﴿وأولئك﴾ يعني: الموصوفين بهذه الصفة ﴿هم المفلحون﴾.

﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ قال ابن عباس: فيما سَاءَه وسَرَّه[4].

وقال أيضاً: ومن يطع الله في فرائضه، ورسوله في سننه، ﴿ويخش الله﴾ فيما مضى من ذنوبه ﴿ويتقه﴾ فيما يستقبل، ﴿فأولئك هم الفائزون﴾[5].

قرأ الأكثرون: "ويَتَّقِهِي" بكسر الهاء وصلتها بياء. وقرأ أبو جعفر وقالون عن نافع: بكسر الهاء من غير أن يبلغ بها ياء. وقرأ أبو عمرو وأبو بكر: بسكون الهـاء. وقرأ حفص بسكون القاف وكسر الهاء[6].

---

(١) كذا في الأصل و ب، ولعل الصواب: لأنه إذا كان اسمان، بحذف كلمة: ولي. وعبارة الكشاف: لأن أولى الاسمين بكونه اسماً لكان أوغلهما في التعريف.

(٢) الكشاف (٣/ ٢٥٤).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٦)، والنشر (٢/ ٢٢٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٥).

(٥) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٥٣) بلا نسبة.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٣)، والكشف (٢/ ١٤٠)، والإتحاف (ص:٣٢٦)، والسبعة (ص:٤٥٧-٤٥٨).

فمن وصلها بياء فلحركة ما قبل الهاء.

قال أبو علي[1]: والوجه؛ لأن ما قبل الهاء مُتحركٌ، وحكمها إذا تحرك ما قبلها بالكسر أن تتبعها الياء في الوصل.

ومن قرأ بكسر الهاء فوجهه: أن الحركة ليست تلزم ما قبل الهاء، ألا ترى الفعل إذا رفع دخله الياء، وإذا دخلت الياء اختير حذف الياء بعد الهاء في الوصل، مثل: عليه وفيه.

ومن قرأ: "يتقْهِ" بسكون القاف وكسر الهاء؛ فقال ابن الأنباري: هي لغة من يقول: لم أرْ زيداً ولم أشترْ طعاماً، يسقطون الياء للجزم، ثم يُسكِّنُون الحرف الذي قبلها، ومنه قول الشاعر:

قالت سُليمَى اشترْ لنا دقيقاً[2]

۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾

---

(١) الحجة (٣/ ٢٠٣).

(٢) الرجز للعذافر الكندي، وهو في شرح المفصل (١١/ ١٩٤): قالت سليمى اشتر لنا دقيقاً وهات خبز البُرّ أو سَويقا. وانظر: شرح شواهد الإيضاح (ص:٢٥٨)، وشرح شواهد الشافية (ص:٢٠٤، ٢٠٥)، وتاج العروس (١٥/ ٤٣٨)، والحجة للفارسي (١/ ٦٣، ٢٥٢)، وبلا نسبة في: الأشباه والنظائر (١/ ٦٦)، وجمهرة اللغة (ص:١٣٢٧)، والخصائص (٢/ ٢٤٠، ٣/ ٩٦)، وشرح شافية ابن الحاجب (٢/ ٢٩٨)، والمحتسب (١/ ٣٦١).

قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن﴾ قال المفسرون: لما بيّن الله تعالى كراهتهم لحكم الرسول قالوا للنبي ﷺ: والله لو أمرتنا بالجهاد والخروج من ديارنا لخرجنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١].

وعند قوله: ﴿قل لا تقسموا﴾؛ تمَّ الكلام.

﴿طاعة معروفة﴾ قال الزجاج[٢]: تأويله: طاعة معروفة أفضل وأحسن من قَسَمِكُم بما لا تُصَدَّقُون فيه، فحذف خبر الابتداء للعلم به.

وقال غيره: يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: أمرُكُم والذي يُطلب منكم طاعة معروفة[٣].

﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ من صالح وطالح، وعليه مجاز.

ثم أمرهم الله تعالى بالطاعة فقال: ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا﴾: هذا خطاب لهم. المعنى: فإن تتولوا، فحذف إحدى التاءين.

﴿فإنما عليه ما حمّل﴾ أي: ليس على الرسول ﷺ إلا ما حمّله الله والقيام بأعباء الرسالة، وأداء ما استودعه من تبليغها، وقد فعل ذلك فلا ضرر عليه، ﴿وعليكم ما حمّلتم﴾ أي: ما كُلِّفْتُم من الإيمان والطاعة.

﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ تُوَفَّقُوا لإصابة الحق.

قال بعض السلف: من أَمَرَّ السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أَمَرَّ الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة؛ لقوله تعالى: ﴿وإن تطيعوه

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٥٦).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٥١).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٥٨-١٥٩)، والدر المصون (٥/ ٢٣٠).

تهتدوا﴾(١).

﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ سبق الكلام عليه فيما مضى.

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾ أخرج الحاكم في صحيحه من حديث أبي بن كعب قال: «لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتْهُم العرب عن قوسٍ واحدة، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا في لأْمَتِهم. فقالوا: أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل، فنزلت هذه الآية»(٢).

قال أبو العالية: لما أظهر الله عز وجل رسوله ﷺ على قُرَى العرب وضعوا السلاح وأمِنُوا، ثم قبض الله تعالى نبيه ﷺ، فكانوا آمنين كذلك في إمارة أبي بكر رضي الله عنه وعمر وعثمان، حتى وقعوا فيما وقعوا فيه، وكفروا النعمة -يعني:

(١) ذكره ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٥٧)، والآلوسي في روح المعاني (١٨/ ٢٢٩)، ونسبه لأبي عثمان.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣٥ ح٣٥١٢). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٣٨-٣٣٩).

بقتل عثمان- فأدخل الله تعالى عليهم الخوف، فغيَّروا فغيَّر الله تعالى ما بهم[١].

ومعنى: "ليستخلفنهم في الأرض": ليجعلنهم يخلفون مَنْ قَبلهم، واللام جواب قسم محذوف.

﴿كما استَخْلَفَ﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم: "استُخْلِفَ" على ما لم يُسَمَّ فاعله[٢].

والمعنى: كما استخلَف بني اسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد هلاك الجبابرة.

﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾: وهو دين الإسلام.

قال ابن عباس: يُوَسِّع لهم في البلاد حتى يملكوها، [ويُظْهر][٣] دينهم على جميع الأديان[٤].

﴿وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾ قرأتُ على الشيخ [أبي][٥] عبدالله محمد بن داود بن عثمان الدرنبدي الصوفي خادم الخليل عليه السلام بمسجد الخليل صلوات الله عليه، أخبركم الحافظ أبو [طاهر][٦] السلفي فأقرّ به، أخبرنا أبو

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٥٩-١٦٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٢٩). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢١٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٤)، والكشف (٢/ ١٤٢)، والنشر (٢/ ٣٣٢)، والإتحاف (ص:٣٢٦)، والسبعة (ص:٤٥٨).

(٣) في الأصل: ويظهروا. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٧).

(٥) زيادة على الأصل. وسيأتي ذكره في سورة القيامة.

(٦) في الأصل: الطاهر. والمثبت من ب.

عبدالله القاسم بن الفضل بن أحمد الثقفي بأصبهان، أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم المزكي النيسابوري، أخبرنا عبدالله بن إسحاق الخراساني ببغداد، حدثنا أبو سعيد عبدالرحمن -يعني: ابن محمد بن منصور- حدثنا يحيى بن سعيد القطان، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، حدثنا قيس، عن خباب قال: « شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو [مُتوسِّدٌ][1] بُردةً له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستغفر الله لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ فقال: قد كان [من كان][2] قبلكم يُؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها، ويُجاء بالمنشار[3] فيوضع على رأسه فينشر باثنين، فما يصدُّه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب فما يصده ذلك عن دينه، والله ليُتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون »[4]. هذا حديث صحيح أخرجه البخاري عن محمد[5]، [عن][6] يحيى بن سعيد، فكأنني سمعته في طريقه من أبي الوقت.

وهكذا جاء في هذا الطريق: "ألا تستغفر الله لنا"، والمحفوظ: "ألا تستنصر الله لنا".

قوله تعالى: ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ كلام مستأنف أثنى الله به

---

(١) في الأصل: متوسداً. والتصويب من ب، وصحيح البخاري (٣/ ١٣٢٢).
(٢) زيادة من ب.
(٣) في ب: بالميشار.
(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٢٢ ح٣٤١٦).
(٥) هو محمد بن المثنى.
(٦) في الأصل: بن. والتصويب من ب، والصحيح.

عليهم، لا محل له من الإعراب. كأن قائلاً قال لهم: يستخلفون ويؤمنون فقال: يعبدونني.

ويجوز أن يكون في محل الحال "من وعدهم"[1]، أي: وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم.

قوله تعالى: ﴿ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ قال أهل التفسير: أول من كفر بهذه النعمة: قَتَلَةُ عثمان رضي الله عنه. فلما قتلوه غيّر الله تعالى ما بهم وأدخل عليهم الخوف، حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً متحابّين[2].

فصل

وهذه الآية من جملة الدلائل الواضحة على صحة القول بخلافة الصدّيق وعمر وعثمان، وهي من الآيات الهوادم لمذهب الرافضة، ولكنهم من الذين حقَّت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم.

قوله تعالى: ﴿لا تحسبن الذين كفروا﴾ قرأ ابن عامر وحمزة: "لا يحسبنّ" بالياء، على معنى: لا يحسبن محمد الذين كفروا ﴿معجزين﴾، فحذف المفعول الأول.

وقرأ الباقون بالتاء، على الخطاب للنبي ﷺ[3].

المعنى: لا تحسبن كفار مكة يعجزوننا ويفُوتُوننا هَرَباً.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٥٩)، والدر المصون (٥/ ٢٣١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٥٩).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٥)، والكشف (٢/ ١٤٢)، والنشر (٢/ ٢٧٧)، والإتحاف (ص:٣٢٦).

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ السبب في نزول هذه الآية: «أن رسول الله ﷺ وجّه غلاماً من الأنصار يقال له: مدلج بن عمرو، إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه، فرأى عمر على حالٍ كَرِهَ عمر أن يُرى عليها، فقال عمر: يا رسول الله! وددت أن الله أمرنا ونهانا في حال الاستئذان، فنزلت هذه الآية»[١].

والمعنى: ليستأذنكم في الدخول عليكم الذين ملكت أيمانكم من العبيد والإماء.

---

(١) انظر: تفسير الماوردي (٤/ ١٢٠)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٣٣٩)، وزاد المسير (٦/ ٦٠).

قال عطاء: ذلك على كل كبير وصغير[١].

وقال القاضي أبو يعلى رحمه الله: الأظهر أن يكون المراد: "العبيد": الصغار و"الإماء": الصغار؛ لأن العبد البالغ بمنزلة الحر البالغ في تحريم النظر إلى مولاته، فكيف يضاف إلى الصبيان الذين هم غير مكلفين[٢]؟.

﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ أي: من أحراركم من الرجال والنساء ﴿ثلاث مرات﴾ يريد: في اليوم والليلة.

ثم بيّنها فقال: ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع، وطرح ثياب النوم، ولبس ثياب اليقظة، ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ لأنه مظنة حَلّ الأُزُر ووقت وضع الثياب للقائلة، ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ لأنه وقت التجرد من الثياب المعدة لليقظة، والدخول في ثياب النوم، وإيواء الرجل إلى زوجته.

﴿ثلاث عورات لكم﴾ قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً: "ثلاثَ" بالنصب، بدلاً من "ثلاث مرات". وقرأ الباقون بالرفع[٣]، على معنى: هذه الأوقات ثلاث عورات لكم.

وسُمّيت هذه الأوقات عورات؛ لأنها مظنة ظهور العورة فيها.

وأصل العورة: الخَلَل، ومنه: أعْوَرَ المكان، وأعْوَرَ الفارس. والأعور: المختلُّ

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦١).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٥)، والكشف (٢/ ١٤٣)، والنشر (٢/ ٣٣٣)، والإتحاف (ص:٣٢٦)، والسبعة (ص:٤٥٩).

العَيْن[١]، فسميت هذه عورات؛ لاختلال تَسَتُّرِ الناس وقلّة تحفُّظِهم فيها.

ثم عذَرَهم في ترك الاستئذان فيما عدا هذه الأوقات الثلاث فقال: ﴿ليس عليكم﴾ أيها المؤمنون الأحرار ﴿ولا عليهم جناح﴾ إثم ولا حرج ﴿بعدهن﴾ أي: بعد مُضِيِّ الأوقات الثلاث في ترك الاستئذان، وهذا تمام الكلام.

ثم قال: ﴿طوافون عليكم﴾ أي: هم طَوَّافون عليكم للخدْمة، أو أنتم طوافون، ﴿بعضكم﴾ بدل من الضمير الذي في "طوّافُون"[٢]، أي: يطوف بعضكم ﴿على بعض﴾، وهذا خارج مخرج التعليل لجواب ترك الاستئذان؛ لأن البعضية تُوجبُ المخالطة والتَّطْواف.

﴿كذلك يبين الله﴾ أي: مثل هذا البيان الواضح يبين الله ﴿لكم الآيات والله عليم﴾ بما يُصلحكم، فاتبعوا أمره وأطيعوه، ﴿حكيم﴾ فارْعَوُوا عما نهاكم عنه واجتنبوه.

فصل

ذهب أكثر العلماء إلى القول بإحكام هذه الآية، قيل للشعبي: أمنسوخة هي؟ قال: لا والله ما نُسخت؟ قلت: إن الناس لا يعملون بها، فقال: الله المستعان[٣].

وقال سعيد بن جبير: والله ما نُسخت، ولكنها مما يتهاونُ به الناس[٤].

---

(١) انظر: اللسان (مادة، عور).

(٢) التبيان (٢/ ١٥٩)، والدر المصون (٥/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٤٤)، والطبري (١٨/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢١٨) وعزاه لابن أبي شيبة.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ١٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢١٨) وعزاه لعبد بن حميد.

وروي عن سعيد بن المسيب: أنها منسوخة بالآية التي بعدها، وهو قوله تعالى: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا﴾[١].

والأول أصح؛ [لأن معنى هذه][٢] الآية: "وإذا بلغ الأطفال منكم" أي: من الأحرار "الحلم فليستأذنوا" أي: في جميع الأوقات، ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ يعني: الرجال الكبار الأحرار الذين من قبلهم في الوجود أو في بلوغ الحلم، أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ [النور:٢٧]، ﴿كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾.

قوله تعالى: ﴿والقواعد من النساء﴾ وهُنَّ العُجز، وهو جمع قاعِد بغير هاء، سميت بذلك؛ لقُعودها عن الحيض والولد.

قال ابن قتيبة[٣]: حذفت الهاء ليدل على أنه قعودُ كِبَر، كما قالوا: "امرأة [حامل][٤]" ليدلوا بحذف الهاء على أنه حَمْلُ حَبَلٍ. وقالوا في غير ذلك: امرأة قاعدةٌ في بيتها، وحاملةٌ على ظهرها.

وقال الزجاج[٥]: القاعدة: التي قعدت عن الزوج[٦]، وهو معنى قوله: ﴿اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾ أي: لا يَطْمَعْنَ فيه.

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٣٤-١٣٥)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٤٨).

(٢) في الأصل: لأن المعنى في هذه. والمثبت من ب.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣٠٨).

(٤) في الأصل: حال. والتصويب من ب.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٥٣).

(٦) في معاني الزجاج: الزواج.

﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن﴾ يعني: الثياب الظاهرة؛ كالملْحَفَة والجِلْباب، ﴿غير متبرجات بزينة﴾ أي: غير [مُظْهِرَاتٍ][1] زينتهن الخفيَّة، ولا قاصدات بالوضع ذلك.

وأصل التبرج وحقيقته: تكلُّفُ إظهار ما يجب إخفاؤه، من قولهم: سفينةٌ بارجٌ لا غطاء عليها، والبَرَجُ: سعة العين يرى بياضها محيطاً بسوادها[2].

﴿وأن يستعففن﴾ فلا يضعن ثيابهن الظاهرة ﴿خير لهن﴾ أزكى وأفضل؛ لما فيه من المبالغة في التستر، ﴿والله سميع عليم﴾.

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ قال ابن عباس: لما أنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم

---

(١) في الأصل: مظهارات. والتصويب من ب.

(٢) انظر: اللسان (مادة: برج).

بينكم بالباطل﴾[النساء:٢٩] تحرّج المسلمون عن مُؤاكلة المرضى والعُمْي، وقالوا: الطعام أفضل الأموال، وقد نهى الله تعالى عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والمريض لا يستوفي الطعام، والأعرج والزَّمِن[١] لا يستطيع المزاحمة على الطعام، فنزلت هذه الآية[٢].

فعلى هذا يكون المعنى: ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض حرج.

وقال سعيد بن المسيب: كانوا -يعني: أصحاب النبي ﷺ- إذا خرجوا مع رسول الله ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والأعرج والمريض وعند أقاربهم، وكانوا يأمرونهم أن يأكلوا مما في بيوتهم إذا احتاجوا، فكانوا يَتَّقُون أن يأكلوا منها ويقولون: نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة، فنزلت هذه الآية رُخصةً لهم[٣].

وقال مجاهد: كان قوم من أصحاب النبي ﷺ إذا لم يكن عندهم ما يُطعمون المريض والزَّمِن ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم وبعض من سَمَّى الله عز وجل في هذه الآية، فتحرّج أهل الزَّمَانَة من ذلك وقالوا: إنما يذهبون بنا إلى غير بيوتهم[٤].

---

(١) الزّمِن: يقال: رجل زَمِن أي: مبتلًى بَيِّنُ الزَّمَانَة، وهي العاهة (اللسان، مادة: زمن).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٦٨). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٣٩-٣٤٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٩)، وأسباب النزول (ص:٣٤٠)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٢٤) وعزاه لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه البيهقي في سننه (٧/ ٢٧٥)، والطبري (١٨/ ١٦٩)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٥). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٤٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٢٣-٢٢٤) وعزاه =

وقال الحسن البصري: نزلت في إسقاط الجهاد عن أهل الزّمانة المذكورين في الآية[١].

فعلى هذا تمَّ الكلام عند قوله: ﴿ولا على المريض حرج﴾.

ثم ابتدأ كلاماً آخر لا تعلق له بالأول إلا فيما وقع فيه الاشتراك من نفي الحرج فقال: ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾ أي: من أموال عيالكم وأزواجكم.

وقيل: الخِطَاب للخَدَم والأولاد والزوجة ومن يشتمل عليه مَنزِلُ الرَّجُل، أذنَ الله لهم في الأكل من مال صاحب البيت.

ونَسَبَ البيوت إليهم؛ لاختصاصهم بها.

وقيل: أراد: أن تأكلوا من بيوت أولادكم، فَنَسَبَ إلى الآباء؛ لأن الولد وماله لأبيه، كما قال النبي ﷺ: «أَحَلُّ ما أكَلَ الرجل من كَسْبه، وإن ولده من كَسْبه»[٢].

فإن قيل: هلاَّ ذكر الأولاد؟

قلتُ: إن لم يكن المراد بقوله: ﴿من بيوتكم﴾ بيوت الأولاد، أو يكون الكلام متضمناً لهم، [وإلا][٣] فالإذن في الأكل من بيوت من عَدَّدَ من القرابة في الآية مع بُعْدِهِم إذنٌ في جواز الأكل من بيوت الأولاد مع قُربهم بطريق الأولى.

قوله تعالى: ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ يعني: خزائنه، وقد سبق ذكر المفاتح في

= لعبدالرزاق وابن أبي شيبة وإبراهيم وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٣/ ٢٨٨ ح٣٥٢٨)، وابن ماجه (٢/ ٧٢٣ ح٢١٣٧).

(٣) زيادة من ب.

الأنعام[١].

قال ابن عباس: هو وكيل الرجل وقَيِّمُه في ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من ثمر حائطه، ويشرب من لبن ماشيته[٢].

فعلى هذا؛ المراد بملك المفاتح: كونها في يده وحفظه وتحت تصرفه.

ويؤيد هذا المعنى قراءة سعيد بن جبير: "مُلِّكْتُم" بضم الميم وكسر اللام وتشديدها[٣].

وقال الضحاك: يعني: بيوت عبيدكم[٤]؛ لأن بيت العبد لمولاه.

وقرأ أنس بن مالك وقتادة: "مِفْتَاحَه"[٥]، واحد المفاتيح التي تُفْتَحُ بها الأغلاق.

﴿أو صديقكم﴾ الصَّدِيق يكون واحداً ويكون جَمْعاً، وكذلك الخليطُ والقَطِين، والتقدير: أو بيوت أصدقائكم.

وكان الحسن وقتادة يَرَيَان الأكل من طعام الصديق بغير إذنه جائزاً[٦].

ويروى: أن الحسن دخل يوماً إلى داره، فرأى حَلْقَةً من أصدقائه يأكلون من طعامه، فتهلّل وجهه سروراً بهم، وضحك وقال: هكذا وجدناهم -يعني: خير

---

(١) آية رقم: ٥٩.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٠)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٢٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٦/ ٦٥)، والدر المصون (٥/ ٢٣٦).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٥).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٦/ ٦٥)، والدر المصون (٥/ ٢٣٦).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٦).

الأمة وأشرف الناس همّة أكابر أصحاب رسول الله ﷺ-[(١)].

وكانوا يتعاشرون بمكارم الأخلاق ومعالي الأمور، حتى أن سعد بن الربيع الأنصاري قال لأخيه في الله وصديقه عبدالرحمن بن عوف: اختر إحدى زوجتيّ حتى أنزل لك عنها، وخذ شَطْرَ مالي، فقال له: بارك الله لك في أهلك ومالك، [دلّوني][(٢)] على السوق[(٣)].

وحسْبُك بالصديق منزلة وحُرْمة: أن جعله الله تعالى بمنزلة النفس والأب والأم والأخ والعم والأقارب.

وقال ابن عباس: الصديق أكثر من الوالدين، فإن الجهنَّميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات وإنما قالوا: ﴿فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم﴾[(٤)] [الشعراء:١٠٠-١٠١].

وما أحسن ما قال بعضهم وقد قيل له: أيما أحب إليك صديقك أو أخوك؟ فقال: إنما أحب أخي إذا كان صديقي[(٥)].

قال قتادة وأكثر المفسرين: كان الرجل من بني ليث -حي من كنانة- يتحرَّج أن يأكل وحده، فربما قعد والطعام بين يديه ينتظر من يؤاكله نهاره إلى الليل، فإن لم يجد أَكَلَ ضرورة، فأنزل الله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو

---

(١) ذكره الآلوسي في روح المعاني (١٨/ ٢٢٠).
(٢) في الأصل: ودلوني. والتصويب من ب، وصحيح البخاري (٢/ ٧٢٢).
(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٧٢٢ ح١٩٤٤).
(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ١٢٤).
(٥) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ٣١٦).

أشتاتاً﴾[١].

وقال عكرمة: كان قوم من الأنصار إذا نزل عليهم ضيف لم يأكلوا إلا معه، فنزلت هذه الآية[٢].

وهذه كانت شيمة الكرماء من العرب. قال:

يا ابنةَ عبدالله وابنةَ مالكٍ ويا ابنةَ ذي البُرْدَين والفَرس الوَرْد

إذا ما صنعتِ الزّاد فالتمسي له أكِيلاً فإني لستُ آكُلُهُ وحْدِي

أخاً طَارقاً أو جَارَ بيتٍ فإنني أخافُ مَلامَاتِ الأحاديث من بعدي

وإني لعبدُ الضيفِ من غير ذلّة وما فيَّ إلا تلك منْ شِيَم العَبْد[٣]

ومعنى الآية: ليس عليكم جناح أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين.

والأشتات: جمع شَتَت.

﴿فإذا دخلتم بيوتاً﴾ من هذه البيوت وغيرها، ﴿فسلموا على أنفسكم﴾ أي: على أهل دينكم، وليسلم بعضكم على بعض.

قال قتادة: إذا دخلت إلى بيتك فسلِّم على أهلك، فهم أحق من سلّمت عليه،

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٧٢)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٩). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٤١)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٢٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٧٢). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٤١)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٢٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن عكرمة وأبي صالح.

(٣) الأبيات لحاتم الطائي. انظر: ديوان الحماسة (٢/ ٣٠٩-٣١٠)، والأغاني (١٤/ ٧٣) ونسبه لقيس بن عاصم.

وإذا دخلت بيتاً لا أحد فيه فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، حُدِّثنا أن الملائكة تردُّ عليه[(١)].

﴿تحية﴾ ثابتة ومشروعة ﴿من عند الله﴾.

قال الزجاج[(٢)]: "تحية" منصوبة على المصدر؛ لأن قوله: "فسلِّمُوا" يعني: فحيُّوا تحية من عند الله.

﴿مباركة﴾ [بالأجر][(٣)] والثواب، ﴿طيبة﴾ حسنة جميلة.

﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ أي: مثل هذا التفصيل والبيان يفصل لكم معالم دينكم، ﴿لعلكم تعقلون﴾ أوامره ونواهيه وآدابه.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا كانوا معه على أمر جامع﴾ أي: على أمر من أمور الطاعة يجتمع له الناس؛ كالجمعة والعيد والجهاد، أو خطب جليل يفتقر انتظام المصلحة فيه إلى انضمام العلماء وذوي الرأي للمشورة وإرهاب العدو، ﴿لم يذهبوا حتى

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٥١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٢٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٥٥).

(٣) في الأصل: الأجر. والتصويب من ب.

يستأذنوه﴾.

قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا رقى المنبر يوم الجمعة وأراد رجل أن يخرج لحاجة، قام حيال رسول الله ﷺ ليأذن له إذا رآه، فكان يأذن لمن شاء منهم[1].

وقيل: نزلت في حفر الخندق، وكان قوم يتسللون بغير إذنه[2].

ثم زاد الله تعالى ذلك توكيداً بقوله: ﴿إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ على حسب ما تقتضيه أغراضك السليمة وآراؤك المستقيمة.

ثم أمره بالاستغفار لهم تعريضاً لهم بالمنع عن طلب الإذن إلا لأمر لا بد لهم منه، وجبراً لما فاتهم من جواهر أنفاسه النفيسة فقال: ﴿واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾.

لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ فتجعلوا رجوعكم عن مجمعه بغير إذن كغيره من المجامع.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٧-٦٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٩).

وقال ابن عباس: معناه: احذروا دعاء رسول الله عليكم إذا أسخطتموه، فإن دعاءه موجِب، ليس كدعاء غيره[١].

وقال مجاهد وقتادة: المعنى: لا تدْعُوه كما يدعوا بعضكم بعضاً: يا محمد، ولكن فخّموه وشرفوه، وقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، في لِين وتواضع[٢].

وقرأ الحسن: "لا تجعلوا دعاء الرسول نبيّكم"[٣]، أبدل "النبي" من "الرسول".

﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً﴾ قال الزمخشري[٤]: أدخل "قد" ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة [عن الدين والنفاق][٥]، ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد، وذلك أن "قد" إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى: "ربما" فوافقت ربما في خروجها إلى معنى التكثير في نحو قوله:

فإنْ يُمْسِ مَهجُور الفِنَاءِ فربما أقامَ به بعدَ الوُفُود وفُود[٦]

---

(١) أخرج نحوه الطبري (١٨/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٥٥). وذكره الماوردي (٤/ ١٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٨). وبنحوه ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٣١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه بلفظ الطبري، وابن أبي حاتم. وهذا القول هو اختيار الطبري.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٥٥)، ومجاهد (ص:٤٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٣١) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد، ومن طريق آخر عن قتادة وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٧).

(٤) الكشاف (٣/ ٢٦٥).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) البيت لأبي عطاء السندي يرثي ابن هبيرة. انظر: أمالي القالي (١/ ٢٧٢)، والخزانة (٩/ ٥٣٩)، والدر المصون (٥/ ٢٣٩)، والبحر المحيط (٦/ ٤٣٧)، والنظائر للسيوطي في النحو (٢/ ٨٣)، =

ونحوه قول زهير:

أَخِي ثِقَةٍ لا تُهْلِكِ الخَمْرَ مالَه ولكنه قد تُهْلِكُ المالَ نائلُه[١]

والتَّسلُّل: الخروج في خفية[٢].

واللواذ: الملاوَذة، وهو أن يَلُوذ الواحد منهم بغيره ليستتر به عند تسلله[٣].

ونصبها على الحال[٤]، أي: يتسللون مُلاوذين.

قال المفسرون: كان المنافقون تثقل عليهم خطبة رسول الله ﷺ؛ لما تشتمل عليه من الطعن عليهم وذكر مثالبهم وما أعدّ لهم من العذاب، فإذا أمكنت الواحد منهم الفرصة والخروج في خفية فَعَل[٥].

﴿فليحذر الذي يخالفون عن أمره﴾ قال مجاهد[٦]: عن أمر الله[٧].

وقال قتادة: عن أمر الرسول ﷺ[٨].

قال الأخفش: "عن" زائدة.

= واللسان (مادة: عهد).

(١) البيت لزهير، وهو في: الدر المصون (٥/ ٢٣٩)، والبحر (٦/ ٤٣٧)، وروح المعاني (١٨/ ٢٢٦).

(٢) انظر: اللسان (مادة: سلل).

(٣) انظر: اللسان (مادة: لوذ).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٦٠)، والدر المصون (٥/ ٢٣٨).

(٥) ذكره الماوردي (٤/ ١٢٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٩).

(٦) في الأصل زيادة قوله: قال.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٩).

(٨) ذكره الماوردي (٤/ ١٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٩).

وقال غيره: المعنى: يعرضون عن أمر دينه وطاعته.

﴿أن تصيبهم فتنة﴾ كفر وضلالة.

وقال مجاهد: بلاء في الدنيا[١].

وقال جعفر بن محمد: سلطان جائر يُسلّط عليهم[٢].

﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ في الآخرة.

وقيل: القتل في الدنيا.

وقيل: زلازل وأهوال.

ثم عظّم سبحانه وتعالى نفسه فقال: ﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض﴾ يعني: خَلْقاً ومُلْكاً وعِلْماً، فكيف يخفى عليه تسلّلهم وأحوالهم.

﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ من الإيمان والنفاق وغيرهما، ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ يعني: القيامة، ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من الخير والشر ويجازيهم عليه، ﴿والله بكل شيء﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عليم﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٢).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ٣٢٣).

سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهي سبع وسبعون آية، وهي مكية[١].

واستثنى بعضهم منها ثلاث آيات من قوله: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ إلى قوله: ﴿غفوراً رحيماً﴾ فقالوا: نزلت بالمدينة[٢].

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾

قوله تبارك وتعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾ "الفرقان": القرآن، وهو مصدر فَرَقَ بين الشيئين؛ إذا فَصَلَ بينهما[٣]، فسُمِّي بذلك؛ لأنه فرَّق بين الحق والباطل.

وقرأ ابن الزبير: «على عباده»، وهي قراءة صحيحة[٤].

---

(١) البيان في عد آي القرآن (ص:١٩٤).

(٢) الماوردي (٤/ ١٣٠)، والبحر المحيط (٦/ ٤٣٩).

(٣) انظر: اللسان (مادة: فرق).

(٤) انظر قراءة ابن الزبير هذه في: البحر المحيط (٦/ ٤٤٠).

المعنى: لأن الفرقان وإن كان منزلاً على محمد ﷺ وحده، لكنه منزل على العباد باعتبار أنه نُزّل عليهم لمصالحهم، كما قال: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾ [الأنبياء: ١٠].

﴿ليكون﴾ يعني: محمداً ﷺ.

وقيل: القرآن.

والأول أظهر، والقائلون به أكثر.

﴿للعالمين﴾ الجن والإنس ﴿نذيراً﴾ منذراً مخوفاً من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ جائز أن يكون في محل الرفع على البدل من ﴿الذي نزَّل﴾، وجائز أن يكون في محل النصب على المدح[1]، ولا يقال على وجه الرفع فُصِلَ بين البدل والمبدل منه؛ لأنا نقول: لم نفصل[2] بينهما؛ لأن المبدل منه صلته "نزَّلَ".

وقوله: «ليكون» تعليل له، وكأن المبدل منه لم يتم إلا به.

﴿ولم يتخذ ولداً﴾ كما زعم أهل الكتابين والمشركون، ﴿ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء﴾ أحدثه وأوجده، ﴿فقدَّره تقديراً﴾ أي: هَيّأه وسَوّاه لما يصلح له.

وقال أكثر المفسرين: المعنى: فقدَّر له تقديراً من الأجل والرزق[3].

ثم ذكر ما صنعه المشركون بعد أن أنار لهم براهين وحدانيته وعظيم سلطانه

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٦٠)، والدر المصون (٥/ ٢٤١).

(٢) في ب: يفصل.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٧٢) بلا نسبة.

فقال: ﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾ يعني: الأصنام ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً﴾ أي: دفع ضر عنها ولا جلب نفع إليها.

﴿ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً﴾ أي: لا تميت أحداً ولا تحييه ولا تنشره بعد موته.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾

﴿وقال الذين كفروا﴾ يعني: النضر بن الحارث وأصحابه، ﴿إن هذا﴾ إشارة إلى القرآن؛ ﴿إلا إفك افتراه﴾ كذبٌ اختلقه محمد، ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾.

قال مقاتل وغيره[1]: أشاروا إلى عدّاس مولى حويطب بن عبد العزى، ويسار، وجبر مولى عامر بن الحضرمي، وكانوا من أهل الكتاب.

وهذا عامر بن الحضرمي[2] أول قتيل قُتِلَ يوم بدر كافراً، وأخوه عمرو بن الحضرمي أول قتيل قتله مسلم، وكان ماله أول مال خُمِّس، قتل يوم نخلة، وهما أخوا العلاء بن الحضرمي[3] رضي الله عنه، وأختهم الصعبة بنت الحضرمي،

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٠). وانظر: الوسيط (٣/ ٣٣٤)، وزاد المسير (٦/ ٧٢-٧٣).

(٢) انظر ترجمته في: الإصابة (٣/ ٥٧٩)، وتهذيب التهذيب (٨/ ١٥٩) في ترجمة أخيه العلاء.

(٣) انظر: ترجمته في: تهذيب التهذيب (٨/ ١٥٩).

كانت تحت أبي سفيان بن حرب وطلّقها، وخلف عليها [عبيد الله][1] بن عثمان التيمي، فولدت له طلحة بن عبيدالله. قال ذلك كله ابن الكلبي.

ولا يختلف أهل العلم أنهم من حضرموت، وكانوا حلفاء بني أمية.

قال الله تعالى: ﴿فقد جاؤوا﴾ يعني: النضر وأصحابه ﴿ظلماً وزوراً﴾.

قال الزجاج[2]: المعنى: فقد جاؤوا بظُلْم وزُور، فلما سقطت الباء أفضى الفعل فنصب. والزُّور: الكذب.

وقال صاحب الكشاف[3]: «جاء وأتى» يستعملان في معنى فعل، فيُعَدَّيان تعْديته، وقد يكون على معنى: وردوا ظلماً، كما تقول: جئت المكان.

وظُلْمُهم: أنهم جعلوا العرب تتلقَّنُ من العجم كلاماً عربياً أعجز فصحاء العرب الإتيان بسورة مثله.

﴿وقالوا أساطير الأولين﴾ أي: ما سطّره المتقدمون من نحو أحاديث رستم، واسفنديار، ﴿اكتتبها﴾ أي: أمر أن تُكتب له؛ لأنه كان ﷺ أمياً لا يكتب ولا يقرأ.

ويجوز أن يكون من الكَتْب، وهو الجمع. المعنى: جمعها وضمَّها إليه.

﴿فهي تُملى عليه﴾ أي: تُقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها ﴿بكرةً وأصيلاً﴾ أي: غدوةً وعشياً، يريد: طرفي النهار على ما هي عادة اللذين يتصدون لحفظ العلوم أول النهار ودراستها آخره.

---

(١) في الأصل: عبيد. والتصويب من ب.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٥٨).

(٣) الكشاف (٣/ ٢٦٩).

﴿قل﴾ يا محمد ﴿أنزله﴾ يعني: القرآن[1] ﴿الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾ فهو يجازيكم على ما تُسِرُّون من الكيد لرسوله، مع علمكم ببطلان ما تُلقونه وتختلقونه، ﴿إنه كان غفوراً رحيماً﴾ لم يعاجلكم بالعقوبة مع استحقاقكم إياها، لمكابرتكم وعنادكم.

وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾

﴿وقالوا﴾ يعني: المشركين ﴿ما لهذا الرسول﴾ سَمُّوهُ رسولاً على وجه السخرية منهم والطَّنْز[2]، كقول فرعون: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء:٢٧].

---

(١) في ب: الفرقان.

(٢) الطَّنْز: السخرية (اللسان، مادة: طنز).

﴿يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ أنكروا أن يكون الرسول بشراً يأكل ويتردد في الأسواق لطلب المعيشة.

يعنون: أنه يجب أن يكون مَلَكاً مستغنياً عن ذلك.

ثم تنزلوا إلى اقتراح كون الرسول بشراً مصحوباً بمَلَك يعينه ويشهد بصدقه، فذلك قولهم: ﴿لولا أنزل إليه مَلَكٌ فيكون معه نذيراً﴾.

ثم تنزلوا إلى اقتراح رسول يُلقى إليه كنز من السماء يغنيه عن التردد في الأسواق.

ثم تنزلوا إلى اقتراح رسول له بستان يأكل منه يُغنيه عن المَشْي في الأسواق ابتغاء الرزق، فذلك قوله: ﴿أو يُلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها﴾.

قال المفسرون: قالوا للنبي ﷺ: سَلْ ربك أن يبعث معك مَلَكاً يُصدِّقُكَ بما تقول حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً، ويجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً يغنيك بها عن طلب المعيشة، فنزلت هذه الآية[1].

وقرأ حمزة والكسائي: «نَأْكُلُ منها» بالنون[2].

قال أبو علي[3]: المعنى: يكون له علينا مزيَّة في الفضل بأكلنا من جنّته.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله: ﴿ويجعل لك قصوراً﴾.

قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر: «ويجعلُ» بالرفع على الاستئناف والإخبار

---

(١) انظر: الطبري (١٨/ ١٨٣-١٨٤)، والوسيط (٣/ ٣٣٥).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٧)، والكشف (٢/ ١٤٤)، والنشر (٢/ ٣٣٣)، والإتحاف (ص:٣٢٧)، والسبعة (ص:٤٦٢).

(٣) الحجة (٣/ ٢٠٧).

بأن الله يجعل ذلك لرسوله لا محالة. وقرأ الباقون بالجزم[١]، عطفاً على موضع "جعل".

﴿بل كذبوا بالساعة﴾ المعنى: بل أتَوْا بأعجب من ذلك، وهو تكذيبهم بالساعة مع وضوح آياتها وظهور [بيّناتها][٢]، ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾.

﴿إذا رأتهم﴾ أنَّثَ حملاً على المعنى؛ لأن السعير: النار المتلظّية، والرؤية هاهنا مجاز، ومعناها: المقابلة، حتى كأنها تراهم، وقريب منه قوله عليه الصلاة والسلام: ((لا تتراءا ناراهما))[٣].

ومنه قولهم: داري تنظر إلى دارك.

﴿من مكان بعيد﴾ قال السدي ومقاتل[٤]: من مسيرة خمسمائة عام[٥].

﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ أي: سمعوا صوت غليانها، وشبّه ذلك بصوت المتغيظ.

وقال الزجاج[٦]: غليان تَغَيُّظٍ.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٧-٢٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٨)، والكشف (٢/ ١٤٤)، والنشر (٢/ ٣٣٣)، والإتحاف (ص:٣٢٧)، والسبعة (ص:٤٦٢).

(٢) في الأصل: بيانها. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ٤٥ ح٢٦٤٥)، والترمذي (٤/ ١٥٥ ح١٦٠٤).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٠) وفيه: مسيرة مائة سنة.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٦٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٣٨) وعزاه لابن أبي حاتم. ولفظها: من مسيرة مائة عام.

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٥٩).

قال عبيد بن عمير[١]: إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى نبي مرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب إلا خرّ لوجهه[٢].

وقال بعض المفسرين: المعنى: سمعوا فيها تغيُّظَ المعذّبين وزفيرهم[٣].

وقيل: يجوز أن يكون المعنى: إذا رأتهم الزبانية تغيظوا وزفروا غضباً على الكفار وشهوة للانتقام منهم.

﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً﴾ قال المفسرون: تضيق عليهم كما يضيق الزُّجُّ[٤] على الرمح[٥].

﴿مقرّنين﴾ موثّقين في السلاسل والأغلال، أو مقرّنين مع شياطينهم، ﴿دعوا هنالك ثبوراً﴾ الثّبور: الهلاك، ودعواه أن يقال: وا ثُبوراه.

﴿لا تدعوا﴾ على إضمار القول، تقديره: فيقال لهم: لا تدعوا ﴿اليوم ثبوراً واحداً﴾ يشير إلى أن هلاكهم أكثر من أن يدعوه مرة واحدة.

وفي مسند الإمام أحمد رضي الله عنه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أول من يُكسى حلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبيه، ويسحبها من خلفه ذريته من بعده وهو ينادي: وا ثبوراه، وهم ينادون:

---

(١) عبيد بن عمير: مولى سيدنا ابن عباس (تقريب التهذيب ص:٣٧٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٨٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٣٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٣١٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٧٥).

(٤) الزُّجُّ: الحديدة التي تُركَّبُ في أسفل الرمح، والجمع: زِجَجَة، بوزن عِنَبَة (اللسان: مادة: زجج).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٤٠) وزاد نسبته لابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر.

يا ثبورهم، حتى يقفوا على النار فيقول: يا ثبوراه، ويقولون: يا ثبورهم، فيقال لهم: ﴿لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً﴾))[1].

قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَـٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿قل أذلك خير﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره من السعير، وصفة عذاب أهله خير ﴿أم جنة الخلد التي وعد المتقون﴾ قال الزجاج[2]: قد يقع التساوي بين الجنة والنار في أنهما منزلان، فلذلك وقع التفضيل بينهما.

﴿كانت لهم جزاء ومصيراً﴾ أي: ثواباً ومصيراً يصيرون إليه يوم القيامة.

وإنما قال: «كانت» لأن ما [وعد][3] الله وجوده فهو في تحققه كالذي [كان][4] ووُجد، أو يكون المعنى: كانت لهم في اللوح المحفوظ، أو في علم الله تعالى.

﴿لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك﴾ أي: كان ذلك على ربك ﴿وعداً﴾ أي: موعوداً ﴿مسؤولاً﴾ مطلوباً سألوه لأنفسهم في الدنيا وسألَتْه لهم [الرسل][5] والملائكة، مثل قولهم: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٩ ح١٣٦٢٨). وقال عنه الهيثمي في مجمعه (١٠/ ٣٩٢): رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وقد وثق.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٦٠).

(٣) في الأصل: عد. والتصويب من ب.

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: الرسول. والتصويب من ب.

[البقرة:٢٠١]، ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ [آل عمران:١٩٤]، وقول الملائكة: ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم﴾ [غافر:٨].

وقيل: مسؤولاً واجباً. تقول العرب: لأعطينَّك ألفاً وعداً مسؤولاً، بمعنى: أنه واجب لك فتسأله.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم﴾ قرأ ابن عامر: «نحشرهم»، ﴿وما يعبدون من دون الله فنقول﴾ بالنون فيهما. وقرأ ابن كثير وحفص: «يحشرهم... فيقول» بالياء فيهما. وقرأ الباقون: «نحشرهم» بالنون، «فيقول» بالياء[(١)].

فمن قرأهما بالياء حمله على قوله: ﴿كان على ربك﴾، ومن قرأ: «نحشرهم» بالنون «فيقول» بالياء، فقد أفرد بعد أن جمع. ومن قرأهما بالنون أجراهما على لفظ الجمع للواحد العظيم.

قال مجاهد: «وما يعبدون من دون الله» يعني: عيسى وعزيراً والملائكة[(٢)].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٨-٥٠٩)، والنشر (٢/ ٣٣٣)، والإتحاف (ص:٣٢٨)، والسبعة (ص:٤٦٢-٤٦٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٨٩)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٧٢)، ومجاهد (ص:٤٤٨). وذكره =

وقال عكرمة والضحاك: يعني: الأصنام[١].

قال ابن السائب: يُنطقها الله[٢].

ويجوز أن يكون عامّاً في الجميع.

قال صاحب الكشاف[٣]: إن قلت [كيف][٤] صح استعمال «ما» في العقلاء؟

قلتُ: هو [موضوع][٥] على العموم للعقلاء وغيرهم، بدليل قولك إذا رأيت شبحاً من بعيد: ما هو؟ فإذا قيل لك: إنسان، قلت: مَنْ هو؟

﴿فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾ فأمرتموهم بعبادتكم ﴿أم هم ضلوا السبيل﴾ والمقصود من هذا السؤال: تبكيت العابدين وتوبيخهم، وإظهار فضيحتهم، وزيادة حسرتهم عند تبرُّئهم منهم.

﴿قالوا سبحانك﴾ نزَّهُوا الله تعالى أن تكون معه آلهة، أو هو خارج مخرج التعجب مما قيل لهم، ﴿ما كان ينبغي لنا﴾ أي: ما يصحُّ ولا يصلح لنا ﴿أن نتخذ من دونك﴾ أولياء ونعبدهم.

المعنى: فكيف يصح لنا أن نُحمِّلَ غيرنا على أن يتولّونا دونك.

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء العكبري وأبي عمرو الياسري لأبي جعفر: "أن

= السيوطي في الدر (٦/ ٢٤١) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٧٨).

(٢) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٦٣).

(٣) الكشاف (٣/ ٢٧٣).

(٤) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: موضع. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

نُتخَذ" بضم النون وفتح الخاء[1]، على البناء للمفعول، وهي قراءة زيد بن ثابت وأبي الدرداء وزيد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد وأبي عبدالرحمن السلمي والحسن وقتادة.

ثم ذكروا سبب تركهم الإيمان فقالوا: ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ أطلْتَ أعمارهم ووسّعت أرزاقهم، ﴿حتى نسوا الذكر﴾ تركوا القرآن فلم يؤمنوا به ولم ينزجروا بمواعظه، ﴿وكانوا قوماً بوراً﴾ قال ابن عباس: هلكى[2].

قال أبو عبيدة[3]: يقال: رجلٌ بورٌ وقومٌ بورٌ، لا يُجمع ولا يُثنّى، وأنشد قول ابن الزبعرى:

يا رسولَ المليكِ إنّ لساني رَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إذ أنا بُور[4]

قال[5]: وقد سمعنا برجل بَائِر، ورأيناهم ربما جمعوا فاعلاً على فُعْل، نحو: عائذٍ وعُوْذ.

قال المفسرون: فيقال حينئذ للكفار: ﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ أي: قد

---

(١) النشر (٢/ ٣٣٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٤٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٧٢-٧٣).

(٤) البيت لعبد الله بن الزبعرى السهمي، وقيل: لأبي سفيان بن الحارث، وهو في: اللسان (مادة: بور)، ومجاز القرآن (٢/ ٧٣)، وغريب القرآن (ص:٣١١)، والطبري (١٣/ ٢١٩، ١٨/ ١٩١)، والقرطبي (١٣/ ١١، ١٦/ ٢٦٩)، وروح المعاني (١٨/ ٢٥٠، ٢٦/ ١٠٠)، والماوردي (٤/ ١٣٧)، وزاد المسير (٦/ ٧٩).

(٥) أي: أبو عبيدة.

كذبكم المعبودون في قولكم أنهم آلهة[١].

وقرأت لابن كثير من رواية ابن شنبوذ عن قنبل: «بما يقولون» بالياء[٢]، أي: كذبوكم بقولهم: ﴿سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾.

﴿فما يستطيعون﴾ أي: فما يستطيع المعبودون ﴿صرفاً﴾ للعذاب عنكم ﴿ولا نصراً﴾ لكم.

وقيل: المعنى: فلا يستطيع الكفار صرفاً للعذاب عنهم ولا نصراً لأنفسهم.

وقرأ حفص: «تستطيعون» بالتاء[٣]، على معنى: فما تستطيعون أيها الكفار صرفاً للعذاب عنهم.

وحكى ابن قتيبة[٤] عن يونس البصري أنه قال: الصَّرفُ: الحيلة، من قولهم: إنه يتصرَّف، أي: يحتال.

﴿ومن يظلم منكم﴾ بالشرك ﴿نذقه﴾ وقرأ عاصم الجحدري والضحاك وأبو الجوزاء: «يذقه» بالياء[٥]، على معنى: يذقه الله تعالى، أو يذقه الظلم، ﴿عذاباً كبيراً﴾ عظيماً شديداً.

---

(١) ذكره الطبري (١٨/ ١٩٢)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٧٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٧٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٩-٥١٠)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٢٨)، والسبعة (ص:٤٦٣).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٠)، والكشف (٢/ ١٤٥)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٢٨)، والسبعة (ص:٤٦٣).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٣١١).

(٥) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ٧٩).

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين﴾ قال الزجاج[1]: فيه محذوف، تقديره: وما أرسلنا قبلك [رسلاً][2] من المرسلين، فحذفت «رسلاً»؛ لأن قولك: "من المرسلين" يدل عليها.

﴿إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ قال الزجاج[3]: هذا احتجاج عليهم في قولهم: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾، فقيل لهم: كذلك كان مَنْ خَلا من الرسل، فكيف يكون محمدٌ ﷺ بِدْعاً منهم؟.

فإن قيل: لم كُسرت «إنّ» في قوله: ﴿إلا إنّهم﴾؟

قلتُ: قد أجاب عن ذلك ابن الأنباري بجوابين:

أحدهما: أن تكون فيها واو الحال مضمرة، فكُسرت بعدها «إنّ» للاستئناف، فيكون التقدير: إلا وإنّهم ليأكلون الطعام، فأُضمرت الواو كما أُضمرت في قوله: ﴿أو هم قائلون﴾ [الأعراف:٤]، والتأويل: أو وهم قائلون.

والثاني: أن تكون كُسرت لإضمار «مَنْ» قبلها، فيكون التقدير: وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا من إنهم ليأكلون. قال الشاعر:

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٦٢).

(٢) في الأصل: مرسلاً. والتصويب من ب، والزجاج، الموضع السابق.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٦٢).

فظلُّوا ومنهُم دَمْعُهُ سابقٌ له ....[1]

أراد: مَنْ دَمْعُه.

قوله تعالى: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ أي: ابتلاء واختباراً، فأبلينا الفقير بالغني، والأعمى بالبصير، والسقيم بالصحيح. هذا قول الحسن[2].

وقال غيره: هو ابتلاء الشريف بالوضيع، والعربي بالمولى، فإذا أراد الشريف أن يُسْلِم ورأى الوضيع قد أَسْلَمَ قبله أنِفَ وقال: أُسْلِم [فتكونُ][3] له السابقة والفضل عليَّ، فيقيم على كُفره. فذلك افتتان بعضهم ببعض، وهذا اختيار الفراء والزجاج[4].

وقال مقاتل[5]: هذا في ابتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش، كانوا يقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمداً من موالينا ورذالتنا، فقال الله تعالى [لهؤلاء][6] الفقراء الضعفاء: ﴿أتصبرون﴾ يعني: على الأذى والاستهزاء.

---

(١) صدر بيت لذي الرمة، وعجزه: (وآخَرُ يَثني دمعة العين بالمهل). انظر: البيت في: ديوانه (١/ ١٤١)، والدر المصون (٢/ ٣٧٢)، والطبري (٥/ ١١٧)، وزاد المسير (٦/ ٨٠)، والبحر (٣/ ٢٨٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٤٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الشعب.

(٣) في الأصل: ليكون. والتصويب من ب.

(٤) انظر: معاني الفراء (٢/ ٢٦٥)، ومعاني الزجاج (٤/ ٦٢).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٣).

(٦) في الأصل: لهذا. والتصويب من ب، وتفسير مقاتل، الموضع السابق.

وعلى قول الحسن: يكون الخطاب للفقير والأعمى والسقيم[١].

وعلى القول الآخر: الخطاب للرؤساء، على معنى: أتصبرون على سبق الموالي والأتْبَاع[٢].

وحقيقة هذا الاستفهام: الطلب واستدعاء الصبر منهم.

﴿وكان ربك بصيراً﴾ بمن يصبر ويجزع.

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٢١﴾ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَـٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أي: لا يخافون البعث، والرجاء: الخوف في لغة تهامة. وقد سبق ذكره[٣].

وقيل: المعنى: لا يأملون لقاءنا بالخير؛ لأنهم كَفَرَة.

﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ فكانوا رسلاً إلينا أو شاهدين بصدقك، ﴿أو نرى ربنا﴾ فيخبرنا أنك رسوله.

قال الله تعالى: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم﴾ أضمروا الكبر فيها والعناد، كما

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٨١).

(٢) مثل السابق.

(٣) في سورة يونس عند الآية رقم: ٧.

قال تعالى: ﴿إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه﴾ [غافر:٥٦].

﴿وعتَوْا عتواً كبيراً﴾ أي: تجاوزوا الحدّ في الظلم وغَلَوا فيه.

قوله تعالى: ﴿يوم يرون الملائكة﴾ العامل في الظرف مضمر، تقديره: اذكر، أو ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿لا بشرى﴾، و﴿يومئذ﴾ على هذا [للتكرير][١]. وقوله تعالى: ﴿للمجرمين﴾ إما متناولٌ لهم بعمومه لانتظامهم في سلك المجرمين، وإما واقع موقع الضمير، تقديره: لا بشرى يومئذ لهم.

قوله تعالى: ﴿ويقولون حجراً محجوراً﴾ اختلفوا في القائلين؛ فقال ابن عباس: هم الملائكة يقولون: حراماً محرّماً أن يدخل الجنة إلا من قال: لا إله إلا الله[٢].

وقال مقاتل[٣]: إذا خرج الكفار من قبورهم [تقول][٤] لهم الملائكة: حراماً محرّماً عليكم أيها المجرمون أن تكون لكم البشرى، كما يبشر المؤمنون.

وقال قوم: القائلون هم المشركون إذا عاينوا العذاب[٥].

قال ابن فارس[٦]: كان الرجل إذا لقي من يخافُه في الشهر الحرام قال: حِجْراً، أي: حرام عليك إيذائي، فإذا رأى المشركون الملائكة يوم القيامة قالوا: حِجْراً

---

(١) في الأصل و ب: التكرير. والتصويب من الكشاف (٣/ ٢٧٨). وهو قول الزمخشري في الكشاف، الموضع السابق.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٨). وهذا القول هو اختيار الطبري (١٩/ ٢).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٤).

(٤) في الأصل: يقول. والتصويب من ب.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٨٢).

(٦) معجم مقاييس اللغة (٢/ ١٣٩).

محجوراً، [يظنون][(١)] أنه ينفعهم كما كان ينفعهم في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل﴾ أي: قصدنا وعمدنا إلى ما عملوا من أعمال الخير، ﴿فجعلناه هباءً منثوراً﴾؛ لأن الشرك لا يُتقبَّلُ معه عمل.

واختلفوا في الهباء؛ فقال علي عليه السلام: هو ما رأيته يتطاير في الشمس التي تدخل في الكوة مثل الغبار[(٢)]، وهذا قول أكثر المفسرين واللغويين.

وقال ابن عباس: هو ما تنسفه الرياح وتُذريه من التراب وحطام الشجر[(٣)].

وقال في رواية أخرى: هو الشرر الذي يطير من النار إذا أضرمت[(٤)].

وقال مقاتل[(٥)]: هو ما سطع من حوافر الدواب.

قال بعضهم: لم يَكْفِ أن شَبَّهَهُم بالهباء حتى جعله متناثراً متفرقاً.

قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً﴾ أفضل منزلاً في الجنة ﴿وأحسن مقيلاً﴾ موضع قائلة.

قال الأزهري[(٦)]: القَيْلُولَة عند العرب: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحرّ، وإن لم يكن مع ذلك نوم. والدليل على ذلك: أن الجنة لا نوم فيها.

---

(١) في الأصل: يظنوا. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٧٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٤٦) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٨٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٤٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٤).

(٦) تهذيب اللغة (٩/ ٣٠٦).

قال ابن مسعود وابن عباس: لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، ثم قرأ ابن مسعود: «ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم»[١]. هكذا يقرؤها ابن مسعود.

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولاً ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ عطف على قوله: ﴿يوم يرون الملائكة﴾[٢].

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: «تشّقق» بتشديد الشين، وقرأ الباقون بتخفيفها[٣].

فمن شدّد قال: الأصل: «تَتَشَقَّق»، ثم أدغم التاء في الشين. ومن خفّف

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣٦ ح٣٥١٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والطبري (٢٣/ ٦٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٤٧) وعزاه لابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن مسعود.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٦٢).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٠)، والكشف (٢/ ١٤٥)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٢٨)، والسبعة (ص:٤٦٤).

حذف التاء الثانية استخفافاً؛ لاجتماع المِثْلَين ولم يُدغِم.

قال ابن عباس وغيره: المعنى: أن السماء تتفتَّح بغمام يخرج منها تَنزلُ فيه الملائكة، وهو غمام أبيض رقيق مثل الضباب. ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم، وهو الذي قال الله عز وجل: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلل من الغمام والملائكة﴾[1] [البقرة:٢١٠].

قال الفراء[2]: المعنى: تَشَقَّقُ السماء [عن][3] الغمام، وعلى وعن والباء في هذا الموضع بمعنى واحد؛ لأن العرب تقول: رميت عن القوس وبالقوس وعلى القوس، والمعنى واحد.

وقال أبو علي الفارسي[4]: المعنى: تشَقَّق السماء وعليها غمام. كما تقول: ركب الأمير بسلاحه وخرج بثيابه. أي: وعليه سلاحه.

وقال الزمخشري[5]: لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها، جعل الغمام كأنه الذي تُشَقُّ به السماء.

﴿ونزل الملائكةُ﴾[6] لإظهار العدل وبأيديهم صحائف أعمال العباد ﴿تنزيلاً﴾.

وقرأ ابن كثير: «ونُنْزِلُ» بنونين مع التخفيف، من الإنْزال، «الملائكةَ»

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٢) كلاهما عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (١/ ٥٨٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٦٧).

(٣) في الأصل: من. والتصويب من ب.

(٤) الحجة (٣/ ٢١٠).

(٥) الكشاف (٣/ ٢٨٠).

(٦) في الأصل زيادة: تنزيلاً. وستأتي بعد.

بالنصب[١].

﴿الملك يومئذ﴾ قال الزجاج[٢]: المعنى: المُلْكُ الذي هو الملك حقاً للرحمن.

وقال غيره: ﴿الحق﴾: الثابت؛ لأن كل مُلْك يزول يومئذ ويبطل، ولا يبقى إلا مُلْكَه سبحانه وتعالى.

﴿وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾ صعباً شديداً عظيم المشقة.

وفي تخصيص ذلك بالكافرين بشارة ظاهرة بسهولة ذلك اليوم على المؤمنين. وفي الحديث[٣]: ((أن يوم القيامة يهون على المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة صلاّها في دار الدنيا)).

قوله تعالى: ﴿ويوم يعضّ الظالم على يديه﴾ عطف على ما قبله[٤].

قال ابن عباس وأكثر المفسرين: "الظالم": عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس[٥]. والألِفُ [واللام][٦] للعهد. ويجوز أن تكون للجنس، فيشمل عقبة

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٠-٥١١)، والكشف (٢/ ١٤٥-١٤٦)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٢٨-٣٢٩)، والسبعة (ص:٤٦٤).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٦٥).

(٣) في هامش ب: هو من حديث أبي سعيد، خرجه أحمد في المسند وغيره: قيل لرسول الله ﷺ: ((يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا)) (مسند أحمد ٣/ ٧٥ ح١١٧٣٥).

(٤) الدر المصون (٥/ ٢٥٣).

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٣-٢٦٨٤)، ومجاهد (ص:٤٥١).

(٦) في الأصل: اللام. والتصويب من ب.

وغيره.

قال عطاء: يأكل يديه [حتى][(١)] يذهبا إلى المرفقين، ثم يَنْبُتان فلا يزال هكذا، كلما نبتت يداه أكلهما ندامة على ما فعل[(٢)].

وقيل: عضّ اليدين مَجاز عن نهاية الحسرة والندامة.

﴿يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول﴾[(٣)] يعني: محمداً ﷺ ﴿سبيلاً﴾ طريقاً إلى الهدى والنجاة من الرَّدى.

﴿يا ويلتا﴾ وقُرئ: «يا ويلتي» بالياء على الأصل[(٤)].

﴿ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾ يعني: أمية بن خلف. وقيل: أُبيّ بن خلف.

﴿لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني﴾ قال مجاهد وأكثر المفسرين: سبب نزول هذه الآية: «أن عقبة بن أبي معيط دعا قوماً فيهم رسول الله ﷺ لطعام، فأكلوا، وأبى رسول الله ﷺ أن يأكل، فقال: لا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فشهد بذلك عقبة، فبلغ ذلك أُبيّ بن خلف، وكان خليلاً له، فقال: صَبَوْتَ يا عقبة؟ فقال: لا والله ما صبوت، ولكنه أبى أن يأكل طعامي وهو في بيتي، فاستحييتُ أن يخرج من منزلي لم يَطْعَم من طعامي، فقلت ذلك وليس من نفسي، فقال: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً فلم تطأ قفاه وتبزُق في وجهه وتلطم عينه، فوجده يوماً ساجداً، فنالَ منه بعض ما أراد، فقال له رسول

---

(١) زيادة من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٨٦).

(٣) في الأصل زيادة قوله: ﴿سبيلا﴾ وستأتي.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٩).

الله ﷺ: لا ألقاك خارجاً من مكة إلا قتلتك، فقتله رسول الله ﷺ يوم أُحُد))[١].

وأما أمية بن خلف أخوه فقتل يوم بدر، ويروى نحو ذلك عن الشعبي[٢]، إلا أنه جعل مكان أُبيّ أخاه أمية. والله أعلم.

﴿وكان الشيطان للإنسان﴾ يريد: الكافر ﴿خذولاً﴾ يخذله ويتبرأ منه في الآخرة.

والأكثرون على أن هذا ابتداء كلام من الله تعالى. ويجوز أن يكون من تمام كلام الظالم.

فإن قيل: لم كنّى عنهما؟

قلتُ: ليأتي بصيغة شاملة لهما ولمن هو في مثل حالهما.

فصل

ومن تلمّح هذه القصة ونظر بعين بصيرته وإيمانه ما آل إليه أمر هذا المخذول، ظهر له ضرر معاشرة الفَسَقَة والفَجَرَة.

قال مالك بن دينار: إنك إن تنقل الحجارة مع الأبرار خيرٌ لك من أن تأكل الخبيص مع الفُجّار[٣].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن الصوفي قالا: أخبرنا عبد

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٣-٢٦٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٥٠-٢٥٣) وعزاه لأبي نعيم من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٤٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٨).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٣/ ٢٧).

الأول بن عيسى، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن بريد، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: ((مثلُ الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تَبْتَاعَ منه، وإما أن تجد ريحاً طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة))[1]. هذا حديث متفق على صحته. وأخرجه مسلم عن ابن العلاء أيضاً.

وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿وقال الرسول﴾ يعني: محمداً ﷺ، ﴿يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾.

قال ابن عباس: هجروا القرآن وهجروني وكذبوني[2].

وقيل: هو من هَجَرَ؛ إذا هَذَى[3]، أي: جعلوه مهجوراً فيه، كقولهم: هذا سحر وباطل، وأساطير الأولين.

قال مقاتل وأكثر المفسرين[4]: قال النبي ﷺ ذلك شاكياً من قومه إلى الله تعالى حين كذبوه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٠٤ ح٥٢١٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٦ ح٢٦٢٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٩).

(٣) انظر: اللسان (مادة: هجر).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٨٧).

فإن قيل: ما الحكمة في حكاية هذه الشكاية؟

قلتُ: تخويف المشْكُوِّ منه من سرعة انتقام المشْكُوِّ إليه، على ما أُلِفَ وعُرِفَ منه من نصر أوليائه وكسر أعدائه.

فعزّاه الله تعالى ووعده النصر فقال: ﴿وكذلك جعلنا﴾ أي: وكما جعلنا لك عدواً من قومك جعلنا ﴿لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً﴾ لك إلى طريق استئصالهم ﴿ونصيراً﴾ ناصراً لك عليهم.

وقيل: إن هذا يقوله يوم القيامة.

المعنى: ويقول الرسول.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا﴾ يريد: كفار قريش.

وقيل: اليهود.

﴿لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة﴾ كما نزّل التوراة والإنجيل، و"نزِّلَ" هاهنا بمعنى: "أنْزِل"؛ كخُبِّرَ بمعنى: أُخْبِر، وإلا كان متناقضاً، وهذا أيضاً من جملة اقتراحاتهم الدالة على عنَتِهِم، وهو أحد الأسباب التي كانوا يتعللون بها إذا شَرِقُوا بالحق الواضح، وراموا معارضته بالشبهة الباطلة.

قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ متعلق بفعل مضمر، أي: أنزلناه كذلك مُنجماً، ﴿لنثبت

به فؤادك﴾ أي: لنُقوِّي به قلبك حتى تَعيه وتحفظه، فاللام من صلة الفعل المضمر، والكاف صفة المقدَّر الذي دَلَّ عليه "أنزلناه". هذا قول أبي إسحاق الزجاج والأكثرين[1].

وقال الفراء[2]: التقدير: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك الكتاب، يريد: التوراة، فالكاف من صلة قوله: «لولا نُزِّلَ» أي: لولا نزل مثل ذلك التنزيل، فقال الله تعالى: ﴿لنثبت به فؤادك﴾.

قال أبو الحسن الأصبهاني صاحب كشف المشكلات على هذا القول[3]: اللام عنده في «لنثبت» لام القسم، والنون معها مقدّرة تظهرُ إذا فُتحت، وتسقط إذا كُسرت.

وعندي: أن اللام متعلقة بما دل عليه قولهم: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، معناه: لِمَ أُنزلَ متفرقاً؟ فقال: لنثبت به فؤادك.

﴿ورتّلناه﴾ عطف على محذوف، تقديره: فرقناه ورتبناه ورتلناه، ﴿ترتيلاً﴾ أي: جئنا به آية بعد آية، وطائفة بعد طائفة، على حسب الوقائع والحوادث على ما تقتضيه حكمتنا.

﴿ولا يأتونك بمثل﴾ أي: يجيئونك بمثل يضربونه لك عند الخصام ليتوصَّلُوا به إلى إطفاء نور رسالتك، ﴿إلا جئناك بالحق﴾ بالأمر الثابت الصحيح الذي تَنْقَادُ

---

(١) انظر: معاني الزجاج (٤/ ٦٦).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٦٧).

(٣) كشف المشكلات (٢/ ١٧١).

له العقول المطلقة من قيد الهوى لنردّ[١] به كذبهم، ﴿وأحسن تفسيراً﴾ بياناً وكشفاً.

قوله تعالى: ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ قال مقاتل: هم كفار مكة قالوا لمحمد ﷺ وأصحابه: هم شر خلق الله[٢]، فقال الله تعالى: ﴿أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً﴾ من سبيل المؤمنين وطريقهم.

ويجوز أن يراد بالمكان: الشرف والمنزلة؛ ليكون مطابقاً لسبب النزول؛ لأن الحامل للكفار على قولهم احتقار المؤمنين.

أخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه، أخبرنا عبدالجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، حدثنا محمد بن إبراهيم المحاملي، أخبرنا محمد بن إبراهيم البوشنجي، أخبرنا أحمد بن حنبل، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا شيبان، عن قتادة، عن أنس: ((أن رجلاً قال: يا نبي الله! كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر أن يُمشيه على وجهه يوم القيامة))[٣] هذا حديث صحيح أخرجه البخاري عن عبدالله بن محمد، عن يونس بن محمد. وأخرجه مسلم أيضاً.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ

(١) في ب: لترُدّ.

(٢) انظر قول مقاتل في: الوسيط (٣/ ٣٤٠)، وزاد المسير (٦/ ٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٨٤ ح٤٤٨٢، ٥/ ٢٣٩٠ ح٦١٥٨)، ومسلم (٤/ ٢١٦١ ح٢٨٠٦)، وأحمد (٣/ ٢٢٩ ح١٣٤١٦).

لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ ظهيراً ومعيناً له على تبليغ الرسالة وشريكاً له في النهوض بأعبائها.

﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ يريد: فرعون والقِبْط، ﴿فدمرناهم تدميراً﴾ أهلكناهم إهلاكاً، وفيه إضمار تقديره: فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم تدميراً.

فإن قيل: كيف وصفهم بالتكذيب قبل التبليغ؟

قلتُ: لأنهم كذبوا أنبياء الله من قبل وكذبوا كُتُبَه.

قوله تعالى: ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم﴾ قال الزجاج(١): يجوز أن [يراد](٢) به نوح وحده، وقد ذكر بلفظ الجنس، كما يقال: فلان يركب الدواب وإن لم يركب إلا دابة واحدة.

﴿وجعلناهم للناس آية﴾ عبرة لمن بعدهم، ﴿وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً﴾ سوى ما أصابهم في الدنيا.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٦٧-٦٨).

(٢) في الأصل: يرد. والتصويب من ب، والزجاج (٤/ ٦٧).

﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرس﴾ قال ابن قتيبة[١]: كل بئر لم تُطْوَ فهي رَسٌّ.

قال ابن عباس في رواية: هي بئر كانت بأنطاكية قتلوا فيها حبيب النجار، فنُسبوا إليها[٢].

قال كعب: هم الذين قتلوا أصحاب يس الذي قال: «يا قوم اتبعوا المرسلين»، ورسُّوه في بئر لهم يقال له: الرَّسّ[٣].

قال الزجاج[٤]: رَسُّوه: أي: دَسُّوه فيها.

وقال قتادة: حُدثنا أن أصحاب الرَّسّ كانوا أهل فلج[٥] اليمامة، فقتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى[٦]. قيل: إنهم كانوا بقية ثمود قوم صالح.

وقال سعيد بن جبير وغيره: [هم][٧] أصحاب النبي حنظلة بن صفوان، وكانوا مُبتلين بالعنقاء، وهي أكبر[٨] ما تكون من الطير، سُميت بذلك؛ لطول عُنُقِها، وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له: فتح، وكانت تَنْقَضُّ على صبيانهم

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣١٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٠-٣٤١). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٦/ ٢٥٧) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٦٨).

(٥) في هامش ب: فَلَج: بفتح أوله وثانيه وجيم: مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وقيس وكعب، وكل ماء يجري من عين سيحاً فهو فَلَج.

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ١٤)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٥٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٧) زيادة من ب.

(٨) في ب: أعظم.

فتختطفهم إن [أعوزها][(١)] الصيد، فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة، ثم إنهم قتلوا حنظلة فأُهلكوا[(٢)].

وقال وهب بن منبه: كانوا أهل بئر قعوداً عليها، وكانت لهم مواشي، وكـانوا يعبدون الأصنام، فوجّه الله إليهم شعيباً فتمادوا في طغيانهم، فانهارتْ البئر فخُسف بهم[(٣)].

وقيل: هم أصحاب الأخدود.

ويروى عن علي عليه السلام: أنهم قوم كانوا يعبدون شجرة، فبعث الله تعالى إليهم نبياً من ولد يهوذا بن يعقوب، فحفروا له بئراً وألقوه فيها، فهلكوا[(٤)].

﴿وقروناً بين ذلك كثيراً﴾ المعنى: وأهلكنا قروناً بين ذلك المذكور كثيراً.

---

(١) في الأصل: أعزها. والتصويب من ب.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٠) بأقصر منه، وأبو حيان في البحر (٦/ ٤٥٧)، والآلوسي في روح المعاني (١٩/ ٢٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٠).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٠).

وقد ذكر الطبري بعض هذه الأخبار في تفسيره (١٩/ ١٤)، ثم عقب عليها بقوله: والصواب من القول في ذلك قول من قال: هم قوم كانوا على بئر، وذلك أن الرس في كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك، ومنه قول الشاعر:

سبقت إلى فرط باهل تنابلة يحفرون الرساسا

يريد أنهم يحفرون المعادن، ولا أعلم قوماً كانت لهم قصة بسبب حفرة ذكرهم الله في كتابه إلا أصحاب الأخدود، فإن يكونوا هم المعنيين بقوله: ﴿وأصحاب الرس﴾ فإنا سنذكر خبرهم إن شاء الله إذا انتهينا إلى سورة البروج، وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبراً إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رسوا نبيهم في حفرة.

﴿وكُلاً﴾ منصوب بفعل مضمر، أي: بيّنا كُلاً[1]، على معنى: بيّنا أحوالهم؛ لأن ضَرْبَ المثل يُبيّن أحوالهم.

﴿وكلاً تَبَّرْنا تَتْبيراً﴾ التَّتْبير: التكسير والتفتيت، ومنه: التِّبْر: وهو كُسَارُ الذهب والفضة[2].

قوله تعالى: ﴿ولقد أتوا على القرية﴾ يعني: كفار مكة على القرية ﴿التي أمطرت مطر السوء﴾ وهي [سَدُوم][3] -قرية قوم لوط التي رُميت بالحجارة-، ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ في أسفارهم فتُحدث لهم رؤيتهم إياها اعتباراً وانزجاراً[4].

ثم ذكر السبب الموجب لتمردهم واجترائهم على التكذيب فقال: ﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾ أي: لا يخافون.

وقيل: لا يتوقّعون بعثاً بعد الموت.

وقال الزجاج[5]: الذي عليه أهل اللغة: أن الرجاء ليس بمعنى الخوف، وإنما المعنى: بل كانوا لا يرجون ثواب عمل الخير فركبوا المعاصي.

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٥٥).

(٢) انظر: اللسان (مادة: تبر).

(٣) في الأصل: سندوم. والتصويب من ب.

(٤) في ب: وازدجاراً.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٦٩).

أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هُزُءاً﴾[1] مهزوءاً به، أو موضع هزء، أو ذا هزء.

ثم ذكر ما يقولونه من الاستهزاء فقال: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ وهو على إضمار القول، تقديره: قائلين أهذا الذي بعثه الله رسولاً.

﴿إن كاد ليضلنا﴾ "إنْ" هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، ﴿عن آلهتنا﴾ أي: عن عبادة آلهتنا، فحذف المضاف ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ أي: على عبادتها.

وفي هذه الآية دليل واضح على قوة اجتهاد النبي ﷺ وبذله غاية وسعه في استعطافهم واستمالتهم إلى الإسلام.

﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً﴾ أهم أم المؤمنون. وهذا وعيد شديد لهم.

قوله تعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ استفهام في معنى التعجب للنبي ﷺ من فرط جهلهم، حيث تركوا عبادة من خلقهم ورزقهم، وأطاعوا أهواءهم في عبادة أحجار لا تضرُّ ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، ولا تعلم من عَبَدَها وأطاعها ممن رفضها وأضاعها، يتنقَّلُون عنها ذهاباً مع ميل أنفسهم في استحسان حَجَر.

---

(١) وقرأ حفص: "هُزُواً"، انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٩).

قال سعيد بن جبير: كان أهل الجاهلية يعبدون الحَجَر، فإذا رأوا أحسن أخذوه وتركوا الأول[١].

﴿أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ المعنى: لست عليه وكيلاً ولا حفيظاً تحفظه من اتّباع هواه.

﴿أم تحسب أن أكثرهم﴾ [يعني: أهل مكة. و"أم" هاهنا منقطعة، المعنى: بل أتحسب أن أكثرهم][٢] ﴿يسمعون أو يعقلون﴾ سلبهم الله تعالى وصْفَي السمع والعقل؛ لعدم انتفاعهم بهما.

﴿إن هم إلا كالأنعام﴾ ليس لهم [هَمٌّ][٣] إلا الأكل والشرب وركوب أهوائهم، أو يكون الجامع بينهم وبين الأنعام في الشَّبَه أنهم يسمعون الصوت ولا يفهمون المعنى.

﴿بل هم أضل سبيلاً﴾ من الأنعام؛ لأنها تهتدي لمراعيها وتجتنب ما يؤذيها، وتنقاد لأربابها الذين يقومون بعَلَفِها وينهضون بكُلَفها.

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٩٩). وذكره الطبري (١٩/ ١٧) بلا نسبة، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٦٠) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) زيادة من ب.

(٣) زيادة من ب.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك﴾ إلى صُنْع ربك وقدرته، ﴿كيف مد الظل﴾ أي: بسطه، والمراد بالظل هاهنا: ما كان منه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ مقيماً لا يزول ولا يتحرك بطلوع الشمس، ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾؛ لأن الأشياء تُعْرَف بأضدادها، فلولا الشمس ما عُرف الظل، ولولا النور ما عُرفت الظُّلْمَة.

وقيل: معنى كون الشمس دليلاً: أن الناس يستدلّون بها في مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتاً في مكان، وزائلاً ومتّسعاً ومتقلّصاً، فيبْنُون على حسب حاجاتهم إلى الظل.

﴿ثم قبضناه﴾ أي: قبضنا الظل بطلوع الشمس ﴿إلينا قبضاً يسيراً﴾ أي: خفياً على مهل، فتنسخه الشمس شيئاً فشيئاً لمصالح العباد، ولو قُبِضَ دفعة واحدة لتعطلت أكثر منافع الخلق بالظل والشمس جميعاً.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾ ساتراً بظلمته الأشياء مشتملاً عليها اشتمال اللباس على لابسه ﴿والنوم سباتاً﴾.

قال الزجاج[1]: السُّبَات: أن ينقطع عن الحركة والتروُّح في بدنه، أي: جعل نومكم راحةً لكم.

﴿وجعل النهار نشوراً﴾ قال ابن عباس: ينتشرون فيه لابتغاء الرزق[2].

وقال الزمخشري[3]: السُّبات: الموت، والمَسْبُوت: الميت؛ لأنه مقطوع الحياة،

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٧٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٤).

(٣) الكشاف (٣/ ٢٨٨-٢٨٩).

وهذا كقوله: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ [الأنعام:٦٠].

فإن قلت: هلاَّ فسرته بالراحة؟

قلتُ: النشور في مقابلته يأباه إباء العَيُوف الورد وهو مُرنّق.

قلتُ: والعَيُوف: الناقة الكارهة للماء، والمُرنّق: المكدّر. يقال: في عيشه ترنِيق، أي: تكدير.

وعلى التحقيق: لم يأت الزمخشري بشيء؛ لأنه إن أراد حقيقة الموت فذاك محال، وإن أراد به الموت المجازي، فهو الذي قاله الزجاج وغيره، وإطلاق اسم الراحة عليه من باب تسمية الشيء بما يلازمه ويجاوره، والتفسير المذكور في النشور يعكر[1] على أصل مقصوده بالإبطال؛ لأنه [رام][2] المقابلة بين الموت والحياة، فإذا لم يفسر النشور بها انحلّت الرابطة بينهما، على أني أقول: المقصود من هذه السياقة امتنان الله تعالى على عباده بالنِّعَم المذكورة، فإذا فُسِّر السُّبات بالموت مع قطع النظر عما ذكرناه اختلَّ المعنى وبطل المقصود، فتفهَّم ذلك.

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾

---

(١) في هامش ب: أصل العكر: من الاعتكار، وهو الازدحام والكثرة. وقيل: هو العادة والدَّيْدَن، وكأنه هاهنا بمعنى الرجوع. (انظر: اللسان، مادة: عكر).

(٢) في الأصل: أصل. والتصويب من ب.

وما بعده مفسر في الأعراف[١] إلى قوله تعالى: ﴿ماءً طهوراً﴾.

قال الأزهري[٢]: الطَّهُور في اللغة: الطَّاهِر المطهِّر، والطَّهُور: ما يُتَطَهَّر به؛ كالوضوء الذي يُتوضأ به، والفُطور الذي يُفْطَرُ عليه.

﴿لنحيي به بلدةً ميتاً﴾ وقرأتُ لأبي جعفر: «مَيِّتاً» بالتشديد[٣]، هنا وفي الزخرف[٤] وقاف[٥].

فإن قيل: فما بالُ الصفة غايرت الموصوف فجاءت بلفظ التذكير، والموصوفُ مؤنثٌ؟

قلتُ: البلدة في معنى البلد أو المكان، والمعنى: لنحيي به بلداً ميتاً بالجدب فيصير مُهْتَزَاً بأنواع النبات.

قال كعب: المطر روح الأرض[٦].

﴿ونُسْقِيَه﴾ وقرأتُ لعاصم من رواية المفضل عنه: «ونَسْقِيَه» بفتح النون[٧]، من سقى وأسقى.

وقد سبق القول عليه في الحِجْر[٨].

---

(١) آية رقم: ٥٧.

(٢) تهذيب اللغة (٦/ ١٧٢).

(٣) النشر (٢/ ٢٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٩).

(٤) آية رقم: ١١.

(٥) آية رقم: ١١.

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره (١٣/ ٥٦).

(٧) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٩).

(٨) آية رقم: ٢٢.

والمعنى: نُسقي من ذلك بعض الذي خلقنا.

ثم فسّر ذلك البعض فقال: ﴿أنعاماً وأناسي كثيراً﴾.

فإن قيل: لم خصَّ الأنعام من بين سائر الحيوانات بالذِّكْر؟

قلت: لأنها معظم أموالهم، ومتعلق آمالهم، ومادة متاعهم، وانتفاعهم في سهلهم وبقاعهم[(١)]، فكان الإنعام عليهم بسقي الأنعام التي لهم، كالإنعام عليهم بسقيهم.

فإن قيل: لم بدأ بذكر الأنعام وقدَّمه على الأناسي؟

قلت: لأنها السبب في بقائهم، فكان [لها][(٢)] مرتبة التقديم في الذِّكْر، أو لأنها إذا سُقيت لأجلهم كانوا هم أولى وأجدر أن يُسْقَوا.

قال الزجاج[(٣)]: الأناسي: جمع إنْسِي، مثل: كُرْسي وكَرَاسِي. ويجوز أن يكون جمع إنسان، وتكون الياء بدلاً من النون، الأصل: أَنَاسِين، مثل: سَرَاحين.

فعلى هذا الوجه الثاني الذي ذكره الزجاج؛ يكون قد أدغم الياء في الياء.

قال الزمخشري[(٤)]: ونحوه: ظرابيّ في ظَرِبان، على قلب النون ياء، والأصل: ظَرَابِين.

قلتُ: الظَّرِبَان: دُويبةٌ شديدٌ نتنُ ريحها، وقد قيل: إنها إذا وصلت إلى معاطن الإبل تفرّقت الإبل من نَتْنِها، وإن مَرّ بها إنسان وقت إرسالها الريح عبقت الرائحة

(١) في ب: ويَفَاعِهِم.
(٢) زيادة من ب.
(٣) معاني الزجاج (٤/ ٧١).
(٤) الكشاف (٣/ ٢٩٠).

بثوبه حتى يَخْلُق، وأنشدوا:

كأنَّ ريحَ دَبِراتٍ خَمْسِ وظَرَبَانٌ بينهن يَفْسِي

ريحُ ثَنَاياها بُعيدَ النَّعْس [١]

وقد قرأ أبو مجلز: «وأناسِيَ» [٢]، بحذف ياء أفاعيل، كقولك: أناعم في أناعيم.

قوله تعالى: ﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا﴾ أي: صرَّفنا المطر بين الأناسي مرة لهؤلاء [ومرة لهؤلاء] [٣] ليتفكروا في قدرتي وعظمتي فيحذروا، وفي نعمتي عليهم وإحساني إليهم فيشكروا.

وقرأ حمزة والكسائي: «ليذكروا» بالتخفيف [٤]، ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾.

قال جمهور المفسرين: هم الذين يقولون: مُطِرْنا بنَوْء [٥] كذا وكذا [٦].

قال الزجاج [٧]: جعلهم بذلك كافرين.

---

(١) في هامش ب: كأنه أراد هاهنا بالنعس: النوم.

(٢) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ٩٤-٩٥).

(٣) زيادة من ب.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١١)، والكشف (٢/ ٤٧)، والنشر (٢/ ٣٠٧)، والإتحاف (ص:٣٢٩).

(٥) النوء: النجم إذا مال للمغيب كانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها فتقول: مطرنا بنوء كذا (اللسان، مادة: نوء).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٣) بلا نسبة، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٦٤) وعزاه لسنيد وابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج عن مجاهد.

(٧) معاني الزجاج (٤/ ٧١).

قال صاحب الكشاف[١]: إن كان لا يراها إلا من الأنواء ويجحد أن تكون هي [والأنواء][٢] من خلق الله: فهو كافر، وإن كان يرى أن الله تعالى خالقها وقد نصب الأنواء دلائل وأمارات عليها: لم يكفر.

وفي الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني قال: ((صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب))[٣].

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ يتضمن إعلام الرسول ﷺ بكرامته على ربه وتفضيله على سائر الرسل[٤]، حيث قَصَرَ الرسالة إلى الخلق كافة

---

(١) الكشاف (٣/ ٢٩٢).

(٢) في الأصل: الأنواء. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٩٠ ح ٨١٠)، ومسلم (١/ ٨٣ ح ٧١).

(٤) في ب: رسله.

عليه؛ لتتوفر دواعيه ﷺ على الشكر، ويستشعر الصبر على ما حُمِّل من أعباء الرسالة وأثقال النبوة.

﴿فلا تطع الكافرين﴾ فيما يدعونك إليه [ويراودونك][١] عليه. وهذا من باب الإلهاب والتهييج، ﴿وجاهدهم به﴾ أي: بالقرآن ﴿جهاداً كبيراً﴾.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ قال الزجاج[٢]: خلّى بينهما. تقول: مَرَجْتُ الدابةَ وأمْرَجْتُها؛ إذا خَلَّيْتُها تَرْعَى[٣]، ومنه الحديث: ((مَرَجَتْ عهودهم وأماناتهم))[٤].

[قال المفسرون: المعنى: أرسلهما في مجاريهما[٥].

﴿هذا عذب فرات﴾ مُفْرِطُ العذوبة][٦] حتى يضرب إلى الحلاوة، ﴿وهذا ملح أجاج﴾ مفرط في الملوحة.

﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ حاجزاً من قدرته يمنعهما التمازج مع التمازج، وهذا من عجائب قدرة الله تعالى.

﴿وحجراً محجوراً﴾ قال الفراء[٧]: أي حراماً محرّماً أن يغلب أحدُهما صاحبه.

---

(١) في الأصل: ويراودنك. والتصويب من ب.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٧٢).

(٣) انظر: اللسان (مادة: مرج).

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ١٢٣ ح٤٣٤٢)، وابن ماجه (٢/ ١٣٠٧ ح٣٩٥٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٦).

(٦) زيادة من ب.

(٧) معاني الفراء (٢/ ٢٧٠).

وقال الزمخشري[١]: هي الكلمة التي يقولها المتعوّذ، وقد فسّرناها.

وهي هاهنا واقعة على سبيل المجاز، كأنَّ كل واحد من البحرين يتعوّذ من صاحبه ويقول: حجراً محجوراً، كما قال الله تعالى: ﴿لا يبغيان﴾ [الرحمن:٢٠]، فانتفاء البغي ثَمَّ كالتعوُّذ هاهنا، جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه، فهو يتعوذ منه، وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾ قال علي عليه السلام[٢]: «النسب»: ما لا يحلّ نكاحه، و«الصِّهْرُ»: ما يحلّ نكاحه[٣].

وقال الضحاك وقتادة ومقاتل[٤]: النَّسَب سبعة، والصِّهْر خمسة، وقرؤوا: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم -إلى قوله تعالى-: من أصلابكم﴾[٥] [النساء:٢٣].

قال طاووس: الرضاعة من الصِّهْر[٦].

وقال ابن قتيبة[٧]: «فجعله نسباً» أي: قَرابة النسب، «وصِهْراً» أي: قَرابة النكاح.

---

(١) الكشاف (٣/ ٢٩٢-٢٩٣).

(٢) ساقط من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٧).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٤٠).

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٦) عن الضحاك. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٧).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١٠). وذكره الماوردي (٤/ ١٥١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٧).

(٧) تفسير غريب القرآن (ص:٣١٤).

وقال صاحب الكشاف[١]: قَسَمَ البشر قسمين: ذوي نسب، أي: ذكوراً يَنْتَسِبُ إليهم، فيقال: فلان بن فلانة، وفلانة بنت فلان. وذوات صِهْر، أي: إناثاً يُصاهَرُ بهنّ، ونحوه: ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ [القيامة:٣٩].

وقال ابن سيرين: نزلت في النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب زوج فاطمة، فهو ابن عمه وزوج ابنته، فكان نسباً وصِهْراً[٢].

﴿وكان ربك قديراً﴾ لا يمتنع عليه ما أراد.

فصل

قال أهل اللغة: كل شيء من قِبَل الزوج مثل: الأب والأخ، فهم الأَحْماء، واحدهم: حِمىً، مثل: قِفاً، وحَمُو مثل أبو. قال الشاعر:

.... هيَ ما كَنَّتِي وتزعُمُ أني لها حَمُو[٣]

وحمؤ بسكون الميم والهمز، وحَمٌ مثل أبٌ، وحَمَاةُ المرأة: أمُّ زوجها، لا لغة فيها غير هذه، وكل شيء من قبل المرأة فهم الأختان، والصِّهْر يجمع ذلك كله[٤].

وحكى ابن فارس[٥] عن الخليل قال: لا يقال لأهل بيت الرجل إلا أَخْتَان، ولأهل بيت المرأة إلا أَصْهار. ومن العرب من يجعلهم أصهاراً كلهم.

قال المعافى بن زكريا: ذهب قوم إلى التداخل والاشتراك، وهو أصح المذهبين

---

(١) الكشاف (٣/ ٢٩٣).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٤٦٤).

(٣) انظر: اللسان (مادة: حما).

(٤) مثل السابق.

(٥) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣١٥).

عندي.

وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: محمدٌ النبي أخي وصهري. والنبي ﷺ أبو زوجته. ويدلك على ذلك[1] قولهم: أصهرَ فلانٌ إلى فلانٍ، وبين القوم مُصاهرة.

قال غيره: فسمّيت المناكح صِهْراً؛ لاختلاط الأنساب بها، كما يختلط الشيء إذا صُهِرَ، والصَّهَرُ: إذابة الشيء[2].

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم﴾: سبق تفسيره، ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ أي: معيناً للشيطان ومُظاهراً له على ربه بالعداوة.

وقيل: هو على حذف المضاف، أي: على أولياء ربه ظهيراً.

---

(١) في ب: هذا.

(٢) انظر: اللسان (مادة: صهر).

وقيل: «ظهيراً»: ذليلاً مهيناً، من قولك: ظهرتُ به؛ إذا جعلته وراء ظهركَ ولم تلتفت إليه[١].

وجمهور المفسرين يقولون: هو أبو جهل لعنه الله[٢].

وقيل: يجوز أن يريد بالظَّهير: الجماعة؛ كقوله: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ [التحريم:٤]، [ويريد][٣] بالكافر: الجنس، وأن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً﴾[٤] أي: مبشراً بالجنة لمن أطاعك، ﴿ونذيراً﴾ بالنار لمن عصاك.

﴿قل ما أسألكم عليه من أجر﴾ أي: ما أطلب منكم على تبليغ ما أُرسلت به من جزاء فتتهموني [وتقولوا][٥]: إنما أراد ما عندنا من الأموال، ﴿إلا من شاء﴾ استثناء منقطع، على معنى: لكن من شاء، ﴿أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ بإنفاق ماله في مرضاته فعل ذلك.

قال صاحب الكشاف[٦]: مثال: "إلا من شاء"، والمراد: إلا فعل من شاء،

---

(١) انظر: اللسان (مادة: ظهر).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الشعبي وعزاه لابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن عطية وعزاه لابن المنذر.

(٣) في الأصل: أو يريد. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل زيادة قوله: ﴿ونذيراً﴾، وستأتي بعد.

(٥) في الأصل: وتقوا. والتصويب من ب.

(٦) الكشاف (٣/ ٢٩٣).

واستثنائه عن الأجر، قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال: ما أطلب منك ثواباً على ما سعيت لك، إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه. فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب، ولكن صوَّره هو بصورة الثواب، وسماه باسمه، فأفاد فائدتين:

إحداهما: قَلْعُ شُبْهَةِ الطمع في الثواب من أصله، كأنه يقول لك: إن كان حفظك لمالك ثواباً فإني أطلب الثواب.

والثانية: إظهار الشفقة البالغة، وأنك إن حفظت مالك اعتدَّ بحفظك ثواباً.

قوله تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يفوض أمره إليه، معتصماً به من كيد الكَفَرة ومكرهم، ومستكفياً به من شرهم، وعرّفه أن الحي الذي لا يموت، هو الذي ينبغي أن يُستَنَد إليه ويُعْتَمَد عليه.

قال بعض السلف: لا يصح لذي عقل أن يَثِقَ بعد هذه الآية بمخلوق، وصحبتُ شيخاً من العاملين لله [والمتنسّكين][1] بالعلم والمتمسكين بالورع في سفر بطريق الشام، فنزلنا قريةً فعرفه بها رجل من ذوي اليسار، فقال: أنتم الليلة أضيافي، فقال له الشيخ: وليلة غدٍ أضياف من نكون؟ يشير بذلك إلى نفي الاعتماد على من هو بعَرَضِيَّةِ الفناء والنفاد، ووجوب الاستناد في طلب القُوت إلى الحي الذي لا يموت.

وسمعتُ الشيخ أبا الخطاب بن هلال الرسعني -جدّ أولادي لأمهم- يقول:

---

(١) في الأصل: المتنسكين. والتصويب من ب.

عجبتُ لمن يرائي تراباً أن يطلب منه ثواباً.

وما بعده ظاهر مفسر إلى قوله تعالى: ﴿الرحمن فاسئل به خبيراً﴾، قرأ الأكثرون: «الرحمنُ» بالرفع، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه مبتدأ، خبره ما بعده، بشرط أن يكون الضمير في «به» للرحمن.

الثاني: أنه خبر لقوله: ﴿الذي خلق السموات﴾.

الثالث: أنه بدلٌ من المستكنّ في "استوى"[١].

وقُرئ: «الرحمنِ» بالجر[٢]، صفة "للحي الذي لا يموت".

واختلفوا في المعنى؛ فقال ابن السائب معناه: فاسأل الخبير بذلك، يعني: بما ذكر من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش[٣].

وقيل: الباء بمعنى: «عن»، والضمير للرحمن، أي: فاسأل عن الرحمن خبيراً.

قال علقمة:

فإنْ تسألوني بالنساءِ فإنني ... بصيرٌ بأدْوَاءِ النساءِ طَبِيبُ[٤]

أي: عن النساء.

فعلى هذا؛ إما أن يراد بالخطاب رسول الله ﷺ أو غيره بخطابه، كقوله تعالى: ﴿فإن كنت في شك﴾ [يونس:٩٤].

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٦٤)، والدر المصون (٥/ ٢٦٠).

(٢) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٢٦٠)، والبحر (٦/ ٤٦٥)، وهي قراءة زيد بن علي.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٤).

(٤) البيت لعلقمة بن عبدة. انظر: السبع الطوال (ص:٣٣٥)، والهمع (٢/ ٢٢)، والمفضليات (ص:٧٧٣)، واللسان (مادة: طبب)، والبحر (٦/ ٤٦٦)، والقرطبي (١٣/ ٦٣)، وزاد المسير (٦/ ٩٨، ٨/ ٣٥٨)، وروح المعاني (١٩/ ٣٨).

فإن كان المراد رسول الله ﷺ، فالخبير هو جبريل عليه السلام، في قول ابن عباس[(١)].

وقال مجاهد: هو الله عز وجل، على معنى: فسلني فإني الخبير[(٢)].

وإن أريد به غيره، فالمعنى: فاسأل رجلاً خبيراً، أي: عالماً بما تسأله عنه.

وقيل: الضمير في «به» يرجع إلى ما دلَّ عليه "فاسأل"، وهو السؤال، كما قال:

إذا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ ....[(٣)]

أي: إلى السفه، ودل عليه السفيه.

المعنى: فاسأل بسؤالك [خبيراً][(٤)] أيها الإنسان.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم﴾ يعني: لكفار مكة ﴿اسجدوا للرحمن﴾ لا للصنم، ﴿قالوا وما الرحمن﴾ فأنكروه وقالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون: مُسيلمة الكذاب.

قال الزجاج[(٥)]: «الرحمن»: اسم من أسماء الله تعالى، مذكور في الكتب الأولى،

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٨-٩٩).

(٣) صدر بيت، وعجزه: (وخَالَفَ والسفيهُ إلى خِلاف). انظر: الخصائص (٣/ ٤٩)، والمحتسب (١/ ١٧٠)، ومجالس ثعلب (١/ ٦٠)، وأمالي ابن الشجري (١/ ٦٨)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي (١/ ٢٤٤)، وأمالي المرتضى (١/ ١٤٥)، والهمع (١/ ٦٥)، والخزانة (٥/ ٢٢٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٣٣)، والدر المصون (٢/ ٢٧٢، ٤/ ١٤٨)، والطبري (٤/ ١٨٩)، والقرطبي (٤/ ٢٩٠)، وزاد المسير (١/ ٥١٢)، وروح المعاني (١٢/ ١٦٤).

(٤) زيادة من ب.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٧٣).

ولكنهم لم يكونوا يعرفونه من أسماء الله تعالى، فلما سمعوه أنكروه، فقالوا: «وما الرحمن»؟

﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «يأمرنا» بالياء[١]، على معنى: لما يأمرنا محمد ﷺ.

و"ما" إن كانت مصدرية فلا حاجة إلى إضمار، وإن كانت بمعنى: الذي، فالتقدير: لما يأمرنا به. والاستفهام في معنى الإنكار، أي: لا نفعل ذلك.

﴿وزادهم﴾ ذكر الرحمن ﴿نفوراً﴾ عن الإيمان.

وكان سفيان الثوري رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية رفع رأسه إلى السماء ثم يقول: إلهي زادني لك خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً[٢].

تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ قال ابن عباس: يريد: بروج النجوم، يعني: منازلها الاثني عشر[٣].

وقد ذكرناها في الحِجْر[٤].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٢-٢١٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١١-٥١٢)، والكشف (٢/ ١٤٦)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٢٩)، والسبعة (ص:٤٦٦).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٣/ ٦٤)، والنسفي (٢/ ٢٨٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٤)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٦٩) وعزاه للخطيب في كتاب النجوم.

(٤) عند الآية رقم: ١٦.

وقال الحسن ومجاهد: هي النجوم الكبار[١].

وسميت بالبروج التي هي القصور العالية؛ لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسُكَّانِها، واشتقاق البرج من التبرُّج، وهو الظهور.

﴿وجعل فيها سراجاً﴾ يعني: الشمس.

وقرأ حمزة والكسائي: «سُرُجاً» بضم السين والراء من غير ألف[٢]، وهي قراءة أصحاب ابن مسعود.

قال الزجاج[٣]: أراد الشمس والكواكب العِظَام.

قال الماوردي[٤]: لما اقترن بضوء الشمس وَهْجُ حرّها جعلها لأجل الحرارة سراجاً، ولما عُدم ذلك في القمر جعله نوراً فقال: ﴿وقمراً منيراً﴾.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾ هو فِعْلَة، من المخالفة، أي: كل واحد منهما يخالف الآخر في اللونِ، فهذا أبيض وهذا أسود. وهذا قول ابن عباس وقتادة[٥].

وقال مجاهد -في رواية عنه- وأهل اللغة: المعنى: أن أحدهما يخالف

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٣)، والكشف (٢/ ١٤٦)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص: ٣٣٠)، والسبعة (ص:٤٦٦).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٧٤).

(٤) تفسير الماوردي (٤/ ١٥٣).

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٣١) عن مجاهد، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١٨) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٠) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

صاحبه[1]، ومنه: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ [البقرة:١٦٤]. وأنشدوا قول زهير:

بها العينُ والآرامُ يمشينَ خِلْفَةً وأطلاؤُها ينهضنَ منْ كُلِّ مَجْثَمِ[2]

﴿لمن أراد أن يذكّر﴾: يعتبر ويتَّعِظ.

وقرأ حمزة: «يَذْكُرَ» بالتخفيف[3]، من الذِّكْر.

﴿أو أراد شكوراً﴾ قال الحسن رحمه الله: من فاته عمله من التذكّر والشكر بالنهار كان له في الليل مُسْتَعْتَبٌ، ومن فاته بالليل كان له في النهار مُسْتَعْتَبٌ[4].

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٣١)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٠) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) البيت لزهير، انظر: شرح ديوان زهير (ص:٥)، واللسان (مادة: خلف)، والقرطبي (٧/ ٢٤٢، ١٣/ ٦٥)، والطبري (٢/ ٦٣، ١٩/ ٣٢)، وزاد المسير (٦/ ١٠٠)، وروح المعاني (١٩/ ٤٢)، والماوردي (٤/ ١٥٤)، وغريب القرآن (ص:٣١٤)، ومجاز القرآن (٢/ ٨).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٣)، والكشف (٢/ ١٤٧)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٣٠)، والسبعة (ص:٤٦٦).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١٩)، والطبري (١٩/ ٣١) بنحوه. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧١) وعزاه لعبد بن حميد.

قوله تعالى: ﴿وعباد الرحمن﴾ مبتدأ، خبره: ﴿الـذين يمـشون عـلى الأرض هوناً﴾. ويجوز أن يكون "الذين يمشون" صفة لـ"عباد الرحمن"، والخبر: ﴿أولئـك يجزون الغرفة﴾[(١)].

قال ابن قتيبة[(٢)]: نسبهم الله تعالى إليه لاصطفائه إياهم.

ومعنى: «هَوْناً» مشياً رويداً، فهو صفة مصدر أو حال[(٣)].

قال مجاهد: يمشون بالسكينة والوقار[(٤)].

وقال الحسن: يمشون علماء [حلماء][(٥)].[(٦)]

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قـالوا سـلاماً﴾ قـال عـلي بـن فـضال: لم ينتـصب "سلاماً" على أنه حكاية، إذ لو كان حكاية لكان مرفوعاً، كما في قوله: ﴿قال سلام﴾ [هود:٦٩].

وإنما المعنى: أنهم قالوا قولاً يسلمون به.

قال سيبويه[(٧)]: المعنى: قالوا سداداً من القول.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٦٥)، والدر المصون (٥/ ٢٦٢).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٣١٥).

(٣) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٦٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٣)، وابـن أبي حـاتم (٨/ ٢٧٢١)، ومجاهـد (ص:٤٥٦)، والبيهقـي في الشعب (٦/ ٣٤٦ ح٨٤٥٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٢) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٥) في الأصل: حكماء. والمثبت من ب.

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٤)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٠).

(٧) انظر: الكتاب (١/ ٣٢٥).

قال سيبويه[(١)]: ولم يؤمر المسلمون في ذلك الوقت بالقتال، قال: وهي منسوخة بآية القتال.

قال علي بن فضال: لم يتكلم سيبويه في شيء من الناسخ والمنسوخ إلا في هذه الآية.

قلتُ: والصحيح أنها محكمة.

قال الحسن: لا يجهلون، وإذا جُهل عليهم [حَلُمُوا][(٢)].[(٣)]

قوله تعالى: ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ قال الزجاج[(٤)]: كل من أدركه الليل فقد باتَ يبيتُ، نَامَ أو لم يَنَمْ، يقال: باتَ فلانٌ قَلِقاً.

والمعنى: يبيتون لربهم سُجداً في الصلاة وقياماً فيها.

وقال[(٥)] ابن عباس: من صلّى ركعتين أو أكثر بعد العشاء قد بَاتَ لله ساجداً وقائماً[(٦)].

قال الحسن البصري: هذا وصف نهارهم وليلهم[(٧)].

---

(١) انظر: الكتاب (١/ ٣٢٥).

(٢) في الأصل: حملوا. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٣)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٣٤٥ ح٨٤٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الشعب.

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٧٥).

(٥) في ب: قال.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٥).

(٧) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٣٧٥).

قوله تعالى: ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً﴾ لازماً دائماً، ومنه: الغريم؛ لإلحاحه وملازمته.

وللمفسرين في معنى الغرام عبارات ترجع إلى معنى واحد، وهو الهلاك اللازم، وأنشد الزجاج[1]:

ويومَ النِّسَارِ ويومَ الجِفَار ... كانَا عَذَاباً وكانَا غَرَاما[2]

النِّسَار والجِفَار: وقعتان من وقائع العرب، وأنشد غيره:

إنْ يُعاقِبْ يكنْ غَراماً وإن ... يُعْطِ جَزيلاً فإنه لا يُبَالي[3]

قال الحسن: كل غريم يفارق غريمه إلا غريم جهنم[4].

﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ أي: بئست موضع قرار وموضع إقامة هي. وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم إنَّ، وجعلها خبراً لها، ونَصَبَ «مستقراً ومقاماً» على الحال أو التمييز[5].

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٧٥).

(٢) البيت للطرماح بن حكيم الخارجي. انظر البيت في: اللسان (مادة: غرم)، والدر المصون (٥/ ٢٦٢)، والبحر المحيط (٦/ ٤٧٠)، والقرطبي (١٧/ ٢١٩)، والطبري (١٩/ ٣٦)، وزاد المسير (٦/ ٢٧٤)، وروح المعاني (١٩/ ٤٥).

(٣) البيت للأعشى. انظر: ديوانه (ص:١٦٧)، ومجاز القرآن (٢/ ٨٠)، واللسان (مادة: جزل)، والدر المصون (٥/ ٢٦٢)، والبحر (٦/ ٤٧٠)، والماوردي (٤/ ١٥٥)، والقرطبي (١٣/ ٧٢)، والطبري (١٩/ ٣٥، ٢٧/ ٢٠٠)، وزاد المسير (٢/ ٣١٦)، وروح المعاني (١٩/ ٤٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٨ ح٣٤١٨٨، ٧/ ١٨٨ ح٣٥٢٠٤)، والطبري (١٩/ ٣٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٤) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ١٦٥)، والدر المصون (٥/ ٢٦٢).

وقوله: "إن عذابها" و"إنها ساءت" يجوز أن يكون حكاية لقولهم، وأن يكـون من كلام الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ قرأ نـافع وابـن عـامر: «يُقْتِروا» بضم الياء وكسر التاء، من أَقْتَرَ يُقْتِرُ[١].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء، وقرأ أهل الكوفة بفتح اليـاء وضم التاء[٢].

قال أبو عبيدة[٣]: هُنَّ ثلاث لغات، معناها: لم يُضَيِّقُوا في الإنفاق.

﴿وكان﴾ يعني: إنفاقهم ﴿بين ذلك﴾ أي: بين الإسراف والإقتـار ﴿قوامـاً﴾ أي: عدلاً قصداً بين الغلو والتقصير، كما قال لرسوله ﷺ: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ [الإسراء:٢٩].

قال يزيد بن أبي حبيب في هذه الآيـة: أولئـك أصـحاب محمـد ﷺ كـانوا لا يأكلون طعاماً للتنعّم واللذّة، ولا يلبسون ثوباً للجمال، ولكن كانوا يريـدون مـن الطعام ما يَسُدُّ عنهم الجوع ويُقَوِّيهم على عبادة ربهم، ومن الثياب ما يستر عوراتهم ويُكِنُّهُم من الحر والبرد[٤].

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كفـى سرفـاً أن لا يـشتهي

(١) الحجـة للفـارسي (٣/ ٢١٣-٢١٤)، والحجـة لابـن زنجلـة (ص:٥١٣-٥١٤)، والكـشف (٢/ ١٤٧)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٣٠)، والسبعة (ص:٤٦٦).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) لم أقف عليه في مجاز القرآن.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٥). وذكره السيوطي في الـدر (٦/ ٢٧٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

الرجل شيئاً إلا اشتراه فأكله[١].

قال[٢] ابن عباس رضي الله عنه والحسن ومجاهد وقتادة وابن جريج: الإسراف: النفقة في معصية الله وإن قلّ، والإقتار: منع حق الله[٣].

وقرئ شاذاً: «قِواماً» بكسر القاف[٤].

قال ثعلب: القَوام -بفتح القاف-: الاستقامة والعدل، وبكسرها: ما يدوم عليه الأمر ويستقرُّ[٥].

قال الزمخشري[٦]: والمنصوبان -أعني: ﴿بين ذلك قواماً﴾-: جائز أن يكونا خبرين معاً، وأن يجعل "بين ذلك" لغواً، و"قواماً" مُسْتَقِراً، وأن يكون الظرف خبراً، و"قواماً" حال مؤكدة.

وقد تَبِعَ الزمخشري عبارة سيبويه، فإنه كان يُسَمِّي الظرف إذا وقع خبراً: مُسْتَقِراً، وإذا لم يقع خبراً: لغواً.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ

---

(١) ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٥) وعزاه لعبد الرزاق عن الحسن في قوله: ﴿لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ أن عمر بن الخطاب...

(٢) في ب: وقال.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٥) وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة.

(٤) انظر هذه القراءة في: البحر (٦/ ٤٧١)، والدر المصون (٥/ ٢٦٤).

(٥) انظر قول ثعلب في: زاد المسير (٦/ ١٠٣).

(٦) الكشاف (٣/ ٢٩٩).

ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

قوله تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ السبب في نزولها: ما أخرج الشيخان في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال: ((سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خَلَقَكَ؟ قلتُ: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قلتُ: ثم أي؟ قال: أن تُزَانِيَ [حليلة][1] جارك، فأنزل الله تعالى تصديقها: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾))[2].

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس: ((أن ناساً من أهل الشرك قَتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لَحَسنٌ، لو تخبرنا أنَّ لما عملناه كَفَّارةً، فنزلت: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر... الآية))[3].

﴿ومن يفعل ذلك﴾ قال مقاتل[4]: هذه الخصال، ﴿يلق أثاماً﴾.

قال الخليل وسيبويه: جزاء الأثام[5].

(١) في الأصل: بحليلة. والمثبت من الصحيحين، و ب.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٣٩ ح٧٠٩٤)، ومسلم (١/ ٩١ ح٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨١١ ح٤٥٣٢)، ومسلم (١/ ١١٣ ح١٢٢).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٤٤٢)، والوسيط (٣/ ٣٤٦).

(٥) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/ ١٦٠).

قال ابن فارس[١]: الأَثَامُ -مقصورٌ-: الإثم، ويقال: العقوبة. وأنشد ابن قتيبة[٢]:

جَزَى اللهُ ابن عُروةَ حيثُ أَمْسَى عَقُوقاً والعُقُوقُ له أَثَامُ[٣]

وقال مجاهد وكثير من المفسرين: الأثام: واد في جهنم من دم وقَيْح[٤].

﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾ بشركه ومعاصيه، ﴿ويخلد فيه مهاناً﴾ ذليلاً حقيراً.

قرأ الأكثرون: "يُضاعفْ ويخلُدْ" بالجزم على البدل من "يَلْقَ"، ومثله قول الشاعر:

متى تأْتِنَا تُلْمِمْ بنا في ديارنا تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وناراً تأَجَّجَا[٥]

---

(١) مجمل اللغة (١/ ١٦٩).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٣١٥).

(٣) البيت لبلعاء بن قيس الكناني، ويقال: لشافع الليثي وهو في: تهذيب اللغة (١٥/ ١٦١)، والطبري (١٩/ ٤٠)، واللسان، (مادة: أثم)، والقرطبي (١٣/ ٧٦)، والبحر المحيط (٦/ ٤٧٢)، والدر المصون (٥/ ٢٦٤)، ومجاز القرآن (٢/ ٨١)، والماوردي (٤/ ١٥٨)، وزاد المسير (٦/ ١٠٥)، والحجة للفارسي (٣/ ٢١٦).

(٤) أخرجه الطبري عن مجاهد (١٩/ ٤٤) ولفظه: وادياً في جهنم، وكذا في تفسير مجاهد (ص:٤٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٧) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) البيت لعبد الله بن الحر، وهو في: اللسان (مادة: نور)، والقرطبي (١/ ٣٨٤)، وزاد المسير (٦/ ١٠٥)، وروح المعاني (١٩/ ٤٨)، والدر المصون (٥/ ٤٨)، والبحر (٦/ ٤٧٢)، والحجة للفارسي (٣/ ٢١٦)، وخزانة الأدب (٩/ ٩٠)، وشرح الأشموني (ص:٤٤٠)، وشرح المفصل (١٠/ ٢٠)، والكتاب (٣/ ٨٦)، والمقتضب (٢/ ٦٣)، وجمع الهوامع (٢/ ١٢٨).

فأبدل: "تلمم" من "تأتنا".

وقرأ أبو بكر عن عاصم بالرفع على الاستئناف والقطع.

وقرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد العين وإسقاط الألف، غير أن ابن كثير جَزَمَ، وابن عامر رَفَعَ(١).

وقرأتُ لعاصم من رواية أبي زيد عن المفضل عنه: «ويُخْلَدْ»(٢) بضم الياء وفتح اللام والجزم(٣).

قوله تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾ قال ابن عباس: قرأناها على عهد النبي ﷺ سنتين: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ... الآية﴾، ثم نزلت: ﴿إلا من تاب ... الآية﴾، فما رأيت رسول الله ﷺ فَرِحَ بشيء فرحه بها، وبـ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾(٤) [الفتح:١-٢].

وقال ابن عباس: لما نزلت: ﴿والذين لا يدعون... الآية﴾ قال المشركون: ما يغني عنا إسلامنا وقد عَدَلْنا بالله وقَتَلْنا النفس التي حرم الله وأتينا

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٤)، والكشف (٢/ ١٤٧)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٣٠)، والسبعة (ص:٤٦٧).

(٢) في الأصل زيادة قوله: "فيه".

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٦/ ٤٧٢).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٢١٧ ح١٢٩٣٥).

قال الهيثمي في مجمعه (٧/ ٨٤): رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران وقد وثقا وفيهما ضعف، وبقية رجاله ثقات.

وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٩) وعزاه لابن المنذر والطبراني وابن مردويه.

[الفواحش][(١)]؟! فنزلت: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾[(٢)].

﴿فأولئك يبدل الله سيئآتهم حسنات﴾ وقرأتُ لعاصم من رواية أبان عنه: «يُبْدِلُ» بسكون الباء والتخفيف.

واختلف العلماء في معنى التبديل ومتى يكون؛ فقال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير المعنى: فأولئك يُبدّل الله قبائح أعمالهم بمحاسنها، فيبدلهم بالشرك إيماناً، وبالفجور إحصاناً، [وبِقَتْلِ][(٣)] المؤمنين المشركين[(٤)].

فعلى هذا: يكون التبديل واقعاً في الدنيا.

وقال سلمان الفارسي وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين: هذا التبديل كائن في الآخرة[(٥)].

قال عمرو بن ميمون: يُبدل الله تعالى سيئات المؤمن إذا غفرها له حسنات، حتى إن العبد يتمنى أن تكون سيئاته أكثر مما هي[(٦)].

وقال الحسن: ودَّ قومٌ يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا استكثروا من الذنوب، فقيل: من هم؟ قال: هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فأولئك يبدل الله سيئآتهم

---

(١) في الأصل: الفوحش. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٨٥ ح٤٤٨٧).

(٣) في الأصل: بقتل. والتصويب من ب.

(٤) أخرج نحوه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٥) عن علي بن الحسين، والطبري بنحوه (١٩/ ٤٧) عن سعيد بن المسيب. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٠) وعزاه لعبد بن حميد عن علي بن الحسين.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٠٧)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٨١) وعزاه لعبد بن حميد.

حسنات﴾[١].

ويدل على صحة هذا المذهب: ما أخبرنا به أبو علي بن عبدالله بن الفرج في كتابه، أخبرنا هبة الله بن الحصين، أخبرنا أبو علي بن المذهب، أخبرنا [أبو بكر القطيعي قال: أخبرنا][٢] عبدالله بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن المعرور بن سويد[٣]، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: ((يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فتُعرض عليه ويخبأ عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا كذا وكذا، وهو مُقرّ لا ينكر، وهو مشفق من الكبار، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة قال: فيقول: إن لي ذنوباً ما أراها، قال: فلقد رأيتُ رسول الله ﷺ ضَحِكَ حتى بدتْ نواجذه))[٤]. هذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن نمير عن أبيه عن الأعمش.

قوله تعالى: ﴿ومن تاب﴾ أي: ترك الذنوب نادماً على ما سلف منها، ﴿وعمل صالحاً﴾ فيما يستقبله، ﴿فإنه يتوب إلى الله متاباً﴾ أي: متاباً مرضياً مُكَفِّراً لخطاياه.

وقيل: المعنى: فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعاً حسناً.

وقال ابن عباس: المعنى: «ومن تاب» ممن لم يقتل ولم يَزْنِ، «وعمل صالحاً» يريد: الفرائض، «فإنه يتوب إلى الله متاباً» [قال][٥]: يريد: أني فضّلتهم وقدّمتهم

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٠٧).

(٢) زيادة من ب.

(٣) المعرور بن سويد الأسدي، أبو أمية الكوفي، تابعي ثقة، كثير الحديث، عاش مائة وعشرين سنة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٠٧، والتقريب ص: ٥٤٠).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ١٧٧ ح١٩٠)، وأحمد (٥/ ١٥٧ ح٢١٤٣٠).

(٥) زيادة من ب.

على من قاتل نبيي واستحلّ محارمي[١].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ۝٧٢ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ قال أكثر المفسرين: هو الشرك[٢].

قال الزجاج[٣]: الزور في اللغة: الكذب، ولا كذب فوق الشرك بالله.

وروي عن ابن عباس: أنه صنم كان للمشركين[٤].

وقال قتادة: مجالس الباطل بما يوهم أنه حق.

وقال علي بن أبي طلحة: يعني: شهادة الزور[٥].

فعلى هذا: هو من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

وقال محمد بن الحنفية: اللهو والغناء[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٧-٣٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٠٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٧) عن الضحاك. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٥، و ٤/ ٧٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٠٩)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٨٢) وعزاه لابن مردويه.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٠٩).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٣) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد.

وقال الربيع بن أنس: أعياد المشركين[١].

وعن مجاهد: كهذين القولين[٢].

وقال ابن جريج: هو الكذب[٣].

وقال عمرو بن قيس: مجالس الخنا[٤].

﴿وإذا مرّوا باللغو﴾ وهو ما يجب أن يُلْقَى ويُطْرَح.

قال الحسن: المعاصي كلها[٥].

وقال مجاهد ومقاتل[٦]: أذى المشركين وشتمهم[٧].

﴿مرّوا كراماً﴾ أي: مرّوا مرّ الكرماء مُعرضين عنهم، مُكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم؛ كقوله تعالى: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ [القصص:٥٥].

قال عيسى ﷺ: إياكم ومجالسة الخطّائين[٨].

قوله تعالى: ﴿والذين إذا ذكّروا بآيات ربهم﴾ أي: وعظوا بالقرآن ﴿لم يخروا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٢) وعزاه للخطيب عن ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٤) وعزاه لابن جرير.

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٤٣).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٠).

(٨) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٧٨).

عليها صماً وعمياناً﴾.

قال ابن قتيبة[١]: لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها، عميٌ لم يَرَوْها.

وقال الزجاج[٢]: تأويله: إذا تُليت عليهم خرُّوا سجداً وبكياً، سامعين مبصرين لما أُمروا به ونُهُوا عنه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبكياً﴾ [مريم:٥٨]. ومثل هذا من الشِّعْر:

بأيدي رجالٍ لم يَشِيمُوا سُيُوفَهُم ولم يَكْثُرِ القتلى بها حينَ سُلَّتِ[٣]

وتقديره: بأيدي رجال شَامُوا سُيوفهم وقد كثرت القتلى.

ومعنى "لم يشيموا سيوفهم": لم يَغْمِدُوها.

فالتأويل: والذين إذا ذكّروا بآيات ربهم خرُّوا ساجدين سامعين مبصرين.

وقريب من قول الزجاج قول صاحب الكشاف[٤]: ليس هو بنفي للخرور وإنما هو [إثبات][٥] له، ونفي للصَّمَم والعَمَى، كما تقول: لا يلقاني زيد مُسَلِّماً، هو نفيٌ للسلام لا لِلِّقاء.

والمعنى: أنهم إذا ذُكّروا بها أَكَبُّوا عليها حرصاً على استماعها، وأقبلوا على المذَكِّر بها وهم في إكبابهم عليها سامعون بآذان واعية، مبصرون بعيون راعية.

قوله تعالى: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين﴾ قال

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣١٥).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٧٧-٧٨).

(٣) البيت للفرزدق. وهو في: اللسان (مادة: خرر، شيم)، وروح المعاني (١٨/ ١٦٨).

(٤) الكشاف (٣/ ٣٠١).

(٥) في الأصل: إيثار. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

الزمخشري[١]: إن قلت: «مِنْ» في قوله: ﴿من أزواجنا﴾ ما هي؟

قلتُ: يحتمل أن تكون بيانيّة، كأنه قيل: هَبْ لنا قرة أعين، ثم بُينت القُرَّة وفُسِّرت بقوله: «من أزواجنا».

قرأ الحرميان وابن عامر وحفص: «وذرِّيَّاتِنا» على الجمع. وقرأ الباقون: «وذرِّيَّتِنَا» على التوحيد[٢].

فمن جَمَعَ حمله على لفظ الأزواج، ومن وَحَّدَ أراد الجمع أيضاً، فإن لفظ الذرية يصلح للواحد والجمع. قال الله تعالى: ﴿ذرية ضعافاً﴾ [النساء:٩] فاكتفى عن الجمع لما كان جمعاً.

قال الفراء[٣]: القُرَّة مصدر، تقول: قَرَّت عينُه قُرَّة.

والمعنى: هب لنا من أزواجنا وذرياتنا أعقاباً يعملون بطاعتك تقرُّ بهم نفوسنا.

قال محمد بن كعب القرظي: ليس شيء أقرّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله[٤].

وقال الحسن: والله ما طلب القوم إلا أن يطاع الله فتَقَرَّ أعينهم[٥].

وقيل: المعنى: سألوا الله أن يُلْحِقَ بهم أزواجهم وذريتهم في الجنة ليتمّ سرورهم.

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٠٢).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٥)، والكشف (٢/ ١٤٨)، والنشر (٢/ ٣٣٥)، والإتحاف (ص:٣٣٠)، والسبعة (ص:٤٦٧).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٢٧٤).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٩).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١١).

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث جبير بن نفير عن أبيه قال: ((جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً، فمرَّ به رجل فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ، والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت. فاستغضب، فجعلت أعجب، ما قال إلا خيراً، ثم أقبل إليه فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيّبه الله عنه لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه، والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام كَبَّهم الله على مناخرهم في جهنم لم يُجيبوه ولم يُصدقوه، أو لا تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم مصدّقين لما جاء به نبيكم، فقد كُفيتم البلاء بغيركم، والله لقد بُعث النبي ﷺ على أشدّ حال بُعث عليها نبيٌّ من الأنبياء في فترة وجاهلية، ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرّق بين الحق والباطل، وفرّق بين الوالد وولده، إن كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافراً، وقد فتح الله عليه قفْل قلبه للإيمان، يعلم أنه إن هلك دخل النار فلا تقرّ عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار، وأنها لَلّتي قال الله عز وجل: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾))(١).

قوله تعالى: ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ قال ابن عباس: أئمة يقتدى بنا(٢).

فإن قيل: كيف وَحَّدَ وهو يرجع إلى جماعة؟

قلتُ: اكتفى بالواحد عن الجمع؛ لدلالته على الجنس وعدم اللبس، كقوله تعالى: ﴿ثم يخرجكم طفلاً﴾ [غافر:٦٧].

ويجوز أن يكون التقدير: اجعل كل واحد منا إماماً. ويجوز أن يكون مصدراً،

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢ ح٢٣٨٦١).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٣).

من أَمَّ فلان فلاناً إماماً، كما تقول: قام قياماً، وصام صياماً. ذكر مجموع ذلك الزمخشري[١] وعلي بن فضال.

وقال مجاهد: المعنى: اجعلنا مؤتمّين بالمتقين مقتدين بهم[٢].

فعلى هذا يكون من مقلوب الكلام، أي: اجعل المتقين لنا إماماً.

والأول وجه الكلام.

أخبرنا الشيخ عبدالعزيز ابن منينا قراءة عليه وأنا أسمع بباب البصرة قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالباقي بن محمد، المعروف بقاضي المارستان الأنصاري، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد بن إبراهيم بن [مخلد][٣] البزاز، حدثنا جعفر بن محمد بن نصير[٤] إملاءً، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق[٥]، حدثنا محمد بن الحسين[٦]،

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٠٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٤-٢٨٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) في الأصل: خلد. والتصويب من ب، وتاريخ بغداد (١٤/ ٤١٠).

(٤) جعفر بن محمد بن نصير، أبو محمد الخلدي، حج ستين حجة، أسند جعفر الخلدي عن الحارث بن أبي أسامة وغيره، وسمع الكثير من الحديث، ولقي جماعة من المشايخ كالجنيد وغيره، وتوفي في يوم الأحد لتسع خلون من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة (صفة الصفوة ٢/ ٤٦٨-٤٦٩).

(٥) أحمد بن محمد بن مسروق، أبو العباس الصوفي، ويعرف بالطوسي، كان معروفاً بالخير والصلاح، توفي في يوم الأحد لعشر بقين من سنة تسع وتسعين ومائتين، وسنّه أربع وثمانون سنة -على ما ذكر-، ودفن في مقابر باب حرب (تاريخ بغداد ٥/ ١٠٠-١٠٢).

(٦) محمد بن الحسين بن شيخ، أبو جعفر البرجلاني، صاحب التواليف في الرقائق، من أهل بغداد، توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١١/ ١١٢، وميزان الاعتدال ٦/ ١١٧).

حدثني إسماعيل بن إبراهيم الترجماني[1] قال: سمعت أبا جعفر المحوَّلي[2]، وكان عابداً عالماً، يقول: حرام على قلب محبٍ للدنيا[3] أن يسكنه الورع الخفي، وحرام على نفسٍ عليها زبانية الناس أن تذوق حلاوة الآخرة، وحرام على كل عالمٍ لم يعمل بعلمه أن يتخذه المتقون إماماً[4].

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أولئك﴾ يعني: الموصوفين بهذه الصفات من قوله: ﴿الذين يمشون﴾.. إلى هاهنا، ﴿يجزون الغرفة﴾ قال ابن عباس: الجنة[5].

وقال غيره: يريد: غرف الجنة، وهي العلالي، فَوَحَّدَ لما ذكرناه أولاً في «إماماً».

﴿بما صبروا﴾ على أذى المشركين وجهادهم حين أمروا بالجهاد، وعلى طاعة

---

(١) إسماعيل بن إبراهيم بن بسام البغدادي، أبو إبراهيم الترجماني، ثقة، مات سنة ست وثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ٢٣٧، والتقريب ص:١٠٥).

(٢) نسبة إلى باب المحول من بغداد، سكن به فنسب إليه.

(٣) في تاريخ بغداد: صحب الدنيا.

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في: تاريخ بغداد (١٤/ ٤١٠). وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٣٩٠).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٣) عن الضحاك. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٢) عن ابن عباس.

الله وعن معصيته.

﴿ويَلْقَون فيها﴾ قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً: «ويَلْقَوْن» بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف، من لَقَى يَلْقَى، فيتعدى إلى مفعول واحد وهو "تحيةً".

وقرأ الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف[(١)]، حملاً على الفعل الذي قبله؛ ليقع اللفظ بهما على وزن واحد.

﴿تحيةً وسلاماً﴾ قال ابن عباس: يُحَيِّي بعضهم بعضاً بالسلام، ويرسل إليهم الربّ عز وجل بالسلام[(٢)].

﴿خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً﴾ سبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿قل ما يعبأ بكم ربي﴾ قال ابن عباس: ما يصنع بكم ربي[(٣)].

قال الزجاج وغيره من أهل اللغة[(٤)]: تقول: ما عبأتُ بفلان، أي: ما كان له عندي [وزن][(٥)] ولا عددته شيئاً.

﴿لولا دعاؤكم﴾ أي: لولا إيمانكم[(٦)]، المعنى: لولا دعاؤه [إياكم][(٧)].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٥)، والكشف (٢/ ١٤٨)، والنشر (٢/ ٣٣٥)، والإتحاف (ص:٣٣٠)، والسبعة (ص:٤٦٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٩) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٢).

(٣) مثل السابق.

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٧٨).

(٥) في الأصل: رزق. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر.

(٧) في الأصل: إيمانكم. والتصويب من ب.

وقيل: لولا عبادتكم[١]. رويا عن ابن عباس.

فالمعنى على هذا: أي مقدار لكم عند الله، لولا أنه خلقكم لتوحدوه وتعبدوه.

وقال ابن قتيبة[٢]: في الآية إضمار، تقديره: ما يعبأ بعذابكم ربي لولا ما تدعونه [من دونه][٣] من الشريك والولد.

قوله تعالى: ﴿فقد كذبتم﴾ خطابٌ لأهل مكة في قول جمهور المفسرين. والخطاب بقوله: «يعبأ بكم ربي» للمؤمنين، وقيل: للكافرين.

قال صاحب الكشاف[٤]: الخطاب يتوجه إلى الناس على الإطلاق، ومنهم مؤمنون عابدون، ومنهم مكذبون عاصون، فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب.

﴿فسوف يكون لزاماً﴾ أي: فسوف يكون العذاب لزاماً[٥] لكم.

قال ابن مسعود وأبي بن كعب في آخرين: هو يوم بدر[٦].

وهذا معنى قول ابن مسعود: خمس قد مضين: الدخان واللزام والبطشة

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٣).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص:٤٣٨).

(٣) زيادة من تأويل مشكل القرآن، الموضع السابق.

(٤) الكشاف (٣/ ٣٠٣).

(٥) في ب: لازماً.

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٦-٥٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٧) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة. ومن طريق آخر عن السدي وعزاه لابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن ابن مسعود وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه.

والقمر والروم[1].

فالمعنى: أنهم قُتلوا في يوم بدر ولزمهم العذاب مُتَّصِلاً بعذاب الآخرة. والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٨٥ ح٤٤٨٩)، ومسلم (٤/ ٢١٥٧ ح٢٧٩٨).

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي مائتا آية وست وعشرون في المدني وسبع في الكوفي.

قال ابن عباس وقتادة: هي مكية، إلا أربع آيات نزلت بالمدينة، من قوله: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ إلى آخرها(1).

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿طسم﴾ قرأ حمزة والكسائي بإمالة الطاء في أوائل السور الثلاث، وأظهر النون من هجاء سين عند الميم حمزة وأبو جعفر على أصله في تقطيع الحروف(2)، وقد نبّهنا على عِلَلِ ذلك فيما مضى.

---

(1) أخرجه النحاس في ناسخه (ص:٦٠٧). وذكره الماوردي (٤/ ١٦٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٤)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٨٨) وعزاه للنحاس.

(2) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٦)، والكشف (١/ ٦٦)، والنشر (٢/ ١٩، ٧٠)، والإتحاف (ص:٣٣١)، والسبعة (ص:٤٧٠).

ووجه إدغام النون من سين في الميم: اشتراك الحرفين في الغُنَّة.

ولأنه يُدغم في غير هذا فدُغم في هذا.

ووجه الإظهار: أن الحروف المقطّعة مبنيّة على الانفصال والوقف عليها، ولذلك لم تُعرب، فجرت على حكم الوقف عليها.

واختلف العلماء في تأويلها؛ فقال بعضهم: هي حروف من كلمات.

وقال ابن عباس في رواية الوالبي: هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم الله تعالى به[١].

وقال مجاهد: اسم السورة[٢].

وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن[٣].

واختلف أرباب القول الأول في تأويله؛ فقال علي عليه السلام: لما نزلت «طسم» قال رسول الله ﷺ: ((الطاء طور سيناء، والسين الإسكندرية، والميم مكة))[٤].

وقال ابن عباس في رواية: الطاء طيبة، والسين بيت المقدس، والميم مكة[٥].

وقال جعفر الصادق عليه السلام: الطاء شجرة طوبى، والسين سدرة المنتهى،

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٧). وذكره الماوردي (٤/ ١٦٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٥).

(٥) مثل السابق.

والميم محمد ﷺ[١].

وقال القرظي: أقسم الله بِطَوْلِهِ وسنائه وملكه[٢].

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ أي: خيفةَ أو خشيةَ ألا يكونوا مؤمنين.

ثم أخبر أنه لو شاء أن يَضْطرَّهم بآية مُلْجِئةٍ لفعل ذلك فقال: ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية﴾.

قال قتادة: لو شاء لأنزل عليهم آية يَذِلُّون بها، فلا يلْوي أحدٌ منهم عنقه إلى معصية الله، فذلك قوله: ﴿فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾[٣].

فإن قيل: كيف عطف "فظلَّت" وهو ماض على "نُنَزِّل" وهو مضارع؟

قلت: قد أجاب عنه الزجاج فقال[٤]: معناه: فتظلُّ؛ لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل، كقوله: إن تأتِنِي أكرمْتُك، معناه: أُكْرِمْك.

فإن قيل: كيف جاز وقوع "خاضعين" خبراً عن الأعناق؟

قلتُ: عنه أجوبة:

أحدها: أن أصل الكلام: فظلُّوا لها خاضعين، فأُقْحِمَتِ الأعناق لبيان موضع الخضوع، وتُرِكَ الكلام على أصله.

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ١٦٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٩)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٨-٢٨٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر.

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٨٢).

وقريبٌ منه قول الزجاج[١]: لما لم يكن الخضوع إلا بخضوع الأعناق، جاز أن يخبر عن المضاف إليه، كما قال الشاعر:

رأتْ مَرَّ السنينَ أخذْنَ مِنّي ... كَمَا أَخَذَ السِّرارُ من الهلال[٢]

أخبر عن السنين وإن كان أضاف إليها المرور.

الثاني: أن الأعناق لما وُصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء، جُمع جَمع من يعقل؛ كقوله: ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف:٤].

الثالث: [أن][٣] المراد بالأعناق: الرؤساء والأكابر، فإنهم يُسَمَّون بذلك، كما يُسَمَّون رؤوساً وصدوراً ونواصي، قال الشاعر:

.... في مَحْفَلٍ من نَواصِي الخيلِ مَشْهُود[٤]

الرابع: أن الأعناق: الجماعات. تقول: جاء عُنُقٌ من الناس، أي: جماعة، المعنى: [فظلَّتْ جماعاتهم][٥] للآية، خاضعين ذليلين خاشعين.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٨٢).

(٢) هو لجرير، والبيت من شواهد النحو، وهو في ديوانه (ص:٤٢٦)، والطبري (٤/ ٣٧، ١٢/ ١٥٧، ١٣/ ١٦٣، ١٩/ ٦٢)، واللسان (مادة: خضع)، والقرطبي (٧/ ٢٦٤، ٩/ ١٣٣، ١٣/ ٩٠)، وزاد المسير (٤/ ١٨٥، ٦/ ١١٦).

والسرار: اختفاء الهلال آخر الشهر وأخذ السرار منه، يعني: نحوله كلما دنا لآخر الشهر. والشاهد أنه أعاد الضمير على «السنين» المضاف إليه.

(٣) زيادة من ب.

(٤) عجز بيت لأم قيس الضَّبيّة، وصدره: (وَمَشْهَدٍ قَدْ كَفَيْتُ الغائِبِينَ بِهِ). انظر: اللسان، مادة: (نصا)، وروح المعاني (١٢/ ١٣٨).

(٥) في الأصل: فظلت أعناقهم أي: جماعاتهم. والمثبت من ب.

الخامس: أن المعنى: فظلت أعناقهم لها خاضعين هم، فأضمرهم.

وما بعده مفسرٌ في أول الأنعام[١] وأول الأنبياء[٢] إلى قوله تعالى: ﴿أو لم يروا﴾ يعني: المكذبين ﴿إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ أي: من كل صنف ونوع حسن مما لا يقدر أحد على إنباته.

﴿إن في ذلك﴾ الإنبات المشار إلى كثرته والإحاطة به بكلمتي "كَمْ" و"كُلِّ" ﴿لآية﴾ لدلالة على عظمة الله ووحدانيته وقدرته على إحياء الموتى [وإيجاد][٣] ما توعدهم به، ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾[٤] أعلم الله سبحانه وتعالى أن أكثرهم لا يؤمن.

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾[٥] المنتقم من أعدائه ومكذبي أنبيائه ﴿الرحيم﴾ بأهل طاعته ومصدقي أنبيائه.

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ

---

(١) عند الآية رقم: ٤-٥.

(٢) عند الآية رقم: ٢.

(٣) في الأصل: وإجاد. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل زيادة: أي.

(٥) في الأصل زيادة: ﴿الرحيم﴾. وستأتي بعد.

رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ نادى ربك﴾ أي: واتل عليهم يا محمد قصة ﴿موسى﴾ وحديثه مع فرعون والقبط وأقاصيص الأمم السالفة ليعتبروا بذلك.

﴿أن ائت القوم الظالمين﴾ يعني: القبط الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي وعبادة فرعون، وظلموا بني إسرائيل باسترقاقهم واستخدامهم في الأعمال الشاقة، وسَوْمِهم سُوء العذاب، بذبح الأبناء واستحياء النساء.

ثم بيّن القوم الظالمين فقال: ﴿قوم فرعون﴾.

وقوله: ﴿ألا يتقون﴾ كلام مستأنف خارج مخرج التعجب لموسى من فرط جهلهم وظلمهم، وكونهم مع ذلك آمنين مطمئنين لا يخافون بطش الله تعالى وانتقامه، وسنّته في أمثالهم من الظَّلَمَة والفجرة.

فإن قيل: ما وجه قراءة من قرأ: «يَتَّقُونِ» بكسر النون[1]؟

قلتُ: الأصل: "يتقونَنِي"، فحذفت النون لاجتماع النونين والياء اكتفاء بالكسرة، أو على معنى: يا هؤلاء اتقون، كقوله تعالى: ﴿ألا يا اسجدوا﴾ [النمل:٢٥] على قراءة الكسائي.

(١) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٢٦٩).

فإن قيل: ما وجه قراءة حماد بن سلمة: «ألا تتّقون» بالتاء[١] على المخاطبة؟

قلتُ: هو على إضمار القول، تقديره: أرأيت القوم الظالمين، فقل لهم: ألا تتقون، وإضمار القول كثير. وقد ذكرناه في مواضع.

أو هو على طريقة الالتفات إليهم بالجَبْهِ والتوبيخ، ونظيره: أن تشكوا جانياً إلى بعض أخصائه ثم تُقبل عليه عند احتداد مزاجك وغضبك وأنت في شكايتك [قائلاً][٢]: ألا تستحي! ألا تتَّقِي الله!. ذكر الأول أبو الفتح ابن جني[٣]، والثاني الزمخشري[٤].

﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون * ويضيق صدري﴾ بتكذيبهم إياي ﴿ولا ينطلق لساني﴾ للعقدة التي فيه، فاعتلَّ بثلاث علل: خوف التكذيب، وضيق صدره، وحبْسَة لسانه.

قرأ الأكثرون: "يضيقُ" و"ينطلقُ" بالرفع، عطفاً على "أخافُ".

وقرأت ليعقوب الحضرمي: "ويضيقَ"، "ولا ينطلقَ" بالنصب فيهما[٥]، عطفاً على "يكذبون".

فإن قيل: على قراءة يعقوب؛ الخوف يكون لأمر متوقع، وحبْسَةُ اللسان في موسى وصف لازم له، فكيف قال: إني أخاف أن لا ينطلق لساني؟

---

(١) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٢٦٩).

(٢) زيادة من ب.

(٣) المحتسب (٢/ ١٢٧).

(٤) الكشاف (٣/ ٣٠٨).

(٥) النشر (٢/ ٣٣٥)، والإتحاف (ص: ٣٣١).

قلتُ: لا يخلو إما أن يكون هذا القول من موسى بعد أن أُجيبت دعوته وحُلَّتْ عقدته أو قبله، فإن كان بعده زال الإشكال. وإن كان قبله فالمعنى: إني أخاف زيادة العُقْلَة التي لا يجامعها انطلاق اللسان.

فلما مَهَّدَ موسى عليه السلام العُذْرَ بين يدي مسألته، سأل ربه أن يؤيده بأخيه فقال: ﴿فأرسل إلى هارون﴾ أي: ابعث إليه جبريل واجعله رسولاً.

ثم استدْفَعَ ربه المحذور الذي كان يخافه بسبب قتل القبطي فقال: ﴿ولهم عليَّ ذنب﴾ أي: ولهم عليّ دعوى ذنب أو تَبِعَة ذنْب، وهو قتل القبطي الذي وكزه فقضى عليه، ﴿فأخاف أن يقتلونِ﴾ به.

فآمَنَهُ الله تعالى وأعطاه أمنيته بصيغةٍ تدلُّ على الدَّفْعِ وتُؤذنُ بالزَّجْر فقال: ﴿كلا﴾ أي: ارتدعْ يا موسى عن الإقامة على هذا الظن، فإني من ورائك بالحفظ والرعاية.

﴿فاذهبا بآياتنا﴾ أي: انطلق أنت وهارون [بمعجزاتنا][1] ﴿إنا معكم مستمعون﴾ ما تقولان ويُقال لكما.

فإن قيل: هما اثنان، فكيف قال: "إنا معكم"؟

قلتُ: هو على معنى[2] الخطاب لهما ولمن عساه أن يكون معهما ومُنْضَمّاً إليهما، أو هو على مذهبهم في خطاب الواحد العظيم، أو الاثنين العظيمين بلفظ الجمع.

﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ قال ابن قتيبة[3]: الرسول يكون

---

(١) في الأصل: بمعزاتنا. والتصويب من ب.

(٢) ساقط من ب.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣١٦).

بمعنى الجميع، كقوله: ﴿هؤلاء ضيفي﴾ [الحجر:٦٨].

قال الزجاج[١]: المعنى: إنا رسالة، أي: ذوو رسالة رب العالمين، قال الشاعر:

لقد كَذَبَ الواشون ما بُحتُ عندهم ... بسِرٍّ ولا أرْسَلْتُهُم برسُـــول[٢]

أي: برسالة.

وقال صاحب الكشاف[٣]: يجوز أن يُوحَّدَ؛ لأن حكمهما لتساندهما، واتفاقهما على شريعة واحدة [واتحادهما لذلك][٤]، وللأُخُوَّة كان حكمهما واحداً، فكأنهما رسول واحد، أو أريد أن كل واحد منا رسول رب العالمين.

﴿أن أرسل﴾ أي: بأن أرسل ﴿معنا بني إسرائيل﴾ فاسألاه أن يخلي عنهم وأن يُطلقهم من الاستعباد وسوم العذاب وذبح الأولاد.

فلما بَلَّغا فرعون الرسالة أقبل على موسى فقال: ﴿ألم نربّك فينا وليداً﴾ صبياً صغيراً، سُمّي بذلك؛ لقرب عهده بالولادة، ﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾.

قال ابن عباس: ثماني عشرة سنة[٥].

وقال مقاتل[٦]: ثلاثين سنة.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٨٥).

(٢) هو لكثيّر عزة، وهو في: اللسان (مادة: رسل)، والطبري (١٩/ ٦٥)، والقرطبي (١٣/ ٩٣، ١٨/ ٢٦٢)، والماوردي (٤/ ١٦٦)، وزاد المسير (٦/ ١١٨)، وروح المعاني (١٥/ ١٠٥، ١٩/ ٦٧).

(٣) الكشاف (٣/ ٣١١).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٩).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٤٧).

﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ يعني: قتْله خبّازه القبطي.

وقرأ الشعبي: «وَفَعَلْتَ فِعْلَتَكَ»[١].

قال ابن جني[٢]: والفِعْلَة كناية عن الحال التي يكون عليها، كالرِّكْبَة والمِشْيَة.

قال الزجاج[٣]: الفتْح أجود وأكثر؛ لأنه يريد: قَتَلْتَ قَتْلَتَكَ على مذهب المرّة الواحدة. وقراءة الشعبي على معنى: قتلت القِتْلَةَ التي قد عرفتها؛ لأنه قتله بِوَكْزِه، يقال: جلسْتُ جَلْسَةً، يريد: مرّة واحدة، وجلستُ جِلسة [بالكسر][٤] يريد: هيئة الجلوس.

قوله: ﴿وأنت من الكافرين﴾ جائز أن يكون في محل النصب على الحال[٥]، على معنى: قتلته وأنت إذ ذاك من الكافرين الذين تُكفِّرُهم الآن، أو وأنت كذلك من الكافرين بنعمتي.

وجائز أن يكون كلاماً مستأنفاً خارجاً مخرج التوبيخ لموسى والحكم عليه بكفر النعمة والتربية. وهذا معنى قول ابن عباس وأكثر المفسرين[٦].

وقيل: المعنى: وأنت من الكافرين بإلهيتي.

﴿قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين﴾ قال ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين:

---

(١) انظر قراءة الشعبي في: الدر المصون (٥/ ٢٧٠).

(٢) المحتسب (٢/ ١٢٧).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٨٦).

(٤) في الأصل: باكسر. والتصويب من ب.

(٥) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٧٠).

(٦) انظر: الطبري (١٩/ ٦٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٤)، والدر المنثور (٦/ ٢٩١).

المعنى: وأنا من الجاهلين[(١)]، يريد: وأنا من الجاهلين بمعالم النبوة وشرائع الهدي.

أو يكون المعنى: وأنا من الفاعلين فِعْلَ أولي الجهل والسَّفَه، كما قال يوسف لإخوته: ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ [يوسف:٨٩].

وقال أبو عبيدة[(٢)]: وأنا من الناسين، كقوله تعالى: ﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾ [البقرة:٢٨٢].

﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ أي: هربت منك ومن ملئك المؤتمرين بي ليقتلون، ﴿فوهب لي ربي حكماً﴾ علماً وفهماً. وقيل: نبوةً، ﴿وجعلني من المرسلين﴾.

قوله تعالى: ﴿وتلك نعمة تمنّها عليّ﴾ إشارة إلى خصلة مبهمة يفسرها قوله: ﴿أن عبّدت بني إسرائيل﴾.

ومحل: «أن عبدت» الرفع؛ لأنه عطف بيان لـ"تلك"، أو هو في محل النصب بنزع الحرف الخافض[(٣)].

واختلف العلماء في تأويل الآية: فتأوّلها الأكثرون على إنكار النعمة التي امتنّ بها فرعون على موسى، والتقدير: أتلك نعمة تمنّها عليّ أن استعبدت أهلي وأخذت أموالهم وذبحت أبناءهم، حتى ألجأت أمي إلى قذفي في اليمّ حتى أفضيتُ إليك،

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٦٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٥)، ومجاهد (ص:٤٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٩١) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن قتادة وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٨٣).

(٣) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٧١).

فربيتني لسبب يعد مثله نقمة لا نعمة.

وتأوّلها قوم على الاعتراف بنعمته، على معنى: هي نعمة تمنها أن عبدت بني إسرائيل ولم تستعبدني كما استعبدتهم، ونظيره في الكلام: أن تضرب أحد عبديك فيقول المتروك: هذه نعمة عليّ أن ضربت فلاناً، أي: وتركتني، لكنه حذف [للعلم][1] به، وهذا معنى قول الفراء[2].

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ قال محمد بن إسحاق: استوصفه إلهه الذي أرسله إليه[3].

فأجابه موسى بما يدل عليه من مخلوقاته فقال: ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ [وإنما][4] ثنّى والسموات والأرض جمع ذهاباً إلى

---

(١) في الأصل: العلم. والتصويب من ب.

(٢) انظر: معاني الفراء (٢/ ٢٧٩).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٦).

(٤) في الأصل: ونها. والتصويب من ب.

[الجنسين][(١)].

قال الزمخشري[(٢)]: فإن قلت: ما معنى: ﴿إن كنتم موقنين﴾ وأين عن فرعون وملئه الإيقان؟

قلت: معناه: إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدي إليه النظر الصحيح نَفَعَكُم هذا الجواب، وإلا لم ينفع، أو إن كنتم موقنين بشيء قط، فهذا أولى ما توقنون به؛ لظهوره وإنارة دليله.

﴿قال﴾ يعني: فرعون ﴿لمن حوله﴾ من أشراف قومه، قيل: كانوا خمسمائة رجل عليهم الأساورة، وكانت للملوك خاصة ﴿ألا تستمعون﴾ هذه المقالة. قَصَدَ الخبيث بذلك إغراءهم بموسى، وأنه قد جاء بأمر شنيع وقول فظيع تجب المبادرة إلى إنكار مثله، فلم يُعرِّجْ موسى على تلبيسه وتدليسه، وأخذ في [الإفصاح][(٣)] بالحجة وإيضاح المحجَّة فقال: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ فعمَّ أولاً بقوله: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾، وخصَّ ثانياً بذكر أنفسهم وآبائهم؛ لأن أقرب ما ينظر فيه العاقل نفسه وما نشأ عنه وتولد منه، مع ما في ذلك من تنبيههم على نعم الله تعالى عليهم وإحسانه إليهم.

فلما [اشتدّت][(٤)] على اللعين مسالك الجواب أخذ في السفه فـ﴿قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾.

---

(١) في الأصل: الجنس. والتصويب من ب.

(٢) الكشاف (٣/ ٣١٤).

(٣) في الأصل: الإصاح. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: استدلت. والتصويب من ب.

وقوله: «إن رسولكم» تهكّم [من][(١)] اللعين، وقد سبق ذكر أمثاله، فلم يحفل نبي الله موسى بهَذَيَان السفيه، بل أخذ في تأكيد حجته فـ﴿قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾ يريد: مشرق النيّرين والكواكب [ومغربها][(٢)]، وخصّهما بالذِّكر في جهة الاحتجاج مع دخولهما في عموم الحجة الأولى؛ لظهور دلالتهما على عظمة الله تعالى [وقدرته][(٣)].

قال صاحب الكشاف[(٤)]: لايَنَ أولاً بقوله: «إن كنتم موقنين»، فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الإصغاء إلى عَرْض الحُجَج خاشن وعارض: "إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون"، بقوله: «إن كنتم تعقلون».

ثم أخذ المخذول في تهديد موسى بعد انقطاعه وسفهه فـ﴿قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ أي: لأحبسنك مع من حبسته في السجن.

﴿قال أوَ لَوْ جئتك بشيء مبين﴾ أي: ظاهر تعرف به صدقي، يريد: المعْجز الذي أُيِّدَ به، وفيه إضمار، تقديره: أتفعل بي ذلك.

والواو في «أوَ لَوْ» واو الحال دخلت عليه همزة الاستفهام[(٥)].

قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ

---

(١) في الأصل: في. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: ومغربهما. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: قدرته. والتصويب من ب.

(٤) الكشاف (٣/ ٣١٤).

(٥) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٧٢).

حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

وما بعده مُفَسَّرٌ في الأعراف[1] إلى قوله تعالى: ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ يعني: وقت الضحى يوم الزينة.

﴿وقيل للناس﴾ يعني: أهل مصر، ﴿هل أنتم مجتمعون﴾. وهذا قول بعضهم لبعض.

---

(١) عند الآية رقم: ١٠٦.

قال ابن زيد: كان اجتماعهم بالإسكندرية[١].

قال الزمخشري[٢] في قوله: «هل أنتم مجتمعون» المراد به منه: استعجالهم واستحثاثهم، كما يقول الرجل لغلامه: هل أنت منطلق؟ إذا أراد أن يحرّك همته ويحثه على الانطلاق، كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف، ومنه قول تأبط شراً:

هل أنتَ باعثُ دينارٍ لحاجَتِنا ... أو عبْد ربّ أخا عَوْن بن مخراق[٣]

يريد: ابعثه إلينا سريعاً ولا تبطئ به.

قلتُ: سيبويه يرويه[٤]: «عبدَ رَبٍّ» بالنصب، عطفاً على محل «دينار»، كأنه قال: باعثٌ ديناراً أو عبدَ ربٍّ، ولهذا نصب «أخا عون»، ولو كان عطفاً على لفظ «دينار» لقال: أخي عون.

﴿لعلنا نتبع السحرة﴾ في دينهم ﴿إن كانوا هم الغالبين﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٧٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٩٣) وعزاه لابن جرير.

(٢) الكشاف (٣/ ٣١٧).

(٣) البيت ينسب لجابر بن رألان السنبسي، ونسب أيضاً لجرير، ولتأبط شراً. وقيل: إنه مصنوع. انظر البيت في: الخزانة (٣/ ٤٧٦)، والعيني (٣/ ٥٦٣)، والطبري (١/ ٢٦٣)، والقرطبي (١٥/ ٢٥٩)، وروح المعاني (١٩/ ٧٧)، والكشاف (٣/ ٣١٧).

والاستفهام هنا للاستحثاث.

ودينار وعبد رب: رجلان. وأراد: عبد ربه، ولكنه ترك الإضافة وهو يريدها. والشاهد في البيت: نصب «عبد رب» حملاً على موضع «دينار».

(٤) انظر: الكتاب (١/ ١٧١).

قال الزمخشري[١]: الغرض الكلي: أن [لا][٢] يتبعوا موسى، فساقوا الكلام مساق الكناية؛ لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى.

وذهب بعض المفسرين إلى أنهم أرادوا بالسَّحَرَة: موسى وأخاه[٣]، فيكون تهكّماً واستهزاءً بهما.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله: ﴿قالوا لا ضير﴾ أي: لا ضَرَرَ علينا فيما تنالنا به من عذاب الدنيا.

قال ابن قتيبة[٤]: هو من ضَارَه يَضُوره ويَضِيره، بمعنى: ضَرَّه.

﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ فيجازينا بصبرنا على عذابك إيانا ظلماً وعدواناً، فنفوا ضرر ما توعدهم به من العذاب في جانب ما يرجونه في مقابلته من الثواب.

وقيل: المعنى: لا ضير علينا فيما تتوعدنا به؛ لأنه لا بُدَّ لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت، [والقتل][٥] أهون أسبابه.

﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا﴾ أي: لأن كنا ﴿أول المؤمنين﴾ من رعية فرعون، أو من أهل المشهد بما جاء به موسى.

فإن قيل: فما وجه قراءة من قرأ: «إن كنا» بالكسر مع تحققهم [أنهم][٦] أول المؤمنين؟

---

(١) الكشاف (٣/ ٣١٧).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٢٤).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٣١٧).

(٥) في الأصل: والتقتل. والتصويب من ب.

(٦) زيادة من ب.

قلتُ: جائز أن يكون بمعنى إذ، كقوله تعالى: ﴿وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ [البقرة:٢٧٨]. وقيل: هو من الشرط الذي يجيء به المدلّ بأمره المتحقق لصحته، ونظيره قول القائل لمن يؤخر جُعْله: إن كنت عملت لك فَوَفِّني حَقِّي، وأنشد أبو الفتح ابن جني[(١)] في معنى هذا:

فَإِنْ تَقْتُلُونَا يَوْمَ حَرَّةِ وَاقِمٍ فَلَسْنا عَلى الإِسْلامِ أَوَّلَ مَنْ قُتِلْ

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾

وما بعده مُفسر في طه[(٢)] إلى قوله: ﴿إنكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وجنوده ليَحُولوا بينكم وبين الخروج من مصر.

﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين﴾ قوماً يحشرون الجنود لإدراك بني إسرائيل.

﴿إن هؤلاء﴾ محكيٌّ بعد قول مضمر، تقديره: قال إن هؤلاء، يعني: بني إسرائيل ﴿لشرذمة قليلون﴾.

قال المبرد: الشرْذِمة: القِطْعَةُ من الناس[(٣)].

---

(١) المحتسب (٢/ ١٢٨). والبيت لعبد الرحمن بن سعيد بن يزيد بن عمرو بن نفيل.

(٢) عند الآية رقم: ٧٧.

(٣) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٣٥٣).

وقال غيره: الشِّرذمة: الطائفة القليلة، ومنه ثوبٌ شراذم؛ للذي بَلِيَ وتقطَّع قِطَعاً.

وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً، فاستقلّهم فرعون بالنسبة إلى جنوده، فإنه خرج إليهم في جيش كانت مقدمته سبعمائة ألف.

قال ابن عباس: خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث[1].

﴿وإنهم لنا لغائظون﴾ لمراغمتهم إيانا وقلة اهتمامهم بأمرنا.

وقال مقاتل[2]: وإنهم لنا لغائظون بقتلهم أبكارنا.

وقال ابن جرير[3]: يحتمل[4] أن غيظهم لذهابهم بالعواري التي استعاروها من حُليهم.

قال الزجاج[5]: يقال: قد غاظني فلان، ومن قال: أغاظني؛ فقد لَحَن.

ونقل غيره: تقول: غاظني الشيء وأغاظني؛ إذا أغضبك[6].

﴿وإنا لجميع حذرون﴾ وقرأ أهل الكوفة وابن عامر: «حاذِرُون»[7]. قيل: إنهما

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٢٧٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٧١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٠٠-٣٠١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٥٢).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٧٦-٧٧).

(٤) في ب: ويحتمل.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٩٢).

(٦) انظر: اللسان (مادة: غيظ).

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٢٢١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٧)، والكشف (٢/ ١٥١)، والنشر (٢/ ٣٣٥)، والإتحاف (ص:٣٣٢)، والسبعة (ص:٤٧١).

بمعنى واحد.

قال أبو عبيدة[١]: يقال: رجل حَذِرٌ وحَذُرٌ وحَاذِرٌ.

وقيل: إن الحاذر: المستعدّ الذي يُحدد حذره ويتهيأ لما يخافه، والحَذِر: [المتيقّظ][٢] المخلوق كذلك.

قال الزجاج في التفسير[٣]: إن معنى: "حاذرون": مُؤْدُون، أي: ذوو أداة، أي: سلاح، والسلاح أداة الحرب، فالحاذر: المستَعِدُّ، والحَذِرُ: المتيقِّظ.

وقرأ ابن أبي [عمّار][٤]: «حَادِرُون» بالدال المهملة[٥].

قال ابن جني[٦]: الحادِرُ: القوي الشديد، ومنه: الحادرة الشاعر.

قوله تعالى: ﴿فأخرجناهم﴾ يعني: فرعون وقومه ﴿من جنات وعيون﴾.

قال مقاتل[٧]: بساتين وأنهار جارية.

﴿وكنوز﴾ قال مجاهد: سماها كنوزاً؛ لأنهم لم ينفقوا منها في طاعة الله[٨].

﴿ومقام كريم﴾ سبق تفسيره في مواضع.

والمراد: المجالس البهيّة الشريفة.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٨٦).

(٢) في الأصل: المستيقظ. والتصويب من ب.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٩٢).

(٤) في الأصل: عامر. والتصويب من ب.

(٥) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٢٧٤).

(٦) المحتسب (٢/ ١٢٨).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٤٥٢).

(٨) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٣٨٧).

قال الضحاك: يعني: المنابر[١].

وقيل: السرر في الحجال.

﴿كذلك﴾ جائز أن يكون مرفوعاً على أنه خبر مبتدأ محذوف، [أي][٢]: الأمر كذلك وكما وصفنا. وجائز أن يكون منصوباً، على معنى: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا. وجائز أن يكون مجروراً على أنه وصف لـ"مقام" الذي كان لهم[٣].

﴿وأورثناها بني إسرائيل﴾، وذلك أن الله تعالى ردّ بني إسرائيل إلى مصر بعد أن أغرق فرعون وجنوده، وملّكهم ما كان لهم من الأموال والمساكن.

وقال ابن جرير[٤]: [ملكوها][٥] ولم يرجعوا إليها، وإنما سكنوا الشام.

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٨) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٩٨) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) زيادة من ب.

(٣) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٧٤).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٣١٤).

(٥) في الأصل: مكلوها. والتصويب من ب.

﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ أي: أدركوا موسى وأصحابه حين شرقت الشمس، أي: طلعت.

قال الزجاج[١]: يقال: أشرقنا؛ أي: دخلنا في وقت طلوع الشمس. وقد سبق ذلك في سورة الحجْر[٢].

﴿فلما تراءى الجمعان﴾ أي: تقابلا بحيث يرى أحدهما الآخر ﴿قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾ فقال موسى ثقة بالله وبنصره إياه: ﴿كلا﴾ أي: ارتدعوا وازدجروا فلن يدركونا، ﴿إن معي ربي﴾ بالمعونة والنصر ﴿سيهدين﴾ إلى طريق النجاة.

﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾ فيه إضمار، تقديره: فضربه فانفلق اثني عشر طريقاً على عدد الأسباط، ﴿فكان كل فِرْق﴾ أي: كل جزء انفرق منه.

وقرئ شاذاً: «كل فِلْقٍ»[٣]، والمعنى واحد.

﴿كالطود العظيم﴾ أي: [كالجبل][٤] العظيم.

﴿وأزلفنا ثَم الآخرين﴾ أي: وأزلفنا حيث انفلق البحر الآخرين.

قال الزجاج[٥]: "وأزلفنا": قرَّبْنا الآخرين من الغَرق، وهم أصحاب فرعون.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٩٢).

(٢) عند الآية رقم: ٧٣.

(٣) وهي قراءة أبي المتوكل وأبي الجوزاء وعاصم الجحدري. انظر: زاد المسير (٦/ ١٢٦)، والدر المصون (٥/ ٢٧٦).

(٤) في الأصل: كاجبل. والتصويب من ب.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٩٣).

وقال أبو عبيدة(١): "أزلفنا": جَمَعْنَا ثَمَّ الآخرين، قال: ومن ذلك سميت [مزدلفة](٢) جَمْع.

قال الزجاج(٣): وكلا القولين حسنٌ جميل؛ لأن جمعهم تقريبُ بعضهم من بعض. وأصل الزُّلْفَى في الكلام العربي: القُرْبَى.

وذكر أبو الفتح في المحتسب(٤): أن "الآخرين": موسى وأصحابه.

ولا أعلم أحداً من المفسرين ذكر هذا الوجه الذي ذكره، وهو بعيد من التحقيق.

وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب وعبدالله بن الحارث: «وأَزْلَقْنَا» بالقاف(٥)، على معنى: [أزْلَلْنا](٦) أقدامهم وأذهبنا عزّهم، كما قال:

تَدارَكتُما عَبْساً وقد ثُلَّ عرشُها وذبيان إذ زلَّتْ بأقدامها النَّعْل(٧)

وجائز أن تكون القدرة الإلهية جعلت مسالك البحر مزلقة لهم ومدحضة لخيلهم، بعد أن كانت قُبيل ذلك يَبَساً لبني إسرائيل.

﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ من فرعون وجنوده، ﴿ثم أغرقنا

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٨٧).

(٢) في الأصل: مزلفة. والتصويب من ب.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٩٣).

(٤) المحتسب (٢/ ١٢٩).

(٥) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٢٧)، والدر المصون (٥/ ٢٧٦).

(٦) في الأصل: أزلنا. والتصويب من ب.

(٧) البيت لزهير. انظر: القرطبي (٧/ ٢٢٠)، وروح المعاني (١٩/ ٨٩)، واللسان (مادة: عرش، ثلل) وفيه: "الأحلاف" بدل: "عبساً".

الآخرين﴾ وقد ذكرنا قصتهم في البقرة.

﴿إن في ذلك﴾ أي: في إهلاك فرعون وقومه بالتِطَامِ البحر عليهم بعد انفراقه اثني عشر طريقاً بضربة موسى بعصاه، ﴿لآية﴾ لعبرة لهم ولمن بعدهم. ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ بوحدانية الله تعالى.

قال المفسرون: ولم يكن آمن من أهل مصر إلا آسية امرأة فرعون، وخِرْبيل مؤمن آل فرعون، وفنَّة الماشطة، ومريم بنت موشا التي دلّت على عظام يوسف[1].

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ المنتقم من أعدائه ﴿الرحيم﴾ بأوليائه.

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿واتل عليهم﴾ أي: اقرأ يا محمد على قومك ﴿نبأ إبراهيم﴾ خبره مع أبيه وقومه، وحُسْن مجادلته إياهم على إثبات الوحدانية لله ونفي إلهية الأصنام.

﴿إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون﴾ كان عليه السلام يعلم أنهم يعبدون الأصنام، لكنه استنطقهم؛ تمهيداً لما سَيُورده عليهم في معرض الاحتجاج على

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٤-٣٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٢٧).

إيصال ما انتحلوه معبوداً من دون الله.

﴿قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين﴾ مقيمين على عبادتها نهاراً.

﴿قال هل يسمعونكم﴾ فيه إضمار، تقديره: هل يسمعون دعاءكم أو ندائكم، ﴿إذ تدعون﴾.

وقرأ سعيد بن جبير وقتادة وعاصم الجحدري: «يُسْمِعُونكم» بضم الياء وكسر الميم[١].

قال أبو الفتح ابن جني[٢]: المفعول [هنا][٣] محذوف، أي: [هل][٤] يُسْمِعُونكم إذ تدعون جواباً عن دعائكم؟ يقال: دعاني فأَسمعتُه، أي: أسمعته جواب كلامه ودعائه.

قال[٥]: وأما قراءة الجماعة: «يَسْمَعُونَكُم» فإنَّ "سمعْتَ" بابُها أن يتعدى إلى ما كان صوتاً [مسموعاً][٦]؛ كقولك: سمعتُ كلامك، وسمعتُ حديثك، فإن وقعتْ على جوهرٍ [تعدت][٧] إلى مفعولين، ولا يكون الثاني منهما إلا صوتاً، كقولك: سمعتُ زيداً يُحَدِّثُ، ولا يجوز: سمعتُ زيداً يقُوم؛ لأن القيام ليس من المسموعات.

(١) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٢٨)، والدر المصون (٥/ ٢٧٦).

(٢) المحتسب (٢/ ١٢٩-١٣٠).

(٣) في الأصل و ب: من هذا. والتصويب من المحتسب (٢/ ١٢٩).

(٤) زيادة من المحتسب، الموضع السابق.

(٥) أي: ابن جني في المحتسب.

(٦) زيادة من المحتسب (٢/ ١٢٩).

(٧) في الأصل و ب: تعدى. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

قال[١]: وأما قوله: «هل يَسْمَعُونكُم إذ تدعون» فإنه على حذف المضاف، وتقديره: [هل][٢] يسمعون دعاءكم؟ ودلّ عليه قوله: «إِذْ تَدْعُون».

﴿أو ينفعونكم أو يضرون﴾ أي: هل ينفعونكم إن عبدتموهم، أو يضرونكم إن لم تعبدوهم. فألجأهم الانقطاع عند ظهور الحجة عليهم إلى الاعتصام بتقليد الآباء فقالوا: ﴿بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون * قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدوٌ لي﴾ أي: أعداء، أو كل واحد منهم عدو لي إن اتخذتهم آلهة وعبدتهم، ﴿إلا رب العالمين﴾ استثناء منقطع.

وقال ابن زيد: هو استثناء متصل؛ لأنهم [كانوا][٣] يعبدون الله تعالى مع آلهتهم[٤].

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾

قوله: ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ يريد هدايته بعد إتمام خلقه ونفخ الروح فيه، إلى كل ما يصلحه، وإلا فَمَنْ هداه إلى الاغتذاء بامتصاص الدم في ظُلَمِ الأحشاء وكيفية الرَّضْع بعد الوضع.

---

(١) أي: ابن جني في المحتسب.

(٢) زيادة من المحتسب (٢/ ١٣٠).

(٣) زيادة من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٢٨).

وقال المفسرون: يريد: فهو [يهدين][١] إلى الدين والرشد لا أصنامكم[٢].

﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾ أي: يرزقني الطعام والشراب.

﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ أضاف الخير المحض إلى الله تعالى، واستعمل معه حُسْن الأدب، فلذلك لم يقل: «أمْرَضَنِي». ومنه في قصة الخضر: ﴿فأردت أن أعيبها﴾ [الكهف:٧٩]، [وقوله][٣]: ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ [الكهف:٨٢].

فأضاف إرادة العيب إلى نفسه، والإرادة الثانية إلى الرب عز وجل.

فإن قيل: فما باله أضاف الإماتة إلى الله عز وجل في قوله: ﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾؟

قلت: ليُقَرِّرَ عندهم أن المميت هو الله عز وجل، وأنه لا أثر للأسباب التي يضيفون ما يترتب عليها إليها إلا بتقدير الله عز وجل، فإن القوم كانوا ضُلالاً عُبَّاد أوثان لا يهتدون إلى واجب القول في ذلك وأمثاله، ولذلك عقّبه بقوله: ﴿ثم يُحْيين﴾ يرشدهم إلى أنه يبعثهم بعد موتهم ليجازيهم على أفعالهم وأقوالهم.

﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ أي: أرجو أن يغفر لي ما عساه يصدر مني، من صغيرة، فإن الأنبياء معصومون من الكبائر والرذائل.

وقال الحسن: هي قوله للكوكب: ﴿هذا ربي﴾[٤] [الأنعام:٧٦].

---

(١) في الأصل: هدين. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٢٩).

(٣) في الأصل: قوله. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٥).

وقال أكثر المفسرين: هي الكذبات الثلاث[١]، وقد ذكرناها في سورة الأنبياء[٢].

قال صاحب الكشاف[٣]: فإن قلت: لم علّق مغفرة الخطيئة بيوم الدين، وإنما تُغْفَرُ في الدنيا؟

قلتُ: لأن [أثرها][٤] يتبين يومئذ، وهو الآن خفي [لا][٥] يُعلم.

قلت: ويجوز أن تقع المغفرة يوم الدين، فإن ذلك لا يمنع منه نقل ولا عقل. وقد صح في حديث النجوى: ((وأنا أغفرها لك اليوم))[٦]. وقد ذكرت الحديث في سورة هود عليه السلام[٧].

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: ((يا رسول الله! ابن جدعان كان في الجاهلية يَصِل الرحم ويُطعم، فهل ذلك نافعه؟ قال: لا؛ لأنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين))[٨].

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ

---

(١) وهي: قوله: ﴿إني سقيم﴾، وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾، وقوله لسارة: هي أختي.

(٢) عند الآية رقم: ٦٣.

(٣) الكشاف (٣/ ٣٢٥).

(٤) في الأصل: أكثرها. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: ولا. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه البخاري (٢/ ٨٦٢ ح٢٣٠٩)، ومسلم (٤/ ٢١٢٠ ح٢٧٦٨).

(٧) (ص: ١٤٥).

(٨) أخرجه مسلم (١/ ١٩٦ ح٢١٤).

صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

قوله: ﴿رب هب لي حكماً﴾ قال ابن عباس: معرفةً بالله تعالى وبحدوده وأحكامه[1].

وقال مقاتل[2]: يعني: الفهم والعلم.

﴿وألحقني بالصالحين﴾ وفّقني لعمل يَنْظِمُني في جملتهم ويُدخلني في زمرتهم، فاستجاب الله تعالى دعاءه، فقال في موضع آخر: ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [البقرة: ١٣٠].

﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ أي: ثناءً حسناً في الذين يأتون من بعدي إلى يوم القيامة.

﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ مفسرٌ فيما مضى.

فإن قيل: لم خصّ أباه بسؤال المغفرة له في قوله: ﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾؟

قلت: للموعدة التي وعدها إياه، على أنه قد قيل: إن أمه كانت مؤمنة، وقد حكيناه في آخر إبراهيم[3] عن الحسن البصري.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٦).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٥٥).

(٣) عند الآية رقم: ٤١.

﴿ولا تخزني يوم يبعثون﴾ أي: لا تفضحني يوم يبعث الخلق لفصل القضاء.

ويجوز أن يعود الضمير في "يبعثون" إلى "الصالحين"، على معنى: يوم يبعث الضالون وأبي منهم وفيهم.

﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ [بدل][1] من «يوم يبعثون»[2].

﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ قال الحسن: سليم من الشرك[3].

وقال سعيد بن المسيب: "بقلب سليم" أي: صحيح، وهو قلب المؤمن؛ لأن قلب الكافر والمنافق مريض[4]. وهذه الأقوال متحدة في المعنى.

وقال الجنيد: "سليم" بمعنى: لديغ من خوف الله[5].

وقيل: سليم من البدعة، مطمئن على السنّة[6].

قال الزمخشري[7]: التقدير: "إلا" حال "من أتى الله بقلب سليم". وإن شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى، كأنه قيل: يوم لا ينفع غنىً إلا غنى من أتى الله بقلب سليم؛ لأن غنى الرجل في دِينه سلامة قلبه، كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه، ولك أن تجعل الاستثناء منقطعاً، ولا بد لك مع

---

(١) في الأصل: يدل. والتصويب من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٦٨)، والدر المصون (٥/ ٢٧٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٨٣).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٠).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣١).

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٧١) من قول أبي عثمان النيسابوري، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣١) وعزاه للثعلبي.

(٧) الكشاف (٣/ ٣٢٥-٣٢٦).

ذلك من تقدير المضاف وهو الحال، إذ لو لم تقدّر المضاف لم يتحصّل للاستثناء معنى.

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى: ﴿وأزلفت الجنة﴾ أي: قُرّبت ﴿للمتقين﴾ الذين جعلوا طاعة الله حاجزة بينهم وبين المعصية، وما أزلفت لهم إلا ليتعجلوا الراحة والاغتباط بالنظر إلى ما أُعِدَّ لهم من النعيم، ومثله: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد﴾ [ق:٣١].

﴿وبرّزت الجحيم للغاوين﴾ كُشفت وأُظهرت لهم ليتعجلوا الشقاء والغمّ بالنظر إلى ما أُعِدَّ لهم من العذاب، كما قال: ﴿فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا﴾ [الملك:٢٧].

﴿وقيل لهم﴾ على سبيل التوبيخ: ﴿أين ما كنتم تعبدون * من دون الله هل ينصرونكم﴾ يمنعونكم من العذاب ﴿أو ينتصرون﴾ يمتنعون هم منه.

﴿فكبكبوا فيها﴾ قال الزجاج[(١)]: طُرِحَ بعضهم على بعض. وحقيقة ذلك في اللغة: تكرير الانكباب، كأنه إذا أُلقِيَ ينكبُّ مرة بعد أخرى حتى يستقرَّ فيها.

قال ابن قتيبة[(٢)]: أصل الحرف: «كُبِّبُوا»، من قولك: كَبَبْتُ الإناء، فأبدل من الباء الوسطى كافاً؛ استثقالاً لاجتماع ثلاث باءات، كما قالوا: «كُمْكِمُوا» من «الكُمَّة»، والأصل: كُمِّموا.

قال السدي: "فكبكبوا" يعني: الآلهة، ﴿هم والغاوون﴾ يعني: المشركين[(٣)].

وقال قتادة ومقاتل[(٤)]: الغاوون: الشياطين[(٥)].

﴿وجنود إبليس أجمعون﴾ يعني: ذريته كلهم.

وقيل: أتباعه من الجن والإنس[(٦)].

﴿قالوا﴾ يعني: عَبَدَة الأوثان ﴿وهم فيها يختصمون﴾ مع آلهتهم: ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾.

قال الزجاج[(٧)]: معناه: والله ما كنا إلا في ضلال مبين.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٩٤).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٤١٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٠٨) وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٥٦).

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٨٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٠٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٢).

(٧) معاني الزجاج (٤/ ٩٤).

وقال الفراء[١]: تالله لقد كنا.

والذي عليه حُذَّاق نُحاة البصرة: أنها المخففة من الثقيلة، على ما سبق في نظائره.

﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾ في العبادة والتعظيم.

ولقد حدثني بعض من شاهد عُبَّاد الأصنام بالهند: أن منهم من يَحُجُّ إلى الصنم الأعظم المدعو: «سُومَنَات» زاحفاً على إسْته، ومنهم من يَحُجُّ إليه زاحفاً على وجهه مسيرة شهر أو أكثر، فإذا وقع نظر الواحد منهم على القبّة التي فوق الصنم المحجوج إليه خَرَّ له ساجداً مراراً قبل وصوله إليه؛ تكريماً له وتعظيماً، فسبحان من حَجَبَ تلك القلوب عن النظر إلى أنوار دلائل التوحيد [بغير][٢] أغشية التقليد.

﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾ أي: الرؤساء الكبراء الذين كانوا يقتدون بهم في الضلال.

وقال مقاتل[٣]: يعنون: الشياطين.

﴿فما لنا من شافعين﴾ يقولون ذلك إذا رأوا الأنبياء والأولياء والملائكة والعلماء يشفعون في أهل التوحيد.

﴿ولا صديق حميم﴾ قريب يودّنا ونودّه. وقد روى جابر عن النبي ﷺ أنه قال: ((إن الرجل يقول في الجنة: ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم؟ فيقول الله

---

(١) لم أقف عليه في معاني الفراء.

(٢) كلمة غير مقروءة في الأصل و ب. ولعل الصواب كما أثبتناها.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٥٦).

عز وجل: أخرجوا له صديقه إلى الجنة، فيقول من بقي: ﴿فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم﴾))[1].

﴿فلو أن لنا كَرَّةً﴾ أي: رجْعة إلى الدنيا. و«لو» هاهنا في معنى التمني، كأنه قيل: فليت لنا كَرَّة. ويجوز أن تكون على أصلها، والجواب محذوف، تقديره: لفعلنا كذا وكذا.

﴿فنكون من المؤمنين﴾ المُصَدِّقين بالوحدانية والرسالة.

﴿إن في ذلك﴾ الذي قصصنا عليك من نبأ إبراهيم ومجادلة قومه ﴿لآية﴾ لمن بعدهم ودلالة على رسالتك.

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ قد ذكرنا فيما مضى أن تكذيب رسول

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٢). وقد وردت أحاديث كثيرة في شفاعة الرجل للرجل في مجمع الزوائد تدول حول هذا المعنى بأسانيد مختلفة بعضها صحيح وبعضها فيه كلام (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨١ باب شفاعة الصالحين).

واحد تكذيب لجميع[١] الرسل؛ لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل ويؤمن بهم.

قال الزجاج[٢]: دخلت التاء، و"قوم" مذكر؛ لأن المراد بالقوم: الجماعة. والمعنى: كذبت جماعة قوم نوح.

وقال الزمخشري[٣]: القوم: مؤنثة، وتصغيرها: قُويمة.

﴿إذ قال لهم أخوهم نوح﴾ أي: أخوهم في النسب، كقولهم: يا أخا تميم، أي: يا واحداً منهم، ومثله:

لا يَسْألونَ أخاهُم حين يندبُهُم ... في النَّائباتِ على ما قالَ بُرهانا[٤]

وما بعده ظاهرٌ أو مفسرٌ إلى قوله: ﴿واتبعك الأرذلون﴾ وقرأتُ ليعقوب الحضرمي: «واتْبَاعُكَ» بقطع الهمزة وسكون التاء وضم العين وألف قبلها[٥].

قال الزجاج[٦]: هي في العربية قويَّة جيّدة؛ لأن واو الحال[٧] تصحب الأسماء أكثر في العربية؛ لأنك تقول: جئتكَ وأصحابُكَ الزَّيْدون، ويجوز: وصَحِبَكَ الزيدون، والأكثر: جئتك وقد صحبك الزيدون.

---

(١) في ب: بجميع.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٩٥).

(٣) الكشاف (٣/ ٣٢٨).

(٤) انظر البيت في: القرطبي (١٣/ ١١٩)، والكشاف (٣/ ٣٢٨)، وروح المعاني (١٠/ ١١٠، ١٩/ ١٠٧، ٢٨/ ٣٦).

(٥) النشر (٢/ ٣٣٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٣٣).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٩٥).

(٧) في الأصل و ب زيادة: أن.

قال عكرمة: أرادوا المساكين الذين ليس لهم مال ولا عز[١].

وقال ابن عباس والضحاك وعكرمة: أرادوا الحاكَة والأساكِفَة وأرباب الحرف الدنيَّة[٢].

وهذا جهل منهم وفرْط عُتوٍ، فإن الصناعات لا [أثر][٣] لها في باب الديانات.

وإذا استقرأت أتباع الرسل السابقين إلى مناصرتهم والإيمان بهم وجدتهم في الغالب الضعفاء والمساكين، حتى صار ذلك أمارةً لهم وعلامة على صدقهم، ولهذا قال هرقل في حديثه مع أبي سفيان لما قال له: ((من يتبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم، قال: هم أتباع الرُّسُل))[٤].

﴿قال وما علمي بما كانوا يعملون﴾ أراد عليه السلام انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم ونَفَى اطّلاعه على [سرائرهم][٥] وضمائرهم؛ لأن مقصودهم بقولهم: «واتبعك الأرذلون» تحقير شأنهم، وأن إيمانهم لم يصدر عن نظر صحيح ورأي مستقيم، كما قالوا في موضع: ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾ [هود:٢٧]، فاكتفى منهم نوح بظاهر أمرهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى، فذلك قوله: ﴿إن حسابهم إلا على ربي﴾[٦] أي: ما حسابهم فيما يعملون من خير وشر إلا على ربي ﴿لو تشعرون﴾ ذلك. المعنى: ولكنكم قوم جهلة.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٤).

(٢) مثل السابق.

(٣) في الأصل: أكثر. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٥٨ ح٤٢٧٨)، ومسلم (٣/ ١٣٩٥ ح١٧٧٣).

(٥) في الأصل: أسرارهم. والتصويب من ب.

(٦) في الأصل زيادة قوله: "لو تشعرون". وستأتي بعد.

﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ ذهاباً مع شهوتكم ورغبة في استنزالكم عن مقام الأنَفَة والحميّة عن اتّباعي وهم أتباعي، فإني لم أُكلَّفْ سوى تبليغ الرسالة، وهو قوله: ﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾ أي: نذير للخلق مبين للحق.

قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾ قال الضحاك: من المشتومين[1].

وقال قتادة: المضروبين بالحجارة[2].

وقال مقاتل[3]: المقتولين بالرجم.

فشكا إلى ربه حين توعدوه، وسأله الحكم بينه وبينهم فقال: ﴿رب إن قومي

---

(١) ذكره الطبري (١٩/ ٩١) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣١١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٥٧).

ويؤيد هذا القول ما جاء في لسان العرب، مادة: (رجم): أن الرجم يأتي بمعنى: القتل، والشتم، واللمس، والطرد.

كذبون * فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ أي: اقض بيني وبينهم قضاء يكون سبب هلاكهم، ونجاتي ونجاة المؤمنين.

﴿فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون﴾ أي: المملوء، تقول: شحنتُ الإناء؛ إذا ملأته[1]. وكانت سفينة نوح مملوءةً حيواناً.

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾

وما بعده إما مُفسر فيما مضى وإما ظاهرٌ إلى قوله تعالى: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون﴾.

قال ابن عباس وأهل اللغة: الرِّيع: المكان المرتفع[2]، وفيه لغة بفتح الراء، وهي قراءة جماعة، منهم عاصم الجحدري[3]. قال الشاعر:

(١) انظر: اللسان (مادة: شحن).

(٢) ذكره الطبري (١٩/ ٩٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٨) كلاهما بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٥).

(٣) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٣٥).

.... ريعٌ يلُوحُ كأنه سَجْل

والسجل: الثوب الأبيض.

والآية: العلامة.

قال سعيد بن جبير: كانوا يبنون بروج الحمام عبثاً[١].

وقال الضحاك: كانوا يبنون في المواضع المرتفعة؛ ليشرفوا على المارّة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم[٢].

وقال ابن عباس: يريد: يبنون ما لا يسكنون[٣].

أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس قال: ((مررتُ مع النبي ﷺ في طريقٍ من طُرُق المدينة فرأى قبّة من لَبن، فقال: لمن هذه؟ فقلت: لفلان، فقال: أما [إنّ][٤] كُلَّ بناء كَلٌّ على صاحبه يوم القيامة إلا ما كان في مسجد، ثم مَرَّ فلم يَرَها فقال: ما فَعَلَتِ القبة؟ قلتُ: بلغ صاحبها ما قلتَ فهدمها، فقال: رحمه الله[٥]))[٦].

وجاء من طريق آخر عن أنس: ((أن النبي ﷺ أعرض عن صاحب القبة، فشكى ذلك إلى أصحابه فقال: والله إني لأُنْكِرُ نظر رسول الله ﷺ ما أدري ما حَدَثَ فيّ وما صنعت؟ فأخبروه، فرجع إلى قبته فسواها بالأرض، فذكر ذلك

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٥).

(٤) زيادة من ب، ومسند أحمد (٣/ ٢٢٠).

(٥) ساقط من ب.

(٦) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٠ ح١٣٣٢٥).

للنبي ﷺ فقال: إن كل بناءٍ يُبنى وَبَالٌ على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بد منه))[(١)].

قوله تعالى: ﴿وتتخذون مصانع﴾ قال الزجاج[(٢)]: واحد المصانِع: مَصْنَعة ومَصْنَع، وهي التي تُتخذ للماء.

قال قتادة: مصانع الماء تحت الأرض[(٣)].

وقال مجاهد: قصوراً مشيدة[(٤)].

قال أبو [عبيدة][(٥)]: كل بناء مَصنعة.

﴿لعلكم تخلدون﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: المعنى: كأنكم تخلدون[(٦)]، وكذلك هي في قراءة أبي بن كعب.

وقال الفراء وابن قتيبة[(٧)]: كيما تخلدون.

وقال الزجاج[(٨)]: المعنى: [لأنْ تَخْلدوا][(٩)]، أي: تتخذون مباني للخلود لا تُفكِّرون في الموت.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٦٠ ح٥٢٣٧).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٩٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٦).

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٩٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٧٩٤)، ومجاهد (ص:٤٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣١٣)، وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٨٨). وفي الأصل: عبيد. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٩٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٧٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣١٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٧) معاني الفراء (٢/ ٢٨١)، وتفسير غريب القرآن (ص:٣١٩).

(٨) معاني الزجاج (٤/ ٩٦).

(٩) في الأصل: المعنى: لا تخلدون. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

وقال الزمخشري[1]: «لعلكم تخلدون»: ترجون الخلود في الدنيا.

﴿وإذا بطشتم﴾ أي: إذا بطشتم بسيف أو سوط ﴿بطشتم جبارين﴾ بطش الجبابرة الذين يقتلون ويضربون على الغضب والظِّنَّة.

قال الحسن: يبادرون تعجيل العذاب[2].

ثم ذكّرهم نِعَم الله عليهم مخوفاً لهم فقال: ﴿واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون﴾، ثم فسّره فقال: ﴿أمدّكم بأنعام وبنين﴾.

فإن قيل: لم خصَّ الأنعام والبنين والجنان والعيون بالذكر دون النقدين؟

قلت: المال والبنون زينة الحياة الدنيا، والذي يُتزين به ما ظهر من المال لا ما خفي منه.

فإن قيل: أي زينة في الأنعام؟

قلت: فيها غاية الزينة والتجمل، لا سيما إذا راحت من مراعيها ممتدّة الأسنام والضروع تتناوَح بالرُّغاء والثُّغَاء.

فإن قيل: كيف قَرَنَ البنين بالأنعام؟

قلت: لما فيهم من الإعانة على القيام بحفظها ورعايتها.

فإن قيل: المقصود من هذا وعظهم وتخويفهم، فكان من المناسب الأمر بالتقوى مقروناً بما يزعجهم من التهديد بالعقاب دون التذكير بالنِّعَم.

قلت: قد جمع بين الأمرين:

أحدهما: التذكير بالنِّعَم ليبعث هِمَمَهُم على شكر المُنْعِم عليهم والمُحْسِن

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٣١).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٣١).

إليهم، وفي ضمن ذلك تخويفهم من سلبها عنهم.

الثاني: التخويف المذكور في قوله: ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾، وهو العذاب الذي أهلكوا به.

وقيل: عذاب يوم القيامة.

قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾

﴿قالوا سواء علينا﴾ أي: مُعادلٌ عندنا ﴿أوَعظْت أم لم تكن من الواعظين﴾.

﴿إن هذا إلا خلق الأولين﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بفتح الخاء وسكون اللام، على معنى: ما هذا الذي تدعو إليه وتحُضُّ عليه إلا كَذِبُ الأولين، تقول: خلقتُ الحديث واختلقتُه؛ إذا افتعلته وكذبته[1].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: خلق).

قال الزجاج[١]: وفيه وجه آخر: معناه: خُلِقْنا كما خُلِقَ من قبلنا، نحيا كما حَيُوا ونموت كما ماتوا ولا نُبعث؛ لأنهم أنكروا البعث.

وقرأ الباقون: «خُلُق» بضم الخاء واللام[٢]، أي: ما هذا الذي نحن عليه من الدين والاعتقاد إلا عادة الأولين، كما قال كفار قريش: إنا وجدنا آباءنا على أمة.

﴿وما نحن بمعذبين﴾ كما تزعم يا هود.

﴿فكذبوه فأهلكناهم﴾ بالريح.

وقد ذكرنا ذلك في قصتهم[٣] في الأعراف[٤].

وما بعده ظاهر أو مفسر إلى قوله: ﴿أتتركون فيما هاهنا آمنين﴾ استفهام في معنى الإنكار لأن يتركوا مخلدين فيما هم فيه من النعيم والرفاهية، آمنين من العذاب والموت.

وقوله: ﴿في جنات وعيون * وزروع﴾ تفسير لقوله: ﴿فيما هاهنا آمنين﴾.

﴿ونخل طلعها هضيم﴾ الطَّلْع: الثَّمرة، والهضيم: النضيج الرّخص الليّن.

وقال الضحاك: الهضيم: الحِمْل الكثير الذي يركب بعضه بعضاً[٥].

يشير إلى أنه إذا كَثُرَ الحمل هَضُمَ، أي: صَغُر، وإذا قلّ جاء ممتلئاً كباراً.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٩٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٢٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٨)، والكشف (٢/ ١٥١)، والنشر (٢/ ٣٣٥-٣٣٦)، والإتحاف (ص:٣٣٣)، والسبعة (ص:٤٧٢).

(٣) في ب: وقد ذكرنا قصتهم.

(٤) عند الآية رقم: ٦٥.

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ١٠٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٠٢).

وقال صاحب الكشاف[١]: الطَّلْعَة هي التي تَطْلُعُ من النخلة، كنَصْلِ السيف، في جوفه شماريخُ القِنْو. والقِنْو: اسم للخارج من الجِذْع، كما هو بعُرْجونه وشماريخه.

والهَضِيم: اللطيف الضَّامِر، من قولهم: كَشْح هضيم، وطلعُ إناث النخل فيه لطفٌ، وفي طلع الفحاحيل[٢] جَفَاء، وكذلك طلْع البَرْني ألطف من طلْع اللون. [فذكّرهم][٣] نعمة الله عليهم في أن وهب لهم أجود النخل وأنفعه؛ لأن الإناث ولادة التمر، والبرني أجود التمر وأطيبه.

﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فرهين﴾ أي: أشِرين.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: «فَرِهِين» بغير ألف. وقرأ الباقون بألف[٤]، يقال: فَرِح وفَارِح، ويقال: إن الهاء من "فَرِهِين" مبدلة من الحاء.

وقال أبو علي الفارسي[٥]: من قرأ: «فَرِهِين» فمعناه: مَرِحين. ومن قرأها: «فارهين» معناه: حَاذِقين، أي: عارفينَ بنحْتِها.

﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ بالشرك والمعاصي.

قال مقاتل[٦]: هم التسعة الذين عقروا الناقة.

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٣٢-٣٣٣).

(٢) أي: ذكر النخل.

(٣) في الأصل و ب: يذكرهم. والتصويب من الكشاف (٣/ ٣٣٢).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢٢٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٩)، والكشف (٢/ ١٥١)، والنشر (٢/ ٣٣٦)، والإتحاف (ص:٣٣٣)، والسبعة (ص:٤٧٢).

(٥) الحجة (٣/ ٢٢٤-٢٢٥).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٠).

﴿الذين يفسدون في الأرض﴾ يعني: بالكفر والمعاصي ﴿ولا يصلحون﴾ فيها بالإيمان والطاعة.

قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾ ممن يسحر كثيراً مرة بعد مرة.

وقيل: ممن له سَحْرٌ، [أي][1]: رئة، على أن ما أنت من البشر.

قال ابن عباس: من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب[2]. وقد سبق هـذا التفسير في سورة سبحان[3].

وكأن التفسير هاهنا أظهر لقولهم: ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾.

﴿فائت بآية إن كنت من الصادقين﴾ في قولك أنك رسول الله إلينا.

﴿قال هذه ناقة لها شرب﴾ أي: نـصيب مـن المـاء معـروف، ﴿ولكـم شرب يوم﴾.

قال قتادة: إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله أول النهار، وتسقيهم اللـبن آخر النهار، وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ومواشيهم[4].

﴿ولا تمسوها بسوء﴾ ضربٍ ولا عقر ولا غير ذلك ﴿فيأخذكم عـذاب يـوم عظيم﴾. وصف ذلك اليوم بالعظم؛ لحلول العذاب العظيم فيه.

﴿فعقروها فأصبحوا نادمين﴾ ندم خوف من العقاب، لا ندم توبة وإنابـة إلى الله.

وجائز أن يكون ندم توبة، لكن لم ينفعهم لفوات محله.

﴿فأخذهم العذاب﴾ وقد ذكرناه مع ما أهملنا تفسيره هاهنا في الأعراف[5].

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ١٠٣).

(٣) عند تفسير الآية رقم: ٤٧.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٠)، والسيوطي في الدر (٦/ ٣١٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) عند الآية رقم: ٧٣.

قوله تعالى: ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ يعني: فروج النساء.
قال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال(١).

﴿بل أنتم قوم عادون﴾ مفرطون في الظلم والتعدي.

﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط﴾ عن نهينا وتقبيح أمرنا ﴿لتكونن من المخرجين﴾ أي: من جملة الذين أخرجناهم من بين أظهرنا.

﴿قال إني لعملكم من القالين﴾ أي: المُبْغضين، والقِلَى: البغض الشديد، كأنه بغضٌ يقلي الفؤاد.

كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ قرأ أبو عمرو وأهل الكوفة: «الأيكة» بالألف واللام مع الهمز والجر. وقد ذُكر في الحجْر(٢).

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٠٨)، ومجاهد (ص:٤٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣١٧) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) عند الآية رقم: ٧٨.

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: «أصحاب ليكة» هنا وفي صاد[(١)] بغير همز مع فتح الهاء، على وزن فَعْلَة[(٢)].

قال الزجاج[(٣)]: أهل المدينة يفتحون الهاء على ما جاء في التفسير أن اسم المدينة كان «لَيْكَة»، قال: وكان أبو عبيد القاسم بن سلام يختار قراءة أهل المدينة والفَتْح؛ لأن "لَيْكَة" لا تنصرف. وذَكَر أنه اختار ذلك لموافقة الكتاب مع الذي جاء في التفسير أنها اسم المدينة.

قال الزمخشري[(٤)]: من قرأ بالنصب وزعم أن «لَيْكَة» بوزن لَيْلَة: اسم بلدٍ، فتوهُّم [قَادَ][(٥)] إليه خط المصحف، حيث وُجدت مكتوبة في هذه السورة وسورة صاد بغير ألف، وفي المصحف أشياء كُتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه، وإنما كُتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ، وقد كُتبت في سائر القرآن على الأصل، والقصة واحدة.

﴿إذ قال لهم شعيب﴾ قال مقاتل[(٦)]: لم يكن شعيب عليه السلام من نسل أصحاب الأيكة، فلذلك لم يقل: «أخوهم»، وإنما أُرسل إليهم بعد أن أُرسل إلى مدين، وهو من نسل مدين، فلذلك قال هناك: «أخوهم».

---

(١) عند الآية رقم: ١٣.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٢٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٩)، والكشف (٢/ ٣٢)، والنشر (٢/ ٣٣٦)، والإتحاف (ص:٣٣٣)، والسبعة (ص:٤٧٣).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٩٨).

(٤) الكشاف (٣/ ٣٣٧).

(٥) في الأصل: فاد. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٢).

وكان محمد بن جرير الطبري[١] يذهب إلى أن أصحاب الأيكة هم أصحاب مدين.

قوله تعالى: ﴿أوفوا الكيل﴾ قال صاحب الكشاف[٢]: الكيل ثلاثة أضرب: وافٍ، وطفيفٍ، وزائدٍ، [فأمر بالواجب][٣] الذي هو الإيفاء، ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف.

﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ أي: الذين ينقصون الكيل والوزن. يقال: أخسَرْتُ الكيلَ والوزن؛ إذا نقصته[٤]. ومنه: ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ [المطففين:٣].

وقد سبق ذكر القِسْطاس في "بني إسرائيل"[٥].

قوله تعالى: ﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين﴾ قال ابن قتيبة[٦]: الجبلّة: الخَلْق، يُقال: جُبِلَ فلانٌ على كذا أي: خُلِقَ[٧].

قال الشاعر:

والموتُ أعظمُ حادثٍ ... مما يَمُرُّ على الجبلّه[٨]

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٠٧).

(٢) الكشاف (٣/ ٣٣٧).

(٣) في الأصل و ب: فالواجب. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) انظر: اللسان (مادة: خسر).

(٥) عند الآية رقم: ٣٥.

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٣٢٠).

(٧) انظر: اللسان (مادة: جبل).

(٨) انظر البيت في: القرطبي (١٣/ ١٣٦)، والماوردي (٤/ ١٨٦)، وزاد المسير (٦/ ١٤٢).

قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

قوله تعالى: ﴿وما أنت إلا بشرٌ مثلنا﴾ قال الزمخشري[1]: فإن قلت: هل اختلف المعنى بإدخال الواو هاهنا وتركها في قصة ثمود؟

قلت: إذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مُنَافٍ للرسالة عندهم: التسحير والبشرية، وأن الرسول لا يجوز أن يكون [مُسَحَّراً ولا يجوز أن يكون][2] بشراً، وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنىً واحد، وهو كونه مسحَّراً. ثم قَرَّر بكونه بشراً مثلهم.

قوله تعالى: ﴿فأسقط علينا كِسْفاً من السماء﴾ أي: طائفة منه.

وقرأ حفص: «كِسَفاً» بفتح السين[3] هنا وفي سبأ[4]، وهو جمع كِسْفَة، نحو قِطَعٍ وسِدَرٍ، وقد ذُكر في "بني إسرائيل"[5].

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٣٨).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٧٠)، والحجة لابن زنجلة (ص: ٥٢٠)، والكشف (٢/ ٥١)، والنشر (٢/ ٣٠٩)، والإتحاف (ص: ٣٣٤)، والسبعة (ص: ٣٨٥).

(٤) عند الآية رقم: ٩.

(٥) عند الآية رقم: ٩٢.

قال صاحب الكشاف[١]: فإن قلت: كيف كرَّرَ في هذه السورة في أول كل قصةٍ وآخرها ما كَرَّر؟

قلت: كل قصة منها كتنزيلٍ برأسه، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تُفتَتَح بما افتُتِحت به صاحبتها وأن تُختتم بما اختُتمت به.

[ولأن][٢] في التكرير [تقريراً][٣] للمعاني[٤] في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور.

ولأن هذه القصص طُرِقَت بها آذان وُقْرٌ عن الإنصات للحق، وقلوبٌ غُلْفٌ عن تدبُّره، فكُوثرت بالوعظ والتذكير، ورُوجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذْناً، أو يَفْتُقَ ذهْناً، أو يصقُلَ عَقْلاً طال عهده بالصقل، أو يجلو فهماً قد غطّى عليه تراكم الصدأ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ يعني: القرآن.

﴿نزل به الروح الأمين﴾ وهو جبريل عليه السلام.

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٣٩).

(٢) في الأصل: وأن. والتصويب من ب.

(٣) زيادة من الكشاف (٣/ ٣٣٩).

(٤) في ب: اللمعاني. وهو سهو.

وقرأ أبن عامر وأهل الكوفة إلا حفصاً: «نَزَّلَ» بالتشديد، «الـروحَ الأمـينَ» بالنصب[١]، على معنى: نزّل رب العالمين به الروح الأمين.

﴿على قلبك﴾ قال الزجاج[٢]: ومعنى «على قلبك»: نزل عليك فوعاه قلبـك وثَبَتَ فلا ينساه أبداً ولا شيئاً منه، كـما قـال الله تعـالى: ﴿سـنقرئك فـلا تنسـى﴾ [الأعلى:٦].

قوله تعالى: ﴿بلسان عربي مبين﴾ الباء متعلقة بـ"نَزَلَ"، أو بقوله: ﴿لتكون من المنذرين﴾، على معنى: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان العربي، وهم خمسة: هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴿١٩٩﴾

قوله تعالى: ﴿وإنه﴾ قال أكثر المفسرين[٣]: المعنى: وإن القرآن، يعنـي: ذكْـره وخبره ﴿لفي زبر الأولين﴾.

وقيل: وإن معانيه لفي الكتب النازلة من السماء على الرسل.

وقيل: وإن محمداً لفي كتب الأولين، كما قال تعالى: ﴿يجدونه مكتوباً عندهم

---

(١) الحجـة للفـارسي (٣/ ٢٢٥-٢٢٦)، والحجـة لابـن زنجلـة (ص:٥٢٠-٥٢١)، والكـشف (٢/ ١٥١-١٥٢)، والنشر (٢/ ٣٣٦)، والإتحاف (ص:٣٣٤)، والسبعة (ص:٤٧٣).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٠٠).

(٣) ذكره الطبري (١٩/ ١١٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٢).

في التوراة والإنجيل﴾ [الأعراف:١٥٧].

قوله تعالى: ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ "آية" خبر كان، و"أن يعلمه": اسمها[1]، على معنى: أو لم يكن لهم عِلْمُ عُلماء بني إسرائيل أنه النبي المنعوت في الكتب المتقدمة، المبعوث في آخر الزمان، آية وعلامة على صدقه ونبوّته.

وقرأ ابن عامر: «تَكُنْ» بالتاء، «آيةٌ» بالرفع[2].

قال مكي[3]: رفع "الآية"؛ لأنها اسم كان، و«أن يعلمه» خبر كان. وفي هذا التقدير قبحٌ في العربية؛ لأنه جعل اسم كان نكرة وخبرها معرفة، والأحسن أن تُضمر القصة، فيكون التأنيث محمولاً على تأنيث القصة، و"أن يعلمه" ابتداء، و"آية" خبر الابتداء، والجملة خبر كان، فيصير اسم كان معرفة، و"آية" خبر ابتداء، وهو "أن يعلمه"، تقديره: أو لم تكن لهم القصة علم علماء بني إسرائيل به آية.

قوله تعالى: ﴿ولو نزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿على بعض الأعجمين﴾ جمع أعْجَم، والأنثى: عَجْمَاء.

وقرأ الحسن: "الأعجميين"[4].

قال الزجاج[5]: الأعْجَم: الذي لا يُفْصِح، وكذلك الأعجمي، [فأما

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٧٠)، والدر المصون (٥/ ٢٨٨).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢١)، والكشف (٢/ ١٥٢)، والنشر (٢/ ٣٣٦)، والإتحاف (ص:٣٣٤)، والسبعة (ص:٤٧٣).

(٣) الكشف (٢/ ١٥٢).

(٤) الإتحاف (ص:٣٣٤).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٠٢).

العجمي فالذي][(١)] من جنس العَجَم، أفْصَحَ أو لم يُفْصِح.

قوله تعالى: ﴿فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ يشير إلى شدة شكيمتهم في الكفر والعناد، وأنه لو نَزَلَ هذا القرآن على رجل أعجمي لا يفصح به فضلاً عن أن يقدر على نَظْم مثله لكفروا به، وتمحَّلُوا لجحودهم أعذاراً كما فعلوا، وقد جاءهم به أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأصدقهم لهجةً، وأثبتهم حجة.

كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾

قوله تعالى: ﴿كذلك سلكناه﴾ أي: مثل هذا السلك سلكنا الشرك والتكذيب ﴿في قلوب المجرمين﴾.

قال الزجاج[(٢)]: جعل الله تعالى مُجازاتهم أن طَبَعَ على قلوبهم وسَلك فيها الشرك.

﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ وذلك عند معاينة سلطان الموت،

---

(١) في الأصل: وأما العجمي الذي. والتصويب من ب، والزجاج (٤/ ١٠٢).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٠٢).

حيث لا ينفعهم الإيمان.

﴿فيأتيهم﴾ يعني: العذاب الأليم ﴿بغتة وهم لا يشعرون﴾.

﴿فيقولوا﴾ عند نزوله: ﴿هل نحن منظرون﴾ مُؤَخَّرُون لنُؤمن ونُصدِّق.

قال مقاتل[١]: فلما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب قالوا: فمتى هو؟ تكذيباً واستهزاء، فقال الله تعالى: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾، استفهام في معنى التبكيت لهم والإنكار عليهم.

﴿أفرأيت إن متعناهم﴾ بأعمار ممتدة ﴿سنين﴾ قال مقاتل[٢]: عُمُرَ الدنيا.

﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ من العذاب.

﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ استفهام في معنى الإنكار، أي: لا يغني عنهم تمتُّعهم شيئاً.

قال ميمون بن مهران للحسن البصري: عظني! فقرأ له هذه الآية، فقال له ميمون: لقد وعظتَ فأبلغتَ[٣].

قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ نظير لقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ [الإسراء:١٥] إشارة أنه لا يهلكهم حتى يتقدم إليهم بالإنذار على ألسنةِ الرسل.

﴿ذكرى﴾ قال الزمخشري[٤]: «ذكرى» منصوبة بمعنى: تذكرة؛

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٥).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٥).

(٣) ذكره الآلوسي في روح المعاني (١٩/ ١٣١).

(٤) الكشاف (٣/ ٣٤٣).

[إما][(١)] لأن "أنذر" و"ذكّر" متقاربان، فكأنه قيل: مُذَكِّرون تذكرة، وإما لأنها حال من الضمير في "منذرون"، أي: ينذرونهم ذوي تذكرة، وإما لأنها مفعول له؛ على معنى: أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة، أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف، بمعنى: هذه ذكرى، والجملة اعتراضية، أو صفة بمعنى: منذرون ذوو ذكرى، أو جعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها.

ووجه آخر: وهو أن تكون "ذكرى" متعلقة بـ"أهلكنا" مفعولاً له. والمعنى: وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعد ما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم، ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم، فلا يعصوا مثل عصيانهم، ﴿وما كنا ظالمين﴾ فنهلك قوماً غير ظالمين.

قال[(٢)]: وهذا الوجه عليه المعوّل.

وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

---

(١) في الأصل: وإما. والتصويب من ب، والكشاف (٣/ ٣٤٣).

(٢) أي: الزمخشري.

قوله تعالى: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ رد لقول كفار قريش: إنما يجيء بالقرآن الشياطين فيلقونه على لسان محمد ﷺ.

﴿وما ينبغي لهم وما يستطيعون﴾ لأنهم مرجومون بالشُّهب، قد حيل بينهم وبين خبر السماء، وهو قوله: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾.

﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين﴾ قال ابن عباس: يُحَذِّر به غيره، يقول: أنت أكرمُ الخلق عليَّ، ولو اتخذت من دوني إلهاً لعذبتك[1]. وقد سبق القول في نظائره.

قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ يعني: الأدْنَيْن.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: ((قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ فقال: يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف! لا أُغْني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب! لا أُغْني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد! سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً))[2].

قوله تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ أي: ألِنْ جانبك للمؤمنين من عشيرتك وغيرهم وأظهر لهم الشفقة والمودة.

﴿فإن عصوك﴾ يعني: عشيرتك ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾ من الكفر والمعاصي.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠١٢ ح٢٦٠٢)، ومسلم (١/ ١٩٢ ح٢٠٦).

﴿وتوكل﴾ وقرأ نافع وابن عامر: «فتوكل» بالفاء[١].

قال أبو علي[٢]: من قرأ بالواو عطف على قوله: ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾.

ومن قرأ: «فتوكل» بالفاء جعلها جملة مستأنفة مقطوعة عما[٣] قبلها.

﴿على العزيز﴾ المنتقم من أعدائك، ﴿الرحيم﴾ بأوليائك.

﴿الذي يراك حين تقوم﴾ قال ابن عباس: [حين][٤] تقوم إلى الصلاة[٥].

وقال أبو الجوزاء: حين تقوم من منامك[٦].

وقال الحسن: حين تخلو[٧].

وهذا في التحقيق قول واحد؛ لأن المقصود الذي يراك حين تقوم في جوف الليل متهجداً [خالياً][٨] بربك مناجياً له.

﴿وتقلبك في الساجدين﴾ أي: ويرى تقلبك في الساجدين المصلِّين من أصحابك. فالمعنى: يراك منفرداً ومع الجماعة. هذا قول قتادة وأكثر المفسرين[٩].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٢)، والكشف (٢/ ١٥٣)، والنشر (٢/ ٣٣٦)، والإتحاف (ص:٣٣٤)، والسبعة (ص:٤٧٣).

(٢) لم أقف عليه في الحجة.

(٣) في ب: مما.

(٤) زيادة من ب.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٧). وذكره الماوردي (٣/ ١٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٣٠) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٤٨).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٨). وذكره الماوردي (٣/ ١٨٩).

(٨) في الأصل: خايلاً. والتصويب من ب.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٩) عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٣١) وعزاه لعبد بن =

وروي عن ابن عباس أن المعنى: وتقلبك في أصلاب الأنبياء حتى أخرجك في هذه الأمة[١].

وقال الحسن: المعنى: ويرى ذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين[٢].

﴿إنه هو السميع﴾ لما تقول ويقال لك، ﴿العليم﴾ بأحوالك.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

قل ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك﴾ كذّاب معروف بالكذب، ﴿أثيم﴾ فاجر.

وأما محمد ﷺ فأنتم تعرفونه بالأمانة والبِرّ وصدق اللهجة، وتشهدون له بذلك من قبْل الرسالة.

قوله تعالى: ﴿يلقون السمع﴾ في محل النصب على الحال، أو في محل[٣] الجر

= حميد وابن أبي حاتم.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٥).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٤٩).

(٣) زيادة من ب.

صفة لـ"كل أفاك". ويجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً[١]، كأنه قيل: [لم تنزّلُ على][٢] الأفّاكين؟ فقيل: يفعلون كيت وكيت.

والمعنى: يُلقون ما سمعوه إلى الكهنة.

﴿وأكثرهم كاذبون﴾ أي: أكثر الشياطين كاذبون فيما يوحونه إليهم.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ((تخطف الجن السمع فيرمون، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ولكنهم [يقرفون][٣] فيه ويزيدون))[٤].

وقيل: المعنى[٥]: وأكثر الكهنة كاذبون يفترون على الشياطين ويتقوّلون عليهم ما لم يوحوه إليهم.

قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ قال ابن عباس: كان رجلان على عهد رسول الله ﷺ قد تهاجيا، فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه. فنزلت هذه الآية[٦].

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٩٢-٢٩٣).

(٢) في الأصل: لم تتنزل إلا على. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: يقترفون. والتصويب من ب، ومسلم (٤/ ١٧٥٠).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٥٠ ح٢٢٢٩) من حديث طويل.

(٥) في الأصل زيادة قوله: وأكثرهم.

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٣٣) وعزاه لابن مردويه.

وقال ابن عباس أيضاً: يريد: [شعراء][1] المشركين[2].

قال مقاتل[3]: منهم: عبد الله بن الزبعرى السهمي، وأبو سفيان بن الحارث، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، ومسافع بن عبد مناف الجمحي، وأبو عزة عمرو بن عبدالله، كلهم من قريش، وأمية بن أبي الصلت الثقفي، تكلموا بالكذب والباطل، وقالوا: نحن نقول مثل ما يقول محمد، واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم ويروون عنهم.

﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾ مجازٌ عن ذهابهم في كل فن من فنون الشعر، واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في القول، حتى أنهم يُفضِّلُون الجبان على الشجاع، والشحيح على الجواد، ويُفسّقون العدل، ويُعدّلون الفاسق، ويقولون: فعلنا ولم يفعلوا، وقلنا ولم يقولوا، فذلك قوله: ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾.

ويروى: أن سليمان بن عبدالملك سمع الفرزدق ينشد:

فَبِتْنَ بجانبيَّ مُصَرَّعَاتٍ وَبِتُّ أَفُضُّ أغلاقَ الخِتَام[4]

فقال سليمان: قد وجب عليك الحَدُّ، فقال الفرزدق: يا أمير المؤمنين، قد درأ الله عني الحدَّ بقوله: ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾.

قرأتُ على أبي القاسم علي بن أبي منصور الموصلي، أخبركم ابن بَوْش فأقرَّ به

---

(١) في الأصل: شعر. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٥٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٧).

(٤) البيت للفرزدق، انظر: ديوانه، واللسان (مادة: غلق، ختم)، والطبري (٣٠/ ١٠٧)، والقرطبي (١٣/ ١٤٨)، وروح المعاني (١٩/ ١٥٢).

قال: أخبرنا أبو العز بن كادش، أخبرنا الجازري، أخبرنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري، حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي، حدثني أبو عبدالله أحمد بن فراس الشامي، حدثنا الجهم بن بدر، قال الكرماني[1] في خَلُوب جارية الرشيد شِعْراً، فبلغ الرشيد، فوجّه إليه وأقعد الرشيد خلوب خلف سِتْر، ومرّ الكرماني بالفضل بن الربيع فقال: إن أمير المؤمنين قد وجّه إليّ فأنشده إن استنشدني، قال: نعم بعد الأمان، فلما دخل قال الرشيد: أنت الكرماني؟ قال: نعم، قال: أنشدني؟ قال: في الزهد، قال: لست هناك، قال: ففي المديح، قال: ولا، قال: فما أنشدك يا أمير المؤمنين؟ قال: شعرك في خَلُوب، قال: بعد الأمان يا أمير المؤمنين، فأنشده قوله فيها حتى بلغ:

لَوْ لَمْ أذقْها طابَ لي حُبُّها لكنَّني ذقْتُ فلا ذقْتُ

فخرجت خَلُوب من وراء الستر فقالت: والله يا أمير المؤمنين ما ذُقْتُهُ ولا ذاقني، ولا رأيته ولا رآني، وقد أقرّ بالزنا، فحُدَّهُ يا أمير المؤمنين، قال: يا خَلُوب، قد أعطيناه الأمان، قالت: الأمان في حدٍّ من حدود الله؟ قال: قد سمعت يا كرماني، قال: يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ قال: صدقت، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

ثم إن الله سبحانه وتعالى استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين ذِكْرُ الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من قول الشعر، فقال: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا﴾ أي: انتصروا من شعراء المشركين

---

(١) في هامش ب: كرمان: بالفتح ثم السكون، وربما كسرت الكاف. ذكره في المعجم قال: والفتح أشهر (انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٥٤).

بهجْوِهِم والردّ عليهم، ﴿من بعد ما ظلموا﴾ لأنهم بدأوهم بالهجاء.

وفي الصحيحين من حديث حسان بن ثابت قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((أُهجهم أو هاجهم وروح القدس معك))[١].

فصل

لا خلاف بين أهل العلم في جواز قول الشعر ما لم يشتمل على إثم أو مكروه، والضابط لذلك قول عائشة رضي الله عنها: ((الشعر كلام، فمنه حسن ومنه قبيح، فَخُذِ الحسن وَدَعِ القبيح))[٢].

قال الشعبي: كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة[٣].

ثم توعد الله تعالى شعراء المشركين فقال: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

وقرأ أبي بن كعب وابن عباس في آخرين: «أي مُنْفَلَتٍ ينفلتون» بالفاء والتاء[٤].

قال الزجاج[٥]: «أيّ» منصوبة بقوله: «ينقلبون»، لا بقوله: "سيعلم"؛ لأن «أيّاً» وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها[٦].

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٦ ح٣٠٤١)، ومسلم (٤/ ١٩٣٣ ح٢٤٨٦).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٦-٣٦٧)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١٢٢٥).

(٤) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٥٢)، والدر المصون (٥/ ٢٩٣).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٠٥).

(٦) أي: إن «أي» مفعول مطلق، أيْ ينقلبون أيّ انقلاب.

قال مكحول: أوحى الله تعالى إلى موسى: قل لبني إسرائيل تجنبوا الظلم، فوعزتي وجلالي إن له عندي مغبَّةَ سَوْء. قال موسى: يا رب وما مغبّته؟ قال: أن[1] أُثْكِلُ فيه الولد، وأُقَصِّرُ فيه الأجل، ثم الثواء بعد ذلك النار.

وقال شريح: سيعلم الظالمون حظَّ من نقصوا، إن الظالم [ينتظر][2] العقاب والمظلوم ينتظر النصر[3].

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾: إلى جهنم والسعير[4].

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) في الأصل: ينظر. والتصويب من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٥٢).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٧).

سورة النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ثلاث وتسعون آية، وهي مكية بإجماعهم.

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿طس﴾ قال ابن عباس: هو اسم من أسماء الله تعالى، أقسم الله تعالى به[١].

وقال في رواية أخرى: هو اسم الله الأعظم[٢].

وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن[٣].

وقيل: الطاء من لطيف، والسين من سميع[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ١٣١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٠) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٥٤).

﴿تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ سبق القول عليه في سورة الحجْر[١].

قوله تعالى: ﴿هدى وبشرى﴾ في محل الرفع، على معنى: هي هـدى، أو عـلى البدل من "آيات"، أو نقول: "تلك" مبتدأ، "آيات القرآن" خبره، «هدى» خبر بعد خبر.

ويجوز أن يكون في محل النصب على الحال، والتقدير: تلك آيات القرآن هادياً ومبشراً، والعامل فيها ما في "تلك" من معنى الإشارة[٢].

فإن قيل: ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ ما محلها؟

قلت: إما أن تكون في محل الحال، فتكون من جملة صلة الموصـول، وإمـا أن تكون جملة اعتراضية، فتكون الصلة تامة عند قوله: ﴿ويؤتون الزكـاة﴾، المعنـى: وهؤلاء الذين يؤمنون ويقيمون ويؤتون هم الموقنون بالآخرة[٣].

وما لم يُفسَّر[٤] هاهنا فهو مُفسرٌ فيما مضى إلى قوله: ﴿أولئك الذين لهـم سـوء العذاب﴾ وهو أقبحه وأشدّه.

والمراد: ما أصابهم من الذلّ والصغار والقتل والأسْر في يوم بدر وغيره.

﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ أي: هم أشد الناس خساراً؛ لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم وصاروا إلى النار، [وفاتهم][٥] ما لم يكن ليتهيأ لغيرهم من أنهـم

---

(١) عند الآية رقم: ١.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٧١)، والدر المصون (٥/ ٢٩٤-٢٩٥).

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٥٢): وهو الوجه.

(٤) في ب: أفسره.

(٥) في الأصل: فاتهم. والتصويب من ب.

لو آمنوا لكانوا شهداء على جميع الأمم.

قوله تعالى: ﴿وإنك لتلقى القرآن﴾ أي: لتؤتاه ويُلْقَى عليك فتتلقاه، ﴿من لدن حكيم عليم﴾ أي: من عند أيّ حكيم وأيّ عليم، وهذا معنى مجيئهما نكرتين.

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿إذ قال موسى لأهله﴾ أي: اذكر يا محمد إذ قال موسى لامرأته: ﴿إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر﴾ عن الطريق، ﴿أو آتيكم بشهاب قبس﴾.

قرأ أهل الكوفة: «بِشِهَابٍ» بالتنوين، وقرأ الباقون بالإضافة[1].

قال الزجاج[2]: من نوَّن جعل «قَبَس» من صفة الشهاب.

وقال غيره: "قبس" بدل من "شهاب".

ومن أضاف؛ فقال الفراء[3]: هو مما يضاف إلى نفسه إذا اختلف الاسمان،

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٢٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٢-٥٢٣)، والكشف (٢/ ١٥٤)، والنشر (٢/ ٣٣٧)، والإتحاف (ص:٣٣٥)، والسبعة (ص:٤٧٨).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٠٨).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٢٨٦).

كقوله تعالى: ﴿ولدار الآخرة﴾ [يوسف:١٠٩].

وأبى هذا القول نُحاة البصرة وقالوا: الشيء لا يُضاف إلى نفسه وإنما يضاف إلى غيره لتخصُّصه أو تعرُّفه، فأما قوله تعالى: ﴿ولدار الآخرة﴾ فتقديره: ولدار الساعة الآخرة، على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، ومثله: ﴿وحب الحصيد﴾ [ق:٩] أي: وحَبّ النبت الحصيد.

ومن كلامهم: صلاة الأولى، ومسجد الجامع، والتقدير فيهما: صلاة الفريضة الأولى، ومسجد اليوم الجامع.

وقال الزمخشري[١]: الشِّهاب: الشُّعْلة، والقَبَس: النار المقبوسة، وإضافة الشهاب إلى القبس؛ لأنه يكون قبساً وغير قبس.

﴿لعلكم تصطلون﴾ أي: تستدفئون من البرد، وكان ذلك في شدة الشتاء.

﴿فلما جاءها نودي أن بورك﴾[٢] "أنْ" هي المفسرة؛ لأن النداء فيه معنى القول، والتقدير: قيل له: بورك.

﴿من في النار﴾ قال ابن عباس والحسن: أي قُدِّسَ من في النار، وهو الله عز وجل[٣].

﴿ومن حولها﴾ من الملائكة.

والمعنى: قُدِّسَ من ناداه من النار؛ لأن الله تعالى لا يَحِلُّ في شيء.

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٥٤).

(٢) في الأصل زيادة: في النار. وهو خطأ.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٣٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

وقيل: "بُورك" فُوعِلَ من البركة، وهو على حذف المضاف، على معنى: بُورك من في طلب النار، فتكون تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة، كما حيّا آل إبراهيم بالبركة على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه، في قوله تعالى: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ [هود:٧٣].

وقيل: "مَنْ" زائدة؛ كقول الشاعر:

فكفى بنا فَضْلاً على مَنْ غيرنا ... حُبُّ النبي محمدٍ إيانا[١]

والتقدير: بورك[٢] في النار، وهذا معنى قول مجاهد[٣].

وقيل: المعنى: بورك من في النار من الملائكة، ومن حولها وهو موسى؛ لأنه كان بالقُرب منها ولم يكن فيها.

وقيل: المعنى: بورك في مكان النار، وهو عام في كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي، ومن حولها من أرض الشام، كما قال تعالى: ﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ [الأنبياء:٧١].

وحقيق لتلك الأرض أن تكون بالبركة موصوفة؛ لأنها مَقَرُّ الأنبياء ومستودَعُهُم، أحياءً وأمواتاً، ومهبط الوحي والملائكة.

قوله تعالى: ﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ الضمير في "إنه" ضمير

---

(١) البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه، انظر: الطبري (١/ ١٧٩، ٤/ ١٥٠)، وروح المعاني (١/ ١٨٥).

(٢) في الأصل زيادة قوله: من.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤١) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

الشأن، «أنا الله» مبتدأ وخبر، «العزيز الحكيم» صفتان للخبر[١].

وقال الفراء[٢]: الهاء في «إنه» عِمَادٌ.

وقال السدي: هي كناية عن المنادي؛ لأن موسى قال: من هذا الذي يناديني؟ فقيل: إنه أنا الله[٣].

قوله تعالى: ﴿وألق عصاك﴾ عطف على ﴿أن بورك﴾[٤]، وفيه إضمار تقديره: فألقاها.

﴿فلما رآها تهتز كأنها جَانٌّ﴾ قال الفراء[٥]: وهي الحية التي ليست بالعظيمة ولا بالصغيرة.

وقال الزجاج[٦]: "تهتز": تتحرّك كما يتحرك الجانّ في الخفة، وهي في صورة الثعبان العظيم من الحيات.

﴿ولّى مدبراً ولم يعقّب﴾ قال قتادة: لم يلتفت[٧].

وقال الزجاج[٨]: يرجع.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٧٢)، والدر المصون (٥/ ٢٩٧).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٨٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٥٦).

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٩٧).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٢٨٧).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ١٠٩).

(٧) أخرجه الطبري (١٩/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٤٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٨) معاني الزجاج (٤/ ١٠٩).

وقال غيره[١]: يقال: عَقَّبَ [المقاتل][٢]؛ إذا كرّ بعد الفرار[٣]. قال الشاعر:

فما عَقَّبُوا إذْ قيلَ هلْ من معقِّبٍ ولا نَزَلُوا يوم الكريهةِ مَنْزِلا[٤]

﴿يا موسى لا تخف إني لا يخاف لديّ المرسلون﴾ قال ابن عباس: لا يخاف عندي من أرسلته[٥].

قوله تعالى: ﴿إلا من ظلم﴾ استثناء متصل[٦]، على معنى: إلا من ظلم منهم نفسه، بأن فرطت منه صغيرة يجوز مثلها على الأنبياء؛ كالذي فرط من يونس وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام.

والمراد -والله تعالى أعلم-: التعريض لموسى بِوَكْزِهِ القبطي، وسماه ظلماً كما قال موسى: ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ [القصص:١٦].

﴿ثم بدّل حُسْناً بعد سوء﴾ وفيه إضمار، تقديره: فإنه يخاف، وحذف لدلالة ما قبله عليه.

وقال أكثر المفسرين: هو استثناء منقطع[٧].

المعنى: لكن من ظلم ثم بدّل حسناً ندماً وتوبةً وعملاً صالحاً بعد سوء ﴿فإني

---

(١) هو قول الزمخشري، انظر: الكشاف (٣/ ٣٥٥).

(٢) في الأصل: القاتل. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) انظر: اللسان (مادة: عقب).

(٤) انظر البيت في: البحر المحيط (٧/ ٥٥)، والدر المصون (٥/ ٢٩٨)، وروح المعاني (١٩/ ١٦٣)، والكشاف (٣/ ٣٥٥).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٩).

(٦) وهو اختيار الطبري في تفسيره (١٩/ ١٣٧).

(٧) انظر: التبيان (٢/ ١٧٢)، والدر المصون (٥/ ٢٩٨).

غفور رحيم﴾.

وحكى الفراء[١]: أن «إلاّ» بمعنى الواو، تقديره: ومن ظلم.

وقرأ أبي بن كعب وسعيد بن جبير وعاصم الجحدري: «ألاَ مَنْ ظُلِمَ» بحذف التنبيه[٢].

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء وأبي عمرو الياسري لأبي عمرو من رواية عبد الوارث عنه: «حَسَناً» بفتح الحاء والسين[٣].

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وأدخل يدك في جيبك﴾ وهو ما جِيبَ من القميص، أي: قُطِعَ.

قال ابن جرير[٤]: إنما أمر بإدخال يده في جيبه؛ لأنه كان حينئذ عليه مدرعة من صوف ليس لها كُمّ.

﴿في تسع آيات﴾ أي: في جملة تسع آيات، وقد ذكرناها في بني إسرائيل[٥].

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٢٨٧).

(٢) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٥٧).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٣٥).

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ١٣٨).

(٥) عند الآية رقم: ١٠١.

﴿إلى فرعون وقومه﴾ أي: مبعوثاً أو مرسـولاً إلـيهم، ﴿فلـما جـاءتهم آياتنـا مبصرة﴾ بينة واضحة.

وقرأ قتادة وعلي بن الحسين: «مَبْصَرَة»(١).

قال أبو الفتح ابن جني(٢): قد كَثُرَت المَفْعَلَة [بمعنى الـشِّياع والكثـرة](٣) في الجواهر والأَحداث، كقولهم: أرض مَضَبَّةٌ: كثيرة الضباب، ومَحْيَاة: كثيرة الحيّات، ومَحْوَاة أيضاً، ومَفْعَاة: كثير الأفاعي.

وأما الأَحداث؛ كقولك: البطْنَة مَوْسَنَة، وأكل الرطب [مَـوْرَدَة](٤)، ومنـه: المَسْعَاة والمَعْلاة.

وقال الزمخشري(٥): هي نحو مَجْبَنَة ومَبْخَلَة [ومَجْفَرَة](٦)، أي: مكاناً يكثر فيه التبصر.

قال الزمخشري(٧): جعل [الإبصار لها وهـو في الحقيقـة](٨) لمتأملهـا؛ لأنهـم

---

(١) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٥/ ٥٢)، والدر المصون (٥/ ٣٠٠).

(٢) المحتسب (٢/ ١٣٦).

(٣) زيادة من المحتسب، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: موروده. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

ومَوْرَدَة: محمّة، مِن وردته الحمّى: أخذته لوقت. والقياس: مورِدة -بكسر الراء-، وهي مضبوطة كذلك بالقلم في «اللسان»، لكن كلام ابن جني يفيد أنها مفتوحتها، فقد يكون فيهـا لغتـان، وقـد يكون الكسر تحريفاً في اللسان. (راجع اللسان، مادة: ورد).

(٥) الكشاف (٣/ ٣٥٧).

(٦) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) الكشاف (٣/ ٣٥٦).

(٨) في الأصل: الإبصار وهي الحقيقة. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

لابسوها، وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها. ويجوز أن يراد بحقيقة الإبصار: كل ناظر فيها من كافة أولي العقل، وأن يراد أيضاً[(١)] فرعون وقومه؛ لقوله: ﴿واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾، أو جُعلت كأنها تبصر فتهدي؛ لأن العُمْي لا تقدر على الاهتداء، فضلاً عن أن تَهْدِي غيرها، ومنه قولهم: كلمة عَيْنَاء، وكلمة عَوْرَاء؛ لأن الكلمة الحسنة تُرشد، والسيئة تُغوي.

﴿قالوا هذا﴾ إشارة إلى ما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام ﴿سحر مبين﴾.

﴿وجحدوا بها﴾ أي: [بالآيات][(٢)]، ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ هذه واو الحال، و"قد" بعدها مضمرة، تقديره: وجحدوا[(٣)] بالآيات وقد استيقنتها أنفسهم.

﴿ظلماً وعلواً﴾ أي: شركاً وتكبراً عن اتباع موسى.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً﴾ قال ابن عباس: علماً بالقضاء، وبكلام الطير والدواب، وتسبيح الجبال[(٤)].

---

(١) في الكشاف: إبصار.

(٢) في الأصل: الآيات. والمثبت من ب.

(٣) في الأصل و ب زيادة: بها وقد بعدها مضمرة تقديره: وجحدوا. وهو تكرار.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٥٩) بلا نسبة.

﴿وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ بالعلم والنبوة، وإلانة الحديد، وتسخير الشياطين والجن والإنس.

وفي هذه الآية دليلٌ ظاهرٌ وبرهانٌ باهرٌ على شرف العلماء وإنافة محلهم، ودلائل شرفهم النقلية والعقلية كثيرة، ولو لم يكن لهم من مراتب الإنافة إلا أن الله تعالى فضّلهم على الكافّة، فقال: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة:١١]. اللهم فألبسنا من مدارعه أضفاها، وأوردنا من مشاربه[١] أصفاها.

قوله تعالى: ﴿وورث سليمان داود﴾ يعني: ورث منه النبوة والملك والعلم دون سائر بنيه، وكان له تسعة عشر ذَكَرَاً، فخُصَّ بذلك من بينهم.

﴿وقال﴾ ذاكراً لإحسان الله تعالى إليهم وشاكراً لأنعمه عليهم ﴿يا أيها الناس علّمنا منطق الطير﴾ أي: فُهِّمْنا لغة الطير.

قال قتادة: والنمل من الطير[٢].

ويروى: أن سليمان عليه السلام مَرَّ على بلبل في شجرة يحرّك رأسه ويميل ذَنَبَه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ قالوا: الله ونبيه أعلم، قال: يقول: أكلت نصف تمرة، فعلى الدنيا العفاء[٣].

---

(١) في ب: مشارعه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٧) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٥)، والمناوي في فيض القدير (١/ ٨٧).

وصاحت فَاخِتَةٌ[١] يوماً فقال: إنها تقول: ليت ذا الخَلْقَ لم يُخْلَقُوا[٢].

وصاح طاووس[٣] فقال: يقول: كما تدين تدان[٤].

وصاح هُدْهُدٌ[٥] فقال: يقول: استغفروا الله يا مذنبين[٦].

وصاح طِيْطَوَى[٧] فقال: يقول: كل حي ميت، وكل جديد بَال[٨].

وصاح خُطَّافٌ[٩] فقال: قدموا خيراً تجدوه[١٠].

وصاحت رَخَمَةٌ[١١] فقال: تقول: سبحان ربي الأعلى، ملأ سمائه وأرضه[١٢].

وصاح قُمْرِيٌ[١٣] فأخبر أنه يقول: سبحان ربي الأعلى[١٤].

---

(١) الفَاخِتَة: واحدة الفواخِت، وهي ضربٌ من الحمام المطوّق (اللسان، مادة: فخت).

(٢) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٥)، والمناوي في فيض القدير (١/ ٨٧).

(٣) الطاووس: طائر حسن (اللسان، مادة: طوس).

(٤) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٥).

(٥) الهدهد: طائر معروف، وهو مما يقرقر (اللسان، مادة: هدد).

(٦) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٥-١٦٦).

(٧) الطيطوى: ضربٌ من الطير معروف (اللسان، مادة: طيط).

(٨) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦)، والمناوي في فيض القدير (١/ ١٠٢).

(٩) الخُطّاف: طائر معروف، وقيل: هو العصفور الأسود، وهو الذي تدعوه العامة: عصفور الجنة، وجمعه: خطاطيف (اللسان، مادة: خطف).

(١٠) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦).

(١١) الرَّخَمَة: طائر أبقع على شكل النِّسْر خِلْقَة إلا أنه مُبَقَّعٌ بسواد وبياض (اللسان، مادة: رخم).

(١٢) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦).

(١٣) القُمْري: طائر يشبه الحمام القُمْر البيض (اللسان، مادة: قمر).

(١٤) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦).

وقال: الحِدَأة[1] تقول: كل شيء هالك إلا الله[2].

والقَطَاة[3] تقول: من سكت سلم[4].

والببغاء يقول: ويل لمن الدنيا همّه[5].

والديك يقول: اذكروا الله يا غافلين[6].

والنسر يقول: يا ابن آدم عِشْ ما شئت آخرُكَ الموت[7].

والعُقاب[8] يقول: في البُعد من الناس أُنْس[9].

والضِّفْدَع يقول: سبحان ربي القدوس[10].

قوله: ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ قال الزجاج[11]: من كل شيء يجوز أن يُؤتاه الأنبياء والناس.

وقيل: أراد بقوله: «وأوتينا من كل شيء»: كثرة ما أوتي، كما تقول: فلان يقصده كل أَحَدٍ، ويعلم كل شيء، يريد: كثرة قُصَّادِهِ ورجوعه إلى غزارةٍ في العلم

(١) الحدأة: طائر معروف يصيد الجرذان (اللسان، مادة: حدأ).

(٢) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦).

(٣) القطاة: طائر معروف، سمي بذلك لثِقَل مشيه (اللسان، مادة: قطا).

(٤) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦).

(٥) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦).

(٦) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦)، والمناوي في فيض القدير (١/ ٣٨٠).

(٧) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦)، والمناوي في فيض القدير (١/ ١٠٢).

(٨) العُقاب: طائر من العِتاق (اللسان، مادة: عقب).

(٩) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦).

(١٠) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦).

(١١) معاني الزجاج (٤/ ١١١).

واستكثارٍ منه. ومثله قوله: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ [النمل:٢٣].

أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه في كتاب الزهد[١] بإسناده عن ابن أبي نجيح قال: قال سليمان عليه السلام: ((أوتينا ما أوتي الناس وما لم يؤتوا، وعُلّمنا ما عُلّم الناس وما لم يُعَلَّمُوا، فلم نجد شيئاً أفضل من ثلاثةٍ: كلمة الحلم في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله تعالى في السر والعلانية))[٢].

وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال: أعطي سليمان عليه السلام مُلْك مشارق الأرض ومغاربها، فَمَلَكَ[٣] أهلَ الدنيا كلَّهم من الجن والإنس والدواب والطير والسباع، وأُعطي علم كل شيء، وفي زمانه صُنعت الصنائع العجيبة فذلك قوله تعالى: ﴿علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء﴾[٤].

قوله تعالى: ﴿إن هذا لهو الفضل المبين﴾ أي: الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا.

قال بعضهم: هو قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة، كما قال رسول الله ﷺ: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))[٥].

قوله تعالى: ﴿وحشر لسليمان جنوده﴾ أي: وجُمع له جنوده ﴿من الجن والإنس والطير﴾ كل صنف على حِدَةٍ، وكان ذلك في مسير له.

---

(١) في الأصل زيادة قوله: له.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٥١).

(٣) في ب: وملك.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٦٤٣ ح٤١٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٥) وعزاه للحاكم في المستدرك.

(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٨ ح٣١٤٨).

وقد روي: أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ، خمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة صريحة، وسبعمائة سُرِّيَّة[(١)].

وقد نَسَجَت له الجن بساطاً من ذهب وإبريسَم فرسخاً في فرسخ، وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة، فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، وحول الناس الجن والشياطين، والطير تُظله بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس، ويأمر الريح العاصف فترفعه، ويأمر الرُّخَاء فتسير به. فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض أني قد زدت في ملكك، لا يتكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمعك[(٢)].

فروي: أنه مرّ بحرَّاث فقال الحرَّاث: سبحان الله! لقد أُوتي آل داود ملكاً عظيماً، فألقَتْهُ الريح إليه فنزل ومشى إلى الحرَّاث فقال: لتسبيحة واحدة خير مما أوتي آل داود[(٣)].

قوله تعالى: ﴿فهم يوزعون﴾ أي: يحبس أولهم على آخرهم؛ لئلا يتخلف منهم

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٦٤٤ ح٤١٤١)، والطبري (١٩/ ١٤١) كلاهما عن محمد بن كعب. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٥) وعزاه للحاكم عن محمد بن كعب.

(٢) انظر: الوسيط (٣/ ٣٧٢-٣٧٣)، والقرطبي (١٣/ ١٦٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٩) عن وهب بن منبه. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٦) وعزاه لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر عن وهب بن منبه.

أحد.

قال ابن قتيبة[١]: أصل الوَزْع: الكَفُّ والمنع، يقال: وزَعتُ الرجل، أي: كَفَفْتُه[٢].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩﴾

قوله تعالى: ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل﴾ أي: أشرفوا عليه.

قال كعب: هو وادٍ بالطائف[٣].

وقال قتادة: بالشام[٤].

﴿قالت نملة يا أيها النمل﴾ أي: صاحتْ بصوت، فلما كان ذلك الصوت مفهوماً عبّر عنه بالقول، ولما كان النمل ينطق كنطق الآدميين [أجري مجرى

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣٢٣).

(٢) انظر: اللسان (مادة: وزع).

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ١٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٦١).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٧) وعزاه لابن أبي حاتم.
وقد ردّ ابن كثير في تفسيره قول من قال: أن الوادي بالشام، فقال: ومن قال من المفسرين أن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره وأن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها (تفسير ابن كثير ٣/ ٣٦٠).

الآدميين][1] فقيل: ﴿ادخلوا﴾.

واختلفوا في صفة النملة فقيل: كانت كهيئة النعجة.

وقيل: كانت صغيرة.

وظاهر القرآن يدل على أنها كانت أنثى.

ويروى: أن قتادة دخل الكوفة فالتفّ عليه الناس فقال: سلوا عما شئتم، وكان أبو حنيفة حاضراً -وهو غلامٌ حَدَثٌ-، فقال: سلُوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى، فسألوه فلم يُجِزْ جواباً، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، فقيل له: من أين عرفت ذلك؟ فقال: من كتاب الله، وهو قوله: ﴿قالت نملة يا أيها النمل﴾، ولو كان ذكراً لقال: قال نملة[2]. وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى، فيميز بينهما بعلامة، نحو قولهم: حمامة ذَكَرٌ وحمامة أنثى، وهو وهي[3].

قوله تعالى: ﴿لا يحطمنّكم﴾ أصل الحَطْم: الكَسْر.

قال الفراء[4]: هذا نهي فيه ظرفٌ من الجزاء.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) وردّ هذا أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٥٩) فقال: ولحوق التاء في "قالت" لا يدل على أن النملة مؤنث، بل يصح أن يقال في المذكر: قالت نملة، لأن نملة، وإن كان بالتاء، هو مما لا يتميز فيه المذكر من المؤنث. وما كان كذلك، كالنملة والقملة، مما بينه في الجمع وبين واحده من الحيوان تاء التأنيث، فإنه يخبر عنه إخبار المؤنث، ولا يدل كونه يخبر عنه إخبار المؤنث على أنه ذكر أو أنثى، لأن التاء دخلت فيه للفرق، لا دالة على التأنيث الحقيقي، بل دالة على الواحد من هذا الجنس.

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٦١).

(٤) لم أقف عليه في معاني الفراء.

وقال الزمخشري(١): يحتمل أن يكون جواباً للأمر، وأن يكون [نهياً](٢) بدلاً من الأمر. والذي جوّز أن يكون بدلاً منه: أنه في معنى: لا تكونوا حيث أنتم فيحْطِمَكُم، [على](٣) طريقة: لا أرينَّك هاهنا.

﴿سليمان وجنوده﴾ أراد: لا [يحطمنّكم](٤) جنود سليمان، فجاء بما هو أبلغ، ونحوه: عجبت من نفسي وإشفاقِها.

﴿وهم لا يشعرون﴾ أي: لا يعلمون بحطْمِكُم ووطئكم(٥).

وقال ابن عباس: المعنى: وأصحاب سليمان لا يشعرون بكلام النملة(٦). فيكون كلاماً مستأنفاً أخبر الله تعالى به أن أصحاب سليمان لا يعلمون ما قالت النملة، مُعَرِّضاً بتفضيل سليمان وامتيازه على الخلق بإحاطته بقولها.

قال مقاتل(٧): سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال.

قال بعض العلماء: الآية من عجائب القرآن؛ لأنها بلفظة "يا": نادتْ، "أيها": نَبَّهَت، "النمل": عَيَّنَت، "ادخلوا": أمَرَت، "مساكنكم": نَصَّتْ، "لا يحطمنكم":

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٦١).

(٢) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: يحطنكم. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) قال الآلوسي (١٩/ ١٧٧): وهذا يشعر بأدب النملة مع سليمان عليه السلام وجنوده. وليت من طعن في أصحاب النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنهم تأسّى بها فكفّ عن ذلك وأحسن الأدب.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٦٢).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٢).

حَذَّرت، "سليمان": خصّت، "وجنوده": عَمّت، "وهم لا يشعرون": عَذَرَت[١].

قوله تعالى: ﴿فتبسّم ضاحكاً من قولها﴾ «ضاحكاً» حال مُقدَّرة[٢]، والتقدير: فتبسّم مُقَدِّراً الضحك، ولا يكون محمولاً على الظاهر، أعني: الحال المطلق؛ لأن التبسّم غير الضحك.

وقال الزجاج[٣]: «ضاحكاً»: حال مؤكدة؛ لأن تبسَّم بمعنى ضَحِكَ.

وقال صاحب الكشاف[٤]: أي: تبسّم شارعاً في الضحك، آخذاً فيه، بمعنى: أنه قد [تجاوز][٥] حَدَّ التبسم إلى الضحك، وكذلك ضحك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وأما ما روي أن النبي ﷺ ضحك حتى بدتْ نواجذه؛ فالغرض: المبالغة في وصف ما وُجد منه من الضحك النبوي، وإلا فبدُوّ النواجذ على الحقيقة إنما يكون عند الاستغراب -يريد: القهقهة-.

وقرأ ابن السميفع: «ضَحِكاً»[٦].

فإن قلت: ما أضحكه من قولها؟

قلت: شيئان: إعجابه بما دلّ عليه قولها من ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم، وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى، وذلك قولها: ﴿وهم لا

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٦٢).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٧٢)، والدر المصون (٥/ ٣٠٤).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ١١٢).

(٤) الكشاف (٣/ ٣٦١-٣٦٢).

(٥) في الأصل: جاوز. والمثبت من ب، والكشاف (٣/ ٣٦١).

(٦) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣٠٤).

يشعرون﴾. يعني: أنهم لو شعروا لم يفعلوا، وسروره بما آتاه الله [مما][1] لم يؤت أحداً: من إدراكه بسمعه ما همس به بعض الحُكْلِ[2] الذي هو مَثَلٌ في الصغر والقلّة، ومن إحاطته بمعناه. ولذلك اشتمل دعاؤه على [استيزاع][3] الله شكر ما أنعم [به][4] عليه من ذلك، فقال: ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك﴾.

قال الزجاج[5]: تأويله في اللغة: كُفَّنِي عن الأشياء إلا عن شُكْرِ نعمتك.

﴿التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ﴾ قال الزجاج[6]: إنما أدْرَجَ ذكر والديه؛ لأن النعمة على الولد نعمة على الوالدين، [خصوصاً][7] النعمة الراجعة إلى الدين، فإنه إذا كان تقياً نفعهما بدعائه وشفاعته، وبدعاء المؤمنين لهما بسببه.

ويحتمل عندي: أن يكون سأل ربه أن يُلهمه شكر نعمته عليه ونعمته على والديه؛ لأن النعمة عليهما نعمة عليه.

وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وتفقد الطير﴾ أي: طلب ما فُقِد منه، ﴿فقال ما لي لا أرى

---

(١) في الأصل و ب: ما. والمثبت من الكشاف (٣/ ٣٦٢).

(٢) الحُكْلُ من الحيوان: ما لا يُسمع له صوت كالذرّ والنمل (اللسان، مادة: حكل).

(٣) في الأصل: استرجاع. والتصويب من ب، والكشاف (٣/ ٣٦٢).

(٤) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١١٢-١١٣).

(٦) لم أقف عليه في المطبوع من معاني الزجاج.

(٧) في الأصل: خصوصة. والتصويب من ب.

الهدهد﴾ هذا من مقلوب الكلام، أي: ما للهدهد لا أراه، وجاز مثل ذلك لوضوح المعنى، كما تقول العرب: ما لي أراك مكتئباً، أي: مَا لَكَ.

﴿أم كان من الغائبين﴾ قال: معناه: بل كان من الغائبين.

وقال الزمخشري[١]: «أم» هي المنقطعة، نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره فقال: ما لي لا أراه، على معنى: أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك، ثم لاح له أنه غائب، فأَضْرَبَ عن ذلك وأخذ يقول: أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحّة ما لاح له. ونحوه قولهم: إنها لإبل أم شاءٌ؟

قال ابن عباس: نزل سليمان مَنْزِلاً ولم يدْر ما بُعْد الماء، وكان الهدهد يدلُّه على الماء إذا أراد أن ينزل، فلما فَقَدَهُ سأل عنه، وذلك أن الهدهد يرى الماء في الأرض كما يرى الماء في الزجاجة[٢].

ويروى: أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس: تزعم أن الهدهد يرى مسقاة الماء وأن الصبيّ يضعُ له الفخ فيُغطّي عليه شيئاً من التراب فيجيء فيقعُ فيه؟ فقال: ويحك، أما علمت أن القَدَر يحول دون البَصَر[٣].

وقال بعض المفسرين: إنما طلبه؛ لأن الطير كانت تظلهم من الشمس، فأَخَلَّ

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٦٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٣).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٠ ح٣٥٢٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والطبري (١٩/ ١٤٤)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٣٦ ح٣١٨٥٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٥٩- ٢٨٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٨-٣٤٩) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس.

الهدهد بمكانه فطلعت الشمس عليهم من الخلل[(١)].

ثم إنه توعده على غيبته فقال: ﴿لأعذبنّه عذاباً شديداً﴾ قال ابن عباس: أراد نَتْفَ ريشه[(٢)].

وقيل: نَتْفَ ريشه[(٣)] وصَهْره في الشمس مَطْلِياً بالقطران.

وقيل: إيداعه القَفَص.

وقيل: التفريق بينه وبين إلْفِه.

وقيل: حشْره مع غير جنسه[(٤)].

﴿أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ حجة ظاهرة في إقامة عذره.

قرأ ابن كثير: «ليأتينَّني» بنونين، إحداهما مشددة على الأصل، والباقون كرهوا اجتماعهن، فحذفوا النون التي تصحب ياء المتكلم[(٥)].

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٢٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٦٤).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٠ ح٣٥٢٥)، والطبري (١٩/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٦٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٩) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والحاكم وصححه.

(٣) قال السيوطي في الإكليل (ص:٢٠١): ويستدل بالآية على جواز تأديب الحيوانات والبهائم بالضرب عند تقصيرها في المشيء أو إسراعها أو نحو ذلك، وعلى جواز نتف ريش الحيوان لمصلحة بناء على أن المراد بالتعذيب نتف ريشه.

(٤) ذكر هذه الأقوال كلها ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ١٦٤).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٤)، والكشف (٢/ ١٥٤-١٥٥)، والنشر (٢/ ٣٣٧)، والإتحاف (ص:٣٣٥)، والسبعة (ص:٤٧٩).

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَكُثَ غير بعيد﴾ وقرأ عاصم بفتح الكاف[1]، وهما لغتان، والفتح أقيس؛ لأن اسم الفاعل منه: ماكِث. قال الله تعالى: ﴿ماكثين فيه أبداً﴾ [الكهف:٣]، وقال تعالى: ﴿إنكم ماكثون﴾ [الزخرف:٧٧]. وهذا يدل ظاهراً أنه من فَعَلَ -بالفتح-؛ لأن مكان الفاعل من فَعُلَ -بالضم- فعيل، نحو: ظريف وشريف وكريم، من ظَرُفَ وشَرُفَ وكَرُمَ.

والمعنى: فمكث غير زمان بعيد.

وكان سليمان عليه السلام قال للعُقاب: عَلَيَّ بالهدهد، فارتفع فرآه مقبلاً فانصبّ عليه فقال: بالذي قوّاك عليّ وأقدرك إلا ما[2] رحمتني، فتركه وقال: ثكلتك أمك، إن نبي الله قد حلف ليعذبنك عذاباً شديداً أو ليذبحنك، فقال: أَوَما استثنى؟ قال: بلى، فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحه وأقبل يجُرُّهما على

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٥)، والكشف (٢/ ١٥٥)، والنشر (٢/ ٣٣٧)، والإتحاف (ص:٣٣٥)، والسبعة (ص:٤٨٠).

(٢) ساقط من ب.

الأرض تواضعاً لسليمان عليه السلام، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه، فقال: يا نبي الله! اذكر وقوفك بين يدي الله، فارْتعد سليمان عليه السلام وعفى عنه، ثم سأله فقال: ما الذي بطَّأ بك؟ ﴿فقال أحطت بما لم تحط به﴾، أي: علمت شيئاً من جميع جهاته[١].

قال صاحب الكشاف[٢]: كافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمّة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة، ابتلاءً له في علمه، [وتنبيهاً][٣] على أن في أدنى خلق الله وأضعفه من أحاط علماً بما لم يُحِطْ به؛ لتَتَحَاقَرَ إليه نفسه، ويتصاغر إليه علمه، ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء، وأَعْظِمْ بها فتنة. وفيه دليل على بطلان قول الرافضة: أن الإمام لا يخفى عليه شيء، ولا يكون في زمانه أحدٌ أعلم منه.

﴿وجئتك من سبأ﴾ قرأ أبو عمرو والبزي: «سبأَ» بالفتح من غير تنوين على أنه اسم للقبيلة أو المدينة.

قال قتادة: هي أرض باليمن يقال لها: مأرب[٤].

ومَنَعَه الصّرف: التعريف والتأنيث.

قال الشاعر:

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٦٣).

(٢) الكشاف (٣/ ٣٦٤).

(٣) في الأصل: وتنبهاً. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ١٥٢) من حديث طويل، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٥٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

ما سَبَأَ الحاضرينَ مأربَ إذ يَبْنُونَ مِنْ دُون سَيْلِهِ العَرِمَا[١]

وقرأ قنبل بإسكان الهمزة كأنه نوى الوقف، وقرأ الباقون بالجر والتنوين[٢]، وجعلوه اسماً للأب، وهو سبأ بن يُشْجُب ابن قحطان، أو اسماً للحي أو للمكان أو الموضع، فصرفوه. وكذلك اختلافهم في سورة سبأ[٣].

﴿بنبأ يقين﴾ أي: خبر ثابت صادق لا ريبة[٤] فيه.

ثم ذكره فقال: ﴿إني وجدت امرأة تملكهم﴾ يعني: بلقيس بنت شراحيل، وقيل: بنت الهَدْهَاد، ملكة سبأ، وكان أبوها ملك اليمن قد ولده أربعون ملكاً، ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على المُلْك، وكانت هي وقومها مَجُوساً يعبدون الشمس.

وضمير المفعول في "تَمْلِكُهُم" راجع إلى سبأ، فإن أريد القبيلة فلا إشكال، وإن أريد المدينة فالمراد: تملك أهلها.

﴿وأوتيت من كل شيء﴾ قال عطاء: من زينة الدنيا من المال والجنود[٥].

﴿ولها عرش عظيم﴾ قال قتادة: كان عرشها من ذهب قوائمه من جوهر مكلل باللؤلؤ[٦].

---

(١) البيت للنابغة الجعدي. انظر: الكتاب (٣/ ٢٥٣)، ومجاز القرآن (٢/ ١٤٧)، واللسان (مادة: سبأ)، والدر المصون (٥/ ٣٠٥، ٤٠٤)، والقرطبي (١٣/ ١٨١، ١٤/ ٢٨٣)، والماوردي (٤/ ٢٠٣).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٥)، والكشف (٢/ ١٥٥)، والنشر (٢/ ٣٣٧)، والإتحاف (ص:٣٣٥-٣٣٦)، والسبعة (ص:٤٨٠).

(٣) عند الآية رقم: ١٥.

(٤) في ب: مرية.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٥).

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٠). وذكره الماوردي (٤/ ٢٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير =

قال مقاتل[١]: كان[٢] ارتفاعه ثمانين ذراعاً في عرض ثمانين.

قال الزمخشري[٣]: ومن نَوْكَى[٤] القُصَّاص من يقف على قوله: ﴿ولها عرش﴾ ثم يبتدئ: ﴿عظيم * وجدتها﴾ يريد: أمر عظيم أن وجدتها ﴿وقومها يسجدون للشمس﴾ فرَّ من استعظام الهدهد عرشها، فوقع في عظيمة وهو مسخ كتاب الله.

فإن قلت: كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان؟

قلت: يجوز أن يستصغر حالها إلى حال سليمان، فاستعظم لها ذلك العرش، ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وإن عظمت مملكته في كل شيء، كما يكون لبعض أمراء الأطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم أمرهم ويستخدمهم.

فإن قلت: كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين مَحَطِّهِ وبين بلدها قريبة، وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب؟

قلت: لعل الله تعالى أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها، كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام.

فإن قلت: فمن أين للهدهد التهدّي إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود [له][٥] وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وتزيينه؟

= (٦/ ١٦٥).

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٣).

(٢) في ب: وكان.

(٣) الكشاف (٣/ ٣٦٥-٣٦٦).

(٤) الأَنْوَك: الأحمق. وجمعه: النَّوْكَى، والنَّوَاكَةُ: الحماقة، ونَوْكَى: حمقى (اللسان، مادة: نوك).

(٥) زيادة من الكشاف (٣/ ٣٦٦).

قلت: لا يَبْعُدُ أن يُلهمه الله تعالى ذلك، كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوانات المعارف اللطيفة التي لا تكاد العقلاء الرِّجاحُ العقول يهتدون لها.

قوله تعالى: ﴿ألا يسجدوا لله﴾ وقرأ ابن مسعود: «هَلاَّ يسجدوا لله»[(١)].

قال الزجاج[(٢)]: المعنى: فصدهم عن السبيل؛ لئلا يسجدوا لله.

وقال الفراء[(٣)]: فزين لهم الشيطان أعمالهم؛ لئلا يسجدوا.

وقرأ الكسائي: «أَلاَ يَا اسجدوا» [بحرف][(٤)] التنبيه وحرف النداء، والأمر بالسجود[(٥)].

قال أبو عبيدة[(٦)]: هذا أمرٌ من الله مستأنف، يعني: ألا يا أيها الناس اسجدوا لله.

قال أبو علي الفارسي[(٧)] وابن فضّال: العرب تحذف المنادى وتَدَعُ حرف النداء ليدلَّ عليه، قال الشاعر:

يا لَعْنَةُ الله والأقوامِ كُلِّهِـمِ ... والصالحينَ على سَمْعَانَ مِنْ جَارِ[(٨)]

---

(١) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٦٦).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١١٥).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٢٩٠).

(٤) في الأصل: بحذف. والتصويب من ب.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٦-٥٢٧)، والكشف (٢/ ١٥٦)، والنشر (٢/ ٣٣٧)، والإتحاف (ص:٣٣٦)، والسبعة (ص:٤٨٠).

(٦) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٩٣).

(٧) انظر: الحجة (٣/ ٢٣٤-٢٣٥).

(٨) انظر البيت في: أمالي ابن الحاجب (ص:٤٤٨)، وخزانة الأدب (١١/ ١٩٧)، والكتاب =

والتقدير: يا قوم أو يا هؤلاء لعنة الله.

قال [الزجاج][١]: ومثله: قول ذي الرمة[٢]:

ألا يا اسْلَمِي يا دَارَ ميٍّ على البِلَى ... ولا زالَ مُنْهلاً بجرعائِكِ القَطْرُ

وقال العجاج [٣]:

يا دَارَ سَلْمَى يا اسْلَمِي ثم اسْلَمِي ... .

وقال أبو علي[٤]: في هذه القراءة حذفت الألف من «يا» في الوصل؛ لالتقاء الساكنين. وإذا وقف على هذه القراءة: «ألا يا» ويبتدئ: «اسجدوا» فيرد الألف من «يا» التي سقطت في الوصل لالتقاء الساكنين.

قوله تعالى: ﴿الذي يخرج الخبء في السموات والأرض﴾ قال الزجاج[٥]: جاء في التفسير: أن الخبء هاهنا: القَطْرُ من السماء، والنبات من الأرض.

قال ابن قتيبة[٦]: هو من خبأْتُ الشيء؛ إذا أخفيته.

= (٢/ ٢١٩)، وابن الشجري (١/ ٣٢٥، ٢/ ١٥٤)، وابن يعيش (٢/ ٢٤)، وهمع الهوامع (١/ ٧٤، ٢/ ٧٠)، والحجة للفارسي (٣/ ٢٣٤)، والدر المصون (٥/ ٣٠٨).

(١) معاني الزجاج (٤/ ١١٥-١١٦). وفي الأصل: الزجا.

(٢) البيت لذي الرمة، انظر: ديوانه (ص:٢٩٠)، والهمع (١/ ١١١)، والأشموني (١/ ٣٧)، والدر المصون (٥/ ٣٠٧).

(٣) صدر بيت للعجاج، وعجزه: (بِسَمْسَمٍ أو عن يمين سَمْسَم). انظر: ديوانه (ص:٥٨)، وهو في ملحقات ديوان رؤبة (ص:١٨٣)، وابن يعيش (١/ ٨٩٠)، والخصائص (٢/ ١٩٦)، ومجاز القرآن (٢/ ٩٤)، والدر المصون (٥/ ٣٠٨)، واللسان (مادة: سمسم).

(٤) انظر: الحجة (٣/ ٢٣٤-٢٣٥).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١١٦).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٣٢٤). وانظر: اللسان (مادة: خبأ).

وقال غيره: سُمِّيَ المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما، مما خبأه الله عز وجل من غيوبه.

﴿ويعلم ما يخفون وما يعلنون﴾ وقرأ الكسائي وحفص بالتاء فيهما على المخاطبة[١].

وفي قوله: ﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ إشارة إلى تضاؤل عرش بلقيس بالنسبة إليه.

وقرأ الضحاك وابن [محيصن][٢]: «العظيمُ» بالرفع[٣]، صفةً لله عز وجل.

قال ابن زيد: من قوله: ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ إلى هاهنا من كلام الهدهد[٤].

ويجوز أن يكون كلامه تَمَّ عند قوله: ﴿من دون الله﴾، والله أعلم.

فصل

قال الفراء والزجاج[٥]: من قرأ: «ألا يا اسجدوا» بالتخفيف فهو موضع سجود، ومن شدَّد فليس بسجدة.

وهذا غير مستقيم؛ لأنه موضع سجدة بإجماع العلماء المشهورين لا نعرف بينهم فيه خلافاً. وعلته: أن [مواضع][٦] السجدة إما أمْرٌ بها، كقوله تعالى:

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٨)، والكشف (٢/ ١٥٨)، والنشر (٢/ ٣٣٧)، والإتحاف (ص:٣٣٦)، والسبعة (ص:٤٨٠-٤٨١).

(٢) في الأصل: محيصين. والتصويب من ب.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٣٦).

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ١٥١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٦٦).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٢٩٠)، ومعاني الزجاج (٤/ ١١٥).

(٦) في الأصل: موضع. والتصويب من ب.

﴿واسجد واقترب﴾ [العلق:١٩]، أو مدح لمن أتى بها، كسجدة الأعراف وسجدة الرعد، أو ذمٌّ لمن تركها؛ كقوله تعالى: ﴿وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾ [الانشقاق:٢١]، وأكثر سجدات القرآن لم يقارنها الأمر بالسجود.

* قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

فلما فرغ الهدهد من كلامه استبعد سليمان أن يكون في الأرض ذو سلطان سواه، فـ﴿قال﴾ للهدهد: ﴿سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾.

ثم إنه كتب كتاباً وختمه بخاتمه، ثم دفعه إلى الهدهد وقال: ﴿اذهب بكتابي هذا فألْقِهِ إليهم﴾. قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة: «فألْقِهْ» بسكون الهاء، وكَسَرَها قالون من غير إشباع، والباقون وَصَلُوها بياء[١].

قال الزجاج[٢]: إثبات الياء أجود الأوجه، ومن أسكن الهاء فغالط؛ لأن الهاء ليست بمجزومة، وليس له وجه[٣] من القياس.

وقال غيره: من سكن الهاء نوى الوقف وهو بعيد.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣٥-٢٣٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٨)، والكشف (٢/ ١٥٩)، والإتحاف (ص:٣٣٦)، والسبعة (ص:٤٨١).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١١٦-١١٧).

(٣) في معاني الزجاج (٤/ ١١٧): ولها وجه.

وقال الأخفش: هي لغة، ولم يَحْكِها سيبويه، وإنما جاء مثل هذا في ضرورة الشعر، وقد أشبعنا في مثل هذا فيما مضى.

﴿ثم تَوَلَّ عنهم﴾ أي: تَنَحَّ عنهم حتى تكون قريباً منهم في مكان تتوارى فيه لتسمع ما يقولون.

وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، التقدير: ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾ ثم تولّ عنهم راجعاً إليَّ.

قال قتادة: أتاها الهدهد وهي نائمة فألقى الكتاب على نحرها، فقرأته وأخبرت قومها[١].

وقال مقاتل[٢]: حمله في منقاره حتى وقف على رأس المرأة، فَرَفْرَفَ ساعة والناس ينظرون، فرفعت رأسها، فألقى الكتاب في حجرها، فلما رأت [الكتاب ورأت][٣] الخاتم أرعدت وخضعت، وخضع من معها من الجنود.

ثم قالت: ﴿يا أيها الملأ إني ألقي إليَّ كتاب كريم﴾ وصفتْه بالكَرَم؛ لأنه كان مختوماً[٤].

وقيل: لأنها حسبته من عند الله تعالى حيث رأته مع الهدهد[٥]. رويا عن ابن عباس.

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٢٠٥)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٦٧).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٤).

(٣) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ٣٥٣) وعزاه لابن مردويه.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٦٨).

وقيل: لأنها رأته مُصَدَّراً ببسم الله الرحمن الرحيم[١].

وقال الزجاج[٢]: "كريم": حسن.

وقيل: وَصَفَتْه بالكَرَم؛ لكونه من ملك كريم.

﴿إنه من سليمان﴾ كأنه قيل لها: ممن هو الكتاب؟ فقالت: إنه من سليمان.

وقرئ شاذاً: «أنَّه من سليمان وأنَّه» بفتح الهمزة فيهما[٣]؛ تعليلاً لكريم الكتاب.

﴿ألا تعلوا عليَّ﴾ لا تتكبروا عليَّ ولا تأنفوا[٤] من الانقياد إليّ.

وقرأ ابن عباس: «تَغْلُوا» بالغين المعجمة[٥]، من الغلو، وهو مجاوزة الحدّ.

فإن قيل: ما محل: «أن لا تعلوا» من الإعراب؟

قلت: «أنْ» في موضع الرفع على البدل من "كتاب كريم"، أو على معنى: أُلْقِيَ عَلَيّ أن لا تعلوا. ويجوز أن يكون في موضع النصب، على معنى: ألقي إليَّ كتاب بأن لا تعلوا[٦].

[وفسّر][٧] سيبويه[٨] والخليل «أنْ» في هذا الموضع في تأويل أي، على معنى:

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٠٦).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١١٧).

(٣) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣١١).

(٤) في ب: وتأنفوا.

(٥) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٦٨)، والدر المصون (٥/ ٣١٢).

(٦) انظر: التبيان (٢/ ١٧٣)، والدر المصون (٥/ ٣١٢).

(٧) في الأصل: فسر. والتصويب من ب.

(٨) انظر: الكتاب (٣/ ١٦٢).

أي لا تعلوا عليّ، ومثله: ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا﴾ [ص:٦]، وفسّرها: أي امشوا.

قوله تعالى: ﴿وأتوني مسلمين﴾ أي: مُنْقادين لأمري.

قال قتادة: كذلك كانت الأنبياء تَكْتُبُ جُمَلاً لا تطيل[١].

ثم جمعت أشراف قومها للمشورة وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر قائداً، كل واحد على عشرة آلاف.

وقال مجاهد: كانوا ألف قَيْل[٢]، تحت يدي كل قَيْلٍ ألف مقاتل[٣].

قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

فـ﴿قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري﴾ أي: أشيروا عَلَيّ ما أصنع في هذا الخَطْب الجليل الذي نزل بي: ﴿ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون﴾ أي: ما كنتُ

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٧٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٥٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) القَيْل: الملكُ من ملوك حمير دون الملك الأعلى، بمثابة القائد للجيش (اللسان، مادة: قول).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٥٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٧١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٥٦) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

فاصلَةً وباتّةً أمراً حتى تحضرون.

﴿قالوا نحن أولوا قوة﴾ في أجسادنا وبعَدَدنا وعُدَدنا، ﴿وأولوا بأس شديد﴾ أي: شجاعة وبلاء في الحروب، وهو كلام يلوح منه ميلهم إلى المحاربة، ﴿والأمر إليك﴾ في القتال وتركه وغير ذلك، ﴿فانظري ماذا تأمرين﴾ وهذا إذعان منهم بالطاعة لها كيف تصرفت الأحوال، واعتراف أنها أكملهم رأياً وأحسنهم تدبيراً.

﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ يعني: إذا دخلوها عَنْوة أفسدوها بخرابها [وقتل][1] أهلها، ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ بالقهر والاسترقاق والأسْر، وهذا زجرٌ لهم عما توسَّمته من الميل إلى مقاتلة من لا قِبَلَ لهم به.

قوله تعالى: ﴿وكذلك يفعلون﴾ جائز أن يكون من تمام كلامها. وجائز أن يكون من قول الله تعالى؛ لأنها قد أخبرت أنهم يفسدون، فليس في التكرير بقولها: «وكذلك يفعلون» كبير فائدة. وهذا اختيار الزجاج[2].

﴿وإني مرسلةٌ إليهم بهدية﴾ قال ابن عباس: إنما أرسلت بالهدية لتعلم أنه إن كان نبياً لم يُرد الدنيا، وإن كان مَلِكاً فسيرضى بالحَمْل[3].

﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ أي: بما يكون منه حتى [أعمل][4] بمقتضى ذلك.

---

(١) في الأصل: قتل. والتصويب من ب.

(٢) انظر: معاني الزجاج (٤/ ١١٩).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٠).

(٤) في الأصل: أعلم. والتصويب من ب.

قال ابن جرير[١]: إنما سقطت الألف في "بـم"؛ لأن العـرب إذا كانـت "مـا" بمعنى "أي" ثم وصلوها بحرف خافض، أسقطوا ألفهـا تفريقـاً بـين الاسـتفهام والخبر، كقوله: ﴿عم يتساءلون﴾ [النبأ:١]، ﴿قالوا فيم كنتم﴾ [النسـاء:٩٧]، وربـما أثبتوا فيها الألف.

قال الشاعر:

على ما قَامَ يشتمُنا لَئِيمٌ كخنزيرٍ تَمَرَّغَ في رَمَاد[٢]

قال ابن عباس: بعثت ثلاث لبنات من ذهب، في كل لبنة مائة رطل، وثلاثين وصيفاً، وثلاثين وصيفةً، وألبستهم لباساً واحداً حتى لا يعرف الذكر من الأنثى، ثم كتبت إليه: إني قد بعثت إليك بهدية فاقبلها، وقد بعثت إليك ثلاثـين وصـيفاً وثلاثين وصيفة، فميّز بين الجواري والغلمان، فجاء أمير الشياطين فأخبره بما بعثت إليه، فقال له: انطلق فافرش على طريق القوم من باب مجلسي ثمانية أميال في ثمانية أميال [لَبِناً][٣] من ذهب، فانطلق، فبعث الشياطين فقطعوا اللَّبِن من الجبال وطَلُوه بالذهب وفرشوه، ونصبوا في الطريق أساطين الياقوت الأحمر، فلما جاءت الرسل قال بعضهم لبعض: كيف تدخلون على هذا الرجل بثلاث لبنات وعنده ما رأيتم؟ فقال رئيسهم: إنما نحن رسل، فدخلوا [عليه][٤] فوضعوا اللَّبِن بين يديه، فقال:

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٩/ ١٥٦).

(٢) البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه. وهو في: اللسان (مادة: قوم)، والقرطبي (١٣/ ٢٠٠)، وزاد المسير (٦/ ١٧٢)، وروح المعاني (٢٢/ ٢٢٩، ٣٠/ ٣).

(٣) زيادة من ب.

(٤) في الأصل: إليه. والتصويب من ب.

أتمدونني بمال[1].

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال﴾ قرأ حمزة: «أتمدونّي» بنون مشددة على الإدغام لاجتماع المثلين، فتُمَدُّ الواو لالتقاء الساكنين.

وقرأ الباقون بنونين ظاهرتين على الأصل[2]، الأولى علامة الرفع في الفعل، والثانية هي التي تدخل مع الياء في ضمير المتكلم المنصوب.

والمراد بالمال: لِبنَات الذهب، والوُصَفاء والوصائف، وقد ذكرنا عددهم عن ابن عباس.

وقال مجاهد: كانوا مائتي غلام ومائتي جارية[3].

وقال وهب: خمسمائة غلام وخمسمائة جارية[4].

فإن قيل: بأيّ طريق توصّل إلى معرفتهم؟

قلت: روي عن سعيد بن جبير: أنه أمرهم بالوضوء، فبدأ الغلام من مرفقه

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٠).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣٦-٢٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٨-٥٢٩)، والكشف (٢/ ١٦٠)، والإتحاف (ص:٣٣٦-٣٣٧)، والسبعة (ص:٤٨٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧١).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧١).

إلى كفه، وعكست الجارية ذلك[١].

وقال قتادة: بدأ الغلمان بغسل ظهور السواعد قبل بطونها، والجواري على العكس[٢].

قوله تعالى: ﴿فما آتاني الله خيرٌ مما آتاكم﴾ أي: ما آتاني الله من الجنود واستفحال المُلْك وطاعة الجن والإنس وسائر الحيوان والنبوة والعلم وزينة الدنيا.

قال المفسرون: ضَرَبَ الجن لَبِنَ الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه، وجعلوا حول الميدان حائطاً شُرَفُهُ من الذهب والفضة، وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللَّبِن، ثم قعد سليمان على سريره والكراسي من جانبيه، واصطفَّت الشياطين صفوفاً والجن صفوفاً فراسخ، والوحش والسباع والطير[٣] كذلك، فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تَرُوثُ على اللَّبِن، فتقاصرت إليهم نفوسهم وأمر بِرَدِّ هديتهم[٤].

قوله تعالى: ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ قال الزمخشري[٥]: أَضْرَبَ عن ذلك

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٧٧). وذكره الماوردي (٤/ ٢١٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٥٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٧٨). وذكره الماوردي (٤/ ٢٠٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٥٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٦٤): والله أعلم أكان ذلك أم لا، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات. والظاهر أن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ما جاؤوا به بالكلية، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه.

(٣) في ب: والطيور.

(٤) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ٢١٢).

(٥) الكشاف (٣/ ٣٧١).

إلى بيان السبب الذي حملهم عليه، وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح، إلا أن يُهدى إليهم حظٌ من الدنيا [التي][1] لا يعلمون غيرها. ويجوز أن تجعل الهدية مضافة إلى المُهْدِي، ويكون المعنى: بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك، بأنكم قدرتم على إهداء مثلها. ويحتمل أن يكون عبارة عن الردّ، كأنه قال: بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها.

قوله تعالى: ﴿ارجع إليهم﴾ خطاب للرسول. وقيل: للهدهد، على معنى: ارجع إليهم حاملاً كتاباً آخر، ﴿فلنأتينهم بجنودٍ لا قِبَلَ لهم بها﴾ أي: لا طاقة لهم بها. وحقيقته: ليس لهم من يقابل جنودي.

﴿ولنخرجنهم منها﴾ أي: من بلدتهم ﴿أذلة﴾ قد ذهب عنهم عز المُلْك والسلطان، ﴿وهم صاغرون﴾ أذلّاء.

قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

فلما رجع إليهم الرسول وأخبرها بما شاهد من عجائب مُلْكه وسلطانه

---

(١) في الأصل: الذي. والتصويب من الكشاف (٣/ ٣٧١).

ودلائل نبوته وحكمته، عرفت حينئذ أنه مؤيد بالرسالة، فأخذت في المسير إليـه، وأمرت بعرشها فجعل من وراء سبعة أبـواب ووكلـت بحفظـه [الحـرس][١]، وشخصت إلى سليمان، فأخبر جبريل عليه السلام سليمان بمسيرها إليه، فلما كانت منه على مسيرة فرسخ، قال سليمان لجنوده: ﴿أيكم يأتيني بعرشها﴾.

إن قيل: ما أراد بذلك؟

قلت: يجوز أن يكون مراده بذلك: أن يُرِيَهَا بعض ما خصَّه الله به تعالى به من كرامته وإجراء العجائب على يديه، وأن يُطلِعَهَا على عظيم قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه، لتتوفر دواعيها إلى الإسلام. ويحتمل أنه أراد معاجلتها بأخذه والاستيلاء عليه قبل أن يحرّمه عليه الإسلام، ألا تراه يقول: ﴿قبل أن يأتوني مسلمين﴾. وهذا معنى قول قتادة[٢].

﴿قال عفريت من الجن﴾ وقرأ أبيّ بن كعب بفتح العين[٣]، وقرأ ابن مسعود: «عِفرَاةٌ» بكسر العين وألف بدل الياء[٤]، والوقف عليها على هذه القراءة بالهاء.

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء وأبي عمرو الياسري للكسائي من رواية ابـن أبي شريح عنه: «عِفْريّةٌ» بكسر العين وفتح الياء[٥]، والوقف عليها أيضاً بالهاء.

---

(١) في الأصل: والحرس. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٥٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) وهي قراءة الضحاك وأبي العالية وابن يعمر وعاصم الجحدري أيضاً. انظر هـذه القـراءة في زاد المسير (٦/ ١٧٤).

(٤) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٧٤).

(٥) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٧٤)، والدر المصون (٥/ ٣١٤).

قال ابن قتيبة[١]: العِفْريتُ: الشديد الوثيق.

وقال الزجاج[٢]: هو النافذُ في الأمر المبالغُ فيه مع خُبْثٍ وَدَهَاءٍ.

﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ أي: من مجلسك الذي تجلس فيه لفصل القضاء، وكان يجلس فيه من غُدْوَةٍ إلى نصف النهار.

﴿وإني عليه لقوي﴾ على حمله، ﴿أمين﴾ على ما فيه من الذهب والجواهر، فقال سليمان: أريد أعجل من ذلك، فـ ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ وهو آصف بن بَرْخِيّا، وكان صدّيقاً عالماً، وكان كاتباً لسليمان.

وقال [عبدالله][٣] بن لهيعة: بلغني أنه الخضر عليه السلام[٤].

وقيل: جبريل عليه السلام[٥].

قال ابن عباس وجمهور المفسرين: "عِلْم الكتاب": اسم الله الأعظم[٦].

قال مجاهد: قال: يا ذا الجلال والإكرام[٧].

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣٢٤).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٢٠).

(٣) في الأصل: عبدالرحمن. والتصويب من ب. انظر ترجمته في: التهذيب (٥/ ٣٢٧)، والتقريب (ص:٣١٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٦٠) وعزاه لابن أبي حاتم. قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٦٥): وهو غريب جداً.

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢١٠).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٥).

(٧) أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٨٦)، ومجاهد (ص:٤٧٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٦١) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال ابن السائب: قال: يا حي يا قيوم[١].

﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ حسيراً إذا أَدَمْتَ النظر.

وقال الزجاج[٢]: هو مقدار[٣] ما تفتح عينيك ثم تَطْرِف.

وقيل: المعنى: قبل أن يأتيك أقصى من تنظر إليه.

قال ابن عباس: دعا آصف، فبعث الله تعالى إليه الملائكة فحملوا السرير تحت الأرض يَخُدُّونَ الأرض خَدّاً، حتى انخرقت الأرض بالعرش بين يدي سليمان عليه السلام[٤].

وقال سعيد بن جبير: قال آصف لسليمان: انظر إلى السماء، فما طرف حتى جاء به فوضعه بين يديه[٥].

﴿فلما رآه مستقراً عنده﴾ أي: فلما رأى العرش ثابتاً بين يديه، ﴿قال﴾ شاكراً لله تعالى ومثنياً عليه: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني﴾ ليختبرني ﴿أأشكر﴾ فضله ﴿أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾ لأنه يرتبط بالشكر نعمة الله عليه ويستمدّ المزيد ويؤدي فرض الشكر، ويتخلّص من إثم الكفر.

قال بعضهم: الشكر قيدُ النعمة الموجودة، وصيدٌ للنعمة المفقودة[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٥).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٢١).

(٣) في ب: بمقدار.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٤).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٣٧ ح٣١٨٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٦١) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٦) ذكره المناوي في فيض القدير (١/ ١٩٢)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٤٢).

﴿ومن كفر﴾ بترك الشكر، ﴿فإن ربي غني﴾ عن شكره ﴿كريم﴾ [يرزقه][1] مع كفره.

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

قال العلماء بالتفسير: كرهت الجن أن يتزوج سليمان بلقيس خوفاً أن تُفضي إليه بأسرارهم؛ لأنها كانت بنت جنية، وخافوا أن يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والإنس، فيخرجوا من مُلْكِ سليمان إلى مُلْكٍ هو أشد وأفظع فَنَزَكُوها[2] وأساؤوا القول فيها وقالوا: إنها شعراء الساقين، وأنّ رجلها كحافر الحمار، وأنّ في عقلها شيئاً، فاختبر عقلها بتنكير عرشها واتخذ الصرح لينظر إلى ساقها ورجْلها، فذلك قوله: ﴿قال نكروا لها عرشها﴾ أي: غيّروا صفته[3].

---

(١) في الأصل: برزقه. والتصويب من ب.

(٢) في هامش ب: أي: طعنوا عليها وعابوها. ومنه: ليسوا بنزّاكين، يقال: نَزَكْتُ الرَّجُلَ؛ إذا عِبْتُه (انظر: اللسان، مادة: نزك).

(٣) روى نحوه الطبري (١٩/ ١٦٩) عن محمد بن كعب القرظي. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٦٣) وعزاه =

قال ابن عباس: جعلوا صفائح الذهب التي كانت عليه مكان صفائح الفضة، وصفائح الفضة مكان صفائح الذهب، والياقوت مكان الزبرجد، والدر مكان اللؤلؤ، وقائمتي الزبرجد مكان قائمتي الياقوت[(١)].

وقال قتادة: جعلوا أسفله أعلاه، ومقدمه مؤخره، وزادوا فيه ونقصوا منه[(٢)].

﴿ننظر أتهتدي﴾ إلى معرفته ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون * فلما جاءت قيل أهكذا عرشك﴾ قال مجاهد: جعلت تعرفُ وتُنكر، وعجبت من حضور عرشها عند سليمان، فقالت: ﴿كأنه هو﴾[(٣)].

قال عكرمة: كانت حكيمة، قالت: إن قلت: هو، خشيت أن أكذب، وإن قلت: لا، خشيت أن أكذب، فقالت: كأنه هو[(٤)].

قال المفسرون: قيل لها: فإنه عرشك، فما أغنى عنك إغلاق الأبواب والحرس[(٥)].

قوله تعالى: ﴿وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾ جائز أن يكون من كلام سليمان، وجائز أن يكون من كلام بلقيس.

فإن كان من كلام سليمان عليه السلام؛ فالمعنى: وأوتينا العلم بالله تعالى

= لابن المنذر عن ابن جريج.

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٦٢) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٩).

(٤) مثل السابق.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٧).

وبقدرته وصحة ما جاء من عنده من قبل علمها، أو يكون المعنى: أوتينا العلم بإسلامها من قبل مجيئها.

وإن كان من قول بلقيس؛ فالمعنى: وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة التي شاهدناها من أمر الهدهد، وحدثتنا به رسلنا من قبل هذه الآية.

«وكنا مسلمين»: مستسلمين لأمر سليمان، مذعنين لنبوته منقادين لطاعته.

قوله تعالى: ﴿وصدّها ما كانت تعبد من دون الله﴾ أي: وصَدَّها عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس.

قال الزجاج[1]: صَدَّها عن الإيمان [العادَة][2] التي كانت عليها؛ لأنها نَشَأَتْ ولم تعرف إلا قوماً يعبدون الشمس، فصدّتها العادَة، وبَيَّنَ عادتها بقوله: ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾.

وقال الزمخشري[3]: وقيل: المعنى: وصدها الله تعالى -أو سليمان- عما كانت تعبد، بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل.

وقرأ سعيد بن جبير: «أنها» بفتح الهمزة[4]، على معنى: لأنها كانت، أو هو بدل من فاعل صدّ.

﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ قال الزجاج[5]: الصَّرْحُ في اللغة: القَصْرُ والصَّحْنُ،

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٢٢).

(٢) في الأصل: العبادة. والتصويب من ب، والزجاج، الموضع السابق.

(٣) الكشاف (٣/ ٣٧٤).

(٤) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٧٨)، والدر المصون (٥/ ٣١٦).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٢٢).

يقال: هذه ساحة الدار، وصرحة[(١)] الدار، وباحة الدار، وقاعة الدار. هذا كله في معنى الصَّحْن.

قال مقاتل[(٢)]: كان قصراً من قوارير بُنِيَ على الماء وتحته السَّمَك.

قال مجاهد: كانت بِرْكَة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير[(٣)].

واختلفوا في السبب الذي صُنع لأجله الصرح؛ فقال جماعة منهم محمد بن كعب القرظي: أراد أن ينظر إلى قدمها وساقها لما قيل عنها[(٤)].

وقال وهب بن منبه: أراد أن يريها مُلْكاً هو أعزّ من مُلْكِها[(٥)].

وقال ابن جرير[(٦)]: فعل ذلك ليختبرها كما اختبرته بالوصائف والوصفاء.

﴿فلما رأته حسبته لجة﴾ وهي معظم الماء ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ لدخول الماء، فرآها أحسن الناس قَدَماً إلا أنها شعْراء الساقين.

وقيل: هي السبب في اتخاذ النورة، دلَّتْها الشياطين عليها.

﴿قال إنه صرح ممرد من قوارير﴾ أي: مُمَلَّسٌ من قوارير، ﴿قالت﴾ حين رأت الأمور الخارقة للعادة الدالة على نبوة سليمان: ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ بعبادة

---

(١) في معاني الزجاج: وصحنة.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٩٣)، ومجاهد (ص:٤٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٦٢-٣٦٣) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٨).

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٩٥) عن يزيد بن رومان.

(٦) تفسير ابن جرير الطبري (١٩/ ١٦٨).

غيرك، الآية.

وقيل: حسبت أن سليمان أراد تغريقها حين قال لها: ادخلي الصرح، فحسبته لُجَّة، فقالت: رب إني ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان.

فصل

اختلفوا هل تزوّجها سليمان؟ فقال أكثر المفسرين: تزوّجها وأقرّها على ملكها، وأمر الجن فبنوا لها سَيْلَحِين وغُمْدان، وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له[١].

وقال قوم: زوَّجها بتُبَّع وسلَّطه على اليمن.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله﴾: سبق تفسيره[٢].

﴿فإذا هم فريقان﴾ "هم" مبتدأ، "فريقان": خبره، ﴿يختصمون﴾: حال من الضمير في "فريقان"، أو وصف لـ"فريقان"[٣].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٨٠).

(٢) في سورة الأعراف آية رقم: ٧٣.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٧٣).

والمعنى: فإذا هم فريقان مؤمنون وكافرون، يختصمون في رسالة صالح وما جاء به.

﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة﴾ وهي العقوبة، وكان الذين كذبوه قالوا له: إن كنت صادقاً فائتنا بالعذاب، ﴿قبل الحسنة﴾ وهي الرحمة والعافية، ﴿لولا تستغفرون الله﴾ أي: هلاّ تسألون الله مغفرة لكفركم وذنوبكم بدل استعجالكم بالعذاب، ﴿لعلكم ترحمون﴾.

﴿قالوا اطيرنا﴾ أصلها: تطيَّرنا، فأدغموا التاء في الطاء ثم اجتلبوا الألف توصُّلاً إلى النطق بالساكن، وقد سبق ذكر نظائره.

والمعنى: تشاءمنا ﴿بك وبمن معك﴾ نسبوا ما أصابهم من القحط والغلاء إلى صالح عليه السلام [تَطَيُّراً][1] به.

﴿قال إنما طائركم عند الله﴾ قال ابن عباس: الشؤم أتاكم من عند الله تعالى بكفركم[2]، وقد ذكرناه في الأعراف[3].

﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ أي: تُبْتَلُون بالخير والشر.

وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ

(١) في الأصل: تطائراً. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨٠).

(٣) عند الآية رقم: ١٣١.

لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿وكان في المدينة﴾ يريد: الحِجْر ﴿تسعة رهط﴾.

قال الزمخشري[(١)]: إنما جاز تمييز التسعة بالرَّهْط؛ لأنه في معنى الجماعة. [والفرق بين الرَّهْط][(٢)] والنَّفَر: أن الرَّهْطَ من الثلاثة إلى العشرة، أو من السبعة إلى العشرة، والنَّفَرُ من الثلاثة إلى التسعة، وكانوا من أبناء أشرافهم، عتاة، وهم الذين سعوا في عقر الناقة.

قال وهب: أسماؤهم: الهذيل بن عبد رب، عنم[(٣)] بن غنم، رئاب[(٤)] بن مهرج، عمير بن كُرْدُبَة، عاصم بن مخرمة، سُبيط بن صدقة، سمعان بن صفي[(٥)]، قُدار بن سالف[(٦)].

﴿يفسدون في الأرض﴾، وفي قوله: ﴿ولا يصلحون﴾ إيذان بأنهم كانوا عن الصلاح بمعْزِل، إذ من المفسدين من يَنْدُرُ منه عمل صالح.

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٧٦).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الكشاف: غنم.

(٤) في الكشاف: رباب.

(٥) في الكشاف: صيفي.

(٦) وقد ذكر أسماءهم ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٠٠)، والسيوطي في الدر (٦/ ٣٧٠)، والماوردي في تفسيره (٤/ ٢١٩) مع اختلاف في الأسماء.

﴿قالوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿تقاسموا بالله﴾ أي: تحالفوا به.

وجائز أن يكون قوله: «تقاسموا» خبراً في محل الحال، على معنى: قالوا متقاسمين بالله[١].

﴿لنبيتنه وأهله﴾ أي: لنقتُلَنّ صالحاً وأهله ليلاً.

وقرأ حمزة والكسائي: «لتُبَيِّتُنَّه» بالتاء بدل النون وضم التاء الثانية[٢].

﴿ثم لنقولن﴾ قرأها أيضاً بالتاء بدل النون وضم اللام الثانية[٣].

فعلى القراءة الأولى: يكون المتكلمون قد أدخلوا أنفسهم مع المقتسمين، كما في قوله تعالى: ﴿تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾. وعلى القراءة الثانية لم يُدْخِلوا أنفسهم معهم.

وقرأ مجاهد كحمزة والكسائي، إلا أنه بالياء فيهما[٤]. فيتعين على قراءته أن يكون قوله: «تقاسموا» خبراً لا أمراً.

﴿ثم لنقولن لوليه﴾ أي: لولي دَمِه ﴿ما شهدنا مهلك أهله﴾ مُفسرٌ في سورة الكهف[٥] على حسب اختلاف القراء فيه.

فعلى قراءة من فتح الميم واللام -وهو أبو بكر-: الأهل فاعلون في المعنى؛ لأنه مصدر هَلَكَ يَهْلِكُ هلاكاً ومَهْلَكاً، إلا على لغة بني تميم، فإنهم يقولون:

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٣١٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٠)، والكشف (٢/ ١٦١-١٦٢)، والنشر (٢/ ٣٣٨)، والإتحاف (ص:٣٣٧)، والسبعة (ص:٤٨٣).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٨١-١٨٢)، والدر المصون (٥/ ٣١٩).

(٥) عند الآية رقم: ٥٩.

هلكني الأمر، بمعنى: أهلكني، فتكون في موضع نصب.

ومن ضمّ الميم وفتح اللام -وهم أكثر القراء-: فهو مصدر، من أَهْلَكَ، والأهل في موضع نصب، على معنى: ما شهدنا إهلاك أهله.

قوله تعالى: ﴿ومكروا مكراً﴾ وهو ما أخفوه من تدبير قتل صالح وأهله، ﴿ومكرنا مكراً﴾ جازيناهم على مكرهم، ﴿وهم لا يشعرون﴾ بمكر الله تعالى بهم.

﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم﴾، ثم استأنف فقال: ﴿إنا دمرناهم﴾ وقرأ أهل الكوفة: «أنّا» بفتح الهمزة[١]، ويقوي هذه القراءة [قراءة][٢] أبي بن كعب: «أنْ دمرناهم»[٣].

قال أبو علي الفارسي[٤]: من قرأ: "أنّا" بفتح الهمزة، فإن جعل "كان" من قوله: "كيف كان عاقبة مكرهم" هي التامة، جاز في قوله: "أنّا دمرناهم" أمران:

أحدهما: أن يكون بدلاً من قوله: «عاقبة مكرهم».

والآخر: أن يكون محمولاً على مبتدأ مضمر، كأنه قال: هو أنّا دمرناهم، أو ذاك أنّا دمرناهم.

وإن جعل «كان» المقتضية للخبر، جاز في قوله: «أنّا دمرناهم» أمران أيضاً:

أحدهما: أن يكون بدلاً من اسم «كان» الذي هو «العاقبة»، فإذا حملته على هذا

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٢)، والكشف (٢/ ١٦٣)، والنشر (٢/ ٣٣٨)، والإتحاف (ص:٣٣٨)، والسبعة (ص:٤٨٤).

(٢) زيادة من ب.

(٣) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣٢٠).

(٤) الحجة (٣/ ٢٤١).

كان «كيف» في موضع خبر "كان".

والآخر: أن يكون خبر «كان»، ويكون موضعه نصباً، كأنه: كان عاقبة مكرهم تدميرهم، ويكون "كيف" في موضع حال[١].

قال الزمخشري[٢]: يجوز أن يكون منصوباً، على معنى: لأنّا دمرناهم.

قال ابن عباس: أرسل الله تعالى الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح عليه السلام يحرسونه، فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم، فرمتْهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة، فقتلتهم[٣].

وقال مقاتل[٤]: نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح، فَجَثَمَ عليهم الجبل فأهلكهم.

وقال قتادة: رماهم الله تعالى بصخرة فقتلتهم[٥].

قوله تعالى: ﴿وقومهم أجمعين﴾ يعني: ودمَّرْنا قومهم بصيحة جبريل.

﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾ «خاويةً» نصب على الحال[٦]، والعامل فيها ما دل عليه «تلك».

وقرأ عيسى بن عمر: «خاويةٌ» بالرفع[٧]، على خبر المبتدأ المحذوف.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٧٤)، والدر المصون (٥/ ٣٢٠).

(٢) الكشاف (٣/ ٣٧٨).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٨٢).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٠).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٠٢).

(٦) انظر: التبيان (٢/ ١٧٤)، والدر المصون (٥/ ٣٢١).

(٧) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣٢١).

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿ولوطاً﴾ أي: واذكر لوطاً، أو وأرسلنا لوطاً. ويدل عليه قوله: ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً﴾.

﴿إذ قال لقومه﴾ بدل على الأول، وظرف على الثاني[1].

﴿أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾ من بصر القلب، على معنى: وأنتم تعلمون أنها فاحشة.

وقيل: وأنتم يُبْصِرُ بعضكم بعضاً.

قال الزمخشري[2]: كانوا في ناديهم يرتكبونها مُعَالنين بها، لا [يتسترّ][3] بعضهم من بعض خَلاعةً ومجَانَةً، وانهماكاً في المعصية، وكأنّ [أبا][4] نواس [بنى][5] على مذهبهم قوله:

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٣٢١).

(٢) الكشاف (٣/ ٣٧٨).

(٣) في الأصل: يستتر. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: أبو. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

وَبُحْ باسْمِ ما تأتي وذَرْني من الكُنَى فلا خَيْرَ في اللذَّاتِ مِنْ دُونها سِتْر [١]

وقيل: وأنتم تبصرون آثار العصاة قبلكم.

﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ قال ابن عباس: تجهلون النعمة وعاقبة العصيان[٢].

وقيل: المعنى: تفعلون فعل الجاهلين.

وما لم أذكره في تفسير هذه القصة مذكور في الأعراف[٣]، [و﴿قدرناها﴾ مذكور][٤] في الحِجْر[٥].

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾

ثم إن الله عز وجل أمر نبيه أن يتلو عليهم هذه الآيات الناطقة بالبراهين القاطعة بوحدانية الله تعالى وعظمته وحكمته وقدرته، وأن يستفتحها بتحميده، والسلام على من اصطفاهم من عبيده، فقال: ﴿قل الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى﴾ فصار ذلك سُنَّةً وأدباً للعلماء والفقهاء والوعّاظ والخطباء والبلغاء

---

(١) انظر البيت في: روح المعاني (١٥/ ٣٠٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٨٣).

(٣) عند الآية رقم: ٨١.

(٤) في الأصل: وقد ذكرناها مذكر. وهو خطأ. والتصويب من ب.

(٥) عند الآية رقم: ٦٠.

والأدباء، يفتتحون به كتبهم ومسائلهم وخطبهم ورسائلهم.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: ((كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر))[١].

وقال النبي ﷺ: ((أما إن ربك يحب الحمد))[٢]. وهذا الذي ذكرته قول عامة المفسرين.

وقد قيل: إن الأمر بالحمد خطاب للوط عليه السلام، أُمر أن يحمد الله تعالى على هلاك من كذَّبه، وأن يُسلّم على المصطفين المؤمنين.

والأول أصح.

قال ابن عباس في قوله: ﴿وسلامٌ على عباده الذين اصطفى﴾: هم الرسل الذين اصطفاهم الله تعالى لرسالته[٣].

قال عكرمة: اصطفى الله تعالى إبراهيم عليه السلام بالخُلَّة، وموسى عليه السلام بالكلام، ومحمداً ﷺ بالرؤية[٤].

وقال ابن عباس في رواية أخرى: هم أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم[٥]،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦١٠ ح١٨٩٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٥)، والحاكم (٣/ ٧١٢ ح٦٥٧٥).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٨٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٨)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٣٢) كلاهما من طريق عكرمة عن ابن عباس، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٩) بدون لفظة: "ومحمداً ﷺ بالرؤية" وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٧٠) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وهو قول السدي[١].

وقال في رواية أخرى: هم الذين وحّدوه وآمنوا به[٢].

وقال في رواية أخرى: هم أمة محمد ﷺ[٣].

﴿آلله خيرٌ أما يشركون﴾ قرأ أبو عمرو وعاصم: «يشركون» بالياء، حملاً على ما قبله وبعده من ألفاظ الغيبة. وقرأ الباقون بالتاء[٤]، على معنى: قل يا محمد للكفار آلله خيرٌ أما تشركون.

والمعنى: آلله خيرٌ لمن عبده وأطاعه، أم الأصنام لعابديها.

قوله تعالى: ﴿أمن خلق السماوات والأرض﴾ تقديره: ما يشركون خير أمّن خلق السماوات والأرض.

وقال الزمخشري[٥]: إن قلت: ما الفرق بين أم وأم في ﴿أما يشركون﴾، و﴿أمن خلق﴾؟

قلت: تلك متصلة؛ لأن المعنى: أيها خير، وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة، لما قال: آلله خير أم الآلهة؟ قال: بل أمن خلق السموات والأرض [خير][٦]؟ تقريراً لهم بأن من قدر على خلق العالم خيرٌ من جماد لا يقدر على شيء.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٠٦).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٨٥).

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٢٥) من قول الكلبي.

(٤) الحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٣)، والكشف (٢/ ١٦٣-١٦٤)، والنشر (٢/ ٣٣٨)، والإتحاف (ص:٣٣٨).

(٥) الكشاف (٣/ ٣٨٠).

(٦) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

وقرأ الأعمش: «أَمَنْ خلق» بالتخفيف، ووجهه: أن تجعل بدلاً من "الله"، كأنه قال: أمَنْ خلق السموات والأرض خير أما تشركون؟.

والحدائق: جمع حديقة، وهو البستان عليه حائط من الإحْدَاق، وهو الإحاطة.

﴿ذات بهجة﴾ أي حسن ومنظر يبتهج به من يراه[1].

﴿ما كان لكم﴾ أي: ما ينبغي لكم ﴿أن تنبتوا شجرها﴾؛ لأنكم لا تقدرون عليه.

ثم قال مستفهماً منكراً: ﴿أإله مع الله﴾ أي: هل معه معبودٌ سواه أعانه على ما أنشأه، ﴿بل هم قومٌ يعدلون﴾ بالله غيره، ويجعلون له شريكاً.

أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿أمن جعل﴾ وما [بعده][2] بدل من ﴿أمَّنْ خَلَقَ﴾.

ومعنى: ﴿جعل الأرض قراراً﴾: دحاها وسوّاها للاستقرار عليها، ﴿وجعل خلالها﴾ أي: فيما بينها ﴿أنهاراً وجعل لها رواسي﴾ جبالاً ثوابت، ﴿وجعل بين البحرين﴾ العذب والملح ﴿حاجزاً﴾ مانعاً من قدرته، كقوله تعالى: ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ [الفرقان:٥٣].

---

(١) في ب: رآه.

(٢) زيادة من ب.

أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

﴿أَمَّن يجيب المضطر إذا دعاه﴾ المُضْطَرُّ: المكروب الذي أحوجه [مرض أو فقر][1] أو نازلة من نوازل الدهر إلى التضرع إلى الله.

وقيل: المضطر: المُذْنِبُ إذا استغفر.

﴿ويكشف السوء﴾ يعني: الضر، ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ تتوارثون سكناها قرناً بعد قرن، ﴿أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ «ما» زائدة، وقليلاً صفة مصدر مضمر، أي: تذكُّراً قليلاً تذكَّرون، فحذف الموصوف.

والمعنى: نفي التذكُّر، والقلَّة تستعمل في معنى النفي، وقد سبق تقريره فيما مضى.

قرأ أبو عمرو وهشام: «يذكّرون» بالياء، حملاً على قوله تعالى: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾، وقرأ الباقون بالتاء[2]، اعتباراً بقوله: ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾.

أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾

﴿أَمَّن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ فيرشدكم إلى مقاصدكم بالنجوم والعلامات إذا جنَّ عليكم الليل مسافرين في البر والبحر.

---

(١) في الأصل: المرض أو الفقر. والمثبت من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٤)، والكشف (٢/ ١٦٤)، والنشر (٢/ ٣٣٨-٣٣٩)، والإتحاف (ص:٣٣٨)، والسبعة (ص:٤٨٤).

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾

وما بعده ظاهر أو مُفَسَّرٌ إلى قوله تعالى: ﴿بل أدْرَكَ علمهم في الآخرة﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «أدْرَكَ» على وزن أفعل.

وروي عن عاصم: «بل ادَّرَكَ» بوصل الألف وتشديد الدال وفتحها، على وزن افْتَعَلَ، من أدْرَكَ.

وقرأ الباقون: «بل ادَّارَكَ» بوصل الألف أيضاً وألف قبل الراء والتشديد[1].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٥)، والكشف (٢/ ١٦٤)، والنشر (٢/ ٣٣٩)، والإتحاف (ص:٣٣٩)، والسبعة (ص:٤٨٥).

فمن قرأ: «أَدْرَكَ» كان المعنى: بل بلغ علمهم، واجتمع يوم القيامة حين عاينوا ما كانوا يشُكُّون فيه من أمر الآخرة. هذا مجموع قول ابن عباس والسدي ومقاتل[(١)] وعامة المفسرين[(٢)].

ومن قرأ: "بل ادَّارك"[(٣)] فأصلها: تدارك، فأدغموا التاء في الدال، على معنى: تَلاحَقَ علمهم في الآخرة وتكامل.

﴿بل هم﴾ اليوم ﴿في شك منها﴾ أي: من الساعة، ﴿بل هم منها﴾ أي: من علمها ﴿عَمُون﴾ وهو جمع عَمٍ، وهو الأعمى القلب.

قال صاحب الكشاف[(٤)]: فإن قلت: هذه الإضرابات الثلاث ما معناها؟

قلت: ما هي إلا تنزيل لأحوالهم، وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت البعث، ثم بأنهم لا يعلمون [أن][(٥)] القيامة كائنة، ثم بأنهم يَخْبطُون في شكٍ ومرية، ثم بما هو أسوأ حالاً وهو العمى.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ قال ابن قتيبة[(٦)]: معناه: تَبِعَكم، واللام زائدة، تقديره: كأنه قال: رَدِفَكم.

وقال الزمخشري[(٧)]: زيدت اللام للتأكيد، كالباء في قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٣).

(٢) انظر: الطبري (٢٠/ ٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩١٤)، والوسيط (٣/ ٣٨٣).

(٣) في الأصل: الدرك. وهو خطأ. والتصويب من ب.

(٤) الكشاف (٣/ ٣٨٤).

(٥) في الأصل: بأن. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٣٢٦).

(٧) الكشاف (٣/ ٣٨٥-٣٨٦).

بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة:١٩٥]، أو ضمن معنى فعلٍ يتعدى باللام، نحو: دنا لكم وأزِفَ لكم.

وكانوا يستعجلون بالعذاب الذي توعدهم النبي ﷺ تكذيباً واستهزاءً، فأخبرهم الله تعالى أنه قد قَرُبَ منهم بعض ما استعجلوا به من العذاب، وهو قتلهم وأسرهم يوم بدر.

وقيل: عذاب القبر، وادّخر لهم عذاب الآخرة.

﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ قال مقاتل[1]: لم يعجل على أهل مكة بالعذاب، ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ ذلك.

﴿وإن ربك ليعلم ما تكنّ صدورهم﴾ أي: ما تُخفيه من معاندتك ومعاداتك، ﴿وما يعلنون﴾ من ذلك.

وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٤).

قوله تعالى: ﴿وما من غائبة﴾ قال الواحدي وابن الجوزي[١]: المعنى: وما من جملة غائبة.

وقال صاحب الكشاف[٢]: سُمّي الشيء الذي يغيب ويخفى: غائبة وخافية، فكانت التاء فيهما [بمنزلتها][٣] في العافية والعاقبة، ونظائرهما: النطيحة والرّميّة [والذبيحة][٤]، وأنها أسماء غير صفات، ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة، [كالرّاوية][٥] في قولهم: ويل للشاعر من راوية السوء. كأنه قال: ما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا [وقد][٦] علمه الله تعالى وأحاط به وأثبته في اللوح.

قوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ قال ابن السائب: إن أهل الكتاب اختلفوا وصاروا شيعاً وأحزاباً، فأنزل الله تعالى القرآن بياناً لما[٧] اختلفوا فيه، لو أخذوا به وأسلموا[٨].

﴿وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين﴾ سبق تفسيره[٩].

---

(١) الوسيط (٣/ ٣٨٤)، وزاد المسير (٦/ ١٨٩).

(٢) الكشاف (٣/ ٣٨٦).

(٣) في الأصل: بمنزلة ما، والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: الذبيحة. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: كالروية. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: قد. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٧) في ب: فنزل القرآن ببيان ما.

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٨٩) وفيه: فلو أخذوا به لسلموا.

(٩) في سورة يونس آية رقم: ٥٧.

﴿إن ربك يقضي بينهم بحكمه﴾ قال أكثر المفسرين: يقضي بين أهل الكتاب.

ويجوز أن يكون المعنى: يقضي بين المؤمنين والكافرين بالقرآن.

وقد تقدم ذكر الفريقين، ويعني «بحُكْمه»: بعدْلِه.

وقيل: أراد بحكمته. ويدل عليه قراءة أبي المتوكل وعاصم الجحدري: «بحِكَمِهِ» بكسر الحاء وفتح الكاف[1]، جمع حِكْمَة.

﴿وهو العزيز﴾ الغالب فلا يرد حكمه وقضاؤه، ﴿العليم﴾ بما يقضي بين المختلفين.

وفي قوله: ﴿فتوكل على الله إنك على الحق المبين﴾ أوضح بيان وأنور برهان، على أن المحق حقيق بالوثوق بالله تعالى، خليق بالاعتماد عليه، وأنه جدير بالنصر، وإن قلَّت أنصاره.

قوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ هذا مثلٌ للكفار، شبَّههم الله تعالى لعدم إصاختهم إلى الحق وإفراط إعراضهم عنه بالموتى الذين فقدوا آلة السماع، وكذلك شبههم أيضاً بالصُّمِّ فقال: ﴿ولا تسمع الصم الدعاء﴾، ثم أكّد ذلك بقوله: ﴿إذا ولوا مدبرين﴾؛ لأنهم في هذه الحالة أبعد عن إدراك النداء.

وقرأ ابن كثير: «ولا يَسْمَعُ» بياء مفتوحة مع فتح الميم، «الصُّمُّ» بالرفع، على الإخبار عنهم[2].

---

(١) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٨٩)، والدر المصون (٥/ ٣٢٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٦)، والكشف (٢/ ١٦٥)، والنشر (٢/ ٣٣٩)، والإتحاف (ص:٣٣٩)، والسبعة (ص:٤٨٦).

﴿وما أنت بهادِ العُمْيِ﴾ وقرأ حمزة: «وما أنت تَهْدِي» بالتاء وفتحها[١]، مثل: ترمي، و"العُمْيَ" بالنصب، ونظيره: ﴿أفأنت تهدي العُمْيَ﴾ [يونس:٤٣].

والمعنى: وما أنت بقادر على هداية الكفار لتوغلهم في الضلال وشدة عنادهم.

﴿إن تسمع﴾ سماع إفهام وانتفاع ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾ يُصدِّق بالقرآن، ﴿فهم مسلمون﴾ مخلصون في توحيد[٢] الله تعالى، من قوله: ﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾ [البقرة:١١٢]، أو ﴿فهُم مسلمون﴾: مستسلمون منقادون انقياد خضوع لجلال الله تعالى وعظمته.

۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ قال ابن عباس: حق العذاب عليهم[٣]، وذلك عند مقاربة الساعة ومجيء أشراطها، ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾.

قال الحسن: لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام.

وفي صحيح مسلم من إفراده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ أنه قال: ((أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٧)، والكشف (٢/ ١٦٦)، والنشر (٢/ ٣٣٩)، والإتحاف (ص:٣٣٩)، والسبعة (ص:٤٨٦).

(٢) في ب: توحّد.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩٠).

على الناس ضحى. قال عبد الله بن عمرو: أيتهما خرجت قبل فالأخرى منها قريب))[١].

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر، ويقول هذا: يا كافر، ويقول هذا: يا مؤمن))[٢].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: ((تَسِمُ المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه: مؤمن، وتَسِمُ الكافر بين عينيه وتكتب بين عينيه: كافر))[٣].

وقال عبد الله بن عمرو: [تَنْكُتُ][٤] في وجه الكافر نُكْتَةً سوداء، فتفشو في وجهه فيسودّ وجهه، [وتَنْكُتُ][٥] في وجه المؤمن نُكْتَةً بيضاء فتفشو في وجهه حتى يبيضّ وجهه، فيعرف الناس المؤمن والكافر، ولكأني بها قد خرجت عقب ركب من الحاج[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٦٠ ح٢٩٤١).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٠ ح٣١٨٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩٢).

(٤) في الأصل: تكتب. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: وتكتب. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٥-١٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٧٩) وعزاه لعبد بن حميد.

فصل: يشتمل على صفة الدابة وموضع خروجها

روي عن النبي ﷺ ((أنه ذكر الدابة فقال: طولها ستون ذراعاً، لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب))[١].

وروى حذيفة عن النبي ﷺ ((أنها ذات وَبَرٍ وريش))[٢].

وروي بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: ((هي دابة ذات زَغَبٍ وريش، لها أربع قوائم))[٣].

وقال وهب بن منبه: وجهها وجه رجل، وسائر خلقها كخلق الطير[٤].

وأكثر الأحاديث والآثار تُؤذن أنها تخرج من الصفا، وهو قول ابن مسعود وابن عمر، وعامة المفسرين[٥].

قال سوادة: كنت مع ابن عباس بمكة فبينما هو على الصفا إذ قَرَعَ الصفا بعصاه وهو محرم قد عصب رأسه بشِراك وهو يقول: إن [الدابة][٦] لتسمع قَرْعَ

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٣٠ ح٨٤٩٠)، ولفظه: ((لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب))، والطبري (٢٠/ ١٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٨٠) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٦٦٥ ح١٨٦٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٨١) وعزاه لسعيد بن منصور ونعيم بن حماد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩١).

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٤-١٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٥).

(٦) في الأصل: الدبة. والتصويب من ب.

عَصَايَ هذه[١].

وقال حذيفة بن أسيد: للدابة ثلاث خَرَجَاتٍ؛ خَرْجَةٌ في بعض البوادي ثم تَنْكَتِم، وخَرْجَةٌ في بعض القرى ثم تَنْكَتِم، فبينما الناس عند أعظم المساجد -يعني المسجد الحرام- إذ ارتفعت الأرض فانطلق الناس هُرّاباً فلا يفوتونها، حتى إنها لتأتي الرجل وهو يصلي فتقول: أتتعوذُ بالصلاة! والله ما كنتَ من أهل الصلاة، فتخْطِمُهُ، وتجلو وجه المؤمن[٢].

فصل

اختلف القراء في قوله تعالى: ﴿تكلمهم﴾ فقرأ الأكثرون بالتشديد.

قال قتادة ومقاتل[٣]: تُكلّمهم بالعربية فتقول: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون[٤].

قال بعض المحققين: قولها: «بآياتنا» حكاية لقول الله تعالى، أو هو على معنى: بآيات ربنا، أو ساغ ذلك لموضع اختصاصها بالله وأَثَرَتِها عنده، وكونها من خواص خلقه، كما يقول بعض خواص الملك: بلادنا وخيلنا، وإنما هي بلاد مولاه وخيله.

---

(١) ذكره ابن حبان في الثقات (٤/ ٣٤٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨٥).

(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده (١/ ١٤٤ ح١٠٦٩)، والحاكم (٤/ ٥٣١ ح٨٤٩١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والطبري (٢٠/ ١٤-١٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٨١) وعزاه للطيالسي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨٥-٣٨٦).

وقال السدي: تُكلمهم ببطلان الأديان، سوى دين الإسلام[١].

وقيل: كلامها قولها: هذا مؤمن وهذا كافر.

وقرأ ابن أبي عبلة والجحدري: «تَكْلِمُهُم» بفتح التاء وسكون الكاف وكسر اللام وتخفيفها[٢]، من الكَلْم، وهو الجَرْح.

والمراد به: الوَسْم بالعصا والخاتم.

ويجوز أن يكون المراد على قراءة من قرأ بالتشديد ما هو المراد على قراءة من خفّف، وهو الجَرْح على معنى التكثير.

وروي[٣] عن ابن عباس قال: كل ذلك والله تفعل، تُكَلِّمُ المؤمن وتَكْلِمُ الكافر، أي: تجرحه[٤].

قوله تعالى: ﴿أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ قرأ أهل الكوفة: «أَنَّ الناس» بالفتح، وكسرها الباقون[٥].

فمن فتح فعلى معنى: تكلّمهم بأن الناس، وهكذا قرأها ابن مسعود.

ومن كسر فعلى إضمار القول، أو لأن الكلام قولٌ، أو هو حكاية منها بقول الله تعالى.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩٣).

(٢) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٩٣)، والدر المصون (٥/ ٣٢٨).

(٣) في ب: ويروى.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٧٨)، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٨)، والكشف (٢/ ١٦٧)، والإتحاف (ص:٣٣٩-٣٤٠)، والسبعة (ص:٤٨٦-٤٨٧).

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ أي: جماعة، يعني: الرؤساء والقادة في الكفر.

قال ابن عباس: أبو جهل، والوليد بن المغيرة، وشيبة بن ربيعة، يساقون من[1] بين يدي أهل مكة، وكذلك تُحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار[2].

وقيل: يحشرون ويجمعون لإقامة الحجة عليهم.

﴿فهم يوزعون﴾ يُحبسون ويُكَفُّ أولهم لآخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار.

﴿حتى إذا جاؤوا﴾ يعني: إلى موقف الحساب ﴿قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً﴾ الواو في «وَلَمْ» للحال، كأنه قال: أكذبتم بآياتي جاهلين بها غير ناظرين في معانيها ولا متّفقين فيها.

﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ في الدنيا، والمراد من هذا السؤال: تبكيتهم، فإنهم لم يعملوا إلا التكذيب، فلا سبيل لهم إلى إنكاره.

---

(١) ساقط من ب.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٩٠).

﴿ووقع القول عليهم بما ظلموا﴾ أي: وجب العذاب عليهم بما أشركوا وعصوا ﴿فهم لا ينطقون﴾ بحجة يُحاجِلُون بها عن أنفسهم، أو لا ينطقون لما يَبْغَتُهم من أهوال القيامة وشدائدها، كقوله تعالى: ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ [المرسلات:٣٥].

قوله تعالى: ﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾ قد سبق القول على معنى ذلك[١]. ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾.

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ قال ابن عباس: يريد: النفخة الأولى[٢].

﴿ففزع من في السموات ومن في الأرض﴾[٣] وذلك حين يصعقون ويموتون

---

(١) في سورة يونس عند الآية رقم: ٦٧.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩٥).

(٣) قال ابن جرير الطبري (٢٠/ ٢٠): فإن قال قائل: وكيف قيل: "فَفَزِعَ"، فجعل فزع وهي فعل مردودة على "ينفخ"، وهي يَفْعُلُ؟

قيل: العرب تفعل ذلك في المواضع التي تصلح فيها "إذا"، لأن "إذا" يصلح معها فعل ويفعل، كقولك: أزورك إذا زرتني، وأزورك إذا تزورني، فإذا وضع مكان "إذا" "يوم" أجرى مجرى "إذا".

لشدة الخوف، ﴿إلا من شاء الله﴾ وهم الشهداء، في قول ابن عباس وأبي هريرة وأكثر المفسرين[(١)].

وقال مقاتل[(٢)]: هم جبريل، وميكال، [وإسرافيل][(٣)]، وملك الموت.

وقال الضحاك وأبو إسحاق بن شاقلا: هم الذين خُلقوا للبقاء، [كالحور][(٤)] العين، وخَزَنة النار، وحَمَلَة العرش[(٥)].

﴿وكلٌّ آتُوه داخرين﴾ أصلها: آتِيُونَه، فاعِلُونه، فلما انضمت الياء وقبلها كسرة استُثْقِل ذلك فيها، فألقيت حركة الياء على التاء وحذفت كسرة التاء، فاجتمع ساكنان: الياء والواو، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وكانت أولى بالحذف؛ لأن الواو تدل على الجمع، وحذفت النون للإضافة، والهاء في موضع خفض لإضافة اسم الفاعل إليها.

[والمعنى][(٦)]: وكلٌّ يأتون الله تعالى يحضرون الموقف.

وقرأ حمزة وحفص عن عاصم: «أَتَوْهُ» بالقَصْر وفتح التاء، جعلاه فعلاً ماضياً[(٧)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٣٠) كلاهما من حديث طويل عن أبي هريرة. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٨٤) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير عن أبي هريرة.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٦).

(٣) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: كاحور. والتصويب من ب.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩٥).

(٦) في الأصل: المعنى. والتصويب من ب.

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٨-٥٣٩)، والكشف (٢/ ١٦٧)، =

﴿داخرين﴾: صاغرين ذليلين.

قوله تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ أي: واقفة.

قال ابن قتيبة[(١)]: هذا يكون إذا نُفِخ في الصُّور، تُجْمَعُ الجبال وتُسَيَّر، فهي لكثرتها تُحْسَبُ جامدة.

﴿وهي تمرّ مرّ السحاب﴾ أي: تسير سَيْرَ السحاب، وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد، كالجيش العظيم إذا تحركت يحسبها الناظر واقفة، كما قال النابغة يصف جيشاً:

بأرْعَنَ مثلِ الطَّوْدِ تحسِبُ أنهم وُقوفٌ لِحاجٍ والرِّكابُ تُهَمْلِجُ[(٢)]

والأرْعَن: الجبل الكثيف.

﴿صنع الله﴾ قال الزجاج[(٣)]: هو منصوب على المصدر؛ لأن قوله: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ دليل على الصَّنْعَة، فكأنه قال: صَنَعَ الله تعالى ذلك صُنْعاً.

﴿الذي أتقن كل شيء﴾ أحكمه وأبرمه، ﴿إنه خبير بما يفعلون﴾ أي: بما يفعل العباد، طائعهم وعاصيهم.

وقرأ نافع وابن عامر في رواية عنه وأهل الكوفة: «تفعلون» بالتاء، على

= والنشر (٢/ ٣٣٩)، والإتحاف (ص:٣٤٠)، والسبعة (ص:٤٨٧).

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣٢٧).

(٢) البيت للنابغة الجعدي، انظر: ديوانه (ص:١٨٧)، واللسان (مادة: صرد)، وتأويل المشكل (ص:٦)، والدر المصون (٥/ ٣٢٩)، والطبري (٢٠/ ٢١)، والقرطبي (١٣/ ٢٤٢)، وزاد المسير (٦/ ١٩٦)، وروح المعاني (٩/ ١٨٠، ٢٠/ ٣٤).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ١٣٠).

المخاطبة للعباد[١].

قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة﴾ مفسّر في آخر الأنعام[٢].

﴿فله خير منها﴾ وهو الثواب المضاعف الدائم.

وقيل: المعنى: فله خير حاصل من جهتها، وهو الجنة.

﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ قرأ أهل الكوفة: «فَزَعٍ» بالتنوين، وقرأ نافع وأهل الكوفة: «يومَئِذٍ» [بفتح الميم. وقرأ الباقون: «فَزَعِ» بغير تنوين على الإضافة، «يومِئِذٍ» بخفض][٣] الميم[٤].

قال الفراء[٥]: الإضافةُ أعجب إليّ في العربية؛ لأنه فَزَعٌ معلوم، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ [الأنبياء:١٠٣] فصيّره معرفةً، فإذا أضفْتَ وكان معرفةً كان أحب إليّ.

واختار أبو عبيدة قراءة التنوين وقال[٦]: هي أعمّ التأويلين، فيكون الأمن [من][٧] فزعٍ من جميع ذلك اليوم.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٩)، والكشف (٢/ ١٦٩)، والنشر (٢/ ٣٣٩)، والإتحاف (ص:٣٤٠)، والسبعة (ص:٤٨٧).

(٢) آية رقم: ١٦٠.

(٣) زيادة من ب.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٠)، والكشف (٢/ ١٦٩)، والنشر (٢/ ٣٤٠)، والإتحاف (ص:٣٤٠)، والسبعة (ص:٤٨٧).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٣٠١).

(٦) لم أقف عليه في مجاز القرآن.

(٧) زيادة من ب.

قال أبو علي الفارسي[١]: إذا نوّن يجوز [أن يُعْنى به فزع واحد، ويجوز][٢] أن يُعْنى به الكثرة؛ لأنه مصدر، والمصادر تدل على الكثرة، وإن كانت مفردة الألفاظ، كقوله تعالى: ﴿إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ [لقمان:١٩]، وكذلك إذا أضيفت يجوز أن يُعْنى [به][٣] مفرد، ويجوز أن يُعْنى [به][٤] كثرة.

وعلى هذا: القراءتان سواء، فإن أريد به الكثرة: فهو شامل لكل فزع يكون يوم القيامة، وإن أريد به الواحد: فهو المشار إليه بقوله: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ [الأنبياء:١٠٣].

قال أبو علي[٥]: من قرأ: «فَزَعٍ» بالتنوين، «يومَئذ» بفتح الميم، جاز في انتصاب يومئذ: أن يكون منتصباً بالمصدر، كأنه: وهم من أن يفزعوا يومَئِذْ. وجاز أن يتعلق باسم الفاعل كأنه: وهم آمنون يومَئِذٍ من فزعٍ.

قال[٦]: ومن كسر الميم من «يومِئذ» في [المواضع][٧] الثلاثة في هود[٨] وهاهنا وفي سأل سائل[٩]؛ فلأن يوماً اسمٌ معربٌ أضيف إليه ما أضيف من الخزي

---

(١) الحجة (٣/ ٢٤٨).

(٢) زيادة من ب، والحجة، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: بها. والتصويب من ب، والحجة، الموضع السابق.

(٤) زيادة من الحجة (٣/ ٢٤٨).

(٥) الحجة (٣/ ٢٤٧-٢٤٨).

(٦) أي: أبو علي الفارسي في الحجة (٢/ ٤٠٣-٤٠٦).

(٧) في الأصل: الموضع. والتصويب من ب.

(٨) عند الآية رقم: ٦٦.

(٩) عند الآية رقم: ١١.

والعذاب والفزع، فانجرّ بالإضافة، ولم يَفْتَح اليوم، فتبنيه لإضافته إلى المبني؛ لأن المضاف منفصلٌ من المضاف إليه، ولا تلزمه الإضافة، فلما لم تلزم الإضافة المضاف لم يلزم فيه البناء.

ومن فتح الميم فقال: ﴿من خزي يومَئذ﴾، و﴿من عذاب يومَئذ﴾ مع أنه في موضع جر؛ فلأن المضاف يكتسي من المضاف إليه التعريف والتنكير.

ومعنى الاستفهام والجزاء في نحو: غلامَ مَنْ تضربُ؟ وغلامَ مَنْ تضربْ أضرِبْه، فلما كان يكتسي من المضاف إليه هذه الأشياء اكتسى منه أيضاً البناء، فبُنِيَ اليومَ لإضافته إلى مبني.

فأما من أضاف «من فَزَعِ يَومِئذْ» ولم ينوّن الفزع، فإنه عرّفه بالإضافة إلى اليوم؛ [لأن][1] المراد به من فزع يوم مخصوص، وهو يوم القيامة، فكأنه: وهم من فزع يوم القيامة آمنون، فهذا معرفةُ مخصوص.

ومن نوَّنَ الفَزَعَ ونكَّره فكأنه فَصَلَ ولم يُضِفْ؛ لأنه لما جاء الفزع الأكبر دلّ ذلك على ضروب منه، وإذا نوّن فقد وقع الأمن من جميع ذلك، أكثره[2] وأوسطه وأدونه؛ لأن النكرة تعمّ والمعرفة تخصّ. هذا كله كلام أبي علي.

قوله تعالى: ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ قال المفسرون: هي الشرك[3] ﴿فكبّت

---

(١) في الأصل: ولأن. والتصويب من ب.

(٢) في الحجة (٢/ ٤٠٦): أكبره.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤١ ح٣٥٢٨) عن عبدالله بن مسعود وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ومجاهد (ص:٤٧٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٣٥)، والطبري (٢٠/ ٢٢) من عدة طرق. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٨٥-٣٨٧) من طرق كثيرة.

وجوههم في النار﴾.

قوله تعالى: ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب، وحكاية لما يقال لهم عند الكبّ بإضمار القول.

إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

قوله تعالى: ﴿إنما أمرت﴾ أي: قل يا محمد للمشركين: إنما أمرت، ﴿أن أعبد رب هذه البلدة﴾ يعني: مكة، ﴿الذي حرمها﴾ في موضع نصب صفة لـ"رب"[1].

وقرأ ابن مسعود: «التي حرمها»[2]، فتكون في موضع جرّ صفة [للبلدة][3].

والمعنى: عظّم حرمتها، فلا ينفّر صيدها، ولا يختلى خلاها.

﴿وله كل شيء﴾ خَلْقاً ومُلْكاً، فهو المستحق للعبادة، ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ المخلصين لله تعالى بالتوحيد.

﴿وأن أتلو القرآن﴾ أي: أقرأه عليكم.

وقيل: المعنى: وأن أتبع القرآن وأعمل بما فيه.

﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ أي: فإنما يرجع نفع اهتدائه إليه، ﴿ومن

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٧٦)، والدر المصون (٥/ ٣٣٠).

(٢) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٩٨).

(٣) في الأصل: لبلدة. والتصويب من ب.

ضلّ فقل إنما أنا من المنذرين﴾ ليس عليّ إلا البلاغ.

وهذا كان قبل الأمر بالقتال.

ثم أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يحمده على ما خوَّله من نعمه وهدايته فقال: ﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها﴾ قال ابن عباس: منها: الدخان وانشقاق القمر[1].

وقال مقاتل[2]: يعني: العذاب في الدنيا، والقتل ببدر.

وقال الحسن: المعنى: سيريكم آياته في الآخرة فتعرفونها على ما قال في الدنيا[3].

وقال الزجاج[4]: سيريكم آياته في جميع ما خَلَق، وفي أنفسكم.

﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ قرئ بالياء على المغايبة، لقوله: «وما ربك»، وبالتاء على المخاطبة[5]، وقد ذكر في آخر هود[6].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩٨).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٧).

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٢٣٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩٨).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ١٣٠).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤١)، والكشف (٢/ ٥٣٨)، والنشر (٢/ ٢٦٢-٢٦٣)، والإتحاف (ص:٣٤٠)، والسبعة (ص:٤٨٨).

(٦) عند الآية رقم: ١٢٣.

سورة القصص

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي تسعون آية إلا آيتين، وهي مكية غير قوله تعالى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن... الآية﴾ فإنها نزلت بالجحفة أيام الهجرة[1].

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿من نبأ موسى وفرعون﴾: مفعول "نتلو"[2]، أي: نتلوا عليك بعض خبرهما.

قوله تعالى: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ أي: طغى في أرض مصر وتجبّر، ﴿وجعل أهلها شيعاً﴾ فِرَقاً وأصنافاً في خدمته.

وقيل: جعلهم شِيعاً: فِرَقاً على أهواء مختلفة، وألقى بينهم التشاحن، وأغرى

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٧)، والماوردي (٤/ ٢٣٣)، وزاد المسير (٦/ ٢٠٠).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٧٦)، والدر المصون (٥/ ٣٣١).

بين القبط وبني إسرائيل، وشتّت كلمتهم؛ ليتمكن من التسلّط عليهم.

﴿يستضعف طائفة منهم﴾ وهم بنو إسرائيل. ومحله النصب على الحال من الضمير في "وجعل"، أو صفة لـ"شيعاً". ويجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً[١].

قوله[٢] تعالى: ﴿يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم﴾ بدل من "يستضعف"، وقد سبق في البقرة سبب قتله واستحيائه النساء.

قوله تعالى: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض﴾ يعني: بني إسرائيل، وهذه الجملة معطوفة على قوله تعالى: ﴿إن فرعون﴾. ويجوز أن يكون حالاً من "يستضعف"[٣]، على معنى: يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نَمُنَّ عليهم[٤].

﴿ونجعلهم أئمة﴾ قال مجاهد: دُعاةً إلى الخير[٥].

وقال قتادة: وُلاةً ومُلوكاً[٦].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٧٦)، والدر المصون (٥/ ٣٣١).

(٢) في ب: وقوله.

(٣) قال السمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٣٣٢): وفيه ضعف من حيث الصناعة ومن حيث المعنى. أما الصناعة فلكونه مضارعاً مثبتاً، فحقه أن يتجرد من الواو وإضمار مبتدأ قبله، أي: ونحن نريد. وأما المعنى فكيف يجتمع استضعاف فرعون وإرادة المنّة من الله؟ لأنه متى مَنَّ الله عليهم تعذّر استضعاف فرعون إياهم. وقد أجيب عن ذلك بأنه لما كانت المنّة بخلاصهم من فرعون سريعة الوقوع قريبته جُعِلَت إرادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم.

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ٣٣٢).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٩٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

﴿ونجعلهم الوارثين﴾ يرثون مُلْك فرعون وغيره.

﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ [نُمهّد لهم في أرض][1] الشام ومصر ونبسط أيديهم ونُعِزّ سلطانهم.

﴿ونري فرعون وهامان وجنودهما﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «ويَرى» بالياء المفتوحة وإمالة الراء، «فرعونُ وهامانُ وجنودُهُما» بالرفع[2].

والمعنى: يُريهم أو يَرون من بني إسرائيل الذين قهروهم واستعبدوهم واستضعفوهم، ﴿ما كانوا يحذرون﴾ أي: يخافونه من ذهاب مُلْكهم وهلاكهم على يد مولودٍ منهم.

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ قال وهب بن منبه: لما حملت بموسى عليه السلام كَتَمَتْ أمرها فلم يطّلع عليه أحد، ولم يتنُؤ بطنها، ولم يتغيّر لونها، ولم يظهر لَبَنُها، وفي تلك السنة تقدم فرعون إلى القوابل فَفَتَّشْنَ تفتيشاً لم

---

(١) زيادة من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤١-٥٤٢)، والكشف (٢/ ١٧٢)، والنشر (٢/ ٣٤١)، والإتحاف (ص:٣٤١).

يُفَتِّشْنَهُ قبل ذلك، فلما كانت الليلة التي وُلد فيها موسى ﷺ ولدته أمه ولا رقيب عليها ولا قابلة، ولم يطّلع عليها أحد إلا أخته مريم، فأوحى الله تعالى إليها ﴿أن أرضعيه فإذا خفت عليه... الآية﴾. قال: فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك، فلما خافت عليه عملت له تابوتاً مُطْبَقاً ومهَّدت له، ثم ألقته في البحر ليلاً كما أمرها الله تعالى، فلما أصبح فرعون جلس في مجلسه على شاطئ النيل، فبصُر بالتابوت، فقال لمن حوله من خدمه: ائتوني بهذا التابوت، فأتوه به، فلما وُضع بين يديه فتحوه فوجدوا فيه موسى، فلما نظر إليه فرعون قال: عِبْراني من الأعداء، فغاظه ذلك وكيف أخطأ هذا الغلام الذبح.

وكان فرعون [قد][1] استنكح امرأة من بني إسرائيل يقال لها: آسية بنت مزاحم، وكانت من خيار النساء، ومن بنات الأنبياء، وكانت أماً للمسلمين ترحمهم وتُعطيهم ويدخلون عليها، فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه: هذا الوليد أكبر من ابن سنة، وإنما أُمِرْتَ أن تذبح الولدان لهذه السنة، فدعه يكن قرة عين لي ولك، لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، وهم لا يشعرون أن هلاكهم على يديه. فاستحيا فرعون وَوَمِقَه[2]، [وألقى][3] الله تعالى عليه محبته ورأفته[4].

وقال جماعة من المفسرين: كانت امرأة من القوابل مصافية لأم موسى فتولّت

---

(١) زيادة من ب.

(٢) وَمِقَه: أي: أحبه (انظر: اللسان، مادة: ومق).

(٣) في الأصل: ألقى. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٧-٦٢٨ ح٤٠٩٧).

أمرها، فلما وضعت رأت له نوراً بين عينيه، فارتعش كل مفصل منها، ودخل حبه قلبها، فقالت: ما جئتك إلا لأقتل مولودك وأُخبر فرعون، ولكني وجدت لابنك حباً ما وجدت قبله مثله، فاحتفظي به، ثم خرجت فرآها بعض العيون، فجاؤوا ليدخلوا على أم موسى، فقالت أخته: يا أماه هذا الحرس بالباب، فلفَّتْ موسى في خرقة ووضعته في التنور وهو يُسْجَر، ولا تشعر بذلك لما طاش من عقلها، فدخلوا ففتشوا فلم يجدوا شيئاً، فخرجوا وهي لا تعلم أين هو، فقالت لأخته: أين أخوك؟ قالت: لا أدري، فسمعت بكاءه من التنور، فوثبت إليه وقد جعل الله تعالى النار عليه[1] بَرْداً وسلاماً، فأرضعته ثلاثة أشهر[2]، كما رويناه عن وهب.

وقيل: أربعة أشهر.

قال ابن عباس: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾: قذفنا في قلبها وألهمناها[3].

وقيل: رأتْ في منامها[4].

وقال مقاتل[5]: جاءها جبريل بذلك، واسم أمه: يوخابذ[6] بنت لاوي بن يعقوب.

قوله تعالى: ﴿فإذا خفت عليه﴾ أي: خشيت عليه، ﴿فألقيه في اليم﴾ يريد: النيل، ﴿ولا تخافي﴾ عليه الغرق والضياع، ﴿ولا تحزني﴾. وقد ذكرنا فيما مضى أن

---

(١) في ب: عليه النار.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٩٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٢٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٢) عن الماوردي.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٩).

(٦) في تفسير مقاتل: يوكابد.

الخوف غَمٌّ يلحق الإنسان لأمر متوقَّع، وأن الحُزْن لأمر ماض.

ثم بَشَّرها ببشارتين تنال بهما شرف الدارين مع ظفرها بمقصودها فقال: ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾.

قال الأصمعي: قلتُ لأعرابية: ما أفصحكِ؟ فقالت: أو بعد هذه الآية فصاحة، وهي قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى ... الآية﴾ فجمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين[1].

قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ الالتقاط: إصابة الشيء من غير طلب. والمراد بآله: الذين أصابوا التابوت.

قال السدي: جواري امرأته[2].

وقال محمد بن قيس: بنت فرعون[3].

قوله تعالى: ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ البصريون من النحويين يُسمُّون هذه اللام وإن كانت على صورة لام كي: لام العاقبة ولام الصيرورة؛ لأن عاقبة الشيء المذكور انتهت إلى ما أخبر به [وصارت][4] إليه، وإن لم يكن مما أثّره الفاعل ولا أراده.

وأما الفراء وأصحابه الكوفيون فيذهبون إلى أنها لام كي؛ تنزيلاً لحال الابتداء على معنى الانتهاء، ونظيره: أن يَسْقِي رجل رجلاً دواء ليشفيه من دائه فيتلف،

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٢٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣١-٣٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٣).

(٤) في الأصل: وصار. والتصويب من ب.

فيقال: سقاه دواء فقتله، وسقاه ليقتله، أي: كان بمنزلة من قصد إتلافه وإن كان كارهاً غير مختار له، وأنشدوا:

وللموتِ تَغْذُوا الوالداتُ سِخَالَهَا ... كَمَا لِخَرَابِ الدُّورِ تُبْنَى المساكن[1]

[وقال آخر:

وللمَنَايا تُربي كُلُّ مُرْضِعَةٍ ... وللخرابِ يُجِدُّ الناسُ عُمرانا[2]][3]

وقال آخر:

فإنْ يَكُنِ الموتُ أفناهُمُ ... فللموتِ ما تَلِدُ الوالِدَه[4]

قوله تعالى: ﴿وقالت امرأة فرعون﴾ يعني: آسية ﴿قرة عين لي ولك﴾ فقال فرعون: لكِ لا لي.

وقد جاء في الحديث: ((أنه لو قال يومئذ: قرة عين لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها))[5].

[قال الزجاج[6]: رَفَعَ][7] «قُرَّةُ عين» [على][8] إضمار هو.

---

(١) انظر البيت في: القرطبي (١٣/ ٢٥٢)، وزاد المسير (٤/ ٥٦)، والدر المصون (٤/ ٦٤)، وفيض القدير (١/ ٢٦٤، ٥/ ٤٨٥).

(٢) انظر البيت في: زاد المسير (٤/ ٥٦)، والدر المصون (٤/ ٦٤)، والبحر المحيط (٥/ ١٨٥).

(٣) زيادة من ب.

(٤) انظر البيت في: زاد المسير (٤/ ٥٦).

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٩٧ ح١١٣٢٦).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ١٣٣).

(٧) في الأصل: قال: الرفع. والتصويب من ب.

(٨) في الأصل: لي. والتصويب من ب.

قلت: ومِنْ جَهَلَةِ القرَّاء من يرى الوقف على قوله: «ولك لا»، ويُفْسِدُ هذا قوله: ﴿تقتلوه﴾ فإنه مجزومٌ ولا جازم له.

قال المفسرون: كان فرعون لا يولد له إلا البنات[1] فقالت: ﴿عسى أن ينفعنا﴾ أي: نجد منه خيراً، كأنها تلمحت منه [مخايل][2] اليُمْن والبركة، لما عاينت من النور الذي بين عينيه، وارتضاعه إبهامه، وبُرْءِ بَرَصِ بنت فرعون بريقه، ﴿أو نتخذه ولداً﴾.

قال الله تعالى: ﴿وهم لا يشعرون﴾ قال مجاهد: لا يعلمون أنه عدوّ لهم[3].

وقال قتادة: لا يعلمون أن هلاكهم على يديه[4].

وقال ابن إسحاق: لا يشعرون أني أعمل ما أريد[5].

وقيل: المعنى: والناس لا يشعرون أنه لقيط، بل يحسبون أنه ولدنا. فيكون من تمام كلامها.

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٤٧٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٤).

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٥)، ومجاهد (ص:٤٨١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٩٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٩٤) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٤).

بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ قال ابن عباس وجمهور المفسرين: أصبح قلبها فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى[١].

وقال الحسن ومحمد بن إسحاق: فارغاً من الوحي الذي أوحى الله تعالى إليها حين أمرها أن تلقيه في البحر، ومن العهد الذي عهد إليها أنه يردُّه عليها، فجاءها الشيطان وقال: يا أم موسى كرهت أن يَقتُل فرعون موسى ولك أجره، وتوليت أنت قتله فألقيته أنت في البحر وغرّقتيه، فلما [أتاها][٢] الخبر أن فرعون أصابه قالت: إنه قد وقع في يد عدوه الذي فررت [به][٣] منه، فأنساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله تعالى إليها، فذلك قوله تعالى: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤١ ح٣٥٢٩) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والطبري (٢٠/ ٣٥-٣٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٩٤-٣٩٥) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس، ومن طرق أخرى كثيرة.

(٢) في الأصل: أتاه. والتصويب من ب.

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦).

وقال أبو عبيدة[١]: فارغاً من الحزن؛ لعلمها أنه لم يَغرَق[٢].

وعجب ابن قتيبة من هذا وقال[٣]: كيف يكون كذلك والله تعالى يقول: ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾[٤]؟! وهل يُربَطُ إلا على قلب الجازع المحزون؟!.

وقال صاحب الكشاف[٥]: «فارغاً»: صفراً من العقل. والمعنى: أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها؛ لما دهشها[٦] من فرط الجَزَع، ونحوه: ﴿وأفئدتهم هواء﴾ [إبراهيم:٤٣]، أي: جُوَّفٌ لا عقول فيها. ويدل عليه قراءة من قرأ: «فَزِعاً»، وقرئ: «قَرِعاً» أي: خالياً، من قولهم: أعوذ بالله من صِفْر الإناء وقَرْع الفِنَاء، و «فِرْغاً» من قولهم: دماؤهم بينهم فِرْغ، أي: هَدْر، يعني: بَطَلَ قلبُها وذهبَ، وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها.

قلت: الذي قرأ: «فَزِعاً» بفاء معجمة بواحدة وزاي معجمة مكسورة وعين مهملة: أبو رزين والضحاك وأبو العالية وقتادة وعاصم الجحدري في آخرين[٧].

وبها قرأتُ على شيخنا أبي البقاء عبدالله بن الحسين النحوي للكسائي من رواية ابن أبي سريج عنه.

ومثلهم قراءة عبدالله بن عباس ومعاذ القارئ وأبو عمران الجوني، إلا أنهم

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٩٨).

(٢) قال القرطبي (١٣/ ٢٥٥): وقول أبي عبيدة غلط قبيح.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣٢٨-٣٢٩).

(٤) في الأصل زيادة: ﴿لتكون من المؤمنين﴾ وستأتي بعد.

(٥) الكشاف (٣/ ٤٠٠).

(٦) في الكشاف: دهمها.

(٧) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ٢٠٤).

سكّنوا الزاي[1].

والذي قرأ: «قَرِعاً» بقاف وراء مهملة مكسورة وبعين مهملة: أبي بن كعب، وأبو نهيك، وأبو المتوكل، وأبو رجاء العطاردي[2]. ومثلهم قرأ ابن مسعود، وأبو مجلز، وأبو الجوزاء، إلا أنهم فتحوا الراء.

قوله تعالى: ﴿إن كادت لتبدي به﴾ أي: بموسى وذلك حين فارقته.

قال ابن عباس: كادت تقول: يا بنياه! من شدة وَجْدِها عليه[3].

وقال السدي: كادت تقول حين حملت لرضاعه: هذا ابني[4].

وقال ابن السائب: كادت تقول: هو ابني، لما كبر وسمعت الناس يقولون: هذا ابن فرعون[5].

وحكى ابن جرير[6]: أن الضمير يعود إلى الوحي، على معنى: إن كادت لتبدي بالوحي، فتتحدث بأنها فعلت ما فعلت من إلقائه في اليم، وما بُشّرت به من رَدِّهِ إليها، وجَعْلِهِ من المرسلين.

﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ ألهمناها الصبر وقوّينا قلبها وثبتناه، ﴿لتكون من المؤمنين﴾ المُصَدِّقين بوعد الله تعالى، وهو قوله تعالى: ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾.

(١) انظر هذه القراءة في الدر المصون (٥/ ٣٣٣).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٧).

(٤) مثل السابق.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٥).

(٦) تفسير ابن جرير الطبري (٢٠/ ٣٧).

قوله تعالى: ﴿وقالت لأخته قصيه﴾ أي: ابْتَغِي أَثَرَه وتتبَّعِي خبره.

قال المفسرون: سمعت أن فرعون أصاب صبياً في تابوت، فقالت لأخته: تنكَّري واذهبي مع الناس وانظري ماذا يفعلون به، فدخلت مع القوابل، ﴿فبصرت به عن جنب﴾ أي: بُعْد، ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها أخته ولا أنها تَرْقُبُه.

قوله تعالى: ﴿وحرّمنا عليه المراضع﴾ وهو جمع مُرْضِع، ﴿من قبل﴾ أي: من قبل رَدِّهِ إلى أمه.

قال المفسرون: بقي ثمانية أيام ولياليهن كلما أُتِيَ بمرْضِعْ لا يقبل ثديها، فأهمّهم ذلك واشتدّ عليهم، ﴿فقالت﴾ لهم أخته حين رأت شفقتهم عليه ورأفتهم به: ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾؟ فقالوا لها: نعم، مَنْ تلك؟ فقالت: أمي، قالوا: وهل لها لبن؟ قالت: لبن هارون. فلما جاءت قبل ثديها. وقيل: إنها لما قالت: ﴿وهم له ناصحون﴾ قالوا: لعلك تعرفين أهله؟ قالت: لا، ولكن إنما قلت: وهم للملك ناصحون[1].

قال أهل التفسير: لما وجد ريحها استأنس والْتَقَم ثديها، فقال لها فرعون: ومن أنت منه، فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟ فقالت: إني امرأة طَيِّبُ الريح، طيِّبَةَ اللبن، لا أوتى بصبي إلا قبلني، فدفعه إليها وأجرى عليها[2]، وذهبت به إلى بيتها، وأنجز

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٦).

(٢) قال الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٠١): فإن قلت: كيف حلّ لها أن تأخذ الأجر إلى إرضاع ولدها؟

قلت: ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع، ولكنه مال حربيّ كانت تأخذه على وجه الاستباحة.

الله سبحانه وتعالى وعده في الرد، فعندها ثبت واستقر في علمها أن سيكون نبياً، فذلك قوله تعالى: ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها﴾ بولدها ﴿ولا تحزن﴾ على فراقه ﴿ولتعلم أن وعد الله﴾ تعالى برده إليها وكونه مرسلاً[1] ﴿حق﴾ لا ريب فيه، ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الله تعالى وعدها بذلك[2].

فلما فطمتْه ردَّتْه إلى فرعون فنشأ في حجر فرعون وحجر امرأته واتخذاه ولداً.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده﴾ مفسّر في أواخر الأنعام[3]، وأول يوسف[4]، ﴿واستوى﴾ اعتدل وتمّ استحكامه.

---

(١) في ب: رسولاً.

(٢) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ٢٢٩). وانظر: الماوردي (٤/ ٢٣٩).

(٣) عند الآية رقم: ١٥٢.

(٤) عند الآية رقم: ٢٢.

قال ابن عباس: أشدّه: ثلاث وثلاثون سنة، واستواؤه: أربعون سنة[١].

﴿آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ مفسر في سورة يوسف[٢].

قوله تعالى: ﴿ودخل المدينة﴾ أي: ودخل موسى مصر، وقيل: مَنْفَ[٣] -قرية من مصر-، ﴿على حين غفلة من أهلها﴾.

قال علي عليه السلام: دخلها في يوم عيد لهم، وكانوا قد اشتغلوا بلَهْوِهِم[٤].

وقال ابن عباس: عند الظهيرة وقت القائلة[٥].

وقال وهب بن منبه: بين المغرب والعشاء[٦].

﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ أي: من بني إسرائيل، ﴿وهذا من عدوه﴾ يعني: من القبط.

وقد قيل: إن الذي من شيعته: السامري، والذي من عدوه: طبّاخُ فرعون، وكان سَخَّر الإسرائيلي يحمل له حطباً إلى مطبخ فرعون، ﴿فاستغاثه الذي من

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٥١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٩٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والمحاملي في أماليه.

(٢) عند الآية رقم: ٢٢.

(٣) مَنْف: مدينة فرعون بمصر، بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ، وبينها وبين عين شمس ستة فراسخ (معجم البلدان ٥/ ٢١٣-٢١٤).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٨).

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٩٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. ولفظهم: «نصف النهار».

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٥٣) كلاهما عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٨) عن وهب بن منبه، والسيوطي في الدر (٦/ ٣٩٨) وعزاه لابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس.

شيعته على الذي من عدوه﴾ أي: استنصره عليه، ﴿فوكزه موسى﴾ قال الفراء[١]: دَفَعَهُ بأطراف أصابعه.

وقال الزجاج[٢]: الوَكْزُ: أن يضربه بجميع كَفِّه، وقد قيل: وَكَزَهُ بالعصا.

ويقال: وَكَزَهُ ولَكَزَهُ ونَكَزَهُ ولَهَزَهُ بمعنىً واحد، أي: دَفَعَه.

وفي قراءة ابن مسعود: «فلَكَزَه موسى»[٣].

﴿فقضى عليه﴾ أي: فقتله.

قال العلماء بالتفسير: كان موسى شديد البطش، فوَكَزَ القبطي فقتله، وهو لا يريد قتله[٤]، فندم على ذلك وقال: ﴿هذا من عمل الشيطان﴾ أي: بسبب منه؛ لأنه الحامل له على ذلك بتهييج غضبه، ﴿إنه عدو﴾ لبني آدم ﴿مضل﴾ لهم ﴿مبين﴾ العداوة[٥].

﴿قال رب إني ظلمت نفسي﴾ بقتل من لم تأذن لي في قتله، ﴿فاغفر لي﴾ فأخبر الله تعالى أنه استجاب دعاءه، فذلك قوله تعالى: ﴿فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾.

﴿قال رب بما أنعمت عليّ﴾ قال الزمخشري[٦]: يجوز أن يكون قَسَماً جوابه محذوف، تقديره: أُقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة لأتوبن، ﴿فلن أكون ظهيراً

---

(١) لم أقف عليه في معاني الفراء.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٣٧).

(٣) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣٣٥).

(٤) قال الشوكاني في فتح القدير (٤/ ١٦٤): ولا شك أن الأنبياء معصومون من الكبائر. والقتل الواقع منه لم يكن عن عمد، فليس بكبيرة، ولأن الوكزة في الغالب لا تقتل.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٩).

(٦) الكشاف (٣/ ٤٠٣).

للمجرمين﴾ وأن يكون استعطافاً، كأنه قال: رب اعصمني بحق ما أنعمت عليّ من المغفرة، فلن أكون ظهيراً للمجرمين إن عصمتني.

وقال غيره: ومن باب الاستعطاف ما قال إبراهيم بن هرمة:

بالله ربِّكَ إنْ دخلتَ فقلْ لَهُ هذا ابنُ هَرْمَةَ واقِفاً بالباب

صورته صورة قَسَمٍ لأنه تأكيد على المستعطَفِ، وليس بقسم على الحقيقة، والمستعطَفُ حاجب مروان.

قال ابن عباس: المعنى: فلن أكون عوناً للكافرين. وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً[1]، وهو قول مقاتل[2].

وقيل: يجوز أن يريد: فلن أكون ظهيراً لفرعون وملئه، فإنه كان مختصاً بصحبته ومنتظماً في جملته ومكثّراً لسواده، بحيث كان يُدعى ولده.

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

قال ابن عباس: لم يَسْتَثْنِ موسى في قوله: ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٩).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٢).

فابتُلِي به مرة أخرى[1]، يشير إلى ما ابتُلِي به مع الإسرائيلي مرة ثانية، وهو قوله: ﴿فأصبح في المدينة﴾[2] يعني: المدينة التي قتل فيها القبطي ﴿خائفاً يترقب﴾ أي: [ينتظر سُوءاً][3] يناله بسبب قتله القبطي.

وقال ابن السائب: ينتظر متى يؤخذ[4].

﴿فإذا الذي استنصره بالأمس﴾ [وهو الإسرائيلي][5] ﴿يستصرخه﴾ على قبطي آخر، أراد أن يسخّره أيضاً، ﴿قال له موسى﴾ أي: للإسرائيلي. وقيل: للقبطي. والأول أظهر، ﴿إنك لغوي﴾ فعيلٌ بمعنى: مَغْوِيّ، كالأليم بمعنى: مؤلم، أي: إنك [لَمَغْوِيّ][6] ﴿مبين﴾ حيث قتلتُ أمس بسببكَ رجلاً وتستصرخني اليوم على آخر.

ويجوز أن يكون المعنى: إنك لَغَاوٍ في قتالك من لا تطيق دفع شرّه عنك.

ثم أقبل موسى عليهما وأراد أن يبطش بالقبطي، فذلك قوله: ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال﴾ له الإسرائيلي: ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني﴾ توهّم ذلك؛ لما رأى من غضب موسى عليه، وظن أنه يريده، ﴿كما قتلت نفساً بالأمس﴾.

---

(١) ذكره الطبري (٢٠/ ٤٧)، والماوردي (٤/ ٢٤٢).

(٢) في الأصل زيادة قوله: ﴿خائفاً﴾ وستأتي بعد.

(٣) في الأصل: ينظر سواء. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٣).

(٥) في الأصل: والإسرائيلي. والمثبت من ب.

(٦) في الأصل: لغوي. والمثبت من ب.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾

قال المفسرون: وكانوا لا يعلمون قاتل القبطي من هو، فلما سمعوا قول الإسرائيلي: "كما قتلت نفساً بالأمس" رفعوا القصة إلى فرعون، فأمر بقتل موسى، فأخبر موسى بذلك رجل من بني إسرائيل، فذلك قوله تعالى: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾[1].

قال ابن عباس: هو مؤمن آل فرعون[2]. وسيأتي ذكره في سورة المؤمن[3] إن شاء الله تعالى.

﴿قال يا موسى إن الملأ يأتمرون﴾ قال أبو عبيدة[4]: يتشاورون، ﴿بك ليقتلوك﴾.

وقال الزجاج[5]: يأمر بعضهم بعضاً.

والقولان سواء؛ لأن كل واحد من المتشاورين يأمر أصحابه بشيء، أو يشير

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥١) عن قتادة، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٥٩) عن الضحاك. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٠) كلاهما عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٠١، ٤٠٢) وعزاه لابن أبي حاتم عن الضحاك. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٣) عند الآية رقم: ٢٨.

(٤) مجاز القرآن (٢/ ١٠٠).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٣٨).

عليه بأمر.

﴿فاخرج﴾ يعني: من مصر، ﴿إني لك من الناصحين﴾ في أمري إياك بالخروج.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أي: قَصَدَها ونحوها.

قال المفسرون: خرج حافياً بغير زاد ولا ظهر، ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر، فكان بين مصر ومَدْيَن مسيرة ثمانية أيام، ولم يكن له علم بالطريق، فقال: ﴿عسى ربي أن يهديني﴾ أي: يرشدني، ﴿سواء السبيل﴾ أي: قَصْدَ الطريق إلى مدين[1].

قال السدي: فبعث الله تعالى له مَلَكاً فدلَّه، فورد مدين وخضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦١-٢٩٦٢) عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٠٥) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦١) كلاهما عن ابن عباس. وذكره ابن =

قوله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ يعني: بئرهم التي يستقون منها، ﴿وجد عليه أمّة﴾ أي: جماعة ﴿من الناس يسقون﴾ أي: يسقون مواشيهم. وحذف المفعول؛ لأن الغرض هو الفعل، ومثله: «تذودان»، و «لا نسقي».

﴿ووجد من دونهم﴾ أي: في مكان أسفل من مكانهم ﴿امرأتين﴾ وهما ابنتا شعيب عليه السلام، ﴿تذودان﴾ أي: تدفعان وتطردان غنمهما عن أن تختلط بأغنام الناس، ﴿قال ما خطبكما﴾ أي: ما شأنكما لا تسقيان، ﴿قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء﴾.

قرأ ابن عامر وأبو عمرو: «يَصدُر» بفتح الياء وضم الدال، من صَدَرَ يَصْدُرُ. والمعنى: حتى يرجعوا من سقيهم؛ لئلا نزاحم الرجال.

وقرأ الباقون: [«يُصْدِرَ» بضم الياء وكسر الدال[1]، من أصْدَرَ يُصْدِرَ، على معنى: حتى][2] يُصْدِرُوا مواشيهم.

[والرعاء][3]: جمع رَاعٍ، على قياس: تاجر وتجار، وصائم وصيام، وقائم وقيام.

﴿وأبونا شيخٌ كبير﴾ أي: طاعن في السن لا يقدر على المشي ومزاحمة الرجال، وكفّ الغنم.

= الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٢) عن السدي.

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٣)، والكشف (٢/ ١٧٢)، والنشر (٢/ ٣٤١)، والإتحاف (ص:٣٤٢)، والسبعة (ص:٤٩٢).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في الأصل: والراء. والتصويب من ب.

المعنى: فلذلك برزنا لسقيها.

فلما سمع موسى ذلك رقَّ لهما، ﴿فسقى لهما﴾ أي: فسقى[١] الغنم لأجلهما.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ذهب إلى بئر أخرى عليها صخرة لا يقلعها إلا جماعة من الناس، فاقتلعها وسقى لهما[٢].

وقال ابن إسحاق: زاحم القوم وسقى لهما[٣].

وروي: أنه سألهم دلواً من ماء، فأعطوه دلوهم وقالوا: اسْتَقِ بها، وكانت لا ينزعها إلا أربعون، فاستقى بها وصَبَّها في الحوض، ودعى بالبركة، فروَّى غنمهما.

﴿ثم تولى إلى الظل﴾ أي: انصرف إلى ظل شجرة فجلس تحتها من شدة الحرّ جائعاً تَعِباً، ﴿فقال رب إني لما أنزلت إليّ﴾ أي: لأي شيء أنزلته إليّ، ﴿من خير﴾ أي: طعام قليل أو كثير ﴿فقير﴾ شديد الحاجة إليه.

قال الباقر عليه السلام: لقد قالها، وإنه لمحتاج إلى شق تمرة[٤].

﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ

---

(١) في ب: سقى.

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٤)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٣٤ ح٣١٨٤٢). وذكره الماوردي (٤/ ٢٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٣). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٦/ ٤٠٥) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٤).

(٤) أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٧٤ ح٣٤٣٠٠) عن ابن عباس قال: ((... ولقد كان افتقر إلى شق تمرة)).

مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

قال محمد بن إسحاق: فرجعتا إلى أبيهما في وقت كانتا لا ترجعان فيه، فأنكر شأنهما فأخبرتاه الخبر، فقال لإحداهما: عليّ به، فرجعت إلى موسى لتدعوه، فذلك قوله تعالى: ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء﴾[1]، الجار والمجرور في موضع الحال، تقديره: تمشي مستحية[2].

قيل: أتت تمشي مشي من لم يعتد الخروج والدخول، قد استترت بكمّ درعها.

﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ قال بعض العلماء: كَرِهَ قولها: "ليجزيك أجر ما سقيت لنا" وأراد أن لا يتبعها، فلم يجد بداً لما به من الجَهْد[3].

وقال بعضهم: فعل ذلك لوجه الله تعالى على سبيل البر والمعروف.

وقيل: إطعام شعيب وإحسانه لا على سبيل أخذ الأجرة، ولكن على سبيل

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٦١). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٥).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٧٧)، والدر المصون (٥/ ٣٣٩).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٤).

التقبُّل لمعروفٍ مبتدأ.

ويروى: أنه قال لشعيب حين عرض عليه الطعام: أعوذ بالله، فقال: أو لست بجائع؟ فقال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيتُ لهما، وإنّا أهل بيت لا نبيع [شيئاً][(١)] من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً، فقال له شعيب: لا والله يا شاب، ولكنها عادتي وعادة آبائي، نُقري الضيف ونُطعم الطعام، فأكل موسى عليه السلام[(٢)].

﴿فلما جاءه وقَصَّ عليه القصص﴾ أي: فلما جاء موسى شعيباً وأخبره خبره وعرفه أنه من سِنْخِ إبراهيم [وسلالة][(٣)] الرسالة، قال له شعيب: ﴿لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ يشير بذلك إلى أنه ليس لفرعون سلطان على أرضهم.

﴿قالت إحداهما﴾ وهي التي تزوجها موسى عليه السلام ﴿يا أبت استأجره﴾ اتخذه أجيراً على الغنم، ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ كلام جامع للمقصود؛ لأن من اجتمعت فيه الكفاءة والأمانة جدير بتفويض الأشغال إليه، والتعويل في النهوض بأعبائها عليه.

قال عمر بن الخطاب: لما قالت المرأة هذا قال لها شعيب: وما علمك بأمانته وقوته؟ قالت: أمّا قوّته: فإنه رفع الحجر الذي لا يرفعه كذا وكذا، وأما أمانته: فإنه

---

(١) في الأصل: شيء. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٠٧) وعزاه لابن عساكر عن أبي حازم.

(٣) في الأصل: وسالة. والتصويب من ب.

قال لي: امشي خلفي فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك[1].

وقيل: سَمَّتْه قوياً؛ لنزعه بالدّلو الذي ما كان يُقِلُّه إلا العدد الكثير، فرغب حينئذ فيه شعيب فقال: ﴿إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني﴾ أي: تأجرني نفسك، فحذف المفعول.

والمعنى: على أن تكون لي أجيراً ترعى لي[2] غنمي.

﴿ثماني حجج﴾ أي: سنين، ﴿فإن أتممت عشراً﴾ قال الزمخشري[3]: أي: عمل عشرٍ. ﴿فمن عندك﴾ أي: فإتمامه من عندك لا ألزمكه، لكنه [تفضُّلاً][4] منك، ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ بإلزام العشر.

وقوله: ﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ ترغيبٌ له في مصاحبته وإعلامٌ له أنه [ممن][5] شأنه المساهلة والمجاملة، إلى غير ذلك مما يوصف به أهل الصلاح.

وقوله: «إن شاء الله» حُسْنُ أدبٍ مع الله، واتّكالٌ على توفيقه، واسْتِمدادٌ لمعونته.

﴿قال﴾ يعني: موسى لشعيب: ﴿ذلك بيني وبينك﴾ مبتدأ وخبر[6]، والإشارة

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٣٤ ح٣١٨٤٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٦)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ١١٦ ح١١٤١٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٠٥) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة في المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

(٢) في ب: علي.

(٣) الكشاف (٣/ ٤٠٩).

(٤) في الأصل: تفضيلاً. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: من. والتصويب من ب.

(٦) انظر: التبيان (٢/ ١٧٧)، والدر المصون (٥/ ٣٣٩).

إلى ما وقعت المشارطة عليه بينهما، أي: ذلك الذي تعاهدنا عليه قائم بيننا لا أخرج عما [شرطته][1] عليّ ولا تخرج عما [شرطته][2] لي عليك.

قرأ الحسن: ﴿أيْمَا الأجلين﴾ بتخفيف الياء من "أيّما"[3].

قال أبو الفتح[4]: هو على تضعيف الحرف، وقد اشتهر عنهم حذف أحد المثلين إذا تجاورا، مثل: أَحَسْتُ [ومَسْتُ][5] وظَلْتُ.

وحكى ابن الأعرابي: ظَنْتُ، قال: وأنشدنا أبو علي للفرزدق:

تَنَظَّرْتُ نَصْراً والسِّمَاكَيْنِ أيهُمَا ... عَلَيَّ من الغيثِ استهلّتْ مَواطِرُه[6]

و"ما" في قوله: ﴿أيما الأجلين قضيت﴾ زائدة، والتقدير: أيّ الأجلين العشر أو الثماني أتممته [وفرغت][7] منه، ﴿فلا عدوان عليّ﴾ أي: لا يُعتدى عَلَيَّ في طلب الزيادة عليه، ﴿والله على ما نقول وكيل﴾.

قال ابن عباس: شهيدٌ بيني وبينك[8].

---

(١) في الأصل: شرطه. والتصويب من ب.

(٢) مثل السابق.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٤٢).

(٤) المحتسب (١/ ٤١).

(٥) في الأصل: وأمست. والتصويب من ب، والمحتسب، الموضع السابق.

(٦) البيت للفرزدق. انظر: ديوانه (١/ ٢٨١)، والمحتسب (١/ ٤١)، والدر المصون (٥/ ٣٤٠)، واللسان (مادة: حير، أيا)، وروح المعاني (٢٠/ ٦٨).

(٧) في الأصل: فرغت. والتصويب من ب.

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٧).

وفي حديث أبي ذر[١] عن النبي ﷺ قال: ((إذا سُئلت أي الأجلين قضى موسى فقل: خيرهما وأبرّهما، وإذا سئلت أيّ المرأتين تَزوَّج؟ فقل: الصغرى منهما، وهي التي جاءت فقالت: يا أبت استأجره))[٢].

وروى ابن عباس: ((أن النبي ﷺ سُئل أيّ الأجلين قضى موسى؟ فقال: أوفاهما وأطيبهما))[٣].

وفي صحيح البخاري من حديث سعيد بن جبير قال: ((سألني يهودي من أهل [الحيرة][٤]: أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول [الله][٥] إذا قال فعل))[٦].

---

(١) في هامش ب: أسنده البزار، وأسند مثله عن ابن عباس، وأسند حديثاً في صفة الغنم التي جعلها شعيب لابنته عند مضي الأجل من حديث عتبة بن الندر.

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير (٢/ ٧٩ ح٨١٥)، والأوسط (٥/ ٣٢١ ح٥٤٣٠)، والخطيب البغدادي في تاريخه (٢/ ١٢٨ ح٥١٩)، والبزار في مسنده (٩/ ٣٨٢ ح٣٩٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤١٠) وعزاه للخطيب في تاريخه. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٠٣) وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط والبزار باختصار، وفي إسناد الطبراني عويد بن أبي عمران الجوني: ضعفه ابن معين وغيره، ووثقه ابن حبان، وبقية رجال الطبراني ثقات.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٢ ح٣٥٣١)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ١١٧ ح١١٤١٨) ولفظها: ((أبعدهما وأطيبهما)). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٧) بلفظ المصنف.

(٤) في الأصل: الخبرة، وفي ب: الحبرة. والمثبت من صحيح البخاري (٢/ ٩٥٣).

(٥) زيادة من ب، والصحيح.

(٦) أخرجه البخاري (٢/ ٩٥٣ ح٢٥٣٨).

وقد ذكرنا مدة إقامة موسى عند شعيب في سورة طه[١].

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث علي بن رباح اللخمي قال: سمعت عتبة بن [النُّدَّر][٢] قال: ((كنا عند رسول الله ﷺ فقرأ: ﴿طس﴾ حتى بلغ قصة موسى عليه السلام فقال: إن موسى عليه السلام آجر نفسه ثماني سنين أو عشراً على عفّة فرجه وطعام بطنه))[٣].

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ

---

(١) عند الآية رقم: ٤٠.

(٢) في الأصل: المنذر. والتصويب من ب. وانظر ترجمته في: التهذيب (٧/ ٩٤)، والتقريب (ص:٣٨١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨١٧ ح٢٤٤٤)، والطبراني في الكبير (١٧/ ١٣٥ ح٣٣٣). ولم أقف عليه عند أحمد.

قال ابن كثير (٣/ ٣٨٦): وهذا الحديث من هذا الوجه ضعيف، لأن فيه مسلمة بن علي، وهو الخُشَني الدمشقي البلاطيّ، ضعيف الرواية عند الأئمة. ولكن قد رُوي من وجه آخر، وفيه نظر أيضاً، ثم ساق رواية ابن أبي حاتم.

فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾

وما بعده سبق تفسيره في طه والنمل إلى قوله: ﴿أو جذوة من النار﴾.

قرأ عاصم: «جَذْوَةٍ» بفتح الجيم، وضَمَّها حمزة، وكسرها الباقون[١].

قال ابن عباس: الجذْوَة: قطعة من حطب فيها نار[٢].

قال أبو عبيدة[٣]: الجذْوَة: القطعة الغليظة من الخشب [ليس][٤] فيها لهب.

قوله تعالى: ﴿نودي من شاطئ الواد﴾ أي: من جانبه ﴿الأيمن﴾، وهو الذي عن يمين موسى ﴿في البقعة﴾ وهي القطعة من الأرض ﴿المباركة﴾ بتكليم الله تعالى موسى فيها ﴿من الشجرة﴾ أي: من ناحيتها.

قال ابن عباس: كانت من عُنَّاب[٥].

وقال الكلبي: شجرة العَوْسَج[٦]، ومنها كانت عصاه.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٣)، والكشف (٢/ ١٧٣)، والنشر (٢/ ٣٤١)، والإتحاف (ص:٣٤٢)، والسبعة (ص:٤٩٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٨).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٠٢).

(٤) زيادة من مجاز القرآن، الموضع السابق.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٨).
والعنّاب: من الثمر، معروف، الواحدة: عُنّابة (اللسان، مادة: عنب).

(٦) ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤١٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.
والعوسج: شجر من الشوك وله ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق (اللسان، مادة: عسج).

قال المفسرون: لما ألقى موسى عصاه فصارت جَانّاً فَزِعَ، فأمره الله تعالى أن يضم إليه [جناحيه][١] -أي: عضديه- ليذهب عنه الفزع[٢].

قال مجاهد: كل من فَزِعَ فضمّ إليه جناحيه، ذهب عنه الفَزَع، وقرأ هذه الآية[٣].

واختلف القراء في الرَّهَب؛ فقراءة[٤] نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الراء والهاء، وقرأ الباقون بضم الراء وسكون الهاء، إلا حفصاً فإنه فتح الراء[٥]. وقرأ أبي بن كعب والحسن بضمّهما[٦].

قال ابن الأنباري: الرُّهْبُ والرُّهُبُ والرَّهَبُ، مثل: الشُّغْل والشُّغُل والشَّغَل، والبُخْل والبُخُل والبَخَل، لغات ترجع إلى معنى الخوف والفَرَق[٧].

وقيل: المراد بالجناح: اليد؛ لأن يدي الإنسان بمنزلة جناح الطائر، فإذا أدخل يده تحت عضده فقد ضمّ جناحه إليه.

ويَرِدُ على هذا القول من الإشكال أن يقال: قد سبق هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ فأيّ فائدة في تكريره؟

---

(١) في الأصل: جناحه. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٢٠).

(٣) مثل السابق.

(٤) في ب: فقرأه.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٤)، والكشف (٢/ ١٧٣)، والنشر (٢/ ٣٤١)، والإتحاف (ص:٣٤٢)، والسبعة (ص:٤٩٣).

(٦) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ٢٢٠)، والدر المصون (٥/ ٣٤١).

(٧) انظر قول ابن الأنباري في: زاد المسير (٦/ ٢٢٠).

ويُجاب عنه بأن يقال: كَرَّرَ المعنى الواحد لاختلاف الغرضين، وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء، وفي الثاني إخفاء الرَّهب.

فإن قيل: فما تصنع [بقوله][1] تعالى في طه: ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ [طه:٢٢] فقد جعل الجناح في هذه الآية مضموماً إليه، وفي الآية التي نحن في تفسيرها مضموماً؟

قلتُ: قال الزجاج[2]: يقال لليد كلها: جناح. فإذا ثبت ذلك وكان الأمر على ما حكاه الزجاج، فالمراد بالجناح المضموم اليد اليمنى وبالمضموم إليه اليد اليسرى.

وقيل: معنى: «اضمم إليك جناحك» سكّن روعك وثبّت جأشك.

قال أبو علي الفارسي[3]: ليس يراد به الضَّمُّ بين الشيئين، إنما أُمِرَ بالعزم على ما أُمر به والجِدّ فيه، ومثله:

اشدُدْ حَيَازيمكَ للموت ....[4]

قوله تعالى: ﴿فذانِكَ﴾ شدَّد النون ابن كثير وأبو عمرو، وخفَّفها الباقون[5].

---

(١) في الأصل: في قوله. والمثبت من ب.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٤٣).

(٣) الحجة (٣/ ٢٥١).

(٤) عجز البيت: فإن الموت لاقيكا، وهو من مجزوء الهزج، للإمام علي. انظر: ديوانه (ص:١٤٠)، واللسان (مادة: حزم)، والمخصص (٢/ ٥)، وأساس البلاغة (مادة، حزم)، والحجة للفارسي (٣/ ٢٥١)، وروح المعاني (٢٠/ ٧٥).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٣-٢٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٤)، والكشف (١/ ٣٨١-٣٨٢)، والنشر (٢/ ٢٤٨)، والإتحاف (ص:١٨٧، ٣٤٢)، والسبعة (ص:٤٩٣).

قال الزجاج[(١)]: التشديد تثنية ذلك، والتخفيف تثنية ذاك، جعل بدل اللام في ذلك تشديد النون في "ذانك".

وروي عن بعضهم: «فَذَانِيكَ» بياء بعد النون[(٢)].

وقال أبو علي على هذه القراءة[(٣)]: أُبدل من النون الثانية ياء كراهة التضعيف. حكى أحمد بن يحيى: لا وَرَبِّيكَ ما أفعل، يريد: وَرَبِّكَ.

والإشارة بقوله: «فذانك» إلى اليد والعصا.

﴿برهانان من ربك﴾ حجتان من الله تعالى على صدقك.

قال الزجاج[(٤)]: المعنى: أرسلناك ﴿إلى فرعون وملإه﴾ بهاتين الآيتين.

﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ وقال غيره: «إلى فرعون» متعلق بمضمر، فإن شئت كان في موضع الحال من "بُرهانين"، وإن شئت كان حالاً من المخاطب[(٥)].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٤٣).

(٢) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣٤٢).

(٣) الحجة (٣/ ٢٥٤).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ١٤٤).

(٥) انظر: الدر المصون (٥/ ٣٤٢).

فلما أمره الله تعالى بتبليغ رسالته إلى فرعون، شكا إليه خوفه من القتل بسبب قتله القبطي، وعُقْلَة لسانه، فسأله المعاضدة بأخيه، فذلك قوله: ﴿قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون * وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ أي: أوضح بياناً، لسلامته من العقدة الكائنة بسبب التحريق، والعُقْلَة الكامنة بأصل التخليق.

﴿فأرسله معي ردءاً﴾ أي: عوناً. وترك نافع الهمزة طلباً للخِفَّة[١].

﴿يُصَدِّقْنِي﴾ قرأ عاصم وحمزة: «يُصَدِّقُنِي» بالرفع صفة لـ"رِدْءاً"، وقرأ الباقون بالجزم على جواب السؤال[٢].

وجمهور المفسرين ذهبوا إلى أن الضمير المرفوع في: «يُصدقُني» عائد إلى هارون.

وشذّ مقاتل فقال[٣]: المعنى: يُصَدِّقُنِي فرعون.

فجعل ضمير المرفوع له. ويؤيده قراءة من قرأ: «يُصَدِّقُون» على الجمع[٤].

والأول أصح.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٥)، والكشف (٢/ ١٧٣)، والإتحاف (ص:٣٤٢)، والسبعة (ص:٤٩٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٥-٥٤٦)، والكشف (٢/ ١٧٣)، والنشر (٢/ ٣٤١)، والإتحاف (ص:٣٤٣)، والسبعة (ص:٤٩٤).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٦).

(٤) وهي قراءة زيد بن علي وأبيّ. انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣٤٤).

قال الزمخشري[١]: ليس الغرض [بتصديقه][٢] أن يقول له: صدقْتَ، أو يقول للناس: صدق موسى، وإنما هو أن يُلَخِّص بلسانه الحق، ويبسط القول فيه، ويجادل به الكفار، ألا ترى إلى قوله: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي﴾، وفَضْلُ الفصاحة إنما يُحتاج إليه لذلك، لا لقوله: صدقتَ، فإن سَحْبَان وباقِلاً[٣] يستويان فيه.

وبهذا [البيان][٤] وأمثاله حصل لكتابه مَيْزَ الإنافة على أشكاله، غير أنه مَزَجَ العلم النافع بالسُّمِّ النَّاقِع، فما أليَقَه بإنشاد قول ابن الرومي:

وحَدِيثُها السِّحْرُ الحلالُ لو أنّه ... لم يَجْنِ قَتْلَ المسْلِم المتحَرِّز[٥]

﴿قال سنشد عضدك بأخيك﴾ وقرأ الحسن: «عُضُدَكَ» بضمّتين[٦].

قال ابن جني[٧]: فيها خمس لغات؛ عَضُدٌ، وعَضْدٌ، وعُضُدٌ، وعُضْدٌ، وعَضِدٌ، وأفصحها وأعلاها: عَضُدٌ، نحو: رَجُلٌ. وعَضْدٌ مسكّنٌ من عَضُدَ، وعُضْدٌ منقولُ

---

(١) الكشاف (٣/ ٤١٤).

(٢) في الأصل: تصديقه. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) سحبان: اسم رجل من وائل كان لَسِناً بليغاً، يُضرب به المثل في البيان والفصاحة فيقال: أفصح من سحبان وائل (اللسان مادة: سحب).

وباقل: اسم رجل من ربيعة يضرب به المثل في العِيّ (اللسان، مادة: بقل).

(٤) في الأصل: البان. والتصويب من ب.

(٥) البيت لابن الرومي، وهو في: المثل السائر (١/ ٣٤١)، وصبح الأعشى (١/ ٣٣٦)، وكتاب جمهرة الأمثال (١/ ١٥)، والتمهيد لابن عبد البر (٥/ ١٧٥).

(٦) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣٤٤).

(٧) المحتسب (٢/ ١٥٢).

الضمة من الضاد إلى العين، وعُضُدٌ بضمتين جميعاً كأنه تثقيلُ عُضْد.

والمعنى: سنُقوّيك به ونُعينك، ومنه: عَضَدْتُ فلاناً؛ إذا قوّيته[١]، وذلك لأن العَضُدَ أقوى اليد، ومنه: عِضَادَتا الباب.

﴿ونجعل لكما سلطاناً﴾ أي: حُجَّةً بينة تدل على الرسالة، ويلازم صاحبها وصف البسالة، ﴿فلا يصلون إليكما﴾ بنوع من أنواع الأذى.

قوله تعالى: ﴿بآياتنا﴾ إما أن يتعلق بقوله: ﴿ونجعل لكما سلطاناً﴾ على معنى: نسلطكما بآياتنا ومعجزاتنا، أو بقوله: ﴿فلا يصلون إليكما﴾ على معنى: فتمتنعون منهم بآياتنا، [وإما أن يتعلق بما بعده، على معنى: بآياتنا أنتما الغالبون، فيكون "بآياتنا"][٢] تبييناً لامتناع تقدّم الصلة على الموصول، أو يكون قسماً جوابه: لا يصلون مقدماً عليه، [أو هو][٣] من لغو القسم الذي لا جواب له في اللفظ[٤].

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُواْ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾

---

(١) انظر: اللسان (مادة: عضد).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في الأصل: وهو. والمثبت من ب.

(٤) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤١٥). وردّ عليه أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ١١٣) بأن جواب القسم لا تدخله الفاء عند الجمهور. ويريد بلغو القسم: أن جوابه محذوف، أي: وحق آياتنا لتغلبن.

قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحرٌ مفترى﴾ أي: سحر تفتعله وتختلقه وتفتريه على الله، ﴿وما سمعنا بهذا﴾ الذي تدعونا إليه وتأمرنا به ﴿في آبائنا الأولين﴾ أي: حُدِّثنا بكونه فيهم.

وقوله: «في آبائنا» حال منصوبة عن "هذا"[(١)]، أي: كائناً في زمانهم.

﴿وقال موسى﴾ وقرأ ابن كثير: «قال موسى» بغير واو[(٢)]، وهكذا هو في مصحف أهل مكة.

﴿ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ أي: بالبيان الواضح، ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ أي: العاقبة المحمودة، وهي النصر في الدنيا والجنة في الآخرة.

وقرأ حمزة والكسائي: «يكون» بالياء[(٣)]، وقد ذُكر وعُلل فيما مضى.

﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ لا يسعد ولا ينجح المشركون.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ

---

(١) هو قول الزمخشري أيضاً.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٦)، والكشف (٢/ ١٧٤)، والنشر (٢/ ٣٤١)، والإتحاف (ص:٣٤٣)، والسبعة (ص:٤٩٤).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٦)، والكشف (١/ ٤٥٣)، والنشر (٢/ ٢٦٣)، والإتحاف (ص:٣٤٣)، والسبعة (ص:٤٩٤).

فِي ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِي هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾ جهلٌ من المخذول، أو تجاهل يستخفّ به أحلامهم، وهو أكبر ظني فيه، ألا ترى إلى قول موسى لـه: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض﴾ [الإسراء:١٠٢].

ثم أخذ يتغابى ليُعمِي على عابديه مسالك الإدراك حين عجز عن معارضة خصمه، فقال مُشغلاً للوقت: ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ حتى يصير آجُرّاً، ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ قصراً طويلاً.

قال أهل التفسير: لما أمر فرعون هامان ببناء الصَّرْح جمع العُمّال والفَعَلَة، فكانوا خمسين ألف بَنَّاء سوى الأتباع، فرفعوه وشيّدوه ارتفاعاً لم يبلغه بنياناً قط، فلما انتهى رقى فرعون فوقه وأمر بنُشّابَةٍ(١) فرمى بها نحو السماء، فرجعت ملطّخة بالدم للفتنة التي أرادها الله تعالى به، فقال: قتلت إله موسى، فبعث الله تعالى جبريل فضربَ الصَّرْح بجناحه فقطّعه، فوقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل، ووقعت أخرى في البحر، وأخرى في المغرب(٢).

---

(١) النُّشّابة: النَّبْل أو السهام (اللسان، مادة: نشب).

(٢) أخرج طرفاً منه الطبري (٢٠/ ٧٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٧٩) كلاهما عن السدي. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٢٣) بتمامه. وذكر طرفاً منه الماوردي في تفسيره (٤/ ٢٥٣) حكاية عن السدي، والسيوطي في الدر (٦/ ٤١٦) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

﴿لعلي أطلع إلى إله موسى﴾ أشرف عليه وأنظر إليه.

وفي هذا دليل على غباوة قومه وفرط جهلهم، حيث أطمعهم في قدرته على نيل أسباب السموات بصرح يبنيه.

﴿وإني لأظنه من الكاذبين﴾ في قوله: أن له إلهاً غيري.

وقال ابن جرير[١]: المعنى: إني لأظنه كاذباً في ادعائه أن في السماء رباً أرسله.

﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق﴾؛ لأن الكبرياء والعظمة لا تصلحُ إلا لله تعالى، فمتعاطيهما على غير الحق.

﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ بعد الموت.

﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر﴾ يا محمد [بعين][٢] بصيرتك نَظَرَ تفكُّر واعتبار ﴿كيف كان عاقبة الظالمين﴾.

وفي هذا تهديدٌ لكفار قريش، وإيذان بأن العاقبة للرسل صلوات الله عليهم.

﴿وجعلناهم أئمة﴾: قادة في الكفر ﴿يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾ أي: لا [يُمنعون][٣] من عذاب الله.

﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ مفسّر في هود[٤]، ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ أي: المطرودين المُبْعَدين. يقال: قَبَّحَ الله فلاناً، أي: أبعده من كل خير.

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٤/ ٦٦).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في الأصل: يمتنعون. والمثبت من ب.

(٤) عند الآية رقم: ٦٠.

وقال الكلبي: يعني: سَوَادُ الوجه وزُرْقَة العين[١].

فعلى هذا هو بمعنى المقبحين المشوّهين الخَلْق.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ يريد: قوم نوح وعاداً وثمود وغيرهم من المكذبين.

﴿بصائرَ للناس﴾ نصب على الحال[٢]، ﴿وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون﴾ سبق تفسيره.

وقد روى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: ((ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة، غير القرية الذين مُسخوا قِردة))[٣].

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٢٥٤)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٠).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٧٨)، والدر المصون (٥/ ٣٤٥).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٢ ح٣٥٣٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤١٧) وعزاه للبزار وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه.

أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ قال الزجاج[١]: المعنى: وما كنت بجانب الجبل الغربي.

قال ابن عباس: يريد حيث ناجى موسى ربه، وهو قوله تعالى: ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾[٢]، وهو الوحي الذي أوحاه إليه، ﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿من الشاهدين﴾ لذلك.

وفي هذا تنبيه على صحة نبوّة محمد ﷺ حيث أخبر بقصة موسى على الوجه المتعارف عند أهل الكتاب، وعلى ما هو في التوراة، وليس من أهل [العلم][٣] بذلك.

قوله تعالى: ﴿ولكنا أنشأنا قروناً﴾ أي: خلقنا أمماً بعد موسى ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ أي: امتدّ عليهم الزمان فنسوا عهد الله وتركوا أمره.

قال صاحب النظم: هذا الكلام يدل على أنه قد عهد إلى موسى وقومه [عهوداً][٤] في محمد ﷺ والإيمان به، فلما طال عليهم العُمُرُ وخَلَفَتِ القرون بعد

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٤٦).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠١).

(٣) زيادة من ب.

(٤) في الأصل: عهداً. والمثبت من ب، والوسيط (٣/ ٤٠١).

القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها[١].

وقال صاحب الكشاف[٢]: إن قلت: كيف يتصل قوله: ﴿ولكنا أنشأنا قروناً﴾ بهذا الكلام؟ ومن أيّ وجه يكون استدراكاً له؟

قلت: من حيث أنّ معناه: ولكنا أنشأنا قروناً كثيرة فتطاول عليهم أمد انقطاع الوحي، فاندرست العلوم، فأرسلناك وكسيناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى، كأنه قال: وما كنت شاهداً موسى وما جرى عليه، ولكنا أوحينا إليك، فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة، ودلَّ به على المَسَبَّبِ، على عادة الله تعالى في اختصاراته، فإذاً هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده.

قوله تعالى: ﴿وما كنت ثاوياً﴾[٣] أي: مقيماً ﴿في أهل مدين تتلوا﴾ أي: تقرأ ﴿عليهم آياتنا﴾ المشتملة على قصة موسى وتتعلم منهم.

وقال مقاتل[٤]: المعنى: لم تشاهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم.

﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ فأرسلناك بهذا إليهم وأنزلناه [عليك][٥] لتقرأه عليهم.

قوله تعالى: ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ أي: بناحيته ﴿إذ نادينا﴾ موسى ليلة المناجاة، وهذا قول الأكثرين.

وقال ابن عباس: كان هذا النداء: يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠١).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٢١-٤٢٢).

(٣) في الأصل زيادة قوله: ﴿في أهل مدين﴾ وستأتي بعد.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٩).

(٥) في الأصل: إليك. والتصويب من ب.

واستجبتُ لكم قبل أن تدعوني، وغفرتُ لكم قبل أن تستغفروني، ورحمتكم قبل أن تسترحموني[١].

﴿ولكن رحمة من ربك﴾ قال الزجاج[٢]: المعنى لم تشاهد قَصَصَ الأنبياء، ولكنا أوحيناها إليك وقصصناها عليك رحمة من ربك.

﴿لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ في زمن الفترة بين عيسى ومحمد [صلى الله عليهما][٣] ونحوه، لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم، ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتَّعظون ويتدبّرون.

قوله تعالى: ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ قال قتادة: يعني العذاب في الدنيا[٤].

﴿بما قدمت أيديهم﴾ من المعاصي، وأضاف السيئات إلى الأيدي لأنها أكثر ما تُزاول بها.

وجواب "لولا" محذوف، تقديره: لولا أنهم يقولون إذا أصيبوا بمصيبة وعوقبوا بما قدمت أيديهم: هلاّ أرسلت إلينا رسولاً، مُحتجّين بذلك؛ لما أرسلنا إليهم رسولاً، أو لعاجلناهم بالعقوبة.

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠١).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٤٧).

(٣) في الأصل: ﷺ. والمثبت من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠١) عن مقاتل.

بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ وهو محمد ﷺ والقرآن، ﴿قالوا﴾ تعنتاً وعناداً: ﴿لولا﴾ أي: هلاّ ﴿أوتي مثل ما أوتي موسى﴾ من العصا واليد وفَلْقِ البحر وغيرها من الآيات. قال الله تعالى: ﴿أو لم يكفروا﴾ يعني: الذين شابهوهم في الكفر من أمة موسى.

وقيل: الضمير في «يكفروا» يرجع إلى كفار مكة، وذلك أنهم أرسلوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد ﷺ، فأخبروهم بنعته وصفته في التوراة.

والاستفهام في معنى الإنكار والتوبيخ.

والمعنى: أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل من الآيات الخوارق التي تضطر العقول إلى التصديق بها.

وإن قلنا: هم كفار مكة؛ فالمعنى: أو لم يكفروا بما أوتي موسى مما اشتملت عليه التوراة من صفة محمد ﷺ.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿من قبل﴾ متعلقاً بـ﴿أو لم يكفروا﴾.

فإن قيل: كيف يتوجه هذا المعنى على قول من قال: هم كفار مكة؟

قلت: قد روي عن الحسن أنه قال: كان للعرب أصل في أيام موسى[١].

فالمعنى: أو لم يكفر آباؤهم بما أوتي موسى.

﴿قالوا ساحران تظاهرا﴾ إن قلنا هم أشباههم في الكفر من أمة موسى، أو آباء كفار مكة على قول الحسن، فالساحران موسى وهارون، وإن قلنا هم الكفار الذين أرسلوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد ﷺ، فالساحران موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم.

ويروى أنهم قالوا حين جاءتهم رسلهم من عند اليهود وأخبرتهم بنعته ﷺ وأنه في كتابهم، قالوا حينئذ: ساحران تظاهرا.

وقرأ أهل الكوفة: «سحران»[٢]، على معنى: ذوو سحر، أو جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر.

وقيل: أرادوا بالسِّحْرَين: التوراة والقرآن، ونَسَبَ التَّظاهُر -وهو التعارف- إليهما على الاتساع.

﴿وقالوا إنا بكلٍ﴾ من الرسولين والكتابين ﴿كافرون﴾.

﴿قل﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما﴾ أي: من الكتابين.

فإن قيل: إتيانهم بكتاب من عند الله مُحال، فما وجه مطالبتهم به؟

قلت: عنه جوابان:

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٢٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٧)، والكشف (٢/ ١٧٤-١٧٥)، والنشر (٢/ ٣٤١-٣٤٢)، والإتحاف (ص:٣٤٣)، والسبعة (ص:٤٩٥).

أحدهما: أن يكون هذا خارجاً مخرج التهكُّم والسخرية بهم.

الثاني: أن يكون مقصوده تحقيق المعجز بإظهار عجزهم وانقطاع حجتهم، ونحوه: ﴿فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ [يونس:٣٨].

قوله تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ يعني: فقد ظهر انقطاع حجتهم وبان عنادهم، ﴿فاعلم﴾ حينئذ ﴿أنما يتبعون أهواءهم﴾ أي: ليس عندهم سوى إيثار الهوى.

ثم ذمَّهم بقوله: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى﴾ أي: بغير شاهد ولا دليل واضح ﴿من الله﴾.

وقوله: «بغير هدى» في محل الحال، على معنى: مخذولاً مخلى بينه وبين هواه[1].

قوله تعالى: ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ أي: أتيناهم بالقرآن متواصلاً مفصلاً بالوعد والوعيد والنصائح وأخبار الأمم الماضية، ﴿لعلهم يتذكرون﴾ إرادة أن يتذكروا.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾

---

(١) هذا قول الزمخشري (٣/ ٤٢٥).

قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ أي: من قبل القرآن، ﴿هم به﴾ أي: بالقرآن.

فإن قيل: هل يجوز أن يعود الضمير في «به» [إلى][(١)] الكتاب؟

قلت: يمنعُ من ذلك قوله: ﴿إنا كنا من قبله مسلمين﴾.

وهذه الآية من جملة ما أثنى الله به على مؤمني أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام.

قال رفاعة بن قرظة: نزلت في عشرة أنا أحدهم[(٢)].

وقيل: نزلت في أربعين من مسلمي أهل الإنجيل، اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة، وثمانية من أهل الشام[(٣)].

﴿وإذا يتلى عليهم﴾ أي: وإذا يقرأ القرآن على مؤمني أهل الكتاب ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا﴾، وذلك أنهم وُعدوا بنبي وكتاب، ﴿إنا كنا من قبله﴾ أي: من قبل نزول القرآن ﴿مسلمين﴾ أي: على دين الإسلام؛ لأن الإسلام صفة كل موحّدٍ مصدّقٍ للوحي.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٨٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٨٨)، والطبراني في الكبير (٥/ ٥٣ ح٤٥٦٣، ٤٥٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٢٢) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي القاسم البغوي في معجمه والباوردي وابن قانع الثلاثة في معاجم الصحابة والطبراني وابن مردويه بسند جيد. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٨٨) وقال: رواه الطبراني بإسنادين أحدهما متصل ورجاله ثقات، والآخر منقطع الإسناد.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٢٥٧) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٢) ونسبه لمقاتل، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٢٩) عن ابن عباس.

﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ قال قتادة: بما صبروا على الكتاب الأول والكتاب الثاني[١].

وقيل: بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله.

وقيل: بما صبروا على أذى المشركين وأذى أهل الكتاب.

﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة﴾ أي: ويدفعون بالطاعة المعصية المتقدمة.

وقال ابن عباس: يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك[٢].

وقال مقاتل[٣]: يدفعون ما يسمعون من الأذى والشتم من المشركين بالعفو والصفح.

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في طاعة الله.

﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ وهو القبيح من القول، ﴿أعرضوا عنه﴾ نزاهةً وصيانةً عن التلوث بسماعه، وإكراماً لأنفسهم عن التعرض لجوابه، وهذا الوصف مما يفتخر به أشراف الناس، وذووا النفوس الأبيّة، قال الشاعر:

فَقُلْ لزهيرٍ إنْ شَتَمْتَ سَرَاتَنا   فلسْنَا بشَتَّامينَ للمُتَشَتِّمِ[٤]

إلى أن قال:

وتجهلُ أيدينا ويحلُمُ رأيُنا   ونشْتِمُ بالأفعالِ لا بالتَّكَلُّمِ

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٨٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٨٩-٢٩٩٠). وذكره الماوردي (٤/ ٢٥٧)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٢).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٠).

(٤) البيت لمعبد بن علقمة، وهو في: ديوان الحماسة (١/ ٢٥١-٢٥٢).

وقال آخر:

فوالله ما بُقْيَا عليكم تُركْتُم ولكنني أكرمتُ نفسي عن الجهل

وقال آخر:

وأغفرُ عَوراءَ الكريم ادِّخَارَه وأعرضُ عن شَتْم اللئيمِ تكَرُّما[١]

وقد أحسن لقيط بن زرارة في قوله:

أغَـــرَّكُم أني بأحـــسن شـــيمةٍ بـــصيرٌ وأني بـــالفَواحش أخْـــرَقُ

وأنــــك قـــد ســـابَبْتَنا فغلبْتَنـــا هنيئاً مريئاً أنـت بـالفُحْشِ أحْـذَقُ[٢]

﴿وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ خطاب لِلاّغِـين المـدلول علـيهم بقولـه: ﴿وإذا سمعوا اللغو﴾.

وقوله: ﴿سلام عليكم﴾ تسليم مُتاركةٍ وتوديعٍ، لا تسليم تحية.

ومثله قولي في أبيات أرثي بها ولدي أبا صالح أحمد:

على زينة الدنيا ولذّة عيشها السلام فهذا منهما آخر العهد

﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ أي: لا نطلب صحبتهم والتلبّس بأعمالهم.

قال السدي: لما أسلم عبدالله بن سلام جعل اليهـود يـشتمونه وهـو يقـول: سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين[٣].

(١) البيت لحاتم الطائي، وهو في: اللسان (مادة: عور)، والطبري (٢/ ٣٢٠).

(٢) البيتان للقيط بن زرارة، انظر: ديوان المعاني للعسكري، باب الافتخار، والتذكرة الحمدونية، باب الهجاء والمذمة.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٩٣). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٣).

فإن قيل: هل تقدر على [إبداء][١] معنى تَضَمُّنِهِ الثناء على مؤمني أهل الكتاب بهذه الآيات الأربع؟

قلتُ: نعم، وهو حضّ الناس على الإيمان بالنبي ﷺ المنعوت في الكتب المتقدمة، بما استثبتته الأحبار والربانيون فيها من الدلائل الناطقة برسالته الشاهدة بنبوته، وتنبيههم على الاقتداء بمن يعلمون براعتهم في العلم ومهارتهم في دراسته. هذا مع ما في الثناء على أهل الكتاب من تقريع ذوي النفوس الأبية من الأمة العربية، والتعريض بذمها لموضع إعراضها عن الإيمان، فإنك لا تكاد تجد أنكى لها وأوغل في أذاها من هجائها ومدح أعدائها، ولا أرغب منها في المدح والثناء، فحرّك هممهم إلى الإيمان بذلك.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ قال الزجاج وغيره[٢]: أجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب.

وذلك أنه قال عند موته: يا معشر بني هاشم! أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا

(١) في الأصل: ابتداء. والمثبت من ب.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٤٩). وانظر: الطبري (٢٠/ ٩١) وما بعدها، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٩٤)، والماوردي (٤/ ٢٥٩)، والوسيط (٣/ ٤٠٣).

وترشدوا، فقال النبي ﷺ: يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتَدَعُها لنفسك، قال: فما تريد يا ابن أخي؟ قال: أريد منك كلمة واحدة، فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول: "لا إله إلا الله" أشهدُ لك بها عند الله، فقال: يا ابن أخي قد علمتُ أنك لصادق، ولكني أكره أن يقال: جزع عند الموت، ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غَضَاضَةٌ ومسبَّة بعدي لقُلْتُها ولأقررت بها عينك، فنزلت هذه الآية(١).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ نزلت في رسول الله ﷺ حيث يراود عمه أبا طالب على الإسلام))(٢).

وقد ذكرنا الحديث المخرج في الصحيحين في سبب نزولها أيضاً في براءة عند قوله تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ [التوبة:١١٣].

والمعنى: إنك لا تقدر أن تُدخل في الإسلام من أحببت أن يدخُل فيه؛ لأنك عبدٌ لا تعلم مَنْ طَبَعْتُ على قلبه وخلقته للنار، ممن شرحتُ قلبه للإسلام وخلقته للجنة.

﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ممن سبقت له السعادة، ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾

---

(١) في هامش ب: من شعر أبي طالب في المعنى:

والله لنْ يصلوا إليكَ بجمْعِهِـــم ... حتى أُوسَّد في الترابِ دَفينــا
فامضي لأمركَ ما عليكَ غَضَاضَةٌ ... وأبشِرْ بذاك وقرّ بذاكَ عُيونـا
ودعوتني وعلمتَ أنك ناصِحي ... وصدقتني وكنت قدم أمينـا
وعرضتَ ديناً قد عرفتُ بأنـــه ... من خير أديان البريةِ دينـــا
لولا الملامةُ أو حذاري سُبّـــةً ... لوجدتني سَمْحاً بذاك مُبينـا

(انظر: ديوان أبي طالب ص:٨٧، ١٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٥ ح٢٥).

الذين خلقهم للهداية.

قوله تعالى: ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ أي: قال كفار قريش.

وقيل: الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، قال للنبي ﷺ: نعلم أنك على الحق، ولكنا نخاف إن اتبعناك، وإنما نحن أَكَلَةُ رأس -أي: قليلون- أن تتخطفنا العرب من أرضنا، فقال الله تعالى قاطعاً لمعاذيرهم: ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ أي[1]: ذا أمن.

ونسبة الأمن إلى الحرم مجاز، وإلى أهل الحرم حقيقة.

والمعنى: يأمنون فيه من المحاربة والإغارة؛ لكونهم قُطّان البيت المعظّم المحرّم، وسائر العرب يتناحرون ويتغاورون ويتخطفون[2] من حولهم.

المعنى: فكيف يخافون إذا أسلموا وهم بهذه المثابة.

ثم مع كونه حرماً آمناً ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾، أي: تُجمع وتُجلب إليه.

وقرأ نافع: «تجبى» بالتاء لتأنيث الثمرات، والباقون قرؤا بالياء[3]؛ لأن التأنيث غير حقيقي، أو للحيلولة بين الاسم والفعل.

ولأن الثمرات في معنى الرزق.

والمراد بالكلية في قوله: ﴿كل شيء﴾ الكثرة، كقوله: ﴿وأوتيت من كل

---

(١) ساقط من ب.

(٢) في ب: ويختطفون.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٨)، والكشف (٢/ ١٧٥)، والنشر (٢/ ٣٤٢)، والإتحاف (ص:٣٤٣)، والسبعة (ص:٤٩٥).

شيء﴾ [النمل:٢٣].

قال مقاتل[١]: يحمل إلى الحرم ثمرات كل شيء من مصر والشام واليمن والعراق.

﴿رزقاً﴾ مصدر أو مفعول له، أو حال من الثمرات[٢]، إن جُعل الرزق بمعنى المرزوق.

فإن قيل: "ثمراتُ" نكرة فكيف ينتصب عنها الحال؟

قلت: تخصصت بالإضافة، فجاز أن تنتصب عنها، كما إذا تخصصت النكرة بالصفة.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

ثم خوفهم الله تعالى سوء عاقبة ما هم عليه من الكفر وجحود النعم، ومُقابلتها بعبادة غير المنْعِم بها، فقال: ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ قال الزجاج[٣]: البَطَرُ: الطغيان عند النعمة.

والمعنى: بَطِرَتْ في معيشتها، فلما سقط الحرف الجار تعدّى الفعل فنصب.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠١).

(٢) الدر المصون (٥/ ٣٤٩).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ١٥٠).

وقيل: انتصب[١] "معيشتها" لتضمن "بَطِرَتْ" معنى: كفَرَت وغطّت.

﴿فتلك مساكنهم لم تُسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾ قال ابن عباس: لم يسكنها إلا المسافرون ومارُّوا الطريق يوماً أو ساعة[٢].

وفي قوله: ﴿وكنا نحن الوارثين﴾ تحقيقٌ لمعنى خُلوّها، وهو نظير قوله: ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها﴾ [مريم:٤٠].

﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها﴾ أي: في [أصلها و][٣] قصبتها، ﴿رسولاً﴾ لإلزام الحجة وقطع المعذرة، كما فعلنا بكم، وأرسلنا إليكم يا أهل مكة محمداً ﴿يتلو عليهم آياتنا﴾.

قال مقاتل[٤]: يخبرهم الرسول أن العذاب نازلٌ بهم إن لم يؤمنوا.

﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ مشركون.

أخبر سبحانه وتعالى أنه ما أهلك أمة من الأمم إلا بعد إقامة الحجة وإيضاح المحجّة، وإزاحة العلّة، وإصرارهم مع ذلك على الظلم بالإعراض عن التوحيد والطاعة.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ

---

(١) في ب: انتصبت.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٣٣).

(٣) زيادة من ب.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٢).

﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝٦١﴾

قوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من شيء﴾ أي: من سبب من أسباب الدنيا ﴿فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾ أي: فما هو إلا شيء تتمتّعون به أيام حياتكم الفانية وتتزينون به، ﴿وما عند الله﴾ تعالى من الثواب المُعَدِّ لأهل طاعته وطاعة رسوله ﴿خير وأبقى﴾ من متاع الدنيا وزينتها ﴿أفلا تعقلون﴾ أن الباقي خير من الفاني.

قرأ أبو عمرو: «يعقلون» بالياء على المغايبة؛ رداً على ما قبله. وقرأ الباقون بالتاء على المخاطبة؛ حملاً على أول الآية[1].

قوله تعالى: ﴿أفمن وعدناه﴾ استفهام في معنى الإنكار، ﴿وعداً حسناً﴾ يعني: الجنة ﴿فهو لاقيه﴾ مدركه ومصيبه، ﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ ولا حظّ له في الآخرة، ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ إلى النار.

قال مجاهد: نزلت هذه الآية في النبي ﷺ، وفي أبي جهل[2].

وقال محمد بن كعب: نزلت في علي وحمزة وأبي جهل[3].

وقال السدي: نزلت في عمار والوليد بن المغيرة[4].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٦٢ قَالَ ٱلَّذِينَ﴾

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٨)، والكشف (٢/ ١٧٥)، والنشر (٢/ ٣٤٢)، والإتحاف (ص:٣٤٣)، والسبعة (ص:٤٩٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٣١) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٩٧) عن مجاهد. وذكره القرطبي (١٣/ ٣٠٣) عن محمد بن كعب وزاد: وعمارة بن الوليد.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٣٤).

حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم﴾ يعني: المشركين ﴿فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ يريد: الأصنام.

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: «زعم» تطلب مفعولين، فأين هما؟

قلت: هما محذوفان، تقديره: الذين كنتم تزعمونهم شركائي. ويجوز حذف المفعولين في باب "ظننت"، ولا يصح الاقتصار على أحدهما.

﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ أي: وجب عليهم العذاب بقوله: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود:١١٩]، وهم رؤساءهم في الكفر وقادتهم.

وقيل: هم الشياطين.

﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ يعنون: أتباعهم.

فـ"هؤلاء": مبتدأ، و"الذين أغوينا": صفته، والعائد على الموصول محذوف، تقديره: ﴿أغويناهم﴾ فغَوَوْا غياً، مثل ما غوينا، يريدون: أننا[2] لم نلجئهم

(١) الكشاف (٣/ ٤٣٠).

(٢) في ب: إنا.

ونقسرهم على الغي، كما أننا لم يكن لنا من يقسرنا عليه، فنحن وهم فيه سواء في اختيار الغي.

﴿تبرّأنا إليك﴾ قال الزجاج[1]: بريئ بعضهم من بعض، وصاروا أعداءً، كما قال الله تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ [الزخرف:٦٧].

﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ قهراً وقسراً. المعنى: إنما كانوا يعبدون أهواءهم بتحسيننا وتزييننا.

﴿وقيل﴾ يعني: لكفار مكة ﴿ادعوا شركاءكم﴾ أي: [استغيثوا][2] بآلهتكم لتخلّصكم من العذاب، ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ أي: لم يجيبوهم إلى نصرهم، ﴿ورأوا العذاب﴾ حين تبرأت منهم قادتهم وخذلتهم آلهتهم ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ جوابه محذوف، تقديره: لو كانوا يهتدون لما اتبعوهم ولما رأوا العذاب.

ويجوز أن يكون المعنى: تمنوا لو أنهم كانوا يهتدون.

قوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم فيقول﴾ تبكيتاً وتوبيخاً وتحقيقاً لمعنى العدل: ﴿ماذا أجبتم المرسلين﴾ في الدنيا؟ ﴿فعميت عليهم الأنباء يومئذ﴾ أي: خَفِيتْ واشْتَبَهَت عليهم الحُجَج يوم القيامة.

قال ابن قتيبة[3]: المعنى: عَمُوا عنها من شدة الهول.

﴿فهم لا يتساءلون﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً عنها، كما يتساءل الناس عن

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٥١).

(٢) في الأصل: استعينوا. والمثبت من ب.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣٣٤).

المشكلات في الدنيا، وأنَّى لهم التساؤل والرُّسُل المقطوع لهم بالنجاة من النار والفوز بالجنة يتعنعنون في تلك المواطن الهائلة، ويقولون حين يقال لهم: ماذا أجبتم؟ لا علم لنا.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ سبب نزولها: قول الوليد بن المغيرة: ﴿لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف:٣١] يريد: نفسه بمكة، أو عروة بن مسعود بالطائف. فأخبر الله تعالى أنه هو الذي يختار من خلقه ما يشاء[١].

ثم نفى أن تكون الخيرة لغيره فقال: ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ حتى يختاروا الوليد أو عروة.

وقيل: "ما" موصولة، والراجع إلى الموصول محذوف، على معنى: ويختار الذي لهم فيه الخيرة، فإنه أعلم بهم وبمصالحهم.

قال الزمخشري[٢]: الخِيَرَة من التَّخَيُّر، كالطِّيَرَة من التَّطَيُّر: تُستعمل بمعنى المصدر، وهو التخير بمعنى المتخير، كقولهم: محمد ﷺ خِيرَة الله تعالى من خلقه.

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٢٦٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٦).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٣٢).

قوله تعالى: ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم﴾[١] أي: ما تُخفيه وتُضمره من عداوة رسول الله ﷺ وحسده ﴿وما يعلنون﴾ بألسنتهم من الطعن عليه والقَدْح في رسالته.

﴿وهو الله لا إله إلا هو﴾ أي: هو المستأثر بالإلهية، و﴿لا إله إلا هو﴾ تقرير لذلك.

﴿له الحمد في الأولى والآخرة﴾[٢] لا يستحقه غيره على الحقيقة، ﴿وله الحكم﴾ الفصل بين عباده.

قال ابن عباس: حَكَمَ لأهل طاعته بالمغفرة، ولأهل معصيته بالشقاء والويل[٣].

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ

(١) في الأصل زيادة قوله: ﴿وما يعلنون﴾. وستأتي بعد.

(٢) في الأصل زيادة قوله: ﴿وله الحكم﴾. وستأتي بعد.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٦).

عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم﴾ أي: قل يا محمد لكفار مكة: أخبروني ﴿إن جعل الله﴾ تعالى ﴿عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة﴾ يعني: دائماً متتابعاً، واشتقاقه من السَّرْدِ، وهو المتابعة، ﴿مَنْ إله غير الله يأتيكم بضياء﴾ نور ساطع، ﴿أفلا تسمعون﴾ ما يتلوه عليكم رسولي من الحجج البالغة، ومثله: ﴿أفلا تبصرون﴾ آثار عظمتي ودلائل وحدانيتي وقدرتي.

﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار﴾ هذا للسكن والراحة، وهو قوله تعالى: ﴿لتسكنوا فيه﴾ وهذا للانتشار وطلب المعيشة، وهو قوله تعالى: ﴿ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ مَنْ أنعمَ عليكم بهذه النعم وغيرها [فتوحّدوه][(١)].

قوله تعالى: ﴿ونزعنا من كل أمة شهيداً﴾ أي: أخرجنا من كل أمة شهيداً يشهد عليها ولها، وهو نبيّها يشهد بما كان منها من كفر وإيمان، وطاعة وعصيان.

﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ قال مجاهد: حجتكم بما كنتم تعبدون[(٢)].

وقال مقاتل[(٣)]: حُجَّتكم بأن معي شريكاً.

﴿فعلموا أن الحق لله﴾ لا لشياطينهم، ﴿وضلّ عنهم﴾ بطل وغاب في الآخرة ﴿ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا من الباطل والكذب.

---

(١) في الأصل: وتوحدوه. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٤)، ومجاهد (ص:٤٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٣٥) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٥).

۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ قارون اسم أعجمي مثل هارون ولم ينصرف للعجمة والتعريف.

قال الزجاج[(١)]: ولو كان فاعولاً من العربية، من قرنْتُ الشيء لا يُصْرف[(٢)].

واختلفوا في قرابته من موسى؛ فقال ابن عباس وقتادة ومقاتل[(٣)] وأكثر المفسرين: كان ابن عم موسى[(٤)]، وهو قارون بن يَصْهُر بن قَاهَث[(٥)]، وموسى بن عمران بن قَاهَث[(٦)]. وقد ذكرنا نسبه في البقرة.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٥٣).

(٢) يريد أنه مع أن صيغة فاعول موجودة في اللغة العربية مثل: جاسوس وقاعود وقانون، وقارون فاعول من قرنت ولكنه لا ينصرف لأنه علم أعجمي.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٥-١٠٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٣٦-٤٣٧) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس. ومن عدة طرق أخرى.

(٥) في تفسير مقاتل: أصهر بن قوهث.

(٦) في تفسير مقاتل: قوهث.

وروى عطاء عن ابن عباس: أنه كان من سبط موسى، وهو ابن خالته[١].

وقال ابن إسحاق: كان عمّ موسى[٢].

قال قتادة: وكان يسمى المنوّر؛ لحسن وجهه وصورته، ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة منه، ولكن عدو الله نافَقَ كما نافقَ السامري[٣].

﴿فبغى عليهم﴾ أي: جاز الحدّ في التكبّر والتجبّر.

قال قتادة: بغى عليهم بكثرة ماله[٤].

وقال الضحاك: كفر[٥].

وقال شهر بن حوشب: زاد عليهم في الثياب شبراً[٦].

﴿وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه﴾ قال الضحاك والسدي: يعني: خزائنه[٧].

قال الزجاج[٨]: هذا هو الأشبه.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (/ ٢٣٩).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٣٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٣٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٦). وذكره الماوردي (٤/ ٢٦٤).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٦). وذكره الماوردي (٤/ ٢٦٤).

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٣٧) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٧) عن أبي رزين. وذكره الماوردي (٤/ ٢٦٦) من قول السدي وأبي رزين، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٤٠) من قول السدي وأبي صالح والضحاك.

(٨) معاني الزجاج (٤/ ١٥٥).

قال أبو صالح: كانت خزائنه تُحمل على أربعين بغلاً[١].

وقال مجاهد وقتادة: يريد: مفاتيح الأبواب[٢].

روى الأعمش عن خيثمة قال: وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وَقْرُ ستين بغلاً، ما يزيد منها مفتاح على إصبع، لكل مفتاح منها كنز[٣]، وهو قوله تعالى: ﴿لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾ أي: تُثْقِلُهم وتميل بهم. يقال: نَاءَ به الحِمْل؛ إذا أثقله، يَنُوءُ به[٤].

قال الفراء والزجاج[٥]: المعنى: لتُنِيءُ العصبة، فلما دخلت الباء في العُصْبة انفتحت التاء، كما يقولون: هذا يُذْهِبُ الأبصار وهذا يَذْهَبُ بالأبصار.

والعُصبة: الجماعة الكثيرة، والعِصابة مثلها، واعصوصبوا: اجتمعوا.

قال ابن عباس: كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال[٦].

﴿إذ قال له قومه﴾ محل «إذ» منصوب بـ"تَنُوءُ"[٧]، والمراد: إذ قال له قومه

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٣٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٦/ ٤٠٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٤٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٣٧) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٤) انظر: اللسان، مادة: (نوأ).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٣١٠)، ومعاني الزجاج (٤/ ١٥٥).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٧).

(٧) هذا قول الزمخشري، انظر: الكشاف (٣/ ٤٣٤). وردّ هذا القول أبو حيان في البحر (٧/ ١٢٧) =

المؤمنون من بني إسرائيل: ﴿لا تفرح﴾ أي: لا تبطر وتمرح، ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ الأشرين البطرين. قال الشاعر:

ولستُ بِمِفْراحٍ إذا الدهرُ سَرَّني ... ولا جَازعٍ مِنْ صَرْفِهِ المُتَحَوِّلِ[(١)]

وقال بعضهم: لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأنَّ إليها، فأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما هو فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح[(٢)].

وما أحسن ما قال القائل:

أشدُّ الغَمَّ عندي في سُرور ... تيقَّنَ عنه صاحبُه انتقالا[(٣)]

وقيل: معنى: "لا تفرح": لا تُفسد، كما قال:

إذا أنتَ لم تَبْرَحْ تُؤدِّي أمانةً ... وتحملَ أُخْرَى [أفرحتْكَ][(٤)] الودائع[(٥)]

بمعنى: أفسدتك.

قوله تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ أي: اطلب فيما أعطاك من

= فقال: وهذا ضعيف جداً؛ لأن إثقال المفاتح العصبة ليس مقيداً بوقت قول قومه له: "لا تفرح".

(١) البيت لهدبة بن خشرم العذري. انظر: غريب القرآن (ص:٣٣٥)، وحماسة البحتري (ص:١٢٠)، وابن الشجري (ص:١٣٧)، والبحر المحيط (٧/ ١٢٧)، والماوردي (٤/ ٢٦٧)، وزاد المسير (٦/ ٢٤١)، والقرطبي (١٣/ ٣١٣)، وروح المعاني (٢٠/ ١١٢).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٣/ ١٥٩).

(٣) البيت لأبي الطيب، وهو في: الكشاف (٣/ ٤٣٥)، والبحر (٧/ ١٢٧)، وروح المعاني (١/ ٢٠٥، ٢٠/ ١١٢).

(٤) في الأصل: أقرحتك. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

(٥) البيت لبَيْهَس العذري، وهو في: اللسان (مادة: فرح، حمل)، والقرطبي (١٣/ ٣١٣)، وزاد المسير (٥/ ١٦٤).

الأموال الجنة والخلاص من النار بالنفقة في سبيل الله ووجوه الطاعة.

﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ قال الزجاج[١]: لا تنس أن تعمل لآخرتك؛ لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا الذي يعمل به لآخرته. وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين[٢].

قال علي عليه السلام: لا تنس صحتك وقوّتك وشبابك ونشاطك وغناك أن تطلب به الآخرة[٣].

وقال الحسن البصري: لا تنس أن تطلب كفايتك وغناك مما أحلّ الله تعالى[٤].

وقيل: هو الكفن؛ لأنه حظه من الدنيا عند خروجه منها.

﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ أي: أحسن بأداء ما افترض الله عليك كما في إحسانه إليك.

وقيل: أحسن إلى عباده كما أحسن إليك.

﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ باتخاذ ما أنعمنا به عليك سبباً إلى المعاصي، ووسيلة إلى ظلم العباد وقهرهم والاستطالة عليهم.

﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٥٥).

(٢) انظر: الطبري (٢٠/ ١١٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١٠)، ومجاهد (ص:٤٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٣٩) وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم، ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٥٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١١٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١١) بمعناه.

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

فكَفَرَ المخذول بنعم الله تعالى عليه، وأنكر إحسانه إليه، فقال: ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾ يعني: على معرفة وجوه المكاسب، وحُسْن التصرف في التجارات والزراعات.

وقال ابن عباس: على علم عندي بصنعة الذهب، يريد: العلم بالكيمياء[(١)].

وقيل: المعنى: إنما أوتيته على استحقاق لما عندي من العلم الذي فُضِّلْتُ به على الناس، وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة، فقال الله تعالى: ﴿أو لم يعلم﴾ يعني: قارون من التوراة وكتب الأنبياء والتواريخ المشتملة على أخبار الأمم الماضية، ﴿أن الله قد أهلك﴾ بأنواع العذاب ﴿من قبله من القرون من هو أشد منه قوةً وأكثر جمعاً﴾ للأموال حين طَغَوْا وبَغَوْا وكذبوا الرسل وكفروا بأنعم الله تعالى، ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾.

قال الحسن: لا يسألون ليعلم ذلك من قِبَلِهِم، وإن سئلوا سؤال توبيخ وتقريع[(٢)].

قال مجاهد: تعرفهم الملائكة بسيماهم[(٣)].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٤٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٤٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ١١٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤٠) =

وقال قتادة: المعنى: أنهم يدخلون النار بغير حساب[١].

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾

قوله تعالى: ﴿فخرج على قومه في زينته﴾ قال الحسن: في الحُمْرَة والصُّفْرَة[٢].

وقال مقاتل[٣]: خرج على بغلة شهباء عليها سَرْجٌ من ذهب عليه الأُرْجُوَان، ومعه أربعة آلاف فارس على الخيل، عليهم وعلى دوابهم الأرجوان، ومعه ثلاثمائة جارية بيض عليهنّ الحلي والثياب الحمر على البغال.

أخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي إذناً، أخبرنا عبدالجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصرباذي[٤]، أخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي، حدثنا إسحاق بن محمد بن إسحاق الرسعني، حدثنا جدي، حدثنا عثمان بن عبدالرحمن

= وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم.

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١١٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١١٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١٣).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٦).

(٤) في ب: النصراباذي.

الطرائفي[١]، حدثنا علي بن عروة الدمشقي[٢]، عن سعيد بن أبي سعيد[٣]، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((أربع خصال من خصال قوم فرعون: جرّ نصال السيوف في الأرض، ولباس الخفاف المقلوبة، ولباس الأرجوان، وكان أحدهم لا ينظر في وجه خادمه تكبراً))[٤].

قال الزجاج[٥]: الأُرْجُوَان في اللغة: صِبْغٌ أحمر.

قوله تعالى: ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ وهم قوم من المسلمين كانوا يميلون إلى زهرة الحياة الدنيا ونضارة عيشها.

وقال قتادة: تمنُّوا ليتقربوا به إلى الله[٦].

وفيه بُعْدٌ؛ لقوله: ﴿ويلكم ثواب الله خير لمن آمن﴾.

---

(١) عثمان بن عبد الرحمن بن مسلم الحراني، أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو عبد الله، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو هاشم، الطرائفي، وإنما قيل له ذلك؛ لأنه كان يتتبع طرائف الحديث، صدوق أكثر الرواية عن الضعفاء والمجاهيل، فضعف بسبب ذلك، حتى نسبه ابن نمير إلى الكذب، وقد وثقه ابن معين، مات سنة اثنتين أو ثلاث ومائتين (تهذيب الكمال ١٩/ ٤٢٨-٤٣٠، والتقريب ص:٣٨٥).

(٢) علي بن عروة الدمشقي القرشي، متروك الحديث (تهذيب التهذيب ٧/ ٣١٩، والتقريب ص:٤٠٣).

(٣) هو المقبري، تقدمت ترجمته.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٨-٤٠٩)، والديلمي في الفردوس (١/ ٣٧٥) وفي سند الحديث علي بن عروة الدمشقي وهو متروك. قال ابن حجر في التقريب: متروك، وقال ابن حبان: يضع الحديث (انظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٣١٩، والتقريب ص:٤٠٣).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٥٦).

(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٣٦).

وقيل: كانوا كفاراً.

﴿يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾ من الكنوز والزينة، ﴿إنه لذو حظ عظيم﴾ نصيب وافر من الدنيا.

وقيل: الحَظُّ: الجَدُّ والبَخْتُ، ومنه:

وليسَ الغِنَى والفقرُ مِنْ حِيلةِ الفَتَى ولكنْ أحَاظٍ قُسّمتْ وجُدُودُ[1]

﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ قال ابن عباس: يعني: أحبار بني إسرائيل[2]، ﴿ويلكم ثواب الله خير﴾ قال صاحب الكشاف[3]: ويلك: أصله الدعاء بالهلاك، ثم استُعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يُرتضى، كما استعمل: لا أبَا لَكَ، وأصله: الدعاء على الرجل بالإقراف في الحث على الفعل.

قوله تعالى: ﴿ولا يلقاها﴾ يعني: لا يوفق للكلمة التي قالها الذين أوتوا العلم.

وقيل: لا[4] يلقّى ثواب الله. وأنَّثه لأنه في معنى الجنة.

وقيل: لا يلقّى الأعمال الصالحة، فإنه مدلول عليها بقوله: ﴿وعمل صالحاً﴾.

وقيل: لا يلقّى هذه السيرة والطريقة، إلا الذين صبروا على ما قُسم [لهم][5] من قليل الرزق، وعن زينة الدنيا وشهواتها.

---

(١) البيت للمعلوط السعدي. وهو في: ديوان الحماسة (٢/ ١٨)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٢٨٠).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٤٣).

(٣) الكشاف (٣/ ٤٣٧).

(٤) في ب: ولا.

(٥) زيادة من ب.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ السبب في ذلك على ما نقله أهل العلم بالتفسير والسير قالوا: كان بدأُ طغيان قارون وفتنته وعصيانه: أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاوز ببني إسرائيل البحر وجعلت الحُبُورة لهارون عليه السلام وهي رئاسة المذْبَح، فكان بنو إسرائيل يأتونه بهدْيِهم فيضعه على المذبح، فتنزل نارٌ من السماء فتأكله، وَجَدَ قارون في نفسه من ذلك شيئاً، فأتى موسى عليه السلام فقال: يا موسى لك الرسالة، ولهارون الحبورة، ولست في شيء من ذلك، وأنا أقرأ للتوراة منكما، لا صبر لي على هذا؟ فقال موسى: والله ما أنا جعلتها في هارون، بل الله جعلها فيه، فقال قارون: لا أصدقك حتى [تريني][(١)] بيانَه، فجمع موسى رؤساء بني إسرائيل فقال: هاتوا عصيّكم، فحزموها وألقاها في قبته التي كان يتعبد فيها، فجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا، فأصبحت عصا موسى تهتز لها ورق أخضر، فقال موسى: يا قارون ترى هذا؟ قال قارون: فوالله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر، فاعتزل قارون موسى بأتباعه، وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما، وقارون يؤذيه في كل وقت، ولا يزداد على صبر موسى عليه ومداراته إياه إلا عناداً وحسداً وتجبراً، حتى بنى داراً وجعل بابها من الذهب

(١) في الأصل: ترني. والتصويب من ب.

وصفَّح جدرانها بصفائح الذهب[١].

قال ابن عباس: فلما نزلت الزكاة على نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام أتاه قارون فصالحه من كل ألف دينار على دينار واحد، ومن كل ألف درهم على درهم، ومن كل ألف شاة على شاة، ثم رجع إلى بيته مفكراً في أمره، فحسب ما يبلغ ذلك فوجده كثيراً، فبخل به، فجمع من يركن إليه ويعتمد عليه من بني إسرائيل وقال لهم: إن موسى قد أمركم وقد أطعتموه، وهو يريد الآن أخذ أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت، فجمع اللعين كيده وقال لبغيّ من بني إسرائيل: إني أعطيك كذا وكذا، قيل: جعل لها ألف دينار، وقيل: طشتاً[٢] من ذهب مملوءة ذهباً، وقيل: جعل لها حُكْمَها، وقال لها: أخلطك بأهلي ونسائي على أن تجيئي غداً إذا اجتمعت بنوا إسرائيل فتقذفي موسى بنفسك، فقالت: نعم.

فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل، ثم أتى موسى فقال له: إن بني إسرائيل قد اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم، فخرج إليهم موسى ﷺ وهم في بَرَاحٍ من الأرض، فقام فيهم فقال: يا بني إسرائيل! من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه، ومن زنى وليست له زوجة جلدناه، ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنتَ؟ فقال: وإن كنتُ أنا، قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فَجَرْتَ بفلانة، فقال: ادعوها، فوقفت بين يديه، فقال لها موسى صلوات الله عليه: يا فلانة، أنا فعلتُ بك الذي يقول هذا؟ وعظَّم عليها

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٥٦-٤٥٧).

(٢) في ب: طستاً.

ووعَظَها، وسألها بالذي فلق البحر وأنزل التوراة إلا صَدَقْتِ، فتداركها الله تعالى بتوفيقه، وقالت في نفسها: يا ويلها قد عملت كل فاحشة، وما بقي إلا أن أفتري على نبي الله موسى، فقالت: لا والله، ولكل جعل لي قارون جُعلاً على أن أقذفك بنفسي، فَخَرَّ موسى عليه الصلاة والسلام ساجداً يبكي ويقول: اللهم إن كنتُ رسولك فاغضب لي، فأوحى الله تعالى إليه أني قد أمرت الأرض أن تطيعك، فَمُرْها بما شئت، فقال موسى: يا أرض خُذيه، -وهو على فراشه وسريره-، فأخذته حتى غَيَّبَتْ سريره، فلما رأى ذلك قارون ناشده بالرَّحم، فقال: يا أرض خذيه، فأخذته حتى غيّبت قدميه، ثم قال: خذيه، فأخذته حتى غيّبت ركبتيه، ثم قال: خذيه، فأخذته حتى غيّبت حقويه، وهو في ذلك كله يناشده الرَّحم ويتضرع إليه، حتى لقد قيل: ناشده سبعين مرة، وموسى لا يلتفت إليه لشدة غضبه عليه، فلم يزل يقول: خُذيه خُذيه حتى انطبقت عليه الأرض، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى! ما أفظّك، استغاث بك سبعين مرة فلم تُغِثْهُ ولم ترحمه، أما وعزتي لو إيَّايَ دعا مرةً واحدةً لوجدني قريباً مجيباً[1].

قال قتادة: خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامةَ رجل، والله لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة[2].

قال مقاتل[3]: فأصبح بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم ويقولون: إنما

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١١٦-١١٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١٨) بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١١٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٧).

[أهلكه][(١)] موسى ليأخذ ماله وداره، فخسف الله تعالى بداره وبماله[(٢)] بعده بثلاثة أيام.

قوله تعالى: ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس﴾ وهم الذين قالوا: ﴿يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾، وقد يُذْكَرُ الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل اليوم الذي أنت فيه، بل الوقت القريب على طريق الاستعارة.

والمعنى: وأصبح الذين تمنّوا مثل منزلته من الدنيا، ﴿يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ أي: يُوسِّعُ على من يشاء ويُضَيِّقُ على من يشاء، ﴿لولا أن منَّ الله علينا لخُسِفَ بنا﴾.

وقرأ حفص: «لَخَسَفَ» بفتح الخاء والسين[(٣)].

فصل

اختلف العلماء في قوله: «ويك أن» فقال الخليل وسيبويه[(٤)]: «وَيْ» مفصولة من «كَأَنَّ»، وهي كلمة تندُّم وتنبيه على الخطأ، وكلُّ من تندّم فأظهر ندامته قال: وَيْ. فالمعنى: أن القوم ندموا على ما سَلَفَ منهم من تمنيهم مثل ما أوتي قارون حين شاهدوا سوء عاقبته، ثم قالوا: كأنه ﴿لا يفلح الكافرون﴾ أي: ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح.

---

(١) في الأصل: أكله. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل زيادة قوله: الأرض.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٩)، والكشف (٢/ ١٧٥)، والنشر (٢/ ٣٤٢)، والإتحاف (ص:٣٤٤)، والسبعة (ص:٤٩٥).

(٤) انظر: الكتاب (٢/ ١٥٤).

وقال بعض البصريين: لفظه لفظ التشبيه، ومعناه معنى الخبر، والتقدير: الله يبسط، وكذا التي بعدها. وأنشد:

فأَصْبَحَ بطنُ مَكَّةَ مُكْفَهِرّاً كأنّ الأرضَ ليسَ بها هِشَام

أي: الأرض ليس بها هشام؛ لأنه كان قد مات.

قال الزجاج[1]: والصحيح في هذا ما ذكره سيبويه عن الخليل، وحكى نحو ما ذكرناه، ثم قال[2]: وهذا كما يُعاتَبُ الرَّجُلُ على ما سَلَفَ منه فيقول: وَيْ، كأنك قصدت مكروهي، فالوقف عليها: وَيْ، وأنشد:

سَالَتَانِي الطَّلاقَ أَنْ رَأَيَانِي قَلَّ مَالي قَدْ جِئْتُماني بنُكْرِ[3]

وَيْكَأَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْـ ـبَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ[4]

وأما أبو الحسن فإنه يقول: الكاف متصلة، والتقدير: ويك أعلم أن الله.

وقال قطرب: إنما هو: ويلك، فأسقط منه اللام.

قال عنترة:

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٥٧).

(٢) انظر: الكتاب (٢/ ١٥٤-١٥٥).

(٣) سالتاني: يعني زوجتيه اللتين ذكرهما في بيت قبله، وهو:

تلك عرساي تنطقان على العمـ ـد إلى اليوم قول زور وهتر

وسال: مخفف سأل، بإبدال الهمزة ألفاً. والنكر: المنكر.

(٤) البيتان لزيد بن عمرو بن نفيل، يتحدث عن زوجتين له تركتاه لقلة ماله.

انظر: الكتاب لسيبويه (٢/ ١٥٥)، ومجالس ثعلب (ص:٣٢٢)، والخصائص (٣/ ٤١، ١٦٩)، وابن يعيش (٤/ ٧٦)، والهمع (٢/ ١٠٦)، والخزانة (٦/ ٤٠٤)، والأشموني (٣/ ١٩٩)، والدر المصون (٥/ ٣٥٤)، والبحر (٧/ ١٣٠)، ومعاني الفراء (٢/ ٣١٢).

ولقدْ شَفَى نفسي وأذهبَ سُقْمَها قيلُ الفَوارسِ وَيْكَ [عنْتَرَ][(١)] أقْدِمِ[(٢)]

وقال الزمخشري[(٣)]: يجوز أن يكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى وَيْ، كقوله: ويك [عنتر][(٤)] أقدم.

و"أنه" بمعنى "لأنه"، واللام لبيان المقول لأجله هذا القول، أي: لأنه لا يفلح الكافرون كان ذلك، وهو الخسف بقارون.

قال الزجاج[(٥)]: وجاء في التفسير أن معناه: ألم تر أنه لا يفلح الكافرون.

وقال بعضهم: معناها: أما ترى أنه لا يفلح الكافرون.

وحكى غير الزجاج عن قتادة: معناها: ألم تعلم[(٦)].

وقال الفراء[(٧)]: هي كلمة تقرير، كقول الرجل: [أما ترى][(٨)] إلى صُنع الله وإحسانه. وذكر أنه أخبره من سمع أعرابية تقول لزوجها: أين ابنُكَ؟ فقال: ويْكأنّه وراء البيت. يعني: أما ترينه وراء البيت.

---

(١) في الأصل: عنترة. والمثبت من ب، ومصادر البيت.

(٢) البيت لعنترة بن شداد. انظر: ديوانه (ص:١٤)، والسبع الطوال (ص:٣٥٩)، والمحتسب (١/ ١٦)، وابن يعيش (٤/ ٧٧)، والخزانة (٦/ ٤٢١)، والأشموني (٣/ ١٩٨)، والدر المصون (٥/ ٣٥٤)، والبحر (٧/ ١٣٠)، واللسان (مادة: ويا).

(٣) الكشاف (٣/ ٤٣٨-٤٣٩).

(٤) في الأصل: عنترة. والمثبت من ب.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٥٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٢٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤٣) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) معاني الفراء (٢/ ٣١٢).

(٨) في الأصل: ألم تر. والتصويب من ب، ومعاني الفراء، الموضع السابق.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة﴾ وهي الجنة ﴿نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً﴾ قال عطاء: لا يريدون علواً على خلقي[١].

وقال مقاتل[٢]: لا يريدون استكباراً على الإيمان، ولا فساداً بالمعاصي والظلم.

وقال الحسن البصري: لن يطلبوا الشرف والعز[٣] عند ذي سلطانهم[٤].

قال زاذان: كان علي عليه السلام يمشي في الأسواق وحده وهو والٍ يُرشِد الضالَّ، ويُعين الضعيف، ويمرّ بالبيّاع والبقّال فيفتح عليه القرآن ويقرأ: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً﴾، ويقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة، وأهل المقدرة من سائر الأديان[٥].

وروي عن علي عليه السلام أنه قال: إن الرجل ليعجبه شِراكُ[٦] نَعْلِه فيدخل

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٠).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٧).

(٣) في ب: العز والشرف.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤٤) وعزاه لابن مردويه وابن عساكر.

(٦) الشِّرَاك: سيرُ النعل، والجمع: شُرُك، وهو أحد سُيور النعل التي تكون على وجهها (اللسان، مادة: شرك).

في هذه الآية[١].

يريد عليه السلام: أن من تكبر وعلا على غيره بزينته فهو ممن يريد عُلُواً في الأرض. ويعضد هذا المعنى: قوله ﷺ: ((ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حُبِّ الرجل المال، والشَّرَفَ لدينه))[٢].

وما بعده سبق تفسيره.

وقوله تعالى: ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات﴾ من باب إقامة المُظْهَر مقام المُضْمَر. والمقصود من إظهار لفظ السيئة: التنبيه [على][٣] قُبْحها.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ أي: أوجب عليك القيام بتبليغه والنهوض بأعباء تكاليفه، وألزمك العمل به، ودعاء الخلق إليه، ﴿لرادك إلى معاد﴾ ليس لغيرك من البشر، وهو المقام الذي أُعِدَّ له في الجنة، وهو قول ابن عباس في

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٨٨ ح٢٣٧٦)، وأحمد (٣/ ٤٦٠).

(٣) زيادة من ب.

رواية عكرمة، وبه قال مجاهد والحسن وأبو صالح والزهري[1].

فإن قيل: هذا اللفظ مُشْعِرٌ بأنه ﷺ كان في الجنة؟

قلت: قد كان ذاك ليلة المعراج، أو حين كان في صُلب آدم، أو ساغ ذلك لكثرة تلبسه ﷺ بها، تارة بعرضها عليه حتى هَمَّ بأخذ القِطْف[2] منها، وتارة بدخوله إليها في منامه، ومنام الأنبياء وَحْيٌ، وقد دخلها ﷺ في المنام مراراً كثيرة.

على أني أقول: العرب تقول: رجع فلان إلى كذا، وإن لم يكن له سابقة بذلك. وقد قررناه فيما مضى.

وقال ابن عباس -في رواية العوفي- والضحاك ومقاتل[3]: نزلت هذه الآية في الجحفة، في مسير النبي ﷺ مهاجراً إلى المدينة، فتذكَّر وهو بالجحفة مكة، وكونها مولدُه ومولد آبائه، فاشتاق إليها، فأتاه جبريل فقال: يا محمد، أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ فقال: نعم، فقال: فإن الله يقول: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾[4]، أي: إلى مكة ظاهراً عليها.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن أبي صالح، وعزاه للفريابي.

(٢) في هامش ب: القِطْف: بالكسر: العنقود، وهو اسم لكل ما يُقْطَف، كالذِّبح والطِّحن. وأكثر المحدثين يروونه بفتح القاف، وإنما هو بالكسر. وقال الأزهري: يجوز الفتح عند الكسائي (انظر: اللسان، مادة: قطف).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٨).

(٤) أخرج طرفاً منه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٦) عن الضحاك. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٤٩). وذكر السيوطي طرفاً منه في الدر (٦/ ٤٤٥) =

قال القتيبي: مَعَادُ الرجل: بلده؛ لأنه [ينصرف][(١)] [في البلاد ويضرب في الأرض][(٢)] ثم يعود إليه[(٣)].

قلت: وحنينه ﷺ إلى بلده من جملة أخلاقه الكريمة التي طُبع عليها.

قالت العرب: أكرمُ الناس آلَفُهُم للناس.

وقال بعض الحكماء: حنين الرجل إلى أوطانه من علامة الرِّشْدَة، وقد أحسن القائل:

إذا أنَا لا أشتاقُ أرضَ عشيرتي ... فليسَ مكاني في النُّهى بمَكِين
وإنْ أنَا لمْ أرعَ العهودَ على النَّوَى ... فلستُ بمأمونٍ ولا بأَمين[(٤)]

قال أبو دُلف العجلي: أَلْأَمُ بيت قالته العرب:

تَلْقَى بكل بلادٍ إنْ حَلَلْتَ بها ... أهلاً بأهْلٍ وجيراناً بجيران[(٥)]

وذلك لأنه يدل على قلّة رعايةٍ وشدّة قساوة.

وقيل: "[لرادك][(٦)] إلى معاد": أي: [إلى][(٧)] القيامة.

=

وعزاه لابن أبي حاتم عن الضحاك.

(١) في الأصل: يتصرف. والتصويب من ب.

(٢) زيادة من زاد المسير (٦/ ٢٥٠).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٥٠).

(٤) البيتان لأبي هلال العسكري، وهما في: ديوان المعاني، باب الهجاء، ومجمع الحكم والأمثال، باب الوطن، وزهر الأكم في الأمثال والحكم.

(٥) البيت لأبي دلف، وهو في: ديوان الحماسة (١/ ٩٨).

(٦) في الأصل: لردك. والتصويب من ب.

(٧) زيادة من ب.

قال [الزجاج][(١)]: وهذا أكثر التفسير.

قال صاحب الكشاف[(٢)]: إن قلت: كيف اتصل قوله: ﴿قل ربي أعلم﴾ بما قبله؟

قلت: لما وَعَدَ رسول الله ﷺ الرد[(٣)] إلى معاد قال: ﴿قل﴾ للمشركين: ﴿ربي أعلم من جاء بالهدى﴾ يعني: نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده، ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾ يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم.

قوله تعالى: ﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك﴾ قال الفراء[(٤)]: هذا استثناء منقطع.

وقال الزمخشري[(٥)]: هذا كلام محمول على المعنى، كأنه قيل: وما ألقي عليك الكتاب إلا رحمة من ربك.

قوله تعالى: ﴿ولا يَصُدُّنَّكَ﴾ وقرئ شاذاً: بضم الياء وكسر الصاد[(٦)]، من أَصَدَّه بمعنى: صَدَّه، وهي لغة كلب. قال شاعرهم:

[أُناسٌ][(٧)] أَصَدُّوا الناسَ بالسيفِ عنهمُ ... صُدودَ السَّواقي عن أُنُوفِ الحَوَائِمِ[(٨)]

---

(١) في الأصل: قتادة. والتصويب من ب. وانظر: معاني الزجاج (٤/ ١٥٨).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٤٠).

(٣) في ب: رسوله الرد.

(٤) معاني الفراء (٢/ ٣١٣).

(٥) الكشاف (٣/ ٤٤٠-٤٤١).

(٦) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣٥٥).

(٧) في الأصل: الناس. والتصويب من ب.

(٨) البيت لذي الرمة. انظر: ديوانه (ص:٦٢٣)، واللسان (مادة: صدد)، والدر المصون (٥/ ٣٥١)،
=

السواقي: جمع ساقية، وهُنَّ الولائـد الـساقيات أو الجماعـات التـي يـسقون الإبل. والحوائم: العطاش، مِنْ حَام؛ إذا عطش.

قال مقاتل[١]: ذكَّر الله تعالى نبيه ﷺ نِعَمَهُ عليه بإلقائه الكتاب إليه، ونهاه عن مُظاهرة قومه حين دعوه إلى دين آبائه، وأمره بالتحرز منهم بقوله: ﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك﴾.

﴿ولا تكونن من المشركين﴾ قال ابن عباس: الخطاب له في الظاهر، والمراد به: أهل دينه[٢]. وقد بيّنّا فيما مضى أن هذا وأمثاله من باب التهييج والإلهاب.

قوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ قال ابن عباس وجمهور العلماء: إلا ما أريد به وجهه[٣].

وقال الضحاك وأبو عبيدة[٤]: المعنى: كل شيء هالك إلا هو.

والوجه يُعبَّر به عن الذات.

= والبحر (٧/ ١٣٢)، والقرطبي (١٣/ ٣٢٢)، وروح المعاني (١٣/ ١٨٣، ٢٠/ ١٣٠).

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٨-٥٠٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٨) عن مجاهد وسفيان الثوري، والبيهقي في الـشعب (٥/ ٣٥٠) عن سفيان. وانظر: الطبري (٢٠/ ١٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤٧) وعزاه لعبـد بـن حميد. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لابن أبي حاتم. ومن طريـق آخـر عـن سفيان، وعـزاه للبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ١١٢). وذكـره المـاوردي (٤/ ٢٧٣)، وابـن الجـوزي في زاد المـسير (٦/ ٢٥٢).

قال الزجاج[١]: «وجهَه» منصوب بالاستثناء، ويجوز: «إلا وجهُـهُ» بـالرفع، ولكنه لا ينبغي أن يقرأ بها. ويكون المعنى: كل شيء غير وجهه هالك، وهو مثـل قول الشاعر:

وكلُّ أخٍ مُفارقُهُ أخُوه لَعَمْرُ أبيكَ إلا الفَرْقَدان[٢]

المعنى: وكل شيء غير الفرقدين مفارقه أخوه.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٥٨).

(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب، وقيل: لسوار بن المضرب، وقيل: لحضرمي بن عامر. انظر: ديوانـه (ص:١٧٨)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٣٣٤)، وخزانة الأدب (٣/ ٤٢١)، والإنصاف (١/ ٢٦٨)، وجمهرة أشعار العرب للقرشي (١/ ١١٦)، ومعـاني الأخفـش (ص:٩١)، والأشـباه والنظـائر (٨/ ١٨٠)، وشرح الأشموني (١/ ٢٣٤)، وشرح المفصل (٢/ ٨٩)، ومغني اللبيب (١/ ٧٢)، والمقتضب (٤/ ٤٠٩).

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي تسع وستون آية.

وهي مكية في قول ابن عباس والأكثرين[1].

وقال هبة الله المفسر[2]: نزل من أولها إلى رأس العشر بمكة، وباقيها بالمدينة.

وقيل: بالعكس من هذا القول.

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾﴾

قال الله تعالى: ﴿الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ قال ابن عباس: يريد بالناس: الذين آمنوا بمكة؛ سلمة بن هشام، [وعياش][3] بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، وعمار بن ياسر وغيرهم[4].

---

(١) أخرجه النحاس في ناسخه (ص:٦١١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٥٣)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٤٩) وعزاه لابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل. ومن طريق آخر عن عبدالله بن الزبير وعزاه لابن مردويه.

(٢) الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (ص:١٤١).

(٣) في الأصل: وعباس. وهو خطأ. والتصويب من ب. انظر ترجمته في: التهذيب (٨/ ١٧٦)، والتقريب (ص:٤٣٦).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٥٤).

ويؤيد هذا ما رواه البخاري (١/ ٣٤١ ح٩٦١) ((أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة =

وقال مقاتل[(١)]: نزلت في مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر، رماه عامر بن الحضرمي فقتله، فقال النبي ﷺ: ((سيد الشهداء مِهْجَع، وهو أول من يُدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة))، فجزع عليه أبواه وامرأته جزعاً شديداً، فأنزل الله تعالى هذه الآية[(٢)].

قال الزجاج[(٣)]: هذا اللفظ لفظ استخبار. والمعنى معنى تقرير وتوبيخ. ومعناه: أحَسِبُوا أن نَقْنَع منهم أن يقولوا «إنا مؤمنون» فقط ولا يُمتحنون بما تبين به حقيقة إيمانهم.

قال مجاهد وقتادة والسدي: ﴿وهم لا يفتنون﴾: أي: لا يُبتلون في أموالهم وأنفسهم بالقتل والتعذيب[(٤)].

﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ أي: ابتليناهم بضُروب المِحَن وأنواع المصائب؛ تمييزاً للمخلص من غير المخلص، والثابت القَدَم في الإسلام من المُزَلْزَل[(٥)]، والصابر من الجازع.

يقول: اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف)).

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥١٠).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٥٠)، وزاد المسير (٦/ ٢٥٤).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ١٥٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٢٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٢)، ومجاهد (ص:٤٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٥٠) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٥) في ب: المتزلزل.

قال ابن عباس: منهم خليل الله إبراهيم ﷺ وقوم كانوا معه ومن بعده نُشروا بالمناشير على دين الله، فلم يرجعوا عنه[١].

فإن قيل: بماذا يتصل قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا﴾؟

قلت: جائز أن يتصل بـ"أحسب"، وجائز أن يتصل بـ"لا يفتنون".

﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ أي: ليعلمن الله ذلك واقعاً.

وقال مقاتل[٢]: المعنى: فليرينّ الله الذين صدقوا في إيمانهم عند البلاء، فصبروا لقضاء الله، وليرينّ الذين كذبوا في إيمانهم، فَشَكُّوا عند البلاء.

ويجوز أن يكون ذلك وعداً ووعيداً، كأنه قيل: وليثبتن الله الذين صدقوا، وليعاقبن الكاذبين.

وقال أبو الفتح ابن جني[٣]: هو على إقامة السَّبَب مقام المُسَبَّب، والغرض فيه: فليُكَافِئنّ الله الذين آمنوا، وذلك أن المكافأة على الشيءِ إنما هي مُسبّبة عن علم،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٢-٤١٣).

ويؤيد هذا القول ما جاء في البخاري (٦/ ٢٥٤٦ ح٦٥٤٤) عن خباب بن الأرت قال: ((شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥١٠).

(٣) المحتسب (٢/ ١٥٩).

ولو لم [يُعلَم][(١)] لما صَحَّت المكافأة، ومثله: من إقامة [السَّبَب مقام المُسَبَّب][(٢)] قول الله تعالى: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ [المائدة:٧٥].

وقرأ علي عليه السلام وجعفر بن محمد: «فَلَيُعْلِمَنَّ» بضم الياء وكسر اللام في المواضع الأربعة من هذه السورة[(٣)]، وهي هذان الموضعان، وقوله تعالى: ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾.

على معنى: ليُعرِّفَنَّ اللهُ الناسَ مَنْ هم، فحذف أحد المفعولين.

ويجوز أن يكون: فليَسِمَنَّ الله الفريقين بسِمَةٍ وعلامةٍ يُعرفون بها. أما في الدنيا [فبظهور][(٤)] آثار الصدق وأنوار الإيمان على وجوه المتصفين بهما، وظهور آثار الكذب والنفاق على [المتصفين][(٥)] بهما. وأما في الآخرة فبياض الوجوه واسودادها[(٦)] وكُحل العيون [أو زُرقتها][(٧)]، إلى غير ذلك من الأمارات الفاصلة بين الفريقين.

قوله تعالى: ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ جائز أن يكون "حسب" بمعنى: قَدَّر، فلا يستدعي مفعولين، وجائز أن تكون على بابها، فتكون ما اشتملت عليه صلة "أنْ" سادّاً مسدّ المفعولين، كقوله: ﴿أم حسبتم أن تتركوا﴾ [التوبة:١٦]،

---

(١) في الأصل و ب: تعلم. والتصويب من المحتسب (٢/ ١٥٩).

(٢) في الأصل و ب: المسبب مقام السبب. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٦/ ٢٥٥)، والدر المصون (٥/ ٣٥٨).

(٤) في الأصل: فظهور. والمثبت من ب.

(٥) في الأصل: المصفين. والمثبت من ب.

(٦) في ب: أو سوادها.

(٧) في الأصل: وزرقتها. والمثبت من ب.

و"أم" منقطعة، ومعنى الإضراب فيها: أن هؤلاء بحُسْبان أظهرُ بطلاناً من الحسبان الذي قبله[١].

والسيئات: الشرك والمعاصي.

﴿أن يسبقونا﴾ أي: يفوتونا. يريد: أن الجزاء لاحِقٌ بهم لا محالة، ﴿ساء ما يحكمون﴾.

قال الزجاج[٢]: موضع «ما» نصب، على معنى: ساء حكماً يحكمون، كما تقول: نِعْمَ رَجُلاً زيدٌ. ويجوز أن يكون رفعاً، على معنى: ساء الحكم حكمهم.

قال ابن عباس: يعني: الوليد بن المغيرة، وأبا جهل، والعاص بن هشام، وغيرهم[٣].

مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ

---

(١) هذا قول الزمخشري، انظر: الكشاف (٣/ ٤٤٤).

قال أبو حيان في البحر (٧/ ١٣٧): أما قول الزمخشري: "اشتمال صلة أن سد مسد المفعولين" فقد كان ينبغي أن يقدر ذلك في قوله: ﴿أن يتركوا﴾، فيجعل ذلك سدّ مسدّ المفعولين، ولم يقدّر ما لا يصح تقديره، وأما قوله: ويجوز أن تضمن "حسب" معنى "قدر" فتعين أنّ "أنْ" وما بعدها في موضع مفعول واحد، والتضمين ليس بقياس، ولا يصار إليه إلا عند الحاجة إليه، وهذا لا حاجة إليه.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٦٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٥٦).

أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ أي: يخاف البعث، كقول الشاعر:

إذا لَسَعَتْهُ النحلُ لم يَرْجُ لَسْعُها ....[1]

وقد ذكرتُ ذلك فيما مضى.

وقال سعيد بن جبير: المعنى: من كان يطمع في ثواب الله[2]. واختاره الزجاج[3] نظراً إلى الموضوع الأصلي.

﴿فإن أجل الله لآت﴾ وهو أجل القيامة، فيجازي كُلاًّ بعمله، ﴿وهو السميع العليم﴾ الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله العباد ويفعلونه.

قوله تعالى: ﴿ومن جاهد﴾ أي: من جاهد نفسه في منعها ما تهواه من المعصية وحملها على ما تأباه من الطاعة، وتركيبها بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، ﴿فإنما يجاهد لنفسه﴾ لموضع انتفاعها به، ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ لم يأمرهم وينههم لمصلحة تعود إليه، فإنه منزّه عن ذلك، بل لمصالحهم.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ

---

(١) صدر بيت لأبي ذؤيب الهذلي، وعجزه: (وخَالَفَها في بيت نُوب عَواسِل). انظر: ديوان الهذليين (١/ ١٤٣)، والدر المصون (١/ ٥٣٤)، واللسان (مادة: نوب، دبر، خلف، رجا)، والقرطبي (٣/ ٥٠، ٨/ ٣١١، ١٣/ ١٩)، والطبري (٥/ ٢٦٤، ١١/ ٨٧، ٢٥/ ١٣٧، ٢٩/ ٩٥). وفي بعض المصادر: "الدبر" بدل "النحل".

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٣).

(٣) انظر: معاني الزجاج (٤/ ١٦٠).

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ قال سعد بن أبي وقاص الزهري، -واسم أبي وقاص: مالك-: فيّ أنزلت هذه الآية، كنتُ رجلاً باراً بأمي، -واسمها: حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف،- وكنتُ أَحَبَّ أولادها إليها، فلما أسلمتُ قالت: يا سعد! ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتَدَعَنَّ دينكَ هذا أو لا آكل ولا أشرب، ولا يُظلني سقف حتى أموت، فتُعيَّرَ بي فيقال لك: يا قاتل أمه؟ فقلت: لا تفعلي يا أماه، فإني[1] لا أدع ديني هذا لشيء، قال: فمكثتْ يوماً وليلةً لا تأكل ولا تشرب، فأصبحتْ وقد جُهِدَتْ، ثم مكثتْ يوماً آخر وليلة لا تأكل ولا تشرب، فلما رأيتُ ذلك قلتُ: تعلمين والله يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً بعد نفس، ما تركتُ ديني هذا لشيء، فكُلي وإن شئت [فلا][2] تأكلي، فلما رأتْ ذلك أكَلَت، وأنزل الله هذه الآية[3].

قال جماعة من المفسرين: أنزل الله فيه هذه الآية والتي في لقمان[4] والتي في الأحقاف[5]، فأمره النبي ﷺ أن يترضّاها ويُحسن إليها ولا يطيعها في الشرك.

---

(١) في ب: إني.

(٢) في الأصل: لا. والمثبت من ب.

(٣) أسباب النزول للواحدي (ص:٣٥١-٣٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢١) وعزاه لأبي يعلى والطبراني وابن مردويه وابن عساكر.

(٤) عند الآية رقم: ١٤.

(٥) عند الآية رقم: ١٥.

وقيل: نزلت في [عياش][1] بن أبي ربيعة المخزومي، وقد ذكرنا قصته مع أمه في سورة النساء عند قوله: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطئاً﴾ [النساء:٩٢].

قال الزجاج[2]: المعنى: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يَحْسُن.

وقال صاحب الكشاف[3]: المعنى: ووصينا بإيتاء والديه حسناً، أو بإيلاء والديه حسناً أي: فِعْلاً ذا حُسْن، أو ما هو في ذاته حَسَنٌ لفرط حسنه، كقوله تعالى: ﴿وقولوا للناس حُسْناً﴾ [البقرة:٨٣].

﴿وإن جاهداك﴾ قال أبو عبيدة[4]: فيه إضمار، أي: وقلنا له: وإن جاهداك.

﴿لتشرك بي ما ليس لك به علم﴾ أي: ما لا تعلم [صحة][5] إلاهيته ﴿فلا تطعهما﴾، وفي هذا دليل على أن الحقوق العظيمة تَسْقُطُ إذا [جاءت][6] مُصَادِمَةً لحقوق الله تعالى جلّت عظمته، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وفي قوله: ﴿إليَّ مرجعكم﴾ تحذيرٌ من المخالفة وحثٌ على لزوم قوانين الدين.

قوله تعالى: ﴿لندخلنهم في الصالحين﴾ أي: في جملتهم وزُمرتهم.

وقال ابن جرير[7]: أي: في مدخل الصالحين، وهو الجنة.

---

(١) في الأصل: عباس. والتصويب من ب. انظر ترجمته في: التهذيب (٨/ ١٧٦)، والتقريب (ص:٤٣٦).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٦١).

(٣) الكشاف (٣/ ٤٤٦).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ١١٣).

(٥) في الأصل: صحته. والتصويب من ب.

(٦) زيادة من ب.

(٧) تفسير ابن جرير الطبري (٢٠/ ١٣٢).

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله... الآية﴾ قال ابن عباس: هم المؤمنون الذين أخرجهم المشركون إلى بدر فارتدّوا[1].

وقال مجاهد وكثير من المفسرين: نزلت في أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا مسّهم بلاءٌ من الناس أو مصيبة في أنفسهم أو أموالهم افتتنوا[2].

وقال ابن السائب ومقاتل[3]: نزلت في عياش بن أبي ربيعة، فإنه حين رجع به أخواه أبو جهل والحارث ابنا هشام وجَلَدَاه، فَتَنَاهُ عن دينه، فنزلت هذه الآية. ثم

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٣٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٧). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٥٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٣٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٧)، ومجاهد (ص:٤٩٣). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٥٢) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥١٢).

هاجر بعد ذلك إلى المدينة وحَسُنَ إسلامه[١].

قوله تعالى: ﴿فإذا أوذي في الله﴾ أي: أصابه أذى بسبب إيمانه ﴿جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ أي: جعل ما أصابه من أذى الناس [وعذابهم][٢] صارفاً له عن الإيمان، كما أن عذاب الله صارفاً للمؤمنين عن الكفر.

وقال الزجاج[٣]: المعنى: فإذا ناله أذًى بسبب إيمانه جَزِعَ من ذلك، كما يجزع من عذاب الله.

﴿ولئن جاء نصرٌ من ربك﴾ يعني: للمؤمنين ﴿ليقولُن﴾ يعني: المنافقين ﴿إنا كنا معكم﴾ على دينكم، فأعطونا نصيبنا من المغنم.

﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ أي: ليَرَيَنَّهُم بثبات المؤمن عند الفتنة واضطراب المُرْتَاب وتزلزله عندها.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولْنَحْمِلْ خطاياكم﴾ وقرأ الحسن: «ولِنَحْمِلْ» بكسر اللام[٤].

هذا قول صناديد قريش في الكفر للمؤمنين أصحاب محمد ﷺ، وكانوا يأمرونهم بمشايعتهم ومتابعتهم، على أن يتكفلوا لهم بحمل أوزارهم، على تقدير صحة ما تُوعدوا به من البعث والعذاب.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٥٩).

(٢) في الأصل: وبعذابهم. والتصويب من ب.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ١٦١).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٤٤).

قال الزجاج[1]: «ولنحمل» هو أمر في تأويل الشرط والجزاء، على معنى: إن تتَّبعوا سبيلنا حَمَلْنا خطاياكم.

وقال الأخفش[2]: كأنهم أمروا أنفسهم بذلك.

قال ابن قتيبة[3]: الواو زائدة.

قال الزجاج[4]: فأعلم الله تعالى أنهم لا يحملون شيئاً من خطاياهم فقال: ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾.

قال[5]: معناه: من شيء يُخَفِّفُ عن المحمول عنه العذاب.

﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ أي أوزارهم [وأوزاراً][6] مع أوزارهم، يريد: أوزار الذين أضلوهم، وهذا كقوله: ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾ [النحل:٢٥].

﴿وليسألن يوم القيامة﴾ سؤال تقريع وتوبيخ ﴿عما كانوا يفترون﴾ من الأكاذيب في الأباطيل.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٦١).

(٢) معاني الأخفش (ص:٢٦٦).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣٣٧).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ١٦٢).

(٥) أي: الزجاج.

(٦) في الأصل: وأوزار. والتصويب من ب.

وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ حكى الماوردي(١): أن هذا مقدار عمره كله.

وليس هذا بصحيح؛ لأن اللبث مرتب على الرسالة بفاء التعقيب، فالآية بيان لمقدار لبثه فيهم رسولاً.

واختلفوا في مقدار عمره قبل رسالته وبعد الطوفان؛ [فقال ابن عباس: بُعث بعد أربعين سنة، وعاش بعد الطوفان](٢) ستين سنة حتى كثُر الناس وفشوا(٣).

فعلى هذا يكون مبلغ عمره ألفاً وخمسين سنة.

وقال كعب الأحبار: لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد ذلك سبعين سنة، فكان مبلغ عمره ألفاً وعشرين سنة(٤).

وقال عون بن أبي شداد: بُعث وهو ابن ثلاثمائة [وخمسين](٥) سنة، وعاش

---

(١) تفسير الماوردي (٤/ ٢٧٨).

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٨ ح٣٣٩١٨)، والحاكم (٢/ ٥٩٥ ح٤٠٠٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤١). وذكره الماوردي (٤/ ٢٧٨-٢٧٩)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٥٥) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه.

(٤) أخرج ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤١) عن كعب الأحبار في قول الله: ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ قال: عاش بعد ذلك سبعين عاماً. وذكره الماوردي (٤/ ٢٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٦١).

(٥) زيادة من مصادر التخريج.

مثلها بعد الطوفان[١].

وقال قتادة: بُعث وهو ابن ثلاثمائة، وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة[٢].

فإن قيل: لما غاير بين المميزَيْن؟

قلت: لأنه أحسن من تكرير السنة أو العام مرتين.

فإن قيل: هلاّ [قال][٣]: تسعمائة وخمسين سنة؟

قلت: المقصود: ذكر ما ابتُلي به نوح عليه السلام من طول مصابرته لقومه، وذكر الألْف أفخم في اللفظ وأوقع في النفس.

قوله تعالى: ﴿فأخذهم الطوفان﴾ رَوَتْ عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ ((أنه الموت))[٤].

وقال ابن عباس: هو المطر[٥].

وقال الضحاك: هو الغرق[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٢). وذكره الماوردي (٤/ ٢٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤٥٦) وعزاه لابن جرير.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤١). وذكره الماوردي (٤/ ٢٧٨).

قال ابن كثير (٣/ ٤٠٨): وهذا قولٌ غريب، وقول ابن عباس أقرب. والله أعلم.

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٣١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٢).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٢) ولفظه: مطر بالليل والنهار ثمانية أيام. وذكره الماوردي (٤/ ٢٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٦٢).

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور =

والمعنى في هذا كله مُتَّحِد؛ لأنهم أُمطروا فماتوا بالغرق.

والواو في قوله: ﴿وهم ظالمون﴾ واو الحال.

﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة﴾ وقد ذكرنا عدّتهم في هود وقصة غرقهم[١].

﴿وجعلناها﴾ يعني: السفينة، وقيل: القصة والحادثة ﴿آية للعالمين﴾ عبرة لمن بعدهم.

وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه﴾ قال الزجاج[٢]: هو معطوف على "نوحاً".

وقال الزمخشري[٣]: نَصَبَ "إبراهيم" بإضمار "اذكر"، وأبدل عنه "إذ" بدل

= (٦/ ٤٥٦) وعزاه لابن جرير.

(١) من الآية رقم: ٢٥-٤٩.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٦٤).

(٣) الكشاف (٣/ ٤٥١).

الاشتمال؛ لأن الأحيان تشتمل على ما فيها، [أو][(١)] هو معطوف على "نوحاً"، و"إذ" ظرف لـ"أرسلنا"، يعني: أرسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغاً صَلُحَ فيه لأن يَعِظَ قومه وينصحهم، ويأمرهم بالعبادة والتقوى.

﴿ذلكم﴾ يعني: العبادة والتقوى ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ الخير من الشر.

المعنى: ولكنكم لا تعلمون.

﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً﴾ أي: أصناماً ﴿وتخلقون إفكاً﴾ بتسميتكم إياها آلهة وشركاء لله، أو بزعمكم أنها تشفع لكم.

وقيل: أراد بالإفك: الأوثان، جعل نَحْتَهُم لها خَلْقاً للإفك.

ثم بيّن عجزها فقال: ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً﴾ أي: شيئاً من الرزق، ﴿فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه﴾ [أي][(٢)]: وحِّدُوه ﴿واشكروا له﴾ بالتوحيد والعبادة نعمه من الخلق والرزق وغيرهما ﴿إليه ترجعون﴾ فاستعدُّوا للقائه.

قوله تعالى: ﴿وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم﴾ إلى قوله: ﴿فما كان جواب قومه﴾ جائز أن يكون من جملة قول إبراهيم لقومه، ويكون قوله: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ من كلام الله تعالى حكاه إبراهيم لقومه، كما حكى[(٣)] رسول الله ﷺ كلام الله تعالى على هذا النمط في كثير من القرآن.

---

(١) في الأصل و ب: إذ. والتصويب من الكشاف (٣/ ٤٥١).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في ب: يحكى.

وجائز أن يكون من جملة ما خوطبت به قريش، وقع اعتراضاً بين أول قصة إبراهيم وآخرها، ويكون المقصود منه تهديد كفار قريش، وتسلية لرسول[1] الله ﷺ، إذ كان أبوه إبراهيم خليل الله مَمْنُوّاً[2] بنحو ما بُلِي به من شرك قومه وتكذيبهم الحق الذي جاء به، وكون العاقبة كانت له.

قوله تعالى: ﴿أو لم يروا﴾ وقرأ أهل الكوفة: «تروا» بالتاء على المخاطبة[3].

﴿كيف يبدئ الله الخلق﴾ أي: يخلقهم ابتداء من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة حتى يتكامل خلقه.

• قوله تعالى: ﴿ثم يعيده﴾ ليس بمعطوف على "يُبْدِئ"، وليست الرؤية واقعة عليه، وإنما [هو][4] إخبار مستأنف بالإعادة بعد الموت، ونحوه: ﴿فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ فإن النظر وقع على الابتداء دون الإنشاء.

أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي -رحمه الله- قراءةً عليه وأنا أسمع، أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدالله النحوي، حدثني أبي قال: سمعت أبا بكر ابن الأنباري يقول: دخلنا المارستان بباب المحوَّل، فسمعت رجلاً في بعض البيوت يقرأ: ﴿أو لم تروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده﴾ فقال: أنا لا

---

(١) في ب: رسول.

(٢) ممنواً: أي: مبتلياً، يقال: مُنيتُ بكذا: ابتليتُ به (اللسان، مادة: مني).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٩)، والكشف (٢/ ١٧٧)، والنشر (٢/ ٣٤٣)، والإتحاف (ص:٣٤٤-٣٤٥)، والسبعة (ص:٤٩٨).

(٤) زيادة من ب.

أقف إلا على قوله: «كيف يبدئ الله الخلق» فأقف على ما عرفه القوم وأقَرُّوا؛ لأنهم لم يكونوا يُقرّون بإعادة الخلق، وأبتدئ بقوله: «ثم يعيده» ليكون خبراً. وأما ما [قرأ][1] علي بن أبي طالب عليه السلام: "وادّكر بعد أمَهٍ" [يوسف:٤٥] فهو وجه حسن، والأمَهُ: النسيان. وأما أبو بكر بن مجاهد فهو إمامٌ في القراءة. وأما قراءة الأحمق ابن شنبوذ: «إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم»[2] خطأٌ؛ لأن الله قد قطع لهم بالعذاب بقوله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ [النساء:٤٨]، قال: فقلت لصاحب المارستان: من هذا الرجل؟ فقال: هذا إبراهيم المُوَسْوِسُ محبوس، قال: فقلت: ويحك هذا أبيّ بن كعب، افتح الباب عنه، ففتح الباب فإذا رجل منغمسٌ في النجاسة والأدْهَم[3] في قدميه، فقلت: السلام عليكم، فقال: كلمة [مَقُولَةٌ][4]، فقلت: ما يمنعكَ من ردِّ السلام عَلَيَّ؟ قال: السلام أمان، وإني أريد أن أمتحنك، ألست تذكرُ اجتماعنا عند أبي العباس -يعني: ثعلباً- في يوم كذا ويوم كذا، وعرّفني ما ذاكرته فعرفته، وإذا به رجل من أفاضل أهل العلم، فقال: هذا الذي تراني منغمساً فيه ما هو؟ فقلت: الخرؤ يا هذا، فقال: وما جمعه؟ قلت: خُرُوء، فقال لي: صدقت، وأنشد:

كأنَّ خُروءَ الطير فوقَ رؤوسهم ....

---

(١) في الأصل: قال. والتصويب من ب.

(٢) وصواب الآية في سورة المائدة: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ [١١٨].

(٣) الأدهم: القيد (اللسان، مادة: دهم).

(٤) في الأصل: مفعولة. والمثبت من ب، وتاريخ بغداد (٣/ ١٨٥).

ثم قال لي: والله لو لم تجبني بالصواب لأطعمتك منه، فقلت: الحمد لله الذي أنجاني منه، وتركته ثم انصرفت[١].

قال المصنف: هذا البيت الذي استشهد به الموسوس لجوّاس وهو:

كأنَّ خُروءَ الطير فوقَ رؤوسهم ... إذا اجتمعتْ قيسٌ معاً وتميم

متى [تسأل][٢] الضّبيّ عن شرِّ قومه ... يقلْ لكَ: إنَّ العائذيَّ لئيم[٣]

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ أمرهم الله سبحانه بالسير في الأرض [ليشاهدوا][٤] عجائب مخلوقاته وبدائع مصنوعاته، ويستدلوا بابتداء الخلق على صحة إعادته، ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «النَّشَاءَةَ» بفتح الشين والمد، وقرأ الباقون بسكون

---

(١) انظر القصة في: تاريخ بغداد (٣/ ١٨٥-١٨٦).

(٢) زيادة من ب، ومصادر البيت.

(٣) البيتان لجواس بن نعيم الضبي، انظر: اللسان (مادة: خرأ).

(٤) في الأصل: لشاهدوا. والتصويب من ب.

الشين والقَصْر[١]، وكذلك اختلافهم في النجم[٢] والواقعة[٣].

قال الفراء[٤]: هذا مثل: الرّأْفة والرآفة، والكأْبة والكآبة.

﴿إن الله على كل شيء﴾ من البدء والإعادة وغيرهما ﴿قدير﴾.

﴿يعذب من يشاء﴾ بعدله، ﴿ويرحم من يشاء﴾ بفضله.

وقد حكى الماوردي فيه أقوالاً[٥]:

أحدها: يعذب من يشاء بسوء الخلق، ويرحم من يشاء بحسن الخلق.

الثاني: يعذب من يشاء بالحرص، ويرحم من يشاء بالقناعة.

الثالث: يعذب من يشاء بمتابعة البدعة، ويرحم من يشاء بملازمة السنة.

الرابع: يعذب من يشاء بالانقطاع إلى الدنيا، ويرحم من يشاء بالإعراض عنها.

الخامس: يعذب من يشاء ببغض الناس له، ويرحم من يشاء بحب الناس له.

﴿وإليه تقلبون﴾ تُرَدُّون وترجعون.

﴿وما أنتم بمعجزين﴾ مفسر في الأنفال[٦].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٩)، والكشف (٢/ ١٧٨)، والنشر (٢/ ٣٤٣)، والإتحاف (ص:٣٤٥)، والسبعة (ص:٤٩٨).

(٢) عند الآية رقم: ٤٧.

(٣) عند الآية رقم: ٦٢.

(٤) معاني الفراء (٢/ ٣١٥).

(٥) تفسير الماوردي (٤/ ٢٨٠).

(٦) عند الآية رقم: ٥٩.

قال قطرب[١]: معناه: وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لو كنتم فيها، كما تقول: ما يفوتني فلان هاهنا ولا بالبصرة، [ولو][٢] صار إليها.

وقيل: المعنى: وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا أهل السماء بمعجزين في السماء.

قوله تعالى: ﴿أولئك يئسوا من رحمتي﴾ قال مقاتل[٣]: من جَنَّتي.

وقال أبو سليمان: من عَفْوي ومغفرتي[٤].

قال ابن جرير[٥]: وذلك في الآخرة عند رؤية العذاب.

وقال غيره: «أولئك يئسوا» وعيد، أي: ييأسوا[٦] يوم القيامة، أو شبّه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يأس من الرحمة.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ

(١) انظر قول قطرب في: زاد المسير (٦/ ٢٦٦).
(٢) في الأصل: لو. والتصويب من ب.
(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥١٥).
(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٦٦).
(٥) تفسير ابن جرير الطبري (٢٠/ ١٤٠).
(٦) في ب: ييأسون.

ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿فما كان جواب قومه﴾ أي: ما كان جواب قوم إبراهيم حين أمرهم بعبادة الله تعالى وتقواه، ﴿إلا أن قالوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض، أو قاله بعضهم ورضيه الباقون، فيكونون بمنزلة القائلين.

والمعنى: إلا أن قالوا سفهاً وعناداً عند انقطاع حجتهم: ﴿اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار﴾ وقد ذكرنا ذلك في سورة الأنبياء[1].

قوله تعالى: ﴿وقال﴾ يعني: إبراهيم لقومه: ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم﴾. قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: «مَوَدَّةُ» بالرفع من غير تنوين، «بينِكُم» بالجر على الإضافة. على معنى: هي أو تلك مودة بينكم، أو يكون "مودَّةُ" خبر "إن"، و"ما" موصولة.

وقرأ حمزة وحفص: «مودَّةَ» بالنصب والإضافة، جعلا "ما" مع "إنَّ" كافة، ولم يجعلاها بمعنى الذي، و"مودَّةَ" مفعول له تقديره: اتخذتم الأوثان للمودَّة، ثم أضافها إلى "بينكم" كما أضاف من رفع.

وقرأ الباقون: «مودَّةً» بالنصب والتنوين، «بينكُم» بالنصب على الظرف[2].

ويجوز أن يكون "مودَّةً" مفعولاً ثانياً، كقوله تعالى: ﴿اتخذ إلهه هواه﴾

---

(١) آية رقم: ٦٨.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص: ٥٥٠)، والكشف (٢/ ١٧٨)، والنشر (٢/ ٣٤٣)، والإتحاف (ص: ٣٤٥)، والسبعة (ص: ٤٩٨-٤٩٩).

[الفرقان:٤٣] على معنى: اتخذتم الأوثان سبب المودَّةِ بينكم، بتقدير حذف المضاف.

وقرأتُ لعاصم من غير [طُرُقه][١] المشهورة: «مودَّةٌ» بالرفع والتنوين، «بينكُم» بالنصب[٢].

﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾ فيتبرأ القادة من الأتباع، ﴿ويلعن بعضُكم بعضاً﴾ يلعن الأتباع القادة لكونهم السبب في إضلالهم. ويجوز أن تكون الأوثان داخلة في الكفر واللعن، كما في قوله: ﴿سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً﴾ [مريم:٨٢].

قوله تعالى: ﴿فآمن له لوط﴾ أي: صدّق إبراهيم، ﴿وقال﴾ يعني: إبراهيم ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ أي: إلى حيث أمرني ربي بالهجرة.

وقيل: مهاجر إلى رضى ربي، فهاجر من كُوثى[٣] -وهي من سواد العراق- هو ولوط وسارة، -وهو ابن خمس وسبعين سنة- إلى حَرّان[٤]، ثم منها إلى فلسطين.

﴿إنه هو العزيز﴾ الذي يمنعني من أعدائي ﴿الحكيم﴾ الذي يأمرني بما يصلحني.

---

(١) في الأصل: طريقه. والمثبت من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٨)، والسبعة (ص:٤٩٩).

(٣) كُوثى: موضع بسواد العراق في أرض بابل (معجم البلدان ٤/ ٤٨٧).

(٤) حَرَّان: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة أخذها مضر، بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم. قيل: سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام؛ لأنه أول من بناها، فعربت فقيل: حران (معجم البلدان ٢/ ٢٣٥).

﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ قال المفسرون: وهب له إسحاق من سارة بعد إسماعيل، وكان إسماعيل من هاجر التي وصلت إليه من الجَبَّار بحرّان، وحديثهم معروف صحيح.

﴿وجعلنا في ذريته﴾ أي: في ذرية إبراهيم ﴿النبوة والكتاب﴾ يريد: جنس الكتب.

قال المفسرون: لم يبعث الله تعالى نبياً قط بعد إبراهيم إلا من صلبه[1].

فإن قيل: ما بال إسماعيل لم يذكر، وقد ذُكِر إسحاق؟

فقد أجاب عنه الزمخشري فقال[2]: قد دلّ على إسماعيل في قوله: ﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾، فكفى الدليل لشُهرة أمره وعُلُوّ قدره.

ويحتمل عندي أن يقال في الجواب: المقصود من ذلك: الإعلام بعجيب ما جُوزي [به][3] إبراهيم -على صبره على الأهوال في ذات الله عز وجل، وهجرته من وطنه- من النعم العظيمة التي قلَّ المشارك فيها أو عُدم، من كونه دوحة الأنبياء، ومَقَرَّ العلوم النازلة من السماء، وكونه رُزق إسحاق من عجوز عقيم لا يُرجى من مثلها ولد، ألا تراها تقول حين بُشِّرت: ﴿أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً﴾ [هود:٧٢]، قال عز وجل حاكياً عنها: ﴿فصكّت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾ [الذاريات:٢٩]، واستيلاد إبراهيم إسماعيل من هاجر لم يكن بهذه المثابة،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٦٨).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٥٥).

(٣) زيادة من ب.

ولا مما خُرقت به العادة، فلذلك لم [يذكر][١].

فلئن قلت: قد ذكر يعقوب ولم يكن كذلك؟

قلت: ذكْر يعقوب وقع على سبيل الاستطراد والتبعيَّة لأبيه إسحاق، وكونه من تمام ما وقع به الامتنان على إبراهيم بالنعمة الخارقة للعادة.

فإن قيل: ما مَنَعَ من عود الضمير في ذريته إلى يعقوب، وهو أقرب المذكورين؟

قلت: منع من ذلك[٢] خروج إسماعيل ومحمد عنه، مع انتظامهما في سلك من جعل الله فيهم النبوة والكتاب، هذا مع أن الضمائر السابقة واللاحقة عائدة إلى إبراهيم والحديث عنه، فيتعين عود الضمير إليه.

قوله تعالى: ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ قال ابن عباس: هو الثناء الحسن والولد الصالح[٣].

وقال قتادة: لست ترى أحداً من أهل الأديان إلا يتولاه ويحبه[٤].

وقال السدي: أُرِيَ مكانه من الجنة[٥].

وباقي الآية سبق تفسيره.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في ب: منع منه.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٥٩) وعزاه لابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٤٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٢). وعزاه لابن المنذر.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٦٨).

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿ولوطاً﴾ معطوف على "إبراهيم"، أو على ما عُطف عليه "إبراهيم"[1].

قوله: ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ تقرير لإفراط تلك الفاحشة في القبح، وإيذان بخبث طينتهم، وقبح طويتهم، حين أقدموا على فاحشةٍ نَبَتْ عنها طباع الذين كانوا من قبلهم.

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص: ﴿إنكم لتأتون الفاحشة﴾ بهمزة واحدة. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بهمزتين محقّقتين. وقرأ أبو عمرو بتحقيق الأولى وتليين الثانية مع الفصل بينهما بألف[2]، وأجمعوا على الاستفهام في: ﴿آإنكم لتأتون الرجال﴾ على أصوله المذكورة في مواضعها، وقد أشرنا إلى علل ذلك في مواضع.

---

(١) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٥٥).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٠)، والكشف (٢/ ٢٠)، والنشر (٢/ ٣٧٢-٣٧٣)، والإتحاف (ص:٣٤٥)، والسبعة (ص:٤٩٩-٥٠٠).

قوله تعالى: ﴿وتقطعون السبيل﴾ قال ابن عباس وغيره: كانوا يتعرضـون[١] من يمرّ بهم لعملهم الخبيث، فترك الناس الممرّ بهم[٢].

وقال مقاتل[٣]: كانوا إذا جلسوا في مجالسهم يرمون ابن السبيل بالحجارة.

وحُكي عن الحسن، أن قطع السبيل: كناية عن إتيان ما ليس بحرث[٤].

﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ روى الحاكم في صحيحه بإسناده عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت: ((سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ قلت: ما المنكر الذي كانوا يأتون؟ قال: كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم))[٥].

وروى عروة عن عائشة رضي الله عنها: أنه تَحَابُقُهم[٦] في مجالسهم[٧].

---

(١) في ب: يعترضون.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٤) كلاهما عن ابن زيد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٦٨) عن ابن عباس، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٦٠) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن زيد.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥١٧).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٥٦).

(٥) أخرجه الحاكم (٤/ ٣١٦ ح٧٧٦١).

(٦) الحَبْقُ: الضُّراط (اللسان، مادة: حبق).

(٧) أخرجه البخاري في تاريخه (٦/ ١٩٦ ح٢١٥٤)، والطبري (٢٠/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٤) عن عائشة في قوله: ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾، قالت: الضراط. وبلفظهم ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٦١) وعزاه للبخاري في تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه. وانظر: الماوردي (٤/ ٢٨٢).

وقال ابن عباس ومجاهد: هو إتيانهم الرجال[1].

واستمكنت تلك الفاحشة منهم[2] حتى صاروا يفعلونها بعضهم ببعض في المجالس.

ولا منافاة بين الحديث وهذه الأقوال؛ لأنه يصدق على ذلك كله اسم المنكر.

﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا﴾ تكذيباً واستهزاء: ﴿ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ فيما تَعِدُنا به منه.

﴿قال رب انصرني﴾ بتحقيق قولي وتصديق وعدي ﴿على القوم المفسدين﴾.

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

فاستجاب الله تعالى دعاءه، فبعث جبريل ومعه الملائكة لتعذيب قومه، فذلك

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٤٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٥) كلاهما عن مجاهد، ومجاهد (ص:٤٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٦١) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي في مساوئ الأخلاق عن مجاهد.

(٢) في ب: فيهم.

قوله تعالى: ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ يريد: بالبشارة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، ﴿قالوا﴾ يعني: الرسل ﴿إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ يريد به: قوم لوط.

وما بعده مُفسر في هود[1] إلى قوله: ﴿إنا منجوك وأهلك﴾ قرأ حمزة والكسائي: «لَنُنْجِيَنَّه» و «إنا مُنْجُوكَ» بالتخفيف فيهما، وافقهما ابن كثير وأبو بكر في «مُنْجُوكَ»، وشددهما الباقون[2].

قال سيبويه والمبرد[3]: الكاف في «مُنَجُّوكَ» مخفوضة، ولم يجز عطف الظاهر على المضمر المخفوض، فحمل الثاني على المعنى، وصار التقدير: وننجي أهلك.

وعند الأخفش: هو في محل النصب مفعول «مُنْجُوكَ»[4].

قوله تعالى: ﴿إنا مُنْزِلُون﴾ شدّده ابن عامر، وخففه الباقون[5]، فهو اسم الفاعل من أنزَل أو نزَّل، وهما لغتان بمعنى واحد.

﴿ولقد تركنا منها﴾ أي: من القرية، أو من الفعلة التي فعل بهم، ﴿آية بينة﴾.

قال ابن عباس: هي آثار منازلهم الخربة[6].

---

(١) عند الآية رقم: ٧٧.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥١)، والكشف (٢/ ١٧٩)، والنشر (٢/ ٢٥٩)، والإتحاف (ص:٣٤٥)، والسبعة (ص:٥٠٠).

(٣) المقتضب (٤/ ١٥٢).

(٤) انظر رأي الأخفش في: البحر المحيط (٧/ ١٤٦)، والدر المصون (٥/ ٣٦٥).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٢)، والكشف (٢/ ١٧٩)، والنشر (٢/ ٣٤٣)، والإتحاف (ص:١٧٩، ٣٤٥)، والسبعة (ص:٥٠٠).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٧١).

وقال قتادة: هي الحجارة التي ألقاها الله تعالى عليهم، وأدركتها أوائل هذه الأمة[١].

وقال مجاهد: هي الماء الأسود على وجه الأرض[٢].

وقيل: هي الإخبار عما صنع بهم.

﴿لقوم يعقلون﴾ متعلق بـ"آية" أو بـ"بينة".

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وارجوا اليوم الآخر﴾ قال عامة المفسرين: الرجاء هاهنا بمعنى: الخشية، المعنى: اخشوا اليوم الذي تجازون فيه بأعمالكم[٣].

وقال الزمخشري[٤]: المعنى: افعلوا ما ترجون به العاقبة، فأقيم [المسبَّب مقام

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٧٠).

(٢) مثل السابق.

(٣) ذكره الطبري (٢٠/ ١٤٩)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٩) من قول مقاتل، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٧١) بلا نسبة.

(٤) الكشاف (٣/ ٤٥٧).

السبب][1]، أو أمروا بالرجاء. والمراد: اشتراط ما يسوغه من الإيمان، كما يؤمر الكافر بالشرعيات على إرادة الشرط.

﴿فأصبحوا في دارهم﴾ أي: في أرضهم أو بلدهم.

وقيل: أراد الجمع فاكتفى بالواحد.

﴿وعاداً وثمود﴾ أي: وأهلكنا عاداً وثموداً، ﴿وقد تبين لكم﴾ أي: ظهر لكم يا أهل مكة هلاكهم ﴿من﴾ جهة ﴿مساكنهم﴾ فإنهم كانوا يمرون عليها وينظرون إليها، ﴿وكانوا مستبصرين﴾.

قال الفراء والزمخشري[2]: يعني: كانوا عقلاء ذوي بصائر، أي: أنهم كانوا بسبيل من النظر والاعتبار، ولكنهم لم يفعلوا.

وقال أكثر المفسرين: المعنى: وكانوا مستبصرين عند أنفسهم، يحسبون أنهم في ضلالتهم على هدى[3].

وقيل: كانوا مستبصرين: متبيّنين أن العذاب نازل بهم؛ لأن الله تعالى بيّنه لهم وأوضحه على ألسنة الرسل، ولكنهم تمادوا في غيهم حتى هلكوا[4].

وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ

(١) في الأصل و ب: السبب مقام المسبّب. والتصويب من الكشاف (٣/ ٤٥٧).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٣١٧)، والكشاف (٣/ ٤٥٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٥٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٠).

(٤) هو قول الزمخشري أيضاً. انظر: الكشاف (٣/ ٤٥٨).

فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿وما كانوا سابقين﴾ أي: ما كانوا يسبقون الله تعالى ويفوتونه أن يفعل بهم ما يريد.

﴿فكلاً أخذنا بذنبه﴾ أي: عاقبناه به. ثم فصَّل ما أجمل فقال: ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾ وهم قوم لوط، ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ وهم ثمود ومدين، ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ وهو قارون، ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ وهم قوم نوح وفرعون.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ يعني: الأصنام التي اتخذوها مُتَّكَلاً ومُعْتَمداً يرجون نفعها ونصرها، فمثلُهُم في اتخاذها مع ضعفها وعدم نصرها ونفعها ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً﴾ لا يدفع عنها حَرّاً ولا قُرّاً ولا مطراً ولا ضَرّاً.

قال ثعلب[1]: العنكبوت أنثى، وقد يُذَكِّرُها بعض العرب. قال الشاعر:

.... كأنّ العنكبوتَ هُوَ ابْتَنَاهَا[2]

﴿وإن أوهن البيوت﴾ أي: أضعفها ﴿لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ أن هذا مَثَلُهم، وأنّ أمر دينهم بالغ هذه الغاية في الضعف والوهن.

ويروى عن علي عليه السلام: طَهِّروا بيوتكم من نَسْجِ العنكبوت، فإن تركه في البيوت يُورِثُ الفقر[3].

ثم تهددهم وتوعدهم [فقال][4]: ﴿إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء﴾ قرأ أبو عمرو وعاصم: «يدعون» بالياء على الغيبة حملاً على ما قبلها. وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب[5]، على معنى: قل لهم يا محمد: إن الله يعلم ما يدعون من دونه[6].

قال الخليل وسيبويه: «ما» هاهنا استفهامية وموضعها نصب بقوله:

---

(١) انظر قول ثعلب في: زاد المسير (٦/ ٢٧٢).

(٢) عجز بيت وصدره: (على هَطَّالِهِم منهمْ بُيوت)، انظر: اللسان (مادة: عنكب، هطل)، ومعاني الفراء (٢/ ٣١٧)، والبحر (٧/ ١٤٨)، والدر المصون (٥/ ٣٦٦)، والقرطبي (١٣/ ٣٤٥)، وزاد المسير (٦/ ٢٧٣)، وروح المعاني (٢٠/ ١٦١).

(٣) القرطبي (١٣/ ٣٤٦)، والنسفي (٣/ ٢٥٩). ولا يصح ذلك، لذا رواه المصنف بصيغة التضعيف.

(٤) في الأصل: قال. والمثبت من ب.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٢)، والكشف (٢/ ١٧٩)، والنشر (٢/ ٣٤٣)، والإتحاف (ص:٣٤٦)، والسبعة (ص:٥٠١).

(٦) قوله: "من دونه" ساقط من ب.

"يَدْعُون"، والتقدير: أي شيء يدعون من دونه.

وقال غيرهما: هي بمعنى: الذي، والتقدير: يعلم الذي يدعونه من دونه، وموضعها نصب بـ"يَعْلَمُ"(١).

وفي قوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ تجهيلٌ لهم حيث [عبدوا](٢) جماداً وتركوا الموصوف بالعزة والحكمة.

قوله تعالى: ﴿وتلك الأمثال﴾ إشارة إلى أمثال القرآن، ﴿نضربها للناس وما يعقلها﴾ أي: وما يعقل صحتها وحسنها وفائدتها ﴿إلا العالمون﴾.

ويروى عن جابر: ((أن النبي ﷺ تلى هذه الآية فقال: العالمُ الذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه))(٣).

خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

و﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾ أي: بالأمر الثابت المعروف الصحة، فجعلها مساكن لعباده ودلائل على قدرته وعظمته وحكمته، ألا تراه يقول: ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾.

---

(١) ويجوز أن تكون نافية، و"مِنْ" في قوله: "منْ شيء" مزيدة في المفعول به، كأنه قيل: ما يدعون من دونه ما يستحق أن يطلق عليه شيء (انظر: الدر المصون ٥/ ٣٦٦).

(٢) في الأصل: عبد. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الحارثي في مسنده (٢/ ٨١٢). وذكره الديلمي في الفردوس (٣/ ٧٣).

قوله تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ قد ذكرنا فيما مضى معنى الفحشاء والمنكر.

فإن قيل: كم من مُصَلٍّ لا تنهاه صلاته؟ فما وجه هذا الكلام؟.

قلتُ: عنه أجوبة:

أحدها: أن المراد بالصلاة: القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ [الإسراء:١١٠]، والقرآن ينهى عن الفحشاء والمنكر ويزجر عنهما، وهذا قول ابن عمر رضي الله عنهما(١).

الثاني: ينبغي أن تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر، كما في قوله تعالى: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ [آل عمران:٩٧].

الثالث: أن الصلاة من حيث هي صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ لما تتضمن من تلاوة القرآن والخشوع لله، والتضرع بين يديه وامتثال أمره، وهذه أمور يبعث على فعلها رجاء الثواب وخوف العقاب، وكفى بذلك زاجراً لمن كان له قلب يتفكّر أو عقل يتدبّر، وكون بعض المصلين لا ينتهي لا تخرج الصلاة عن أن تكون في نفسها ناهية. وقد روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ((من لم تَنْهَهُ صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدَدْ من الله إلا بُعْداً))(٢).

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٥٤). وذكره الماوردي (٤/ ٢٨٤)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٦٦) وعزاه لابن جرير.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٥٤ ح١١٠٢٥)، والطبري (٢٠/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٦) كلهم من حديث ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٦٥) وعزاه لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ روى ابن عمر: ((أن رسول الله ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه))[١]. وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس ومجاهد وعطية وجمهور المفسرين[٢].

وقال أبو الدرداء: المعنى: ولذكر الله أكبر مما سواه، وهو أفضل من كل شيء[٣].

قال قتادة: ليس شيء أفضل من ذكر الله[٤].

وقيل: المعنى: ولذكر الله أكبر من أن تبقى معه المعصية.

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ أي: بالخصلة التي هي أحسن، وهي اللين في مقابلة الخشونة، والدعاء إلى الله بالقرآن، والتنبيه على مواضع مواعظه وبراهينه.

﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ أي: جاوزوا الحد في الكفر وأفرطوا في العناد ولم

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٧-٣٠٦٨). وذكره الديلمي في الفردوس (٤/ ٤٠٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٦٦)، وعزاه لابن السني وابن مردويه والديلمي.

(٢) تفسير ابن عباس (ص:٣٩٨)، ومجاهد (ص:٤٩٥). وانظر: المصادر السابقة.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٧٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٦٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

ينفع معهم الرفق في الجدال، فاستعملوا معهم الغلظة.

وقال أكثر المفسرين: معناه: إلا الذين ظلموا بالإقامة على الكفر ونَصْبِ راية الحرب، فقاتلوهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية[١].

﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ... الآية﴾ هذا من المجادلة بالتي هي أحسن؛ لما فيه من ملاينتهم واستمالتهم إلى المناصفة وترك المشاغبة.

وقال قتادة: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون ... الآية﴾[٢] [التوبة:٢٩].

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب﴾ أي: وكما أنزلنا الكتاب عليهم

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١-٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٩). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٦/ ٤٦٨-٤٦٩) وعزاه للفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٦٩) وعزاه لأبي داود في ناسخه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف.

وانظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٤١)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٠)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٢٢-٤٢٣).

أنزلنا إليك الكتاب.

وقيل: المعنى: ومثل ذلك الإنزال أنزلنا إليك الكتاب، أي: أنزلناه مصدقاً لسائر الكتب تحقيقاً لقوله: ﴿آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم﴾.

﴿فالذين آتيناهم الكتاب﴾ وهم عبدالله بن سلام ومن آمن معه منهم، ﴿يؤمنون به ومن هؤلاء﴾ يعني: أهل مكة ﴿من يؤمن به﴾.

وقيل: فالذين آتيناهم الكتاب [ممن][1] كان قبلك يؤمنون به، ومن هؤلاء الذين هم في عهدك اليوم منهم من يؤمن به.

﴿وما يجحد بآياتنا﴾ مع وضوحها ﴿إلا الكافرون﴾ المتوغِّلون في كفرهم.

وجمهور المفسرين يقولون: هم اليهود؛ لأنهم عرفوا محمداً ﷺ وأنكروه[2].

قوله تعالى: ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ أي: ما كنت قارئاً ولا كاتباً، فإنك لو كنت كذلك ﴿إذاً لارتاب المبطلون﴾ أي: إذاً لشكّوا فيك؛ لأن صفتك في التوراة والإنجيل أنك أمّي لا تكتب ولا تقرأ.

فإن قيل: لو كان كاتباً قارئاً لكان غير المنعوت بالرسالة في التوراة والإنجيل قطعاً، فما معنى ارتيابهم وهو على هذا التقدير غير المنعوت في كتابهم؟

قلت: هذا على سبيل الفَرْض والتقدير، أي: لو بُعثت كاتباً قارئاً وأنت على الحال التي أنت عليها من الشواهد الدالة على صدقك ورسالتك لارْتابوا.

فإن قيل: لو لم يكن أمياً لما كانوا مبطلين في الارتياب لكونه على غير النعت الذي نُعت به في الكتاب، فكيف سمّاهم مبطلين؟

---

(١) في الأصل: من. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٧٧).

قلت: وصفهم بما هم متلبسون به، كأنه قيل: إذاً لارتاب هؤلاء المبطلون في كفرهم.

قوله تعالى: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ وهم حملة القرآن.

وقال قتادة: «بل هو»: يعني: محمداً «آيات»: أي: ذو آيات «بينات في صدور الذين أوتوا العلم»: من أهل الكتاب[١].

وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿وقالوا﴾ يعني: أهل مكة ﴿لولا أنزل عليه آيةٌ من ربه﴾.

قرأ ابن عامر ونافع وأبو عمرو وحفص: «آياتٌ» على الجمع. وقرأ الباقون: «آيةٌ» على التوحيد[٢]، على معنى: آية خارقة، مثل: ناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى.

والجمع اختيار أبي عبيد، لقوله: ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ أي: ليست بيد

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٧٨).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦١-٢٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٢)، والكشف (٢/ ١٧٩-١٨٠)، والنشر (٢/ ٣٤٣)، والإتحاف (ص:٣٤٦)، والسبعة (ص:٥٠١).

رُسُله، وإنما هي بيده ينزل منها ما يشاء على من يشاء، ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ ما عليّ غير الإنذار وإبانة ما أوتيتُ من الآيات، وليس لي أن أتخيَّر وأقترح على الله الآيات.

وزعم بعض المفسرين: أن هذا منسوخ بآية السيف[1].

﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ أي: أو لم يكفهم إنزال القرآن عليك آية ظاهرة ومعجزة باهرة، تتلى عليهم في كل زمان ومكان، لا تَضْمَحِلُّ وتزول، كما تزول آيات الأنبياء.

وقد قيل: إن ناساً من المسلمين أتوا نبي الله ﷺ بكتاب فيه بعض ما يقوله اليهود، فلما نظر إليها ألقاها وقال: ((كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم إلى قومٍ غيرهم))، فنزلت هذه الآية[2].

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولولا أجلٌ مسمى لجاءهم العذاب﴾ [أي: لولا أجل][3]

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٤١)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٢٣-٤٢٤) وذهب إلى إحكامها.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٧٢-٣٠٧٣).

وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٧١) وعزاه للدارمي وأبي داود في مراسيله وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من حديث يحيى بن جعدة.

(٣) زيادة من ب.

[مسمى سماه][1] الله تعالى وبيّنه في اللوح المحفوظ، وجعله غاية لعذابهم، لجاءهم العذاب حين استعجلوه.

وقال الضحاك: الأجل المسمى: مدة أعمارهم؛ لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب[2].

وقيل: هو يوم بدر.

﴿وليأتينهم﴾ يعني: العذاب. وقيل: الأجل ﴿بغتة وهم لا يشعرون﴾.

﴿يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ أي: ستُحيط بهم يوم يغشاهم العذاب.

ويجوز أن يكون [معنى][3] إحاطتها بهم في الدنيا: إحاطة المعاصي الموجبة لها بهم.

قوله تعالى: ﴿يوم يغشاهم﴾ متعلق بما قبله كما ذكرنا.

وقوله: ﴿من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ كقوله تعالى: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾ [الزمر:١٦]، وكقوله: ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾ [الأعراف:٤١].

﴿ونقول ذوقوا﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: «ونقول» بالنون على الإخبار من الله تعالى عن نفسه. وقرأ الباقون بالياء[4]، على معنى: ويقول الله، أو

---

(١) في الأصل: سمى. والتصويب والزيادة من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨٠).

(٣) في الأصل: المعنى. والمثبت من ب.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٣)، والكشف (٢/ ١٨٠)، والنشر =

المَلَك الموكَّل بعذابهم: ذوقوا، ﴿ما كنتم﴾ أي: جزاء ما كنتم تعملون.

يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾

قوله تعالى: ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة﴾ قال الزجاج[1]: قيل في تفسيرها: إنهم أُمِرُوا بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله وأداء فرائضه، وأصل هذا فيمن كان بمكة ممن آمن وكان لا يمكنه إظهار إيمانه، وكذا يجب على كل من كان في بلد يُعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يُهاجر

= (٢/ ٣٤٣)، والإتحاف (ص:٣٤٦)، والسبعة (ص:٥٠١).

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٧٢).

وينتقل إلى حيث يتهيأ له فيه[1] أن يعبد الله تعالى فيه حق عبادته.

ثم ذكَّرهم الموت لتهون عليهم الهجرة فقال: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ أي واحدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق.

﴿ثم إلينا يرجعون﴾ قرئ بالياء على المغايبة حملاً على ما قبله، وبالتاء على الرجوع من الغيبة إلى الخطاب[2].

والمعنى: ثم إلينا ترجعون بعد الموت، فاستعدوا لذلك بالهجرة وغيرها من أعمال الطاعة.

قوله تعالى: ﴿لنبوئنهم من الجنة غرفاً﴾ قرأ حمزة والكسائي: «لَنُثْوِيَنَّهُم» من الثواء، وهو الإقامة. وقرأ الباقون: "لنبوئنهم"[3]، كما قال: ﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ [الزمر:٧٤]، وقد فسرنا ذلك فيما مضى.

قال ابن عباس: لنسكننّهم غرف الدور والزبرجد والياقوت، ولننزلنّهم قصور الجنة[4].

ثم وصف تلك الغرف فقال: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾.

ثم وصف العاملين فقال: ﴿الذين صبروا﴾ يعني: على مفارقة الأوطان وطاعة الله، ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾.

---

(١) ساقط من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٤)، والكشف (٢/ ١٨٠)، والنشر (٢/ ٣٤٣)، والإتحاف (ص:٣٤٦)، والسبعة (ص:٥٠٢).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٤).

قال ابن عباس: توكلوا على الله وتركوا دورهم وأموالهم[(١)].

وقال مقاتل[(٢)]: كان أحدهم يقول بمكة: كيف أهاجر إلى المدينة وليس لي بها مال ولا معيشة، فقال الله تعالى: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾.

قال ابن قتيبة[(٣)]: معنى الآية: كم من دابة لا ترفَعُ [شيئاً][(٤)] لغدٍ.

قال ابن عيينة: ليس شيء يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة[(٥)].

ويقال: للعَقْعَق[(٦)] مخابئ إلا أنه ينساها.

والمعنى: لا تحمل رزقها لضعفها عن حمله.

﴿الله يرزقها﴾ مع ضعفها حيث توجهت ﴿وإياكم﴾ حيث توجهتم، أي: وهو الذي [يرزقكم][(٧)] أيضاً مع اقتداركم على الكسب وقوتكم وتصرفكم، فهو الذي يرزق الضعيف والقوي، ولذلك ترى الرزق متفاوتاً، فترى الضعيف العاجز محظوظاً محدوداً، والقوي الجَلْد محروماً محدوداً، ولقد أحسن القائل:

يا طالبَ الرِّزْق الهنيّ بقوةٍ   هيهاتَ أنتَ بباطِلٍ مَشْغُوف

أَكَلَ العقابُ بقوةٍ جِيَفَ الفَلا   وَرَعَى الذُّبابُ الشُّهْدَ وهو ضعيف[(٨)]

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٥).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٤).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣٣٩).

(٤) في الأصل: شيء. والتصويب من ب، وتفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨٢).

(٦) العَقْعَق: نوع من أنواع الغربان، ذو لونين أبيض وأسود، طويل الذنب (اللسان، مادة: عقق).

(٧) في الأصل: يرقكم. والتصويب من ب.

(٨) البيتان لأبي العلاء المعري، انظر: حياة الحيوان الكبرى (١/ ٤٠٥).

ويروى أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال: يا ابن عمر! ما لك لا تأكل؟ فقلت: لا أشتهيه يا رسول الله، قال: لكني أشتهيه، وهذه صبح رابعة لم أذُقْ طعاماً، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سَنَتِهِم، ويضعف اليقين؟ فوالله ما برحنا حتى نزلت: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها ... الآية﴾))(١).

قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم﴾ يعني: كفار مكة ﴿من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ أي: فكيف يصرفون التوحيد بعد هذا الإقرار.

﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ أي: يُضيّق عليه ويقتّر.

قال الزمخشري(٢): إن قلت: الذي رجع الضمير إليه في قوله: "ويقدر له" هو "من يشاء"، فكأنّ بَسْطَ الرزق وقدره جُعلا لواحد؟

قلت: يحتمل الوجهين جميعاً، أن يزيد ويقدر لمن يشاء، فوضع الضمير موضع من يشاء؛ لأن «من يشاء» مُبْهم غير معين، فكان الضمير مبهماً مثله، وأن [يريد](٣) تعاقب الأمرين على واحد على حسب المصلحة، ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ فهو

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٧٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر بسند ضعيف. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٥٣).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٦٧).

(٣) في الأصل: أريد. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

يعلم ما يصلح العباد ويفسدهم.

قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم﴾ يعني: أهل مكة ﴿من نزّل من السماء ماء﴾ يريد: المطر ﴿فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله﴾.

قال الواحدي[(١)] وأبو الفرج ابن الجوزي[(٢)] رحمهما الله: المعنى: الحمد لله على إقرارهم بما يُلزمهم الحجة ويوجب عليهم التوحيد.

والذي يظهر في نظري: أنه أُمِرَ بالحمد شكراً لله على التمتُّع بنعمة العقل، حيث سَلَبَ الكفار نعمة الانتفاع به في عبادة أحجار لا تضر ولا تنفع، ولا تُبصر ولا تسمع، وجعلهم إياها آلهة، مع اعترافهم أن الخالق الرازق المسخر للشمس والقمر والمنزل من السماء الماء لإحياء الأرض بالنبات وإخراج الثمرات هو الله رب العالمين، ألا تراه يقول: ﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ أي: لا ينتفعون [بعقولهم][(٣)].

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

﴿وما هذه الحياة الدنيا﴾ يعني في سرعة زوالها عن أهلها ﴿إلا لهو ولعب﴾

---

(١) الوسيط (٣/ ٤٢٥).

(٢) زاد المسير (٦/ ٢٨٣).

(٣) في الأصل: بعقلوهم. والتصويب من ب.

باطل[١] وغرور ينقضي عن قريب، كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون.

﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ قال أبو عبيدة وابن قتيبة[٢]: الحيوان: الحياة. وقال غيرهما: مصدر حَيِيَ، كالنَّزوان والغَلَيان، وقياسُه: حَيَيَان، فقُلبت الياء الثانية واواً، كما قالوا: حَيْوَة في اسم رجل، وقياسه: حيّة؛ لأن اشتقاقه من الحياة.

وتقدير الآية: وإن الدار الآخرة لهي دار الحيوان. أو جعل ذاتها حياة مبالغة.

﴿لو كانوا يعلمون﴾ لرغبوا عن الفاني إلى الباقي.

قوله تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾ قال عكرمة:

• كان أهل الجاهلية إذا ركبوا في البحر حملوا معهم الأصنام، فإذا اشتدّت بهم الريح ألقوا تلك الأصنام في البحر وصاحوا: يا خُذَاي [يا][٣] خُذَاي[٤].

قوله تعالى: ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ هذه لام كَيْ، وهي متعلقة بالإشراك. المعنى: يشركون ليكفروا.

﴿وليتمتعوا﴾ أي: ليس لهم نفع سوى كفرهم وتمتعهم في العاجلة من غير نصيب في الآخرة.

ويجوز أن يكون اللام فيها لام الأمر، ومعناه التهديد والوعيد، كقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ [فصلت:٤٠]، ﴿واستفزز من استطعت منهم﴾ [الإسراء:٦٤].

---

(١) في ب: وباطل.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١١٧)، وتفسير غريب القرآن (ص:٣٣٩).

(٣) زيادة من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٦).

ويؤيده قراءة من قرأ: «ولْيتمتعوا» بسكون اللام، وهم ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون[١].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

قال أهل التفسير: كان من حول مكة من الأعراب[٢] يتناحرون ويتغاورون ويسبي بعضهم بعضاً، وأهل الحرم قارُّون آمنون، عزيزٌ جنابهم، منيعٌ حماهم، فذكَّرهم الله تعالى نِعَمَهُ عليهم، ووبَّخهم على إيمانهم بالباطل، وإعراضهم عن طاعة الله تعالى فقال: ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً... الآية﴾.

قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ أي: قاتلوا أعداءنا لأجلنا.

قال بعضهم: أطلق المجاهدة ولم يُقيدها بمفعول لتتناول[٣] كل ما تجب مجاهدته من النفس الأمَّارة بالسوء، والشيطان وأعداء الدين.

﴿لنهدينهم سبلنا﴾ لنوفقنهم لإصابة طُرُقِنا المستقيمة.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٥)، والكشف (٢/ ١٨١)، والنشر (٢/ ٣٤٤)، والإتحاف (ص:٣٤٦)، والسبعة (ص:٥٠٢).

(٢) في ب: الأعاريب.

(٣) في ب: ليتناول.

قال الزجاج[(١)]: أخبر الله تعالى أنه يَزيد المجاهدين هداية، فذلك قوله تعالى في موضع آخر: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾ [محمد:١٧].

وكان سفيان بن عيينة يقول: إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغر، فإن الله تعالى يقول: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[(٢)].

وكان الفضيل بن عياض يقول: والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به[(٣)].

وقال سهل بن عبدالله: والذين جاهدوا في إقامة السنّة لنهدينهم سبل الجنة[(٤)].

وقال أبو سليمان [الداراني][(٥)]: والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا[(٦)].

قال عمر بن عبد العزيز: لو أنّ عملنا ببعض ما علمنا لأورثنا علماً لا تقوم به أبداننا[(٧)].

قوله: ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ قال ابن عباس: يريد: الموحدين[(٨)].

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٧٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٤).

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٧٥).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٧٥).

(٥) في الأصل: الدراني. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٤).

(٧) ذكره القرطبي في تفسيره (١٣/ ٣٦٤).

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨٥).

وقال غيره: المجاهدين.

والمعنى: هو معهم بالنصرة والمعونة[١].

---

(١) في ب زيادة: والله أعلم.

آخر السفر الرابع من رموز الكنوز، وكان الفراغ منه في غرة جمادى الآخر من سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، على يد العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى أحمد بن محمد بن سليمان الشيرجي الحنبلي، تجاوز الله عن سيئاته وغفر له موبقات زلاته، ولجميع المسلمين آمين، ولله الحمد.

ويتلوه في الخامس إن شاء الله تعالى سورة الروم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف المرسلين محمد وآله الطاهرين وسلّم.

وفي هامشها: بلغ معارضة بالأصل فصح بحسب الإمكان.

قلت: ومن سورة الروم إلى آخر سورة الفتح اعتمدنا نسخة الأصل فقط، حيث إن الجزء الخامس من نسخة ب مفقود.

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
سورة الحج	٣
سورة المؤمنون	١٠٠
سورة النور	١٧٦
سورة الفرقان	٢٩٧
سورة الشعراء	٣٦٧
سورة النمل	٤٣١
سورة القصص	٥٠٧
سورة العنكبوت	٥٨٧